

## زبدة التفاسير

تأليف

المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني يَرُّ المتوفّى سنة 4۸۸ هـ. ق

الجزء السادس



مؤسّسة المعارف الإسلاميّة

كاشاني ، فتح الله بن شكر الله ، 💎 🗚 ق .

ً زبدةً التفاسّير / تأليف فـتح الله بـن شكـر الله الكـاشاني الشــريف: تـحقيق مـؤسسة المعارف الاسلامية ــ[ويرايش ٢٢]. ــقم: مؤسسة المعارف الاسلاميّة، ١٤٢٣ ق = ١٣٨١ .

ISBN : 964 - 7777 - 02 - 5 : (دوره) \_ ISBN

ISBN : 964 - 7777 - 03 - 7 (۱ ج ) ISBN : 964 - 7777 - 04 - 3 (۲ ج )

ISBN : 964 - 7777 - 05 - 1 (ق) ISBN : 964 - 7777 - 06 - x (ق)

ISBN : 964 - 7777 - 07 - 8 (5) ISBN : 964 - 7777 - 08 - 6 (7)

میرستنویسی بر اساس اطلاعات فییا . عربی ـ کتابنامه .

١ . تفاسير شيعه ـ قرن ١٠ ق . الف . بنياد معارف اسلامي . ب . عنوان .

۲۲ کا ۵ BP 9۶ کا ۲۹۷ / ۱۳۲۹ کا ۱۳۸۱ کتابخانه ملی ایران کتابخانه ملی ایران ۲۶۵۵۳ ـ ۸۱ م

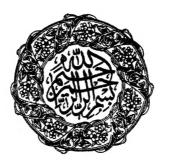


٤٢

## هويّة الكتاب:

زبدة التفاسير /ج ٦.	إسم الكتاب:
الملَّا فتح الله الكاشاني .	تأليف:
مؤسّسة المعارف الإسلاميّة .	تحقیق ونشر :
الأُولى ١٤٢٣ هـ. ق .	الطبعة : "مرب
عثرت.	العظيمة:
۲۰۰۰ نسخة.	العددناند
ع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسّسة المعارف الإسلاميّة	ا و رو ا د ا جما
لمؤسّسة المعارف الإسلاميّة	
7 To the	

ص . ب ۷۷۸ / ۳۷۱۸۵ تلفون ۷۷۳۲۰۰۹ فاکس ۷۷۴۳۷۰۱ E - mail : m islamic@aYna.com





## سورة من

مكيّة. وهي ثمان وثمانون آية. عن أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ سورة ص أعطي من الأجر بوزن كلّ جبل سخّره الله لداود حسنات، وعصمه الله أن يصرّ على ذنب، صغيراً أو كبيراً».

وروى العيّاشي بإسناده عن أبي جعفر ﷺ قال: «من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة ، أعطي من خير الدنيا والآخرة ، ما لم يعط أحد من الناس ، إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، وأدخله الله الجنّة، وكلّ من أحبّ من أهل بيته، حتّى خادمه الّـذي يخدمه، وإن كان ليس في حدّ عياله، ولا في حدّ من يشفع له».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذَّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّة وَشَقَاقَ ﴿٢﴾ كُمْ أَهْلَكُمًّا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنِ فَتَادَوًا وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجُبُوآ أَن جَآءَهُم مُنذرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونِ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِنَهَا وَاحدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿ه﴾ واعلم أنّ الله سبحانه لمّا ختم سورة الصافّات بذكر القرآن والرسول ﷺ . وإنكار الكفّار لما دعاهم إليه. افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر. والردّ عـلـهم أيضاً. فقال:

﴿ بِسَمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ صَ﴾ قد ذكر في أوّل سورة البقرة أنّ إيراد حروف التهجّي في أوائل السور على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز. ثمّ أتبعه القسم محذوف الجواب، لدلالة التحدّي عليه. كأنّه قال: ﴿ وَالْقُرْآنِ نِي الدُّغْرِ ﴾ إنّه لكلام معجز. ويجوز أن تكون «صّ» خبر مبتدأ محذوف، على أنّها اسم للسورة، كأنّه قال: هذه صّ. يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذي الذكر. كما تقول: هذا حاتم والله، تريد: هذا هو المشهور بالسخاء والله. وكذلك إذا أقسم بها، كأنّه قال: أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنّه لمعجز، وإذا جملتها مقسماً بها، وعطفت عليها: «والقرآن ذي الذكر» جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كلّه، وأن تريد السورة بعينها. ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة، والقرآن ذي الذكر. كما تقول: مررت بالرجل الكريم، وبالنسمة المباركة، ولا تريد بالنسمة غير الرجل.

وقيل: «صاد» رمز لصدق محمد. و«الذكر» الشرف والشهرة، كقولك: فلان مذكور. أو الذكرى والموعظة. أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء، والوعد والوعيد.

وما كفر به من كفر ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كـفروا بــه ﴿ فِسِي عِـزَّةٍ ﴾ أي: استكبار عن قبول الحقّ ﴿ وَشِفَاقٍ ﴾ خلاف لله ورسوله، ولذلك كفروا به. والتنكير فيهما للدلالة على شدّتهما.

ثمّ أوعدهم على كفرهم بالقرآن استكباراً وشقاقاً ﴿ تَمَ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَذَادُوْا﴾ استغاثة، أو توبة، أو استغفاراً ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَثَاصِ ﴾ أي: وليس الحين حين مناص. و«لا» هي المشبّهة ب«ليس» زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد، كما سورة صَّى، آية ∖ ⊷ ٥ ....... .... ٧

زيدت على «ربّ» و«ثمّ». وتغيّر بزيادة التاء حكم «لا». حيث لم تدخل إلّا على الأحيان. ولم يبرز إلّا اسمها أو خبرها. وامتنع بروزهما جميعاً.

وقيل: هي النافية للجنس، أي: ولا حين مناص لهم. وقيل: للفعل، والنصب بإضماره، أي: ولا أرى حين مناص. وتقف الكوفيّة على التاء بالهاء كالأسماء. والبصريّة بالتاء كالأفعال.

وقيل: إنَّ التاء مزيدة على «حين» لاتُصالها به في الإمام. والمناص: الملجأ. من: ناصه ينوصه إذا فاته.

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ بشر مثلهم، أو أُمّي من عدادهم ﴿ وَقَالَ الْمَافِرُونَ ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير إظهاراً للغضب عليهم وذماً لهم، وإشعاراً بأنّ توغّلهم في الكفر وانهماكهم في الغيّ جسّرهم على هذا القول ﴿ هَذَا سَلحِرٌ ﴾ فيما يظهره معجزة ﴿ كَذَابُ ﴾ فيما تقوّله على الله. وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسمّوا من صدّقه الله بوحيه كاذباً، ويتعجّبوا من التوحيد، وهو الحتى الذي لا يتعجّبوا من الشرك، وهو الباطل الذي لا وجه لصحّته أصلاً ؟!

ثمّ بيّنوا تقوّله بقولهم: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهَا وَاجِداً ﴾ بأن جعل الألوهيّة الّـتي كانت لآلهتنا لواحد. وذلك أنّه بيّل الله عبادة ما لانه الله ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده. فتعجّبوا من ذلك، وقالوا: كيف جعل لنا إلها واحداً بعدما كنّا نعبد آلهة ؟

روي: أنّ عمر بن الخطّاب لمّا أظهر الإسلام شق على قريش وبلغ منهم، فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم، منهم: الوليد بن المغيرة، وهـو أكبرهم، وأبو جهل، وأبيّ وأميّة ابنا خلف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والنضر بن الحارث، وأتوا عند أبي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، يريدون: الذين دخلوا في الإسلام، وجئناك لتقضى بيننا

٨..... زبدة التفاسير ـج ٦

وبين ابن أخيك.

فاستحضر أبو طالب رسول الله وقال: يابن أخــي هــؤلاء قــومك يسألونك السواء، فلا تمل كلّ الميل على قومك.

فقال ﷺ: ماذا يسألونني؟

قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا ندعك وإلهك.

فقال ﷺ؛ أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم، أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟

قالوا: نعم وعشراً، أي: نعطيكها وعشر كلمات معها.

فقال: قولوا لا إله إلَّا الله.

فقاموا وقالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» ﴿إِنَّ هَذَا﴾ هذا الّذي يقوله محمّد من أنّ الإله واحد ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ بليغ في العجب، فإنّه خلاف ما أطبق عـليه آباؤنا وما نشاهده، من أنّ الواحد لا يفي علمه وقدرته بالأشياء الكثيرة.

روي: أنّ رسول الله ﷺ الشعبر ثم قال: «يا عمّ والله لو وضعت الشمس في يميني، والقمر في شمالي، ما تركت هذا القول حتّى أنفذه، أو أقتل دونه». فقال له أبو طالب: امض لأمرك، فوالله لا أخذلك أبداً.

وَآنطَلَقَ الْمَلَا مُنْهُمُ أَنِ ٱمْشُوا وَآصُبُرُوا عَلَى آلَهَكُمُ إِنَّ هَذَا لَشَيُّءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهِذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَاۤ اِلاَّ ٱخْتِلاَقٌ ﴿٧﴾ أَأْنَزِلَ عَلَيْهِ الذِّكُوْ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِن ذِكْرِي بَلْ لَمَا يَدُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾

﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ أشراف قريش من مجلس أبي طالب بعد ما بكّـتهم

رسول الله ﷺ، وسمعوا ما قال أبو طالب، قائلين بعضهم لبعض: ﴿أَنِ أَمْشُـوا﴾ اخرجوا من هذا المجلس ﴿ وَاصْبِرُوا﴾ واثبتوا ﴿ عَلَىٰ آلِمَةِكُمْ ﴾ على عبادتها، وتحمّلوا المشاق لأجلها، فإنّه لا حيلة لكم في دفع أمر محمّد. و «أن» هي المفسّرة، لأنّ الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول.

وقيل: المراد بالانطلاق الاندفاع في القول. «وامشوا» من: مشت المرأة إذا كثرت أولادها. ومنه: الماشية، أي: اكثروا واجتمعوا للتقوّل.

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُوادُ ﴾ هذا الأمر الذي نراه \_ من زيادة أصحاب محمد \_ من نوائب الزمان يراد بنا، فلا مرد له، ولا انفكاك لنا منه. أو إنَّ هذا الذي يدّعيه من التوحيد، أو يقصده من الرئاسة والترفّع على العرب والعجم، لشيء يتمنّى، أو يريده كلّ أحد. أو إنّ دينكم يطلب ليؤخذ منكم.

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ﴾ الذي يدعونا إليه محمّد من التوحيد وخلع الأنداد من الله ﴿ فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ ﴾ في الملّة التي أدركنا عليها آباءنا، أو في ملّة عيسى التي هي آخر الملل، فإنّ النصارى يتلّنون ولا يوحّدون . ويجوز أن يكون حالاً من «هذا»، ولا يتعلّق ب«ما سمعنا»، والمعنى: أنّا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنّه يحدث التوحيد في الملّة الآخرة، ﴿إنْ هَذَا ﴾ ما هذا الّذي يقوله محمّد ﴿إلاً الْحَبِلَةَ ﴾ كذب اختلقه.

ثمّ أنكروا أن يختصّ على بشرف النبوّة والوحي من بين رؤسائهم، ويــنزل عليه الكتاب دونهم، وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرئاسة. فقالوا:

﴿ أَعُنْزِلَ عَلَيْهِ الذَّعْرُ مِن بَيْنِتَا﴾ أي: كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا، وليس بأكبر سناً مناً، ولا بأعظم شرفاً؟ وهذا دليل على أنَّ مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد، وقصور النظر على الحطام الدنيوي. وقرأ قبالون بمد الأولى وتبليين الثانية شبه واو. وكذلك ابن كثير وأبو عمرو، إلا أنهم يقصرونها.

ثمّ ردّ الله عليهم قولهم بقوله: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكَّ مِنْ ذِخْدِي﴾ من القرآن أو الوحي، لميلهم إلى التقليد، وإعراضهم عن الدليل. وليس في عقيدتهم ما يبتّون به من قولهم: «هذا ساحر كذّاب» «إن هذا إلّا اختلاق».

ثمّ هدّدهم بقوله: ﴿ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال شكّهم. والمراد: أنّهم لا يصدّقون بالقرآن حتّى يمسّهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآتِنُ رَحْمَة رَبِكَ الْعَزِيزِ الْوَهَابِ ﴿١٠﴾ أَمْ لَهُم مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَا هُمَالِكَ مَهْرُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَمَدُومٌ مِّنَ الأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلَّ ﴿٢١﴾ وَمُعَدَّدُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيكَة أُولِنَكَ الأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلَّ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا إِلاَّ مَنْ فَوَاقِ ﴿١٥﴾

ثمّ أجابهم عن إنكارهم نبوته ﷺ بقوله: ﴿ أَمْ عِنْدُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةٍ رَبُكَ ﴾ بل أعندهم خزائن رحمته وفي تصرّفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا، ويصرفوها عمّن شاؤا، فيتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم، ويترفّعوا بها عن محمّد ﷺ ؟ وليس الأمر كذلك، فإنّ النبوّة عطيّة من الله يتفضّل بها على من يشاء من عباده، لا مانع له. ﴿ الْعَزِيزِ ﴾ الغالب الذي لا يغلب ﴿ الْوَمَابِ ﴾ الذي له أن يهب كلّ ما شاء على حسب المصالح، فيختار للنبوّة من يشاء من عباده، ونظيره قوله: ﴿ وَلَقَوْ الْمُتَرْتَاهُمْ حسب المصالح، فيختار للنبوّة من يشاء من عباده، ونظيره قوله: ﴿ وَلَقَوْ الْمُتَرْتَاهُمْ

ولمّا أنكر عليهم التصرّف في نبوّته، بأن ليس عندهم خزائن رحمته الّتي لا نهاية لها، أردف ترشيحاً لهذا المعنى ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الّذي هو جزء يسير من خزائنه، فمن أين لهم أن يتصرّفوا فيها؟

ثمّ تهكّم بهم غاية التهكّم، فقال: إن كان لهم ذلك ﴿فَلَيْزِ تَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصّل بها إلى العرش حتّى يستووا عليه، ويدبّروا أمر العالم، فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون. والسبب في الأصل هو الوصلة. وقيل: المراد بالأسباب السماوات، لآنها أسباب الحوادث السفليّة.

ثمّ استصغرهم واستحقرهم عن هذا الأمر الجليل والخطب العظيم، فقال: 
﴿ جُنْدُ مَا﴾ «ما» مزيدة للتقليل، كقولك: أكلت شيئاً ما، أي: هم جند قليل حقير 
جداً ﴿ هَنَالِكَ ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لعثل هذا القول. أو 
إشارة إلى مصارعهم ببدر. ﴿ مَهْزُومُ ﴾ مكسور عمّا قريب ﴿ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ من 
الكفّار المتحزّبين على الرسل، وأنت منصور عليهم مظفّر غالب، فمن أيمن لهم 
التدابير الإلهية والتصرّف في الأمور الربّائية؟ فلا تبال بما يقولون.

ثمّ هدّدهم باستئصال الأحزاب المكذّبين المعاندين في سالف زمانهم، فقال: ﴿ عَدْبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل هؤلاء الكفّار ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو النّوْتَادِ ﴾ ذو الملك الثابت بالأوتاد، كقوله:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظلَّ ملك ثابت الأوتـاد

مأخوذ من ثبات البيت المطنّب بأوتاده. أو ذو الجموع الكثيرة. سمّوا بذلك لأنّهم يشدّون ملكه، ويقرّون أمره. أو لأنّ بعضهم يشدّ بعضاً، كالوتد يشدّ البناء. أو

<sup>(</sup>١) الدّخان: ٣٢.

۱۲......نیدة انتفاسیر ـ ج ٦

لكثرة أوتاد خيامهم.

وقيل: نصب أربع سوار، وكان يمدّ يدي المعذّب ورجليه إليـها، ويــضرب عليها أوتاداً، ويتركه حتّى يموت.

وقيل: كان يمدّه بين أربعة أوتاد في الأرض، ويسرسل عليه الحيّات والعقارب.

وعن ابن عبّاس وقتادة وعطاء: أنّه كانت له ملاعب من أو تاد يلعب له عليها. ﴿ وَثَمُودُ ﴾ وهم قوم صالح ﴿ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ وأصحاب النيضة (۱). وهم قوم شعيب. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: ليكة.

ولمّا ذكر هؤلاء المكذّبين، أعلمنا أنّ مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب، فقال: ﴿الْأَصْرَابُ﴾ هم الأحزاب، فقال: ﴿النَّصْرَابُ﴾ هم المتحرّبون على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم.

ثمّ صرّح بما أسند إليهم من التكذيب على الإبهام، فقال على أبلغ تأكيد: 
﴿إِن كُلُّ ﴾ ماكلٌ واحد من الأحزاب ﴿إِلَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ كذَّب جميع الرسل، لأنهم إذا 
كذَّبوا واحداً منهم فقد كذَبوهم جميعاً. ويجوز أن يكون ذلك مقابلة الجمع بالجمع 
تسجيلاً. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنويع في تكريره بالجملة 
الخبريّة أوّلاً، وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد 
والتخصيص، أنواع من المبالغة المسجّلة عليهم، باستحقاق أشد العقاب وأبلغه. 
ولذلك ربّب عليه ﴿فَحَقَ عِقَابِ ﴾ أي: فوجب أن أعاقبهم حقّ عقابهم.

﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَوُ لَاءِ ﴾ أي: وما ينتظر قومك أو الأحزاب، فإنّهم كالحاضرين، لاستحضارهم بالذكر، أو حضورهم في علم الله ﴿ إِلَّا صَنِحَةً وَاحِدَةً ﴾ هي النفخة الأولى ﴿ مَا لَهَا مِنْ قَوَاقٍ ﴾ من توقّف مقدار فواق. وهــو مــابين جــلستى الحــالب

<sup>(</sup>١) الغيضة: الأجمة، ومجتمع الشجر في مغيض الماء.

سورة صّ، آية ١٦ ــ ٢٠ ـــ ١٣ ـــ ١٣

ورضعتي الراضع. يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان، كـقوله تمالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْجُرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١٠).

وعن ابن عبّاس: ما لها من رجوع وترداد. من: أفاق العريض إذا رجع إلى الصحّة. وفواق الناقة ساعة يرجع اللبن إلى الضرع. يسريد: أنّها نفخة واحدة فحسب، لا تثنّى ولا تردد. وقرأ حمزة والكسائي بالضمّ. وهما لغتان.

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجْلِ لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ آصْبِرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَآذُكُو عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا اللَّيدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَوْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِحْنَ بِالْعَشِيّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَهُ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١١﴾ وَسَدَدُنَا مُلُكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصُلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

روي: أنّه لمّا نزل ﴿فَأَمَّا صَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ... وَأَمَّا صَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾(٢)، قالت قريش: زعمت يا محمّد أنّا نؤتى كتابنا بشمالنا، فعجّل لنا كتبنا التي نقرؤها في الآخرة، استهزاءً منهم بهذا الوعيد وتكذيباً به. فنزلت:

﴿ وَقَالُوا ﴾ وقال هؤلاء الكفّار: ﴿ وَبَثَا عَجُل لَنَا قِطْنَا ﴾ قسطنا من العذاب الذي توعدنا به. أو الجنّة التي تعدها للمؤمنين، وهو من: قطّه إذا قطعه، فستي القسط القطّ، لأنّه قطعة من الشيء. ومنه قطّ الصحيفة الجائزة، لأنّه قطعة من الترطاس. وقد فشر بهما، أي: عجّل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها. ﴿ قَبْلَ يَـوْمِ الْجِسَابِ ﴾.

<sup>(</sup>١) الأعراف: ٣٤.

<sup>(</sup>٢) الحاقّة: ١٩ ، ٢٥.

ولمّا كانوا استعجلوا ذلك استهزاءً قال: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك، فإنّ وبال ذلك يعود عليهم ﴿وَانْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ واذكر لهم قصّة داود، تعظيماً للمعصية في أعينهم، فإنّه مع علوّ شأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات، وكمال زلفته عند الله سبحانه، لمّا زلّ زلّة من ترك الأولى، وبّخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتّى تفطّن فاستغفر ربّه وأناب، ووجد منه ما يحكي عن بكائه الدائم وغمّه الواصب(۱۱)، ولا يزال مجدّداً للندم عليها، فما الظنّ بكم مع كفركم وفرط معاصيكم؟! أو تذكّر قصّته، وصن نفسك أن تزلّ فيما كلفت من مصابرتهم وتحمّل أذاهم، فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على إهماله.

﴿ ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوّة في الدين والعبادة. يقال: رجل أيد وذو أيد وأياد، بمعنى ما يتقوّى به. وروي: أنّه يقوم نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشدّ الصوم.

وقيل: ذا القوّة على الأعداء وقهرهم. وذلك لأنّه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل، فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله.

وقيل: معناه: ذا التمكين العظيم، والنعم الجليلة. وذلك أنّه كان يبيت كلّ ليلة حول محرابه ألوف كثيرة من الرجال.

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ توّاب، رجّاع عن كلّ ما يكره الله إلى ما يحبّ. من: آب يؤوب إذا رجع. وهذا تعليل للأيد، ودليل على أنّ المراد به القوّة في الدين.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعْهُ يُسَبِّحْنَ﴾ قد سبق (٢) تفسير تسخير الجبال مع داود. و«يسبّحن» حال وضع موضع: مسبّحات، لاستحضار الحال الماضية، والدلالة على تجدّد التسبيح من الجبال حالاً بعد حال.

<sup>(</sup>١) أي: الدائم.

<sup>(</sup>٢) راجع ج ٤ ص ٣٤٣، ذيل الآية ٧٩ من سورة الأنبياء.

﴿ بِالْمَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ وقت دخول الشروق. يقال: أشرقت الشمس ولمّا تشرق. من: أشرق القوم إذا دخلوا في الشروق. ومنه قبوله تعالى: ﴿ فَاضَدَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْوِقِينَ ﴾ (١). وقول الجاهليّة: أشرق تبير (٢) كيما نغير، أي: وادخل في الضوء لنغير. ويراد وقت صلاة الفجر، لانتهائه بالشروق.

والمعنى: يسبّحن الله إذا سبّح وقت الرواح والصباح. وذلك إمّا بأن خلق الله فيهنّ التسبيح، أو بنى فيها بنية يتأتّى منها التسبيح معجزة له 繼.

وكذلك قوله: ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةٌ ﴾ مجموعة إليه من كلَّ جانب. وإنَّما لم يقل: يحشرن، مع أنَّ فيه المطابقة بين الحالين، لأنَّ الحشر جملة أدلَّ على القدرة منه مدرِّجاً.

وعن ابن عبّاس: كان داود إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبّحته، فذلك حشر الطير.

﴿ فَلَ لَهُ ﴾ أي: كلّ واصد من الجبال والطير لأجل داود \_ أي: لأجل تسبيحه \_ ﴿ أَوَّابُ ﴾ رجّاع إلى التسبيح. ووضع الأوّاب موضع المسبّح، إمّا لأنّها كانت ترجّع التسبيح، والمرجّع رجّاع، لأنّه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع. وإمّا لأنّ الأوّاب \_ وهو التوّاب الكثير الرجوع إلى الله تعالى وطلب مرضاته \_ من عادته أن يكثر ذكر الله، ويديم تسبيحه وتقديسه.

وقيل: الضمير لله، أي: كلّ منهما ومن داود مرجّع لله التسبيح. والفرق بينه وبين «يسبّحن» أنّه يدلّ على الموافقة في التسبيح. وهذا يدلّ على المداومة عليها.

﴿ وَشَندُننَا مُلْكَهُ ﴾ وقوّيناه بالحرس والجنود وكثرة العدد والعدّة والهيبة، بأن قذفنا في قلوب قومه هيبته.

<sup>(</sup>١) الحجر: ٧٣.

<sup>(</sup>٢) ثَبِير : اسم جبل بمكّة.

١٦..... زبدة التفاسير ـ ج ٦

روي: أنّ رجلاً ادّعى عنده بقرة على آخر، وعجز عن إقامة البيّنة، فأوحي إليه في المنام: أن اقتل المدّعى عليه. فقال: هذا منام. فأعيد الوحي في اليـقظة، فأعلم الرجل. فقال: صدقت، إنّ الله لم يأخذني بهذا الذنب، ولكن بأنّي قتلت أبا هذا غيلة، وأخذت البقرة. فقتله، فعظمت بذلك هيبته.

وقيل: كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم<sup>(١)</sup> يحرسونه.

﴿ وَآتَتِنَاهُ الْحِكْفَةُ ﴾ النبوّة. أو كمال العلم وإتقان العمل. وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة. ﴿ وَفَصْلُ الْخِطَابِ ﴾ وفصل الخصام بتمييز الحقّ عن الباطل. وهو بعضى المفعول، أي: كلام مفصول بعضه من بعض. فعني فصل الخطاب: الكلام المخلص الذي ينبّه من يخاطب به على المقصود من غير التباس عليه. ومن فصل الخطاب أن لا يخطىء صاحبه مظان الفصل والوصل، والعطف والاستئناف، والإضمار والإظهار، والحذف والتكرار، ونحوها.

ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل، كالصوم (<sup>٣)</sup> والزور. والمعنى: الكلام الفاصل بين الخطاب الذي يفصل بين الحطاب والخطأ. وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك. وستي به «أمّا بعد» لأنّه يفصل المقصود عمّا سبق مقدّمة له، من الحمد والصلاة.

وقيل: هو الخطاب المتوسّط الَّذي ليس فيه اختصار مخلَّ، ولا إشباع مملَّ. كما جاء في وصف كلام الرسول ﷺ: فصل، لا نزر، ولا هذر (٣).

وعن علي ﷺ : «هو قوله: البيّنة على المدّعي، واليمين على المدّعي عليه». روي: أنّه كان أهل زمان داود ﷺ يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته، فيتزوّجها إذا أعجبته. وكانت لهم عادة في العواساة بذلك قد اعتادوها. وقد روي

<sup>(</sup>١) أي: لابس اللأمة، وهي الدرع.

<sup>(</sup>٢) يقال: هو صومٌ، أي: صائم. ورجل زَوْرٌ، أي: زائر.

<sup>(</sup>٣) النَزْر: القليل. والهَذَر: الكلام الردىء الّذي لا يعبأ به.

أنّ الأنصار أيضاً كانوا يواسون المهاجرين مثل ذلك. فاتفق (١) أنّ عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له: أوريا، وقيل: هو أخوه، فأحبّها، فسأله النزول له عنها، فاستحى أن يردّه ففعل، فتزوّجها، وهي أمّ سليمان. فعو تب بأنّك مع عظم منزلتك، وارتفاع مرتبتك، وكبر شأنك، وكثرة نسائك، لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلّا امرأة واحدة النزول، بل كان ملائم شأنك الرفيع مغالبة هواك، وقهر نفسك، والصبر على ما امتحنت به. فعو تب على ذلك بنزول ملكين عليه، كماحكاه الله سبحانه، بعد أن أخبر أنّه أعطي الحكمة وفصل الخطاب.

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْحَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفُ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضَنَا عَلَى بَغْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تَشْطِطْ وَآهْدِنَا إِلَى سَوَآء الصَرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ بِيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تَشْطِطْ وَآهْدِنَا إِلَى سَوَآء الصَرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ بِيشَعْ وَتِسْعُونَ نَفْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْنَانِيهَا وَعَزَنِي فِي الْخِطَابِ

<sup>(</sup>١) هذه الرواية رواها البيضاوي في (أنوار التنزيل ٥: ١٧) وغيره من المفسرين. وليت المفسرين. وليت المفسرين في لم يذكرها أصلاً لانها تتنافى وقداسة الأنبياء المشا وعصمتهم، وتتضمن أفحش الافتراء والظلم على داود الله ونسبة المخلاعة والمجون ومعاشقة حلائل الناس إليه، مما يتعاطاه الفسقة والمستهترين بحرمات الله تعالى. وفي لفظ البيضاوي: فعشقها. مع أنه روي دني هذه الرواية عن علي الله وأن من حداث بحديث داود على ما يرويه التعاس جلدته مائة وستين، وناهيك بهذا حكماً قاطعاً، وعقاباً صارماً، وهو إمام المتتمين، وأقضى الأمت، على ما نظى به الرسول الأعظم الله الله الله الله الله وستين حد الفرية على الأنبياء. فالرواية أشبه ما تكون من خرافات الجهال والدجالين، وأساطير القصاص والمشعوذين. ورحم الله المفسر، فما كان الأجدر والأليق به أن يطوي عن ذكرها كشحاً، ويتركها في قفص المهملات والموضوعات.

﴿ ٢٣﴾ قَالَ لَقَدُ ظَلَمُكَ بِسُوَالِ نَفْجَتَكَ إِلَى نَفَاجِه وَإِنَّ كَثْيِرًا مِنَ الْخُلْطَآءَ لَيْبَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمُ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنْمَا فَتَنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَهُ وَخَرَّ رَاكُمًا وَأَنَابَ ﴿ ٢٤﴾ فَغَفَرُنَا لَهُ وَظَنَّ دَاوُودُ إِنَّا جَمَلُناكَ خَلِيفَةً فَلَكَ وَإِنَّ لَهُ عَندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبِ ﴿ ٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَمَلُناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَبعِ الْهَوَى فَيْضِلَكَ عَن سَبيلِ اللّه إِنَّ النَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبيلِ اللّه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحَسَابِ ﴿ ٢٤﴾

﴿ وَهَلُ أَتَاكَ نَبُوا الْخَصْمِ ﴾ معنى الاستفهام التعجيب، والتشويق إلى استماعه، والتنبيه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغي أن يفعله. والخصم في الأصل مصدر يقع على الواحد والجمع، كالضيف في قول الله تعالى: ﴿ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (١).

والمعنى: هل بلغك خبر الخصماء ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْبِحْوَابَ﴾ إذ تصعدوا سور الغرفة، وهي مصلاه. والسور الحائط المرتفع. ونظيره: تستمه إذا عبلا سنامه، وتفرّعه إذا علا فرعه(٢٠).

و«إذ» متعلَّق بمحذوف، أي: نبأ تحاكم الخصماء إذ تسوّروا. أو بالنبأ، على

<sup>(</sup>١) الذاريات: ٢٤.

<sup>(</sup>٢) الفرع من كلِّ شيء: أعلاه المتفرّع من أصله.

سورة ص، آية ٢١ ــ ٢٦ ...... ١٩٠

أنّ المراد به الواقع في عهد داود، وأنّ إسناد «أتى» إليه على حذف مضاف، أي: قصّة نبأ الخصم. أو بالخصم، لما فيه من معنى الفعل. لا بـ: أتى، لأنّ إتـيانه الرسول على لا مكن حينئذٍ.

و «إذ» في قوله: ﴿إِذْ مَخَلُوا عَلَىٰ دَاؤُدَ﴾ بدل من الأولى، أو ظرف ا «تسوّروا» ﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ لأنّهم نزلوا عليه من فوق، في يوم الاحتجاب، والحرس على الباب، لا يتركون من يدخل عليه. فإنّه كان جزّاً زمانه على أربعة أجزاء: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للوعظ، ويوماً للاشتغال بخاصّته. فتسوّر عليه ملائكة على صورة الإنسان في يوم الخلوة.

﴿قَالُوا لَا تَخَفَّ خَصْمَانِ﴾ نحن فوجان متخاصمان، على تسمية مصاحب الخصم خصماً ﴿بَقَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعضٍ﴾ وهو على الفرض وقصد التحريض إن كانوا ملائكة، وهو المشهور ﴿فَاحْتُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ ﴾ ولا تجر في الحكومة بالميل لأحدنا على صاحبه. من الشطط، وهو مجاوزة الحدّ. ﴿وَاهْدِنَا ﴾ وارشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ الصَّرَاطِ ﴾ إلى وسط الطريق الذي هو طريق العدل.

فقال أحد الخصمين له: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ في الدين أو الصحبة ﴿ لَهُ تِسْعُ وَيِسْعُونَ نَعْجَةُ ﴾ هي الأنثى من الضأن، وقد يكنى بها عن السرأة، والكناية والتعثيل فيما يساق للتعريض أبلغ في المقصود. ﴿ وَلِينَ ﴾ قرأ حفص بفتح الساء ﴿ نَعْجَةُ وَاهِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِهِ ﴾ ملكنها، وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي. وقيل: معناه: اجعلها كفلي، أي: نصيبي. ﴿ وَعَزْنِي فِي الْفِطَابِ ﴾ وغلبني في مخاطبته إيّاي محاجّة، بأن جاء بحجاج وجدال لم أقدر على ردّه، أو في مغالبته إيّاي في الخطبة فغلبني، خيث تزوّجها دوني.

قيل: إنَّ الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما، إمَّا

۲۰..... زیدة التفاسیر ـ ج ٦

كانا خليطين في الغنم، وإمّا كان أحدهما موسراً وله نسـوان كـثيرة مـن المـهائر والسراري، والثاني معسراً ما له إلّا امرأة واحدة، فاستنزله عنها.

﴿قَالَ لَقَدَ طُلَمَكَ بِسُوَّالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ جواب قسم محذوف، قصد به المبالغة في إنكار فعل خليطه وتهجين طمعه. ولعلّه قال ذلك بعد اعتراف المدّعى عليه، أو على تقدير صدق المدّعي. والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله. وتعديته إلى مفعول آخر بدرالي» لتضمّنه معنى الإضافة. كأنّه قال: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب.

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاآمِ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم. جمع خليط. ﴿ لَيَبْغِي ﴾ ليتعدّى ﴿ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَبُوا الصَّالِحَابَ ﴾ فَإِنّهم لا يظلم بعضهم بعضاً ﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ وهم قليل جدّاً. و«ما» مزيدة للإبهام والتعجّب من قلّتهم. والمقصود من ذلك القول: الموعظة الحسنة، والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلّة، وتكريه الظلم -الذي أكثرهم عليه -إليهم، مع التأسّف على حالهم، وتسلية المظلوم عمّا جرى عليه من خليطه.

﴿ وَقَانَ نَاوُدُ أَنَّمَا فَقَنَّاهُ ﴾ ابتليناه بترك الأولى، أو امتحنّاه بتلك الحكومة هل يتنبّه بها؟ ولمّا كان غلبة الظنّ كالعلم استعير له. والمعنى: وعلم داود وأيقن أنّـما اختبرناه وابتليناه لا محالة. ﴿ فَاسْتَغَفْرَ رَبُّهُ ﴾ لترك الأولى ﴿ وَخَرَّ رَاكِعاً ﴾ ساجداً، على تسمية السجود ركوعاً، لأنّه مبدؤه. أو خرّ للسجود راكعاً، أي: مصلياً، كأنّه أحرم بركعتي الاستغفار. ﴿ وَأَنَابَ ﴾ إليه. وقيل: سقط ساجداً لله تعالى ورجع إليه. وقيل: سقط ساجداً لله تعالى ورجع إليه.

وعن ابن مجاهد: مكث ساجداً أربعين يوماً وليلة، لا يرفع رأسه إلّا لصلاة مكتوبة، أو لحاجة لا بدّ منها. ولا يرقأ(١) دمعه حتّى نبت العشب من دسعه. ولم

<sup>(</sup>١) أي: لا يجفّ ولا ينقطع.

يشرب ماءً إلّا وثلثاه دمع. وجهد نفسه راغباً إلى الله في العفو عنه. حتّى كاد يهلك. واشتغل بذلك عن الملك، حتّى وثب ابن له يقال له: إيشا على ملكه. ودعـــا إلى نفسه. واجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل.

﴿فَقَفَرْتَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما استغفر عنه ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْقَيٰ﴾ لقربة ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مرجع في الجنّة. ولمّا غفر له حارب ابنه فهزمه. وقيل: إنّه نقش هذه الزلّة في كفّه حتّى لا ينساه.

واختلف في أنَّ استغفار داود من أيَّ شيء كان؟ فقيل: إنَّه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، والخضوع له، والتذلّل بالعبادة والسجود. كما حكى سبحانه عن إبراهيم على بقوله: ﴿ وَالَّذِي الْطَمَّةُ أَن يَغْفِرْ لِي خَطِيفَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١٠.

وأما قوله: ﴿فنفرنا له ذلك﴾ فمعناه: أنّا قبلناه منه وأثبناه. ولمّا كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول، قيل في جوابه: غفرنا. وهذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب، من الاماميّة وغيرهم.

ومن جوّز على الأنبياء الصغائر قال: إنّ استغفاره كان لذنب صغير وقع منه. وهو أنّ أوريا بن حيّان خطب امرأة، وكان أهلها أرادوا أن يزوّجوها منه، فبلغ داود جمالها، فخطبها أيضاً فزوّجوها منه، وقدّموه على أوريا. فعوتب داود على حرصه على الدنيا، وعلى أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه.

وقيل: إنّه خرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل، فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده، إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملكين. وقيل: إنّه كان في شريعته أنّ الرجل إذا مات وخلّف امرأة فأولياؤه أحـق بها، إلّا أن يرغبوا عن التزوّج بها، فحينئذٍ يجوز لغيرهم أن يتزوّج بها. فلمّا

قتل أوريا خطب داود امرأته، ومنعت هيبة داود وجــــلالته أوليـــاءه أن يــخطبوها.

<sup>(</sup>١) الشعراء: ٨٢.

زیدة التفاسیر ـ ج ٦
 فعو تب علی ذلك.

وقيل: إنَّ داود كان متشاغلاً بالعبادة، فأتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه، فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها، وذلك نظر مباح، فمالت نفسه إليها ميل الطباع، فعاد إلى عبادة ربّه، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله، فعوتب.

وقيل: إنّه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبّت، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عمّا عنده فيها، ولا يحكم عليه قبل ذلك. وإنّما أنساه التثبّت في الحكم، فزعه من دخولهما عليه فيغير وقت العادة.

وأمّا ما ذكر في القصة: أنّ داود كان كثير الصلاة، فقال: يا ربّ فضّلت عليّ إبراهيم فاتخذته خليلاً، وفضّلت عليّ موسى فكلّمته تكليماً. فقال: يا داود إنّا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله، فإن شئت ابتليتك. فقال: نعم، يا ربّ فابتلني. فبينا هو في محرابه ذات يوم، إذ وقعت حمامة، فأراد أن يأخذها فطارت إلى خينا لمحراب، فذهب ليأخذها، فاطلع من الكوّة فإذا امرأة أوريا بين حيّان تغتسل، فهواها وهمّ بتزوّجها، فبعث بأوريا إلى بعض سراياه، وأمر بتقديمه أما التابوت الذي فيه السكينة، ففعل ذلك وقتل، فلمّا انقضت عدّتها تزوّجها وبنى بها، فولد له منها سليمان، فبينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ الزبور، إذ دخل عليه رجلان، ففزع منهما. فقالا: «لا تخف خصمان بغى بعضا على بعض» إلى قوله: «وقليل ما هم». فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه شمّ ضحك. فتنبّه داود على أنّهما ملكان، بعثهما الله إليه في صورة خصمين، ليبكّناه على خطئته.

فمتا(١١) لا شبهة في فساد ذلك، فإنّه منا يقدح في العدالة. وكيف يجوز أن

<sup>(</sup>١) خبر لقوله: وأمَّا ما ذكر ....، في بداية الفقرة السابقة .

يكون أنبياء الله تعالى الّذين هم أمناؤه على وحيه، وسفراؤه بينه وبين خلقه، بصفة من لا يجوز قبول شهادته، وعلى حالة تنفّر عن الاستماع إليه والقبول منه؟! جلّ أنبياء الله عن ذلك.

وقد روي عن أمير المؤمنين الله أنّه قال: «لا أوتى بسرجل يسزعم أن داود تزوّج امرأة أوريا، إلّا جلدته حدّين: حدًا للنبوّة، وحدًا للإسلام».

وبرواية عنه ﷺ: «من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصّاص، جلدته مائة وستّين». وهي حدّ الفرية على الأنبياء.

﴿ فَاحْكُمْ بَئِنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بحكم الله، إذ كنت خليفته ﴿ وَلاَ تَتَبِعِ اللهُوَىٰ ﴾ ما تهوى الأنفس من مخالفة الحقّ. وهو يؤيّد ما قبل: إنَّ زلّته المبادرة إلى تصديق المدّعي، وتظليم الآخر قبل مسألته. ﴿ فَيُضِلِّكُ ﴾ أي: إن اتّبعت الهوى عندل الهوى بك ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللهِ عن دلائله الّتي نصبها في العقول \_ أو في شرائعه بالوحى \_ على الحقّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِئُونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ يعداون عمّا أمرهم الله به ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُوا ﴾ بسبب نسيانهم، أي: تركهم طاعات الله في الدنيا. وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ متعلّق برعناب شديد يكون قوله: ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ متعلّق برعناب شديد بإعراضهم عن ذكر يوم القيامة. فيكون متعلّقاً برنسوا ».

٧٤..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْيُلْ لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٧٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ النُّمَّينَ كَالْفُجَارِ ﴿٨٧﴾ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارِكٌ لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٧٧﴾

ثمّ نبّه العباد على وجوب ملازمة الحقّ ومخالفة الهوى، بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾ خلقاً باطلاً، أي: عبثاً لا لغرض صحيح وحكمة بالغة، كما هو مقتضى الهوى. أو ذوي باطل، بمعنى: مبطلين عابثين، كقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (١). أو عبثاً، فوضع «باطلاً» موضعه، كما وضعوا «هنيئاً لك» موضع المصدر، بل خلقناهما بالحقّ الذي هو مقتضى الدليل، من التوحيد والتدرّع بالشرع.

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى خلقهما باطلاً ﴿ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: مظنونهم ﴿ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفُرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ بسبب هذا الظنّ الباطل.

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ «أم» منقطعة. ومعنى الاستفهام فيها إنكار التسوية بين المؤمنين الصالحين والكافرين المفسدين، اللّي دلّ على نفيها خلق السماوات والأرض بالحقّ. وكذلك «أم» اللّي في قوله: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُنَقِينَ كَالْفُجَارِ ﴾ . كأنّه أنكر التسوية أوّلاً بين المؤمنين المؤمنين والمجرمين منهم.

ويجوز أن يكون تكريراً للإنكار الأؤل بـاعتبار وصفين آخـرين يـمنعان

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ١٦.

التسوية من الحكيم.

والمعنى: أنَّه لو بطل الجزاء كما قال المشركون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد، واتَّقى وفجر، ومن سوّى بينهما كان سفيهاً ولم يكن حكيماً.

والآية تدلَّ على صحّة القول بالحشر، فإنَّ التفاضل بينهما إمَّا أن يكون في الدنيا، والغالب فيها عكس ما تقتضي الحكمة فيه، أو في غيرها، وذلك يستدعي أن تكون دار أخرى يجازون فيها.

ثمّ خاطب نبيد ﷺ بقوله: ﴿ حِتَابُ أَنزُلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكُ ﴾ نفّاع ﴿ لِيدَدُبُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ليتفكّروا فيها، فيعرفوا ما يدبّر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، فإنّ من اقتنع بظاهر المتلوّ، كان مشله كمثل من له لقحة (١) درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها.

وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده، حتى إنّ أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً. وقد والله أسقطه كلّه، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل. والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده. والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة (٢)، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء. اللّهم اجعلنا من العلماء المتدبّرين، وأعذنا من القرّاء المتكبّرين.

وَوَهَٰبُنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ شِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيَ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرٍ

<sup>(</sup>١) اللَّقْحَة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. والدَّرُور أيضاً: الناقة الكثيرة الدرَّ. والمُهْرة والمُهْر: ولد الغرس. والنَّثُور: الكثيرة الولد.

<sup>(</sup>٢) الوَزَعة جمع الوازع، وهو الذي يكفّ عن الضرر، أو يزجر نفسه عن معاصى الله تعالى.

رَبِي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٣﴾ رُدُّوهَا عَلَيْ فَطَغِقَ مَسْحًا بِالسُّوقَ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدُ فَتَنَا سُلْيَمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُوْسِيّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِ اَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنبغي لِأَحْدَ مَنْ بَعْدِيّ إِنِّكَ أَنتَ الْوَهَابُ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبّ اَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنبغي لِأَحْدَ مَنْ بَعْدِيّ إِنِّكَ أَنتَ الْوَهَابُ ﴿٣٣﴾ فَاسُنَ ﴿٣٣﴾ فَسَخَوْنِ بَاللّهَ الزَمِّ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٣﴾ وَالشّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاء وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاقُونًا فَامُنُنْ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرٍ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسُنَ مَآبِ ﴿٤٠٠﴾

ثمّ عطف سبحانه على قصّة داود حديث سليمان ﷺ، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي: نعم العبد سليمان، إذ مابعده تعليل للمدح. وهو بيان حال سليمان. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى الله بالتوبة من ترك الأولى. أو مـوُرّب للـتسبيح مرجّع له.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ ﴾ ظرف الاأواب» أو الانعم» ﴿بِالْفَشِيِّ بعد الظهر ﴿الصَّافِنَاتُ ﴾ الصافن من الخيل: الَّذي يقوم على ثلاث قوائم، ويسضع طرف السنبك(١) الرابع على الأرض. وهو من الصّفات المحمودة في الخيل، لا يكاد يكون إِلَّا في العراب(٢) الخلّص. ﴿الْبِيَادُ ﴾ جمع جواد أو جود. وهو الَّذي يسرع في

<sup>(</sup>١) السُنْبُك: طرف الحافر. والحافر: هو للدابَّة بمنزلة القدم للانسان.

<sup>(</sup>٢) العِرابُ من الخيل: ما كانت كرائم سالمة من الهجنة.

جريه واسع الخطو. وقيل: الذي يجود في الركض. وقيل: جمع جيّد. وصف الخيل بالصفون والجودة، ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية. يعني: إذا وقفت كانت سراعاً خفافاً في جريها. روي: أنّ سليمان على غزا دمشق ونصيبين، فأصاب ألف فـرس. وقـيل:

روي: انّ سليمان على غزا دمشق ونصيبين، فاصاب الف فرس. وقيل: أصابها أبوه من العمالقة، فورثها منه فاستعرضها، فلم تزل تعرض عليه حتّى غربت الشمس، وغفل عن ورد من الذكر كان له وقت العشيّ.

وفي روايات أصحابنا أنّه فاته العصر أوّل الوقت. ورووا عن قتادة والسدّي: أنّ هذه الخيل شغلته عن صلاة العصر حتّى فات وقتها.

وعن الجبّائي: لم يفته الفرض، وإنّما فاته نـفل كـان يـفعله آخـر النـهار، لاشتغاله بالخيل، فاغتمّ لما فاته، فاستردّها فعقرها تقرّباً لله، وبقي مائة، فما بقي في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها. وقيل: لمّا عقرها أبدله الله خيراً منها.

وقال الحسن: كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة، وكان سليمان قد صلّى الصلاة الأولى، وقعد على كرسيّه، والخيل تعرض عليه حتى غابت الشمس.

﴿ فَتَوَالُو اللّهِ عَلَى مُوسِدٌ مُ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى السّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى عَلَى اللّهُ عَل

﴿ فَقَالَ إِنِّي أَخْبَبْتُ حُبُّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ «أحببت» في الأصل متعدٍ ب«على»، لأنّه بمعنى: آثرت، لكن لمّا أنيب مناب فعل يتعدّى ب«عن»، مثل: أنبت، عدّي تعديته. كأنّه قال: جعلت حبّ الخير نائباً أو مغنياً عن الطاعة. وقيل: هو بمعنى: تقاعدت. ونصبه على العلّية. والمفعول به محذوف، مثل: الخيل.

والخير: المال الكثير، كقوله: ﴿إِنْ تَرْكَ خَيْراً﴾ (١١). وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبُ الْخَيْرِ لَشُدِيدُ﴾ (١٧). والمراد به هاهنا الخيل الّتي شغلته. ويحتمل أنّه سمّاها خيراً لتعلّق الخير بها، كما قال ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة».

<sup>(</sup>١) البقرة: ١٨٠.

<sup>(</sup>٢) العاديات: ٨.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء.

﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أي: غربت الشمس. شبّه غروبها بتواري الملك أو المخدّرة بحجابهما. وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشيّ عليها. وقـيل: الضـمير للصافنات، أي: حتّى توارت بحجاب الليل. يعني: الظلام.

وعن ابن كثير: بالسُّوُّقِ على همز الواو، لضمّة ما قبلها، كمُوُسى. وعن أبي عمرو: بالسُّوُّرق، كغُوُّور، مصدر: غارت الشمس.

عن ابن عبّاس: سألت عليّاً على عن هذه الآية. فقال: ما بلغك فيها يابن عبّاس؟ قلت: مستحت كعباً يقول: اشتفل سليمان بعرض الأفراس حتّى فاتته الصلاة، فقال: ردّوها عليّ \_ يعني: الأفراس \_ وكان أربعة عشر، فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً، لأنّه ظلم بقتلها.

فقال عليّ ﷺ: كذب كعب، لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم، لأنّه أراد جهاد العدر، حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة: ردّوا الشمس عليّ. فردّت. فصلّى العصر فسي وقستها. وإنّ أنسياء الله لا يـظلمون، ولا يأمرون بالظلم، لأنّهم معصومون مطهّرون

وروي عن النبيّ ﷺ أنّ سليمان ﷺ قال: «لأطوفنّ الليلة عـلى سـبعين امرأة، تأتى كلّ واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله. فطاف

عليهنّ، فلم تحمل إلّا امرأة واحدة جاءت بشقّ رجل. فوالّذي نفس محمّد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا فرساناً أجمعين».

وروي عن أبي عبدالله ﷺ: «أنه ولد له ابن، فقالت الشياطين: إن عاش لم ننفك من السخرة، فسبيلنا أن نقتله أو تخبّله. فعلم ذلك، فأشفق منهم عليه، فاسترضعه في المزن، وهو السحاب، فما أشعر به إلّا أن ألقي على كرسيّه ميتاً». فتنبّه على ترك الأولى، بأن لم يتوكّل على الله، فاستغفر ربّه وتاب إليه. فأخبر الله سبحانه نبيّه ﷺ بذلك ليتوكّل عليه، ولا يترك كلمة المشيئة في أمر من الأمور الذي أراد فعله، فقال:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ اختبرناه وابتليناه، وشددنا المحنة عليه ﴿ وَالْقَيْنَا ﴾ وطرحنا ﴿ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ لا روح فيه ﴿ ثُمُّ أَنَابَ ﴾ رجع إلى الله، وفنرع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع إليه سبحانه. وهذا لا يقتضي أنّه وقع منه معصية صغيرة أو كبيرة، لأنّه ظالم وإن لم يستئن ذلك لفظاً، فلابد من أن يكون قد استئناه ضميراً واعتقاداً، إلّا أنّه لمّا لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك، من حيث ترك ما هو مندوب إليه.

وقيل؛ فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة. وما قيل: من أنّ سليمان بلغه خبر صيدون، وهي مدينة في بعض الجزائر، وأنّ بها ملكاً عظيم الشأن لا يقوى عليه، لتحصّنه بالبحر. فخرج إليه تحمله الريح حتّى أناخ بها بجنوده، فقتل ملكها، وأصاب بنتاً له اسمها جرادة، من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه، وأسلمت وأحبّها. وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أبيها، فأمر الشياطين فمثّلوا لها صورة أبيها، فكستها مثل كسوته، وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها أي: جواريها \_ يسجدن له، كمادتهن في ملكه، فأخبره آصف سليمان بذلك، فكسر الصورة وضرب العرأة، وخرج وحده إلى الفلاة باكياً، وفرش

۳۰..... زیدة التفاسیر ـ ج ۲

له الرماد، فجلس عليه تائباً إلى الله متضرّعاً.

وكانت له أمّ ولد اسمها أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها، وكان ملكه فيه. فوضعه عندها يوماً، فتمثّل لها بصورته شيطان هو صاحب البحر، اسمه صخر، فقال: يا أمينة أعطني خاتمي. فأخذ الخاتم فتختّم به، وجلس على كرسيّ سليمان، فاجتمع عليه الجنّ والإنس والطير، ونفذ حكمه في كلّ شيء.

وغير سليمان عن هيئته، فأتاها لطلب الخاتم فطردته، فعرف أنَّ الخطيئة قد أدركته. فكان يدور على البيوت يتكفّف (١١، فإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبّوه. ثمّ عمد إلى السمّاكين ينقل لهم السموك، فيعطونه كلّ يوم سمكتين. فمكث على ذلك أربعين يوماً، عدد ما عبدت الصورة في بيته.

فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان. وسأل آصف نساء سليمان، فقلن: ما يدع امرأة منّا في دمها، ولا يغتسل من جنابة. وقيل: بل نفذ حكمه في كلّ شيء إلّا فيهنّ.

ثمّ طار الشيطان، وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة. وكان سليمان يستطعم فلا يطعم، حتّى أعطته امرأة يوماً حوتاً. فشقّ بطنه فوجد خاتمه فيه، فتختّم وخرّ ساجداً، ورجع إليه الملك. وجاب<sup>(٣)</sup> صخرة لصخر فجعله فيها، وسدّ عليه بأخرى، ثمّ أوثقهما بالحديد والرصاص، وقذفه في البحر.

لقد أبى (٣) عقول العلماء الراسخين في العلم قبوله، وقالوا: هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل. كيف وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام، وعلى نساء الأنبياء حبتى يفجروا بهين،

<sup>(</sup>١) أي: يستعطى الناس بكفّه.

<sup>(</sup>٢) جابَ الصخرة : خرقها.

<sup>(</sup>٣) خبر لقوله: وما قيل ... ، في بداية القصّة.

وتمكينهم من التمثيل بصورة النبيّ، ومن القعود على سريره، قبيح. وأيضاً لا يجوز عقلاً أن تكون النبوّة في الخاتم. ويسلبها عن النبيّ عند الخلع.

وأمّا اتّخاذ التماثيل، فيجوز أن تختلف فيه الشرائع. ألا ترى إلى قوله: ﴿مِنْ مَحَارِيبَ وَشَمَاثِيلَ﴾ (١٠ وأمّا السجود للصورة، فلا يظنّ بنبيّ الله أن يأذن فيه. وإذا كان بغير علمه فلا عليه. وقوله: «وألقينا على كرسيّه جسداً» نابٍ وآبٍ عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبراً وإباءً ظاهراً.

﴿قَالَ﴾ على وجه الانقطاع إلى الله ﴿رَبُ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَعْنَفِي لِي مُلْكاً لا يَعْنَفِي لإخْدِي ﴾ أي: من دوني. ولا يستلزم منه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعم، حيث استعطى الله ما لا يعطيه غيره، لانه ﷺ كان ناشئاً في بيت الملك والنبوة، وارثاً لهما. فأراد أن يطلب معجزة، فطلب على حسب ألفه (٢) ملكاً زائداً على الممالك، زيادة خارقة للعادة بالغة حدّ الإعجاز، ليكون ذلك دليلاً على نبوته قاهراً للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة تخرق العادات. فذلك معنى قوله: «لا ينبغى لأحد من بعدى».

وقيل: كان ملكاً عظيماً. فخاف أن يعطى أحد مثله. فلا يحافظ على حدود الله فيه.

وقيل: ملكاً لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي، كما سلبته مرّة وأقيم مقامي غيري.

ويجوز أن يقال: علم الله فيما اختصّه به من ذلك الملك العظيم مصالح فسي الدين. وعلم أنّه لا يضطلع بأعبائه غيره. وأوجبت الحكمة استيهابه. فأمره أن يستوهبه إيّاه. فاستوهبه بأمر من الله على الصفة الّتي علم الله أنّه لا يضبطه عليها إلّا

<sup>(</sup>١) سيأ: ١٣.

<sup>(</sup>٢) مصدر: أَلِفَ يَأْلَفُ أَلْفاً.

٣٢......زيدة التفاسير ــج ٦

هو وحده دون سائر عباده.

أو أراد أن يقول: ملكاً عظيماً، فقال: «لا ينبغي لأحد من بعدي». ولا يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته. كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال. وربّما كان للناس أمثال ذلك. ولكنّك تريد تعظيم ما عنده.

وكيف يكون نبيّ الله موصوفاً بالصفات السيّئة الرديئة، من الحسد والضنّة (١) والمنافسة، والحال أنّ الفرض من بعثة الأنبياء تركيتهم عن الأخلاق السيئة المذمومة، وتعليمهم الأخلاق الحسنة المرضيّة ؟! فكيف أمروا بما لم يتّصفوا به؟ وما ذلك إلّا اعتقاد الزنادقة، ومنهم الحجّاج لعنه الله حين قيل له: إنّك حسود، فقال: أحسد منّي من قال: «هب لي ملكاً». ومن جرأته على الله وشيطنته أنّه قال: ﴿فَاتَقُوا الله مَا على العباد أوجب من طاعة الله عليهم، الأنّه شرط في طاعته فقال: ﴿فَاتَقُوا الله مَا استَطَعْتُمُ ﴿ ١٧)، وأطلق طاعتنا فقال: ﴿ وَأَولِي الْأَمْ مِنْكُمُ ﴾ (١٧).

وتقديم الاستغفار على الاستيهاب جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في مزيد اهتمامهم بأمر دينهم، وتقديمه على أمور دنياهم، ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة. وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ المعطي ما تشاء لمن تشاء.

ثمّ بين سبحانه أنّه أجاب دعاه بقوله: ﴿ فَسَخُرْنَا لَهُ الرِّيعَ ﴾ فذلّلناها لطاعته إجابة لدعوته ﴿ تَجْرِي بِأَثْرِهِ رُخَاتُ ﴾ من الرخاوة، أي: ليّنة لا تزعزع، أو مطيعة لا تخالف إرادته، كالمأمور المنقاد. ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ حيث قصد وأراد. من قولهم: أصاب الصواب فأخطأ الجواب، عن رؤبة: أنّ رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه

<sup>(</sup>١) الضِنَّة: البخل.

<sup>(</sup>٢) التغابن: ١٦.

<sup>(</sup>٣) النساء: ٥٩.

عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طلبتنا ورجعا.

وعن الحسن: كان سليمان ﷺ يغدو من إيليا، ويقيل بقزوين، ويبيت بكابل.
واعلم أنّ الآية لا تنافي قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَـاصِفَةً ﴾ (١١). لأنّ
المراد أنّ الله تعالى جعلها عاصفة تارة ورخاءً أخرى بحسب ما أراد سليمان، أو
الرخاء كانت تحمل سريره لثلاً تضطرب، والعاصفة كانت تجريه على الهواء سريعاً.
﴿ وَالشَّينَاطِينَ ﴾ عطف على الريح، أي: وسخّرنا له الشياطين أيضاً ﴿ كُلُ بَنْاتِهِ

﴿ وَالشَيْنَاطِينَ ﴾ عطف على الربح ، اي: وسخرنا له الشياطين ايضا ﴿ كَا بَنَامٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ بدل الكلّ من الكلّ . روي: أنّهم كانوا يبنون لسليمان ما شاء من الأبنية الرفيعة ، وبعضهم يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ . وهو أوّل من استخرج الدرّ من البحر .

﴿ وَآخَرِينَ مُقَرِّنِينَ فِي الأصْفَادِ ﴾ عطف على «كلّ» داخل في حكم البدل. كأنّه فصّل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشياقة كالبناء والفوص، ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفّوا عن الشرّ. وعن السدّي: كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغلّلين في الأغلال. والصفد: هو القيد. وستّي به العطاء، لأنّه يرتبط به المنعم عليه. وفرّقوا بين فعليهما، فقالوا: صفده قيّده، وأصفده أعطاه، كوعده وأوعده، فإنّ الهمزة تكون للسلب.

﴿ هَذَا﴾ هذا الذي أعطيناك ﴿ عَطَاؤُنا﴾ من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك، والبسطة في المال والرجال وسائر المنال، والتسلّط على ما لم يسلّط به غيرك ﴿ فَامَنُنْ ﴾ فأعط من شئت. من المنّة، وهي العطاء. ﴿ أَوْ أَمْسِكُ ﴾ امنع من شئت ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ حال من المستكن في الأمر، أي: غير محاسب على منّه وإمساكه، لتفويض التصرّف فيه إليك. أو حال من العطاء. أو صلة له، وما بينهما اعتراض. والمعنى: أنّه عطاء كثير لا يكاد يمكن حصره.

(١) الأنبياء: ٨١.

وقيل: الإشارة إلى تسخير الشياطين. والمعنى: هذا التسخير عطاؤنا، فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق، وأمسك من شئت منهم في الوثــاق بــغير حساب، أي: لا حساب عليك في ذلك.

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدُنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: منزلته القربى. وهي النعمة الدائمة الباقية فسي الآخرة، مع ما له من الملك العظيم في الدنيا ﴿ وَحُسْنَ مَا بِ﴾ وهو الجنّة.

وَّاذُكُو عَبْدَنَا آلُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِيُصْب وَعَذَابِ
﴿ ١٤﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿ ٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلُهُم مَعْهُمْ رَحْمَةً مِّنَا وَذَكْرَى لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ ﴿ ٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْنًا
فَاضْرِب بِهِ وَلاَ تَحْنَثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْمَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿ ٤٤﴾

ثمّ ذكر سبحانه قصّة أيّوب ﷺ، فقال: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ وهو ابن عيص بن رعوبك بن عنصو بن إسحاق صلوات الله عليهم. شرّفه سبحانه بـإضافته إلى نفسه. وكان في زمن يعقوب بن إسحاق، وتزوّج ليا بنت يعقوب ﷺ. والمعنى: اذكر يا محمّد حال أيّوب في الصبر على الشدائد واقتد به.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ بدل اشتمال من «عبدنا»، و «أيّوب» عطف بيان له، أي: اذكر حين دعا أيّوب ربّه رافعاً صوته يقول: يا ربّ، لأنّ النداء هو الدعاء بطريقة: يا فلان ﴿ انّي مَسْنِيَ ﴾ بأنّي مسّني. وقرأ حمزة بإسكان الياء وإسقاطها في الوصل. ﴿ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ بَعْتحتين. والباقون بضمّ النون وسكون الصاد، كالرُشد والرَشَد، وهما مترادفان. ﴿ وَعَدَابٍ ﴾ وألم، وهمذا حكاية لكلامه الذي ناداه به، ولولا هي لقال: إنّه مسّه.

والمراد من تعبه وألمه مرضه. وما كان يقاسي فيه مـن أنـواع الوصب<sup>(١)</sup>. وقيل: النصب الضرّ في البدن. والعذاب في ذهاب الأهل والمال.

وإنّما نسبه إلى الشيطان. لما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الجزع. فالتجأ إلى الله سبحانه في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه وردّه بالصبر الجميل.

وعن مقاتل: يوسوسه بأن طال مرضك، ولا يرحمك ربّك.

وقيل: بأن يذكّره ما كان فيه من نعم الله . من الأهل والولد والعــال. ليــزلّـه مذلك.

وقيل: اشتد مرضه حتّى تجنّبه الناس، فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه، ويخرجوه من بين أيديهم، ويمنعوا امرأته الّتي تخدمه أن تدخل عليه. فكان أيّوب يتأذّى بذلك ويتألّم منه، ولم يشك الألم الّذي كان من أمر الله تعالى. روي عن أبى عبدالله على أنّه دام ذلك سبع سنين.

وقالت الاماميّة: إنّه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها، لأنّ في ذلك تنفيراً. وأمّا المرض والفقر وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك.

فأجاب الله تعالى دعاءه وقال: ﴿ارْكُضْ بِوِجْلِكَ﴾ اضرب برجلك الأرض. فضربها، فنبعت عين. فقيل له: ﴿هَذَا﴾ هذا السوضع ﴿مُـفْتَمَنَلُ بَـَارِدُ وَشَـرَابٌ﴾ فتغتسل به وتشرب منه، فيبرأ باطنك وظاهرك.

وقيل: نبعت له عينان: حارّة وباردة. فاغتسل من الحارّة وشرب من الباردة. فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى.

وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارّة فاغتسل منها، ثمّ باليسرى فنبعت باردة فشرب منها.

<sup>(</sup>١) الوَصّب: المرض، والوجع الدائم، ونحول الجسم.

٣٦...... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ وَوَهَنِنَا لَهُ اَهْلَهُ ﴾ بأن أحييناهم بعد موتهم ﴿ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ ﴾ حتّى كان له ضعف ماكان.

وعن أبي عبدالله ﷺ : «إنّ الله تعالى أحيا له أهله الّذين كانوا ماتوا قبل البليّة . وأحيا له أهله الّذين ماتوا وهو في البليّة».

﴿ رَحْمَةُ مِنّا ﴾ لرحمتنا عليه ﴿ وَنِكْرَىٰ يُؤْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ ولتذكير ذوي العقول الخالصة، لينتظروا الفرج بالصبر على البلاء واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم.

﴿ وَخُذْ بِيَبِكَ ضِفْتًا ﴾ عطف على «اركض» أي: وقبلنا له ذلك. والضغث: الحزمة الصغيرة من الشماريخ (١) والحشيش وما أشبه ذلك. ﴿ فَاضْوِب بِهِ ﴾ دفيعة واحدة ﴿ وَلَا تَخْفُفُ ﴾ في يمينك. وذلك أنّ زوجته ليا بنت يعقوب ـ وقيل: رحمة بنت افرائيم بن يوسف ـ ذهبت لحاجة في مرضه، فأبطأت في الرجوع، فضاق صدر المريض، فحلف إن برىء ضربها مائة ضربة، فحلّل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها، لحسن خدمتها إيّاه ورضاه عنها.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: سبب صدور هذا الحلف من أيّوب أنّ إبليس لقيها في صورة طبيب، فدعته لمداواة أيّوب. فقال: أداويه بشرط أنّه إذا برىء قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه. قالت: نعم. فأشارت إلى أيّوب بذلك، فحلف ليضربنها. وهذه رخصة باقية في الحدود إلى الآن.

وعن النبيّ ﷺ: أنَّه قد أتي بمخدج \_ أي: ناقص البدن \_ قد خبث بأمةٍ. فقال ﷺ: «خذوا عثكالاً<sup>۳۱)</sup> فيه مائة شعراخ، فاضربوه بها ضربة».

وروى العيّاشي بإسناده أنّ عبّاد المكّي قال: قال لي سفيان الثوري: إنّي أرى لك من أبي عبدالله منزلة، فاسأله عن رجل زنى وهو مريض، فإن أقيم الحدّ عليه خافوا أن يموت، ما تقول فيه؟ قال: فسألته فقال لى: «هـذه المسألة مـن تـلقاء

<sup>(</sup>١) الشَمَارِيخ جمع الشِمْرَاخ، وهو الغصن عليه تمر أو عنب.

<sup>(</sup>٢) العِثْكال: هو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم.

نفسك، أو أمرك به إنسان؟ فقلت: إنّ سفيان الثوري أمرني أن أسألك عنها. فقال: إنّ رسول الله كليّ أتي برجل قد استسقى بطنه، وبدت عروق فخذيه، وقد زنسى بامرأة مريضة، فأمر رسول الله كليّ فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ، وضربه بمه ضربة وضربها به ضربة، وخلّى سبيلهما. وذلك قوله تعالى: «وخذ بيدك ضغناً فاضرب به ولا تحنث».

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ فيما أصابه في النفس والأهل والمال. ولا يمخل بمه شكواه إلى الله من الشيطان، فإنه لا يستى جزعاً، كتمني العافية وطلب الشفاء. مع أنه قال ذلك خيفة على قومه، حيث كان الشيطان يوسوس إليهم، كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبياً لما ابتلي بمثل ما ابتلي به. وأيضاً أراد بذلك القول القوة على الطاعة، فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق عضو غير مؤف إلا القلب واللسان.

وروي: أنّه قال في مناجاته: إلهي قد علمت أنّه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتّبع قلبي بصري، ولم يهتني<sup>(١)</sup> ما ملكت يميني، ولم آكل إلّا ومعي يتيم، ولم أبت شبعان ولاكاسياً ومعي جائع أو عريان. فكشف الله عنه.

﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿ إِنَّهُ أَوَّابُ ﴾ رجّاع إلى الله ، منقطع إليه ، مقبل بشراشر ه عليه .

وَآذُكُو عَبَادَنَا أَبْرَاهِيمَ وَإِسْخُقَ وَيُفْقُرِبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبِصَارِ ﴿ ٥٠ ﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَة ذَكْرَى الدَّارِ ﴿ ٤٦ ﴾ وَإِنَّهُمْ عَندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴿ ٤٧ ﴾ وَآذُكُو إِسْمَاعِيلَ والْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِنَ الأَخْيَارِ ﴿ ٤٨ ﴾

<sup>(</sup>١) أي: لم يهيّجني ولم ينشطني. من: هَبَّ الرجلُ: نشط وأسرع. وهبّت الريح: هاجت.

٣٨..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

ثمّ عطف سبحانه على ما تقدّم حديث الأنبياء الصابرين على البلوى، فقال:
﴿ وَادْكُوْ﴾ يا محمّد لأمّنك ﴿ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ليقتدوا بهم
في حميد أفعالهم وكريم خلالهم، فيستحقّوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجـزيل
الثواب في العقبى، كما استحقّ هؤلاء الأنبياء.

وقرأ ابن كثير: عبدنا، فوضع الجنس موضع الجمع، على أنَّ إبراهيم وحده ــ لمزيد شرفه \_عطف بيان له، ثمَّ عطف ذرّيَّته على: عبدنا.

﴿ أَوْلِي الْأَيْدِي﴾ أُولِي القوّة في الطاعة ﴿ وَالْأَبْصَارِ ﴾ وأُولِي البصيرة في الدين. أو المعنى: أُولِي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة. ولمّا كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلّبت، فقيل في كلّ عمل: هذا ممّا عملت أيديهم، وإن كان عملاً لا يتأتّى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمّال جذماً ١١ لا أيدي لهم.

وفيه تعريض بأنّ الّذين لا يعملون أعمال الآخرة. ولا يجاهدون في الله، ولا يفكّرون أفكار ذوي الديانات، ولا يستبصرون، في حكم الزمنى(<sup>٣)</sup> الّذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم.

﴿إِنَّا الْخَنْصَنَاهُمْ ﴾ أي: جعلناهم خالصين لنا ﴿ بِخَالِصَةٍ ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها. يعني: بسبب هذه الخصلة أخلصناهم. أو أخلصناهم بتوفيقهم لها، واللطف بهم في اختيارها.

ثم فسر هذه الخصلة الخالصة بقوله: ﴿ ذِكْوَى الدَّارِ ﴾ تـذكيرهم الآخـرة، وترغيبهم فيها، وتزهيدهم في الدنيا، كما هو شأن الأنبياء وديدنهم. وإنّـما قـال: خلوصهم في الطاعة بسبب التذكير، لأنّ مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه، وذلك في الآخرة.

<sup>(</sup>١) أي: مقطوعي الأيدي.

<sup>(</sup>Y) أي: المبتلين بالزمانة وتعطيل القوى.

وقيل: ذكرى الدار: الثناء الجميل في الدنيا، ولسان الصدق الّذي ليس لغيرهم.

وأضاف نافع وهشام «بخالصة» إلى «ذكرى» للبيان، أو لأنّه مصدر بمعنى الخلوص، فأضيف إلى فاعله.

﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا﴾ بحسب ما سبق في علمنا ﴿ لَـمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ ﴾ لمن المختارين من بين أمثالهم ﴿ الْآخْيَالِ ﴾ العاملون فعل الخيرات. جمع خبر، كشر وأشرار. وقيل: جمع خير أو خير على تخفيفه، كأموات في جمع ميّت أو ميت.

﴿ وَاذْ تُوْ ﴾ أيضاً لأمّتك ﴿إِسْماعِيلَ وَالْمَيْسَعَ﴾ وهو ابن أخطوب. استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثمّ استنبىء.والظاهر أنّه اسم عجمي، فدخل عليه اللام، كما فى قوله: رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً.

وقرأ حمزة والكسائي: واللَيْسَعَ، بإدخال حرف التعريف على ليسع، تشبيهاً بالمنقول، من: ليسّع، فيمَل من اللسع.

﴿ وَذَا الْكِفْلِ﴾ ابن عمّ يسع، أو بشر بن أيّوب. وفي نبوّته ولقبه اختلاف. فقيل: فرّ إليه مائة نبيّ من بني إسرائيل من القتل، فآواهم وكفلهم. وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلّي كلّ يوم مائة صلاة الجنّة. ﴿ وَكُلُّ ﴾ التنوين عوض من المضاف إليه. والمعنى:وكلّهم ﴿ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ .

هَذَا ذَكُرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنِ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ﴿٠٠﴾ مُتَّكِٰينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَذِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿١٥﴾ وَعندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿ ٢٥﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿ ٢٥﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿ ٢٥﴾ هَذَا وَإِنَّ للطَّاعَينَ لَشَرَّ مَآبِ ﴿ ٥٥﴾ جَهَنَمَ يَصُلُونَهَا فَبْشُنَ الْمَهَادُ ﴿ ٥٥﴾ هَذَا فَلْيَدُوتُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿ ٧٥﴾ وَآخَرُ مِن شَكُمُ لَا مُرْحَبًا بِيمُ أَتَّتُم مَعَكُمُ لَا مُرْحَبًا بِيمُ أَتَّتُم وَقَالُوا النَّارِ ﴿ ٥٩﴾ هَذَا فَنْ مُثَلِّوا النَّارِ ﴿ ٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَتُم لَا مَرْحَبًا بِكُمُ أَتُم قَدَّمُنْهُوهُ لَنَا فَبِشْسَ الْقَرْرُ ﴿ ٩٠﴾ قَالُوا النَّارِ ﴿ ١٩﴾ قَالُوا مَنْ الْأَشْرَارِ ﴿ ٩٠﴾ قَالُوا مَنْ عَدَّمُ لَنَا هَذَا فَزِدُهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ ﴿ ١٠﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَتُم فَقَالُوا مَنْ اللَّهُ مَنْ الْأَشْرَارِ ﴿ ٩٠﴾ أَتَّمُ الْفَارِ ﴿ ١٩٠﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَوْى رَجَالًا كُمَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿ ٩٠٠ ﴾ أَتَنْ فَي النَّارِ ﴿ ١٠٩ ﴾ أَنْ وَعَدَالًا النَّارِ ﴿ ٩٠٠ ﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَوْى رَجَالًا كُمَّا نَعُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿ ٢٠ ﴾ أَتُنْ الْمَارُ فَرَانِهُ مَنْ الْأَشْرَارِ ﴿ ٢٠ ﴾ أَتُنْ الْمَارِ اللَّالَ وَهَا لُولُ النَّارِ ﴿ ٩٠٤ ﴾ أَنَّهُ مَالَوْ النَّارِ ﴿ ٩٠٤ ﴾ اللَّالَةِ اللَّهُ الْوَلَالِ اللَّهُ الْمِلْلَالُولُ اللَّهُ الْوَالِمُ اللَّهُ الْمُعَلِّ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِلُولُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ اللْمُؤُلُولُ اللَّهُ اللَّه

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما تقدّم من أمورهم ﴿ذِيْكُ﴾ ذكر جميل وشرف لهم. أو نوع من الذكر، وهو القرآن.

وفي الكشّاف: «لمّا أجرى ذكر الأنبياء وأتمّه، وهو باب من أبواب التنزيل، ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر، وهو ذكر الجنّة وأهلها، وما أعدّ لهم فيها، قال: هذا ذكر»<sup>(۱)</sup>.

ثمّ قال: ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبِ ﴾ مرجع حسن ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ عطف بيان

<sup>(</sup>١) الكشَّاف ٤: ١٠٠.

الدحسن مآب». وهو من الأعلام الغالبة، لقوله: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنِ النَّتِي وَعَدَ الرَّحْمُنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (١). والعدن: بمعنى الإقامة والخلود. وانتصب عنها ﴿ مُنَقَّحَةً لَنهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ على الحال. والعامل فيها ما في معنى المتقين من معنى الفعل. كأنه قيل: جنّات عدن استقرّت للمتقين، حال كونها مفتّحة لهم الأبواب، فيجدون أبوابها مفتوحة حين يرونها، ولا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتى يفتح. وفي «مفتّحة» ضمير الجنّات. و «الأبواب» بدل من الضمير، تقديره: مفتّحة هي الأبواب، كقولك: ضرب زيد اليد والرجل. وهو من بدل الاشتمال.

﴿ مُتَّكِثِينَ قِيهَا﴾ مستندين فيها إلى المساند، جالسين جاسة الساوك ﴿ يَدْعُونَ قِيهًا بِفَاكِهُمْ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ أي: يتحكّمون في ثمارها وشرابها، فإذا قالوا لشيء منها: أقبل، حصل عندهم.

واعلم أنّ «متّكئين» و «يدعون» حالان متعاقبان أو متداخلان من الضمير في «لهم»، لا من «المتّقين» للفصل. والأظهر أنّ «يدعون» استئناف لبيان حالهم فيها، و «متّكئين» حال من ضمير «يدعون». والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأنّ مطاعمهم لمحض التلذّذ، فإنّ التغذّى للتحلّل، ولا تحلّل ثمّة.

﴿ وَعِنْدَهُمْ ﴾ في هذه الجنان زوجات ﴿ قَاصِوَاتُ الطَّرْفِ ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غير أزواجهن ، راضيات بهم ، ما لهن في غيرهم رغبة . والقاصر : نقيض الماذ . يقال: فلان قاصر طرفه عن فلان ، وماذ عينه إلى فلان . ﴿ أَشْوَا بُ ﴾ لِدات (٢) لأزواجهن ، أي: يكون أسنانهن كأسنانهم ، لأن التحاب بين الاقران أثبت . واشتقاقه من التراب ، فإنّه يمسهم في وقت واحد .

وعن مجاهد: أي: متساويات في مقدار الشباب والحسن، لا يكون لواحدة

<sup>(</sup>۱) مريم: ٦١.

<sup>(</sup>٢) اللِدَات جمع اللِّدَة : التِرْب، وهو الذي ولد معك أو تربّى معك. يقال: هو لِدَتي، أي: تربى.

٤٢ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

على صاحبتها فضل في ذلك، ولا تكون فيهنّ عجوز ولا صبيّة.

﴿ هَذَا﴾ هذا الّذي ذكرنا ﴿ هَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ لأجل هذا اليوم، فإنّ الحساب علّة الوصول إلى الجزاء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء (١) ليوافق ما قبله.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ هذا الَّذي ذكرنا ﴿لَوِزْقُنَا﴾ عطاؤنا ﴿مَالَهُ مِنْ نَقَادِ﴾ انقطاع.

ولمّا بيّن سبحانه أحوال أهل الجنّة وما أعدّ لهم من جزيل الشواب، عـقّبه ببيان أحوال أهل النار، وما لهم من أليم العقاب وعظيم العذاب. فقال:

﴿ هَذَا﴾ أي: هذا ما ذكرناه للمتقين. أو الأمر هذا، أوهذا كما ذكر، أو خذ هذا. ثمّ ابتداً فقال: ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ ﴾ للذين طغوا على الله وكدنبوا رسله عناداً ﴿ نَشَنُ مَآبٍ ﴾ وهو ضدّ مآب المتقين ﴿ جَهَنَّم يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها فيصيرون صلاء لها. والجملة الفعليّة حال من «جهنّم»، والعامل فيها ما في «للطاغين» من معنى الاستقرار. ﴿ فَبِنْسَ الْمِهَادُ ﴾ المهد والمفترش، فشبّه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم، والمخصوص بالذمّ محذوف، وهو «جهنّم»، لقوله: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنّمٌ مِهَادُ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشِ ﴾ (٣).

﴿ هَذَا﴾ أي: العذاب هذا ﴿ هَنْيَدُوقُوهُ ﴾ ويجوز أن يكون «هـذا» بـمنزلة: ﴿ وَلِيُائِي فَاتَّقُونِ ﴾ (٣٠ أي: فليذوقوا هذا، ثمّ ابتدأ فقال: ﴿ حَمِيمُ ﴾ أي: هو ماء في غاية الحرارة ﴿ وَغَسَّاقَ ﴾ ما يفسق من صديد أهل النار. من: غسقت العين إذا سال دمها.

وعن كعب: عين في جهنّم يسيل إليها سمّ كلّ ذات حمة. وعن ابن عبّاس وابن مسعود: الفسّاق: الزمهرير.

<sup>(</sup>١) أي: يُوعَدُونَ.

<sup>(</sup>٢) الأعراف: ٤١.

<sup>(</sup>٣) البقرة: ٤١.

وقيل: الحميم يحرق لشدّة حرّه، والغسّاق يحرق لغاية برده.

وقيل: لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق.

وعن الحسن: الفسّاق عذاب لا يعلمه إلّا الله، إنّ الناس أخـفوا لله طـاعة. فأخفى لهم ثواباً في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرْةٍ أَعْيُنٍ﴾(١). وأخفوا معصية، فأخفى لهم عقوبة.

وقرأ حفص وحمزة والكسائي: وغسّاق بتشديد السين. وفيه مبالغة.

﴿ وَآخَرُ ﴾ أي: مندوق، أوعنداب آخر. وقرأ البصريّان: وأخرى، أي: ومدوقات، أو أنواع عداب أخر ﴿ مِنْ شَعَلِهِ ﴾ من مثل هذا المدوق، أو العداب في الشدّة. وتوحيد الضمير على تأويل: لما ذكر. أو لأنّه راجع إلى الشراب الشامل للحميم والفسّاق، أو إلى الفسّاق. ﴿ أَوْوَاجٌ ﴾ أجناس متشابهة في الشدّة والفظاظة. وهذا خبر له آخر». أو صفة له، أو للثلاثة. وجمعه على قراءة «أخر» ظاهر، وعلى قراءة «آخر» لأنّ المراد منه ضروب وأنواع. أو مرتفع بالجار، والخبر محذوف، مثل: لهم أزواج.

ولمّا دخل رؤساء الطاغين وقادة الضالّين النار، ثمّ يدخلها أتباعهم، فيقول بعضهم مع بعض، أو يقول الخزنة لهم: ﴿ هَذَا فَوْجُ ﴾ المراد أتباع ﴿ مُقَتَحِمُ مَعَكُمْ ﴾ قد اقتحموا النار معكم، أي: دخلوا النار في صحبتكم وقرائكم. والاقتحام: ركوب الشدّة والدخول فيها. والقحمة: الشدّة. يعني: أنّهم لمّـا اقتحموا معهم الضلالة، اقتحموا معهم الفلدة.

﴿ لَا مَرْ ضَباً بِهِهُ ﴾ دعاء من المتبوعين على أتباعهم. أو صفة الافوج». أو حال، أي: مقولاً فيهم لا مرحباً، أي: لا نالوا سعة وكرامة. ﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا الشَّارِ ﴾

<sup>(</sup>١) السجدة: ١٧.

داخلون النار لازموها بأعمالهم مثلنا.

﴿قَالُوا﴾ يقول الأتباع لهم ﴿ بَلْ انتُمْ لَا مُزَحَباً بِكُمْ﴾ لا تـلتم رحـباً وسعة ﴿ انتُمْ قَدْمَتُمُوهُ﴾ قدّمتم المذاب أو الصلى ﴿ لَذَا﴾ أي: بإغوائكم إيّانا على ما قدّم العذاب لنا، من العقائد الزائفة والأعمال القبيحة الّـتي أوجببت لنا هذا العذاب ﴿ فَينُسُ الْقَرْارُ ﴾ فبئس المقرّ جهنّم. وعلى تقدير أن يكون «لا مرحباً بهم» من كلام الخزنة معناه: يقول الأتباع: هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحقّ به من العذاب.

﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع أيضاً ﴿ رَبُّنَا مَنْ قَدْمَ لَنَا هَذَا﴾ من سبّب لنا هذا العذاب بالإضلال والإغواء ﴿ فَرَدُهُ عَذَابِهُ ضِعِفا﴾ مضاعفاً، أي: ذا ضعف ﴿ فِي النَّارِ﴾ وذلك أن يزيد على عذابه ضعفاً مثله، فيصير ضعفين، أحدهما: لكفرهم بالله، والآخر: لدعائهم إيّانا إلى الكفر، ونحوه قوله تعالى: ﴿ رَبُّنَا تَبِهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ السَّعَلُوبُ (١٠). ﴿ رَبُّنَا مَؤُلَاءِ اَضَلُونَا فَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ الشَّارِ﴾ (١٠). وقيل: عذاباً ضعفاً: حيّات وأغاعي،.

﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: الطاغون ﴿ مَا لَنَا لَا نَزَىٰ رِجَالاً كُنّا نَفَذُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾ سن الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، لأنهم كانوا على خلاف ديننا ﴿ أَتَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّا ﴾ صفة أخرى الارجالاً ». يعنون فقراء المسلمين اللّذين يسترذلونهم في الدنيا، ويسخرون بهم.

وقرأ الحجازيّان وابن عامر بهمزة الاستفهام. على أنَّـه إنكار على أنفسهم. وتقريم لها في الاستسخار منهم. وقرأ نافع وحمزة والكسائي: سُخْريّاً بالضمّ. وقد

<sup>(</sup>١) الأحزاب: ٦٨.

<sup>(</sup>٢) الأعراف: ٣٨.

﴿ أَمْ زَاغَتُ﴾ مالت ﴿ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾ فلا نراهم. و «أم» متصلة معادلة إدما لنا لا نرى» على أنّ المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم. كأنّهم قالوا: أليسوا هاهنا، أم زاغت عنهم أبصارنا، أو إداتّخذناهم (٢٠) على القراءة الثانية، بمعنى: أيّ الأمرين فعلنا بهم؟ الاستسخار منهم أم تحقيرهم؟ فإنّ زيغ الأبصار كناية عنه، على معنى إنكارهما على أنفسهم.

وعن الحسن: كلّ ذلك قد فعلوا، اتّخذوهم سخريّاً، وزاغت عنهم أبصارهم محمَّرة لهم.

أو منقطعة (٣). والعراد الدلالة على أنّ استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالهم.

عن مجاهد: نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة ونظرائهما، يقولون: ما نرى عمّاراً وخباباً وصهيباً وبلالاً، الذين كنّا نعدّهم في الدنـيا مـن جـملة الّـذين يفعلون الشرّ والقبيح، ولا يفعلون الخير.

وروى الميّاشي بالاٍسناد عن أبي جعفر ﷺ أنّه قال: «إنّ أهل النار يقولون: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار﴾ يعنونكم لا يرونكم في النــار، لا يرون والله أحداً منكم في النار».

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي حكيناه عنهم ﴿لَحَقَّ ﴾ لابدّ أن يتكلّموا به. ثمّ بيّن ما هو، فقال: ﴿تَخَاصُهُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ وهو بدل من «لحقّ». أو خبر محذوف، أي: هو تخاصمهم. شبّه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجدواب بما يجري بين

<sup>(</sup>١) المؤمنون: ١١٠.

<sup>(</sup>٢) عطف على قوله: معادلة لـ«ما لنا لا نرى» قبل سطرين، أي: معادلة لـ«اتّخذناهم».

<sup>(</sup>٣) عطف على قوله: متصلة معادلة ، قبل سبعة أسطر .

قُلْ إِنْمَآ أَنَا مُنذرٌ وَمَا منْ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْفَهَارُ ﴿ ٢٠﴾ رَبُّ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴿ ٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأْ عَظيمٌ ﴿ ٦٧﴾ أَتُّهُ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿ ٦٨﴾ مَا كَانَ لِي منْ علْم بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصُعُونَ ﴿٦٦﴾ إِن يُوحَىَ إِلَيَّ إِلَّا أَنَمَا أَنَا نَذيرٌ شُبينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَّبُكَ لُلسَلَةَنكَة إِنِّي خَالَقٌ بَشَرًا من طين ﴿ ٧١ ﴾ فَإِذَا سَؤَيُّهُ وَنَفَخْتُ فيه من رُّوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إلَّا إِبليسَ أَسْتُكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ يَآ إِبلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا حَلَقْتُ بَيدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ منَ الْعَالِينَ ﴿ ٧٠ ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مَنْهُ خَلَقْتَني من نَار وَخَلَقَتَهُ من طين ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجُ مِنْهَا فَإِنْكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَايْكَ لَعْنَتِيَ إِلَى يَوْم الدِّينِ ﴿ ٧٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظَوْنِي إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ ﴿ ٧٧﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مَنَ الْمُنظُرِينَ ﴿ ٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿ ٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتك لَاَغُونِيَنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ٨٢﴾ إِلَّا عَبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ ٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿ ٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِثَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ٨٥﴾

ثمّ خاطب نبيّه ﷺ، فقال تقريراً لألوهيته ووحدانيّته: ﴿قُلْ) يــا مـحمّد للمشركين ﴿إِنْمَا أَنَا مُنْوِرٌ﴾ أَنْدركم عذاب الله ﴿وَمَا مِنْ إِلْهٍ﴾ يحقّ العبادة ﴿إلَّا اللهُ الْوَاحِدُ﴾ الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكلّ شيء.

﴿ وَبُّ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ منه خلقها، وإليه أُمرها ﴿ الْعَذِيزُ ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب. وهو مع ذلك ﴿ الْفَقْلُ ﴾ الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن التجأ إليه. يعني: أنذركم عقوبة من هذه صفته، فإنَّ مثله حقيق بأن يخاف عقابه، كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه. وفي الآية تقرير للتوحيد، ووعد ووعيد للموحّدين والمشركين.

﴿ قُلْ هُوَ﴾ أي: ما أنبأ تكم به من أنّي أنذر من عقوبة من كان موصوفاً بهذه الصفات، وأنّه واحد في ألوهيّته. وقيل: ما بعده من نبأ آدم. ﴿ نَبّاً عَظِيمٌ﴾ لا يعرض عن مثله إلّا غافل شديد الففلة. ﴿ أنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ لتمادي غفلتكم، فإنّ العاقل لا يعرض عن مثله، كيف وقد قامت عليه الحجيج الواضحة. أمّا على التوحيد فما مرّ. وأمّا على النبوّة فقوله: ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَاثِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ فإنّ الاخبار عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم، على ما ورد في الكتب المتقدّمة، من غير سماع ومطالعة كتب، لا يتصور إلّا بالوحي.

و«إذ» متعلّق بـ«علم». أو بمحذوف، إذ التقدير : ماكان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم. ﴿إِن يُوحَىٰ إِنْهُ إِلَّا أَنْمَا أَنَا أَنَا مَنْ يَنِينَ مُعِينَ ﴾ أي: لأنّما أنا نذير. يعني: ما يوحى إليّ إلا للإنذار، فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه. كأنّه لمّا نبّه على أنّ الوحي يأتيه، بيّن بذلك ما هو المقصود به تحقيقاً لقوله: إنّما أنا منذر. ويجوز أن يرتفع «أنّما» بإسناد «يوحى» إليه، أي: ما يوحى إليّ إلّا أن أنذر وأبلغ، ولا أفرط في ذلك، أي: ما أومر إلّا بهذا الأمر وحده، وليس إليّ غير ذلك.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشُواْ مِن طِينٍ ﴾ بدل من «إذ يختصمون» مبيّن له، فإنّ القصّة التي دخلت عليها «إذ» مستملة على تقاول الملائكة وإبليس في خلق آدم، واستحقاقه للخلافة والسجود، على ما مرّ في سورة البقرة (١٠). غير أنّها اختصرت اكتفاءً بذلك، واقتصاراً على ما هو المقصود منها، وهو إنذار المشسركين على استكبارهم على النبيّ ﷺ، بمثل ما حاق بإبليس على استكباره على آدم.

ومن الجائز أن يكون مقاولة الله إيّاهم بواسطة ملك، فكأنّ المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسّط، فصحّ أنّ التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس، وهم الملأ الأعلى. والمراد بالاختصام التقاول، على ما سبق. وأن يفسّر الملأ الأعلى بما يعمّ الله والملائكة.

﴿ فَإِذَا سَوْيَتُهُ ﴾ عدّلت خلقته، بأن تمّنت أعضاءه، وصورته على وجه الكمال ﴿ وَنَفَضُ فِيهِ مِنْ رُوجِي ﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه. وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته. ﴿ فَقَعُوا لَهُ ﴾ فَخرُّوا لَهُ ﴿ سَاجِدِينَ ﴾ تكرمة وتبجيلاً له. وقد مرّ الكلام فيه في البقرة (٢٠).

<sup>(</sup>۱) راجع ج ۱ ص ۱۲۰ ـ ۱۳۰.

<sup>(</sup>٢) راجع بج ١ ص ١٢٠ ـ ١٤٢، ذيل الآيات ٣٠ ـ ٣٨ من سورة البقرة.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ذكر «كلّ» للإحاطة، و «أجمعون» للاجتماع. فأفادا مما أنهم سجدوا عن آخرهم، ما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرّقين في أوقات.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ السَتَكَبَرَ﴾ تعظّم ﴿وَكَانَ﴾ وصار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ باستنكاره أمر الله، واستكباره عن المطاوعة. أو كان منهم في علم الله. وإبليس وإن لم يكن من الملائكة بل من الجنّ، إلاّ أنّه قد أمر بالسجود معهم، فغلّبوا عليه في قوله: «فسجد الملائكة». ثمّ استثني كما استثني الواحد منهم استثناءً متّصلاً. وتفصيل ذلك أيضاً قد مرّ في البقرة.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسٌ مَا مَنْعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيُ ﴾ تولّيت خلقه بنفسي من غير توسّط، كأب وأمّ. والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة. وقد سبق أنّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلّب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتّى قيل في عمل القلب: هو صمّا عملت يداك، وحتّى قيل لمن لا يدين له: فعلت يداك كذا وكذا، وحتّى لم يبق فرق بين قولك: هذا ممّا عملته يداك، وهذا ممّا عملته. وإطلاق لفظ اليد على القدرة والقوّة في كلام العرب شائع.

وترتيب الإنكار على قوله: «لما خلقت بيديّ» للإشعار بأنّه المستدعي للتعظيم، أو بأنه الذي تشبّت به في تركه، وهو لا يصلح مانعاً، إذ للسيّد أن يستخدم بعض عبيده لبعض، سيّما وله مزيد اختصاص.

﴿السَّتَكَثِّبُونَ﴾ تكبّرت من غير استحقاق ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ السَّعَالِمِينَ﴾ ممّن عــلا واستحقّ التفوّق. وقيل: استكبرت الآن، أم لم تزل منذكنت من المستكبرين؟

﴿ قَالَ ﴾ أي: أجاب إبليس بالظهار السانع ﴿ أَنَا شَيْرٌ مِنْهُ ﴾ ثم استدلّ على المانع بقوله: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينِ ﴾ أي: لو كان مخلوقاً من نار ٥٠..... زيدة التفاسير ـ ج٦

لما سجدت له، لأنّه مثلي، فكيف أسجد لمن هو أدنى؟ لأنّه من طين، والنار تفلب الطين وتأكله. وأيضاً النار جسم لطيف نورانيّ، والطين جسم كثيف ظلماني. وهذه الجملة جرت مجرى عطف البيان من الجملة الأولى.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنّة، أو من السماء. وقيل: من الخلقة الّتي أنت فيها، لأنّه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض، وقبح بعد أن كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانياً. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مرجوم مطرود من الرحمة ومحلً الكرامة. وأصل الرجم: الرمي بالحجارة.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنْتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ليس معناه: أنَّ لعنة إبليس غايتها يـوم الدين ثمّ تنقطع، وكيف تنقطع، وقد قال الله سبحانه: ﴿ فَاذَنَ مُوَذَنُ بَيْنَهُمْ أَن لَعَنَهُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١). بل المعنى: أنَّ عليه اللعنة في الدنيا، فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة الدنيويّة، فكأنَّها انقطعت.

﴿قَالَ رَبُّ فَانْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ مُبْعَثُونَ﴾ فأخّرني إلى يوم يحشرون للحساب. وهو يوم القطّرون للحساب. وهو يوم القيامة. ﴿قَالَ فَإِنْكُ مِنَ الْمُنْظُومِ﴾ المؤخّرين ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمُعْلُومِ﴾ الوقت الذي وقتها جزء من أجزائه. فالإضافة هي إضافة الكلّ إلى جزئه. ومعنى «المعلوم» أنّه معلوم عند الله معيّن لا يستقدم ولا يستأخر.

﴿قَالَ فَبِعِزْتِكَ﴾ فبسلطانك وقهرك على جميع خلقك ﴿ لَأَغُويَنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: بني آدم كلّهم ﴿ إِلَّا عِبْنَادَكَ مِنْهُمُ الشَّخْلَميينَ﴾ اللّذين أخلصوا قلوبهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح اللام، أي: الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، وعصمهم من الضلالة.

<sup>(</sup>١) الأعراف: ٤٤.

﴿ وَقَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ الْقُولُ ﴾ أي: فأحق الحق وأقوله. وقيل: الحق الأوّل اسم الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ الله هُوَ الْحَقِّ الْمَعِينُ ﴾ (١٠. أو الحق الذي هو نقيض الباطل. ونصبه بحذف حرف القسم. وعلى هذا قوله: «والحق أقول» ممترض بين القسم وجوابه، وهو قوله: ﴿ لَا هُلُانًا جَهَنَّمَ مِنْكُ ﴾ أي: من جنسك، ليتناول الشياطين ﴿ وَمِعْن تَبِعْكَ مِنْهُمْ ﴾ من الناس، إذ الكلام فيهم. أو من التقلين. ﴿ اجْمَعِينَ ﴾ تأكيد لضمير «منهم»، أو الكاف في «منك»، أولهما مماً. ومعناه: لأملأنَّ جهنم من الشياطين المتبوعين أجمعين. أو التابعين من الناس أو التقلين جميعاً. أو من جميع المتبوعين وجميع التابعين، والجملة تنفسير للحق المقول.

وقرأ عاصم وحمزة برفع الأوّل على الابتداء. أي: الحقّ يميني أو قسمي. أو الخبر، أي: أنا الحقّ.

قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَّا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ اِلاَّ ذِكْرٌ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ ثَبَاتُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

ثمّ خاطب النبيّ ﷺ فقال: ﴿قُلُ لِمَا مَعَمَدُ لَكُفّارِ مَكَّة ﴿ مَا أَسْالُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن أو تبليغ الوحي ﴿ مِنْ الْجَرِ ﴾ من مال تعطونيه ﴿ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلَّفِينَ ﴾ المتّصفين بما ليسوا من أهله. وما عرفتموني قطّ متصنّعاً، ولا مدّعياً ما ليس عندي، حتّى أنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن.

وعن رسول الله ﷺ: «للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم».

<sup>(</sup>١) النور: ٢٥.

۰۲..... زیدة التفاسیر ـج ۲

وروى البخاري في الصحيح عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: «يا أيّها الناس من علم شيئاً فليقل به. ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإنّ من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. فإنّ الله تعالى قال لنبيّه ﷺ: «قُل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين» (١).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ﴾ عظة ونصيحة من الله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للتقلين، أوحي إليَّ فأنا أبلّغه. وقيل: ما القرآن إلاّ شرف لمن آمن به. ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ مَنْهَاهُ ﴾ أي: صدق خبر ما فيه من الوعد والوعيد بإتيان ذلك ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ بعد الموت، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام. وفيه تهديد.

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري ٦: ١٥٦.



## سورة الزمر

وتسمّى أيضاً سورة الغرف. وهي مكّيّة كلّها. وقيل: سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: «قل يا عبادي...» إلى آخرهنّ، كما سيجيء. وقيل: غير آية «قل يا عبادي». وآيها خمس وسبعون آية.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه. وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى».

وروى هارون بن خارجة عن أبي عبدالله الله قال: «من قرأ سورة الزمر أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة، وأعزّه بلا مال ولا عشيرة، حتى يهابه من يراه، وحرّم جسده على النار. ويبني له في الجنّة ألف مدينة، في كلّ مدينة ألف قصر، في كلّ قصر مائة حوراء، وله مع ذلك عينان تجريان، وعينان نضّاختان، وجنّتان مدهامّتان، وحور مقصورات في الخيام».

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْمَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزُلْنَا ٓ إِلَيْكَ الْكَتَابَ بِالْحَقِّ فَآعُبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدّبِنَ ﴿٢﴾ أَلاَ لِلَهِ الدّبِنُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ آتَخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمُ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا ٓ إِلَى اللّهِ زُلْفَى إِنَّ اللّهَ يَخْكُمُ بُئِنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْلَفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُهْدِي مَنْ هُوكَاذِبٌ كَفَارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لأَصْطَفَى مَمَّا يَخُلُقُ مَا يَشَآءُ سُبُحَانَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوَاحدُ الْفَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيلَ عَلَى النّهَارِ وَيُكَوِّرُ النّهَارَ عَلَى اللَّيلِ وَسَخَّرَ الشّمُسَ وَالْقَعَرَكُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمَّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿ ٥ ﴾

واعلم أنّه سبحانه لمّا ختم سورة «ص» بذكر القرآن، افتتح هذه السورة أيضاً بذكره، فقال:

وبنسم الله المؤخف الرُحيم تنزيلُ الْجَتَابِ ﴾ خبر محذوف. أو مبتدأ، خبره ﴿ مِنَ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ أو حال من التنزيل عمل فيها أو خبر ثانٍ، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة. والظاهر أنّ الكتاب على الأول السورة. والمعنى: هذا إنزال السورة على محمد شيئاً فشيئاً. وعلى الثاني القرآن، أي: إنزال القرآن على التدريج من الله المتعالي عن المثل والشبه، الحكيم في أفعاله وأقواله. وصف نفسه هنا بالعرّة تعذيراً من مخالفة كتابه، وبالحكمة إعلاماً بأنّه يحفظه حتّى يصل إلى المكلّفين من غير تغيير لشيء منه.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقَّ﴾ ملتبساً بالأمر الحقّ، أي: بالدين الصحيح. أو بسبب إثبات الحقّ وإظهاره وتفصيله.

﴿ فَاغْبُدِ اللهُ مُخْلِصاً ﴾ ممحّضاً ﴿ لَهُ الدِّينَ ﴾ من الشرك، بالتوحيد وتصفية السرّ. وتقديم الجارّ لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام، كما في قوله: ﴿ أَلَا يِشِهِ الدِّينُ الخَلِصُ ﴾ أي: ألا هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة، فإنّه المتورد بصفات الألوهيّة، والاطّلاع على الأسرار والضمائر.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ ﴾ يحتمل المتَّخذين، وهم الكفرة. والضمير راجع إلى الموصول. والمتَّخذين، وهم الملائكة وعيسى والأصنام. والضمير راجع

إلى المشركين. ولم يجر ذكرهم لدلالة الميثاق عليهم. والراجع إلى «اللذين» محذوف. والمعنى: والذين اتّخذهم المشركون أولياء.

وعلى الأوّل الموصول مبتداً، خبره ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَوّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْقَى﴾ بإضمار القول، أو ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ يَيْنَهُمْ﴾ وهو متميّن على الثاني، وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيره حالاً، أي: قائلين ذلك. أو بدلاً من الصلة، فلا يكون له محلّ من الإعراب، كما أنّ المبدل منه كذلك.

﴿ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِقُونَ ﴾ من الدين، بإدخال المحقّين الجنّة، والمبطلين النار، مع الحجارة ألتي نحتوها وعبدوها من دون الله، فيعذّبهم بها حيث يجعلهم وإيّاها حصب جهنّم، والضمير للكفرة ومقابليهم، أعني: المسلمين، وقيل: لهم ولمعبوديهم، فإنّهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم.

وقيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم: من خلق السسماوات والأرض؟ أقـرُوا وقالوا: الله. فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى. فالضمير في «بينهم» عائد إليهم وإلى المسلمين. والمستى: أنّ الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين.

﴿إِنَّ اللهُ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبُ ﴾ على الله وعلى رسوله ﴿ كَفَارٌ ﴾ جاحد للوحدانيّة عناداً ولجاجاً. والسراد بمنع الهداية: منع اللطف، تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وأنّهم في علم الله من الهالكين.أوالسراد عدم هدايتهم إلى طريق الجنّة، أو عدم الحكم بهدايته إلى الحقّ.

ثمّ قرّر ذلك بقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْـقَهَارُ ﴾ فإنّ الألوهيّة الحقيقيّة تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتيّة، وهي تنافي المماثلة فضلاً عن التوالد الّذي يتوقّف على التجانس، لأنّ كلّ واحد من المثلين مركّب مـن الحـقيقة المشــتركة ٥٦..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

والتعيين المخصوص، والقهّاريّة المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد.

ثمّ استدلَّ على ذلك بقوله: ﴿خَلَقَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقهما باطلاً لغير غرض صحيح، بل خلقهما للغرض الحكمي.

﴿ يُكَوَّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوَّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَيْلِ﴾ أي: يغشي كلَّ واحد منهما الآخر، بأن يجملهماخلفة يذهب هذا ويغشي مكانه هذا، وإذا غشى مكانه كانّه يلفّه عليه لفّ اللباس على اللابس. يقال: كار العمامة على رأسه إذا لفّه ولواه. أو يغيّبه به، كما يغيّب الملفوف باللفافة عن مطامح الأبصار. أو يجعله كارًا عليه كروراً متنابعاً، تتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض.

﴿ وَسَخُرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمِّى ﴾ بأن أجراهما على وتيرة واحدة وفق المشيئة، لوقت معلوم في الشتاء والصيف. وهو منتهى دورهما، أو منقطع حركته.

﴿ الله هُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على كلَّ ممكن، الغالب على كلَّ شيء ﴿ الْفَقْارُ﴾ حيث لم يماجل بالعقوبة، ولم يسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة. فسمّى الحلم مغفرة، ومن قدر على خلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، وإدخال الليل في النهار، فهو منزّه عن اتّخاذ الولد والشريك، فإنّ ذلك من صفة المحتاجين.

خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَة ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنَعَامِ ثَمَاشِةَ أَزْوَاجٍ يَخْلَقُكُمْ فِي بُطُونَ أَنَهَا تَكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَاتٍ ثَلاَثِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَآ لِلَهَ لِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿ ٢ ﴾

ثمّ استدلّ استدلالاً آخر بما أوجده في العالم السفلي مبدوءًا به من خــلق الإنسان. لأنّه أقرب وأكثر دلالة وأعجب. فقال: سورة الزمر، آية ٦٠..... ٢٠

و«ثمّ» للعطف على محذوف هو صفة «نفس»، مثل: خلقها. أو على معنى «واحدة» أي: من نفس وحدت، ثمّ جعل سنها زوجها، فشفّعها بها. أو على «خلقكم» لتفاوت ما بين الآيتين، فإنّ الأولى عادة مستمرّة دون الثانية. فهو من التراخي في الوجود.

وقيل: أخرج من ظهره ذرّيّته كالذرّ، ثمّ خلق حوّاء منه. وهذا ضعيف.

﴿ وَانْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ﴾ وقضى لكم أو قسم، فإنّ قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء، حيث كتب في اللوح كلّ كائن يكون. أو أحدث لكم بأسباب نازلة، كأشفة الشمس والأمطار، فإنّها لا تعيش إلّا بالنبات، والنبات لا يقوم إلّا بالماء، وهو نازل من السماء، فكأنّه أنزل الأنعام منها. وهذا كقوله: ﴿ قَدْ أَسْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسِلَ﴾ (١) ولم ينزل اللباس، ولكن أنزل الماء اللذي هو سبب القطن والصوف، واللباس يكون منهما. فكذلك الأنعام تكون بالنبات، والنبات يكون بالباء.

﴿ فَهَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ ذكر أو أنثى، من الإبل والبقر والضأن والمعز والزوج: اسم لواحد يكون معه آخر ، فإذا انفرد فهو فرد ووتر . ﴿ يَضْفُقُكُمْ فِي بُطُونِ أَمُهَاتِكُمُ ﴾ بيان لكيفيّة خلق ماذكر من الأناسيّ والأنعام ، إظهاراً لما فيها من عجائب القدرة ، غير أنّه غلّب أولي العقل ، أو خصّهم بالخطاب، لائهم المقصودون ﴿ خَلْقاً مِنْ بَعدِ خَلْقِ ﴾ حيواناً سويًا ، من بعد عظام مكسوّة لحماً ، من بعد عظام عارية ، من بعد عضم ، من

<sup>(</sup>١) الأعراف: ٢٦.

۸۵..... زیدة التفاسیر ـ ج ۲

بعد علق، من بعد نطف ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة. وقيل: الصلب، والرحم، والبطن.

﴿ ذَلِكُهُ ﴾ أي: الّذي هذه أفعاله ﴿ اللهُ رَبُّكُمْ ﴾ هو المستحقّ لعبادتكم، الّذي يملك التصرّف فيكم ﴿ لَهُ المُلكُ ﴾ على جميع المخلوقات ﴿ لَا إِلْمَهُ إِلَّا هُـوَ ﴾ إذ لا يشاركه في الخلق غيره ﴿ فَانَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك.

إِن تَكُفُّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُّرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أَخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرُّجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُتُمُّ مَّعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴿٧﴾

﴿إِن تَتَغُوُّوا فَإِنَّ اللهُ فَنِيُّ عَنْتُمْ﴾ عن إيمانكم، فإنكم المحتاجون إليه، لاستضراركم بالكفر، واستنفاعكم بالإيمان ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِبِعِبَادِهِ النَّفُورَ فكيف يخلق الكفر، كما زعمت الأشاعرة ﴿وَإِن تَشْكُووا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرض الشكر لكم، لأنّه سبب فلاحكم. فإذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلّا لكم ولصلاحكم، لا لأنّ منفعة ترجع إليه، فإنّه الفنيّ الّذي لا يجوز عليه الحاجة.

وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وأبو عمرو والكسائي بإشباع ضمّة الهاء، لأنّها صارت بحذف الألف موصولة بمتحرّك، فصارت مثل: له. وعن أبي عمرو ويعقوب إسكانها. وهو لغة فيها.

واعلم أنَّ منطوق هذا أوضع دلالة على أنَّه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد. لأنَّه لو أراده لوجب متى وقع أن يكون راضياً به لعبده. لأنَّ الرضا بالفعل ليس إلَّا ما ذكرناه. ألا ترى أنَّه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئاً. ويقع منه على ما نريده، فلا نكون راضين به! أو أن نرضى شيئاً. ولم نرده البتَّة. ولقد تمحّل بعض

الغواة ليثبت فله مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر، فقال: هذا من العامّ الّذي أريد به الخاصّ، وما أراد إلّا عباده الّذين عناهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانَ﴾ (١).

وأقول: ضعف الجوابين ظاهر:

أما أولاً: فلأنّ النيشابوري قال بعد هذا القول بورقة في آية ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ (٥): «إِنّه قد مرّ أنّ العباد في القرآن إذا كان مضافاً إلى ضمير الله اختصّ بأهل الإيمان عند أهل السنّة. وعندي لا مانع من التعميم هاهنا» (١٦). فظهر من كلامه القدح في الاصطلاح، والتعميم في العباد.

وذكر بعد هذا الكلام بورقتين في تفسير الآية الكريمة: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّـذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ انضُّهِمْ لَا تَقْتَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ (٧) ما يعضده، حيث جوّز التعميم، وقدّم

<sup>(</sup>١) الحجر: ٤٢.

<sup>(</sup>٢) الفرقان: ٦٣.

<sup>(</sup>٣) الانسان: ٦.

<sup>(</sup>٤ ر ٦) غرائب القرآن ٥: ٦١٦.

<sup>(</sup>ه و ۷) الزمر: ١٦ و ٥٣.

ما حقّه التقديم، قائلاً: «ثمّ إن قلنا: العباد عامّ، فالإسراف على النفس يعمّ الشرك. ولا نزاع أنّ عدم اليأس من الرحمة يكون مشروطاً بالتوبة والإيسمان. وإن قملنا: العباد المضاف في عرف القرآن مختصّ بالمؤمنين، فالإسراف إمّا بالصفائر، ولا خلاف في أنّها مكفّرة ما اجتنب الكبائر. وإمّا بالكبائر، وحينئذٍ يبقى النزاع بين الفريقين، فالمعتزلة شرطوا التوبة، والأشاعرة العفو»(١).

وأمّا ثانياً: فلأنّه لا معنى لإرادة الله شيئاً لا يرضى به كما مضى، فـثبت أنّ الكفر ليس بقضائه، وأنّه أراد الإيمان من كلّ عباده. والحمد لله على حسن التوفيق وهداية الطريق.

﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةً وِزَرُ أَخْرَى ﴾ ولا تحمل حاملة ثقل أخرى، أي: لا يؤاخذ بالذنب إلا من يرتكبه ويفعله ﴿ فَمُ إِلَىٰ رَبُّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ فَينَبَّنْكُمُ ﴾ فيخبركم ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ما عملتموه بالمحاسبة والمجازاة ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

وَإِذَا مَسَ الْإِنسَانَ ضُرِّ دَعَا رَبَّهُ مُنيبًا الِّيهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نَعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدُعُوا الِّيهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا الْيَضِلَ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَّغُ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانتُ آنَاءَ اللَّيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَخْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّنَا يَنذَكُرُ أُولُوا الْأَبابِ ﴿٩٩﴾

<sup>(</sup>١) غرائب القرآن ٦: ١٠.

﴿ وَإِذَا مَسُ الْإِنسَانَ صُولً دَعَا رَبُهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ﴾ لأنه حين الاضطرار زال ما ينازع العقل في الدلالة على أنّ مبدأ الكلّ منه ﴿ ثُمُ إِذَا خَوْلَهُ ﴾ أعطاه. من الخَوْل، وهو التمهّد، من قولهم: هو خائل مال وخال مال، إذا كان متمهّداً له حسن القيام به . ومنه: ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه كان يتخوّل أصحابه بالموعظة. أو مين الخَوْل، وهو الافتخار. يقال: خال يخول إذا اختال وافتخر.

﴿ نِعْمَةَ مِنْهُ ﴾ من الله ، كالصحّة والثروة والأمن ﴿ نَسِيّ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَـيْهِ ﴾
أي: الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه . أو ربّه الذي كان يتضرّع إليه ، ف«ما» بمعنى «من» كما في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقَ الدُّقَرَ وَالْأَنْفَى ﴾ (١٠ . ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل النعمة ﴿ وَجَعَلَ بِنْهِ النَدَادَ ﴾ أي: سمّى له أمثالاً في توجيه عبادته إليها من الأصنام والأوثان ﴿ وَبَغْضِلُ ﴾ ليضلُ الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ عن دينه .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء، أي: يضلّ هو عن الدين. يعني: أنّ تتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله.

﴿ قُلْ تَمَتَّغ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾ أمر تهديد. وفيه إشمار بأنّ الكفر نوع تشدٍّ لا سند له. وإقناط للكافر من التمتّع في الآخرة. ولذلك علّله بقوله: ﴿ إِنْكَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّارِ﴾ على سبيل الاستثناف للمبالغة. وهذا من باب الخذلان والتخلية. كأنّه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة، فمن حقّك أن لا تؤمر به بعد ذلك، وتؤمر بتركه، مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه، لأنّه لا مبالغة في الخذلان أشدٌ من أن يبعث على عكس ما أمر به. ونظيره في المعنى قوله: ﴿ مَتَاعُ قَلِيلٌ ثُمُ

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ﴾ «أم» متَّصلة بمحذوف، تقديره: أهذا الكافر الَّذي

<sup>(</sup>١) الليل: ٣.

<sup>(</sup>٢) آل عمران: ١٩٧.

٦٢...... زيدة التفاسير ــج ٦

ذكر وصفه خير «أمَّن هو قانت» أي: قائم بوظائف الطاعات، دائم على رسوم العبادات ﴿ آنَآءَ اللَيْلِ ﴾ ساعاته. وقرأ الحجازيّان وحمزة بتخفيف الميم، أي: أيّن هو قانت لله كمن جعل له أنداداً؟! ﴿ سَلجِداً ﴾ تارةً في الصلاة ﴿ وَقَائِماً ﴾ أخرى فيها. وهما حالان من ضمير «قانت». يعني: من صلّى صلاة الليل ويقنت في الوتر. وهو دعاء المصلّي قائماً. وفي الحديث: «أفضل الصلاة طول القنوت».

﴿يَحْذُرُ الْآخِرَةَ﴾ عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: يتردّد بين الخوف والرجاء. وهما في موضع الحال، أو استثناف للتعليل.

ثمّ نفى استواء الفريقين باعتبار القوّة العلميّة، بعد نفي استوائهما باعتبار القوّة العمليّة، على وجه أبلغ، لمزيد فضل العلم، فقال:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي اللَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَاللَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة، فكأنّه جعل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم، ثمّ لا يقتنون ويفتنون، ثمّ يفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة، حيث جعل القانين هم العالمين المتقنين.

وقيل: هذا تقرير للأوّل على سبيل التشبيه، أي: كما لا يسـتوي العـالمون والجاهلون، لا يستوي القانتون والعاصون.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْآفَـبَابِ﴾ بأمثال هذه البيانات. روي عن أبي عبدالله ﷺ أنّه قال: «نحن الّذين يعلمون، وعدوّنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الألباب».

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا رَبَكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّثَيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغُيرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلُ إِنِيَ أَمُونَ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأَمُونَ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ وَأَمُونَ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾ فَلُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ فَلُ اللَّهَ أَعْبُدُ وَا مَا شُئْتُم مِن دُونِهِ قُلُ إِنَّ فَلُ اللَّهَ الْفَيْدَ أَعْبُدُ وَا مَا شُئْتُم مِن دُونِهِ قُلُ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الذِينَ حَسُرُواً أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقَيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسُرَانُ النَّهِ وَمِن تَحْتِيمُ ظَلَلْ ذَلِكَ يُحَوِّفُ اللَّهُ النَّهُ مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلْ مِنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِيمُ ظَلَلْ ذَلِكَ يُحَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عَبَادِ فَا تَقُونِ ﴿١٦﴾

﴿قُلْ يَا عَبِلَهِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ عقاب ربّكم بلزوم طاعته واجــتناب معاصيه. وفيه دلالة على أنّ الإيمان يبقى مع المعصية.

ثمّ قال في مكافأة اتقاثهم: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ مثوبة جميلة غير مكتنهة بالوصف في الآخرة. وهي الخلود في الجنّة. وقد علّق السدّي الظرف بدحسنة». ومعناه: لهم في هذه الدنيا ثناء حسن، وذكر جميل، وصحّة وسلامة وعافية.

﴿ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً ﴾ فمن تعسّر عليه التوفّر على الإحسان في وطنه، فليهاجر إلى حيث يتمكّن منه. يعني: لا عذر للمفرّطين في الإحسان ألبتّة، حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم، وأنّهم لا يتمكّنون فيها من التوفّر على الإحسان وصرف الهمم إليه، فعليهم التحوّل إلى بلاد أخر، والاقتداء بالأنبياء الصالحين في مهاجرتهم ٦٤..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

إلى غير بلادهم، ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم.

وقيل: نزلت في الّذين كانوا في بلاد المشركين. فأُصروا بــالمهاجرة عــنه. كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنُّ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (١٠).

وقيل: هي أرض الجنّة. يعني: أرض الجنّة واسعة، فــاطلبوها بــالأعمال الصالحة.

﴿إِنْمَهُ يُوَفَّى الصَّاهِرُونَ﴾ على مشاق الطاعة، من احتمال البلاء، ومهاجرة الأوطان والعشائر والأصدقاء ﴿الجَرْهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أجراً لا يهتدي إليه حساب الحسّاب، وقيل: بغير مكيال ولا ميزان.

وعن النبي الشي الله ينصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيوقون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوقون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل السدقة فيوقون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصبّ عليهم الأجر صبّاً. قال الله تعالى: ﴿إِنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنّى أهل العافية في الدنيا أنّ أجسادهم تقرض بالمقاريظ مثا يذهب به أهل اللاء من الفضل».

وروى الميّاشي أيضاً بالإسناد عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله على قال: «قال رسول الله عليه الله على الدواوين، ونصبت الموازين، لم ينصب لأهل البلاء ميزان، ولم ينشر لهم ديوان. ثمّ تلا هذه الآية».

﴿ قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَعْبُدُ اللهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ موحّداً له ﴿ وَأُمِرْتُ ﴾ بدلك ﴿ إِنْ أَكُونَ أَوْلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لأجل أن أكون مقدّمهم في الدنيا والآخرة، لأن قصب السبق في الدين بالإخلاص. أو لأن أكون أوّل من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدى بى في قولى وفعلى جميعاً، ولا تكون صفتى صفة الملوك اللذين

(١) النساء: ٩٧.

يأمرون بما لا يفعلون. أو أكون أوّل من خالف قريشاً في خلع الأصنام وحطمها. أو أكون أوّل الّذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً.

والأمران المذكوران ليسا بواحد، لاختلاف جهتيهما. وبيان ذلك: أنّ الأمر بالاخلاص وتكليفه شيء، والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء. وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه، نزّل بذلك منزلة شيئين مختلفين، فعطف الأمر الثاني على الأوّل، لمغايرته إيّاه، بتقييده بالعلّة. وفيه إشعار بأنّ العبادة المقرونة بالإخلاص وإن اقتضت لذاتها أن يؤمر بها، فهي أيضاً تقتضيه، لما يلزمها من السبق في الدين.

ويجوز أن تجعل اللام مزيدة، كما في: أردت لأن أفعل، كأنّها زيدت عوضاً من ترك الأصل - الذي هو المصدر - إلى ما يقوم مقامه، كما عوّض السين في: إسطاع، عوضاً من ترك الأصل الذي هو: أطوع، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) ﴿ فَامِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) ﴿ فَامِرْتُ أَنْ أَكُونَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (١). فيكون أمراً بالتقدّم في الاخلاص، والبدء بنفسه في الدعاء إليه بعد الأمر به.

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بترك الإخلاص، والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ﴿ عَذَابَ يَوْم عَظِيمِ﴾ لعظمة ما فيه.

﴿ قُلِ اللهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ وِينِي ﴾ أمر بالإخبار عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه، بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص، خائفاً عن المخالفة من العقاب، قطعاً لأطماعهم. ولذلك ربّب عليه قوله: ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِيئتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ تهديداً وخذلاناً لهم. فمنطوق هذه الآية غير منطوق قوله: ﴿ إنّي أمرت

۱۱ و ۲) يونس: ۷۲ و ۱۰٤.

١٦...... زيدة التفاسير ـج ٦

أن أعبد الله مخلصاً له الدّين﴾ فلا يلزم التكرير.

﴿ قُلْ إِنَّ الْفَاسِوِينَ ﴾ الكاملين في الخسران، الجامعين لوجوهه وأسبابه ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنفُسَهُمْ ﴾ لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها بسبب الضلال ﴿ وَالْهَلِيهِمْ ﴾ وخسروهم بالإضلال كما خسروا أنفسهم بالضلال ﴿ يَـوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنّة.

وقيل: وخسروا أهليهم، لأنّهم إن كانوا من أهل النار فـقد خسـروهم كـما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنّة فقد ذهبوا عنهم ذهـاباً لا رجـوع بـعده إليهم، فلا ينتفعون بأنفسهم، ولا يجدون في النار أهلاً كما كان لهم في الدنيا أهل، فقد فاتنهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم.

وعن ابن عبّاس: إنّ الله تعالى جعل لكلّ إنسان في الجنّة منزلاً وأهلاً. فمن عمل بطاعته كان له ذلك، ومن عصاه دفع منزله إلى من أطاع. فذلك قوله. ﴿ اوْتَقِكَ هُمُ الْوَارِدُونَ﴾ (١) الآية.

﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُهِينُ﴾ مبالغة في خسرانهم، حيث استأنف الجملة. وصدّرها بحرف التنبيه، ووسّط الفصل بسين المستدأ والخسر، وعـرّف الخسـران. ووصفه بالمسن.

ثمّ شرح كمال خسرانهم بقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْقِهِمْ ظُلُلُ﴾ أي: أطباق وسرادقات (٢) ﴿مِنَ النّارِ، هي ظلل وسرادقات (٢) ﴿مِنَ النّارِ، هي ظلل للآخرَين، فإنّ النار أدراك ﴿ ذَلِكَ يَحَقّفُ الله بِهِ عِبْادَهُ ﴾ ذلك العذاب هو الّذي يخوّفهم به، ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿يَا عِبْلِهِ فَاتَقُونِ ﴾ ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطى، وهذه نصيحة بالفة، وعظة بليغة من الله سبحانه.

<sup>(</sup>١) المؤمنون: ١٠.

<sup>(</sup>٢) سُرَادِقات جمع سُرَادِق: الفسطاط الّذي يمدّ فوق صحن البيت، أو الخيمة.

وَالَّذِينَ آجْنَتُبُوا الطَّاعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابِوَآ إِلَى اللَّه لَهُمُ الْبَشْرَى فَبَشَرُ عِبَادِ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمَعُونَ الْقُولَ فَيَتَبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلِكَ هُمُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٨١﴾ أَفَنَنْ حَقَّ عَلَيْه كَلَمَهُ الْعَذَابِ أَفَانَت تُنقذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١١﴾ لَكِنِ الَّذِينَ آتَقُولُ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرُفٌ مِن فَوْقِهَا غُرُف مَّبَلِيَّة تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللّهِ لاَ يُخْلِفُ اللّهَ الْمِيعَادَ ﴿٧٠﴾

وبعد ذكر التوعد شرع في الوعد لمن اجتنب عن الشرك وسائر المعاصي، فقال: ﴿ وَاللَّذِينَ الْجَتَنَبُوا الطّأَغُوتَ ﴾ البالغ غاية الطغيان. فعلوت منه، كالرحموت والملكوت بمعنى الرحمة الواسعة والملك المبسوط، إلا أنّ فيها قلباً بتقديم اللام على العين، فإنّ أصله الطغيوت أو الطغووت. وهي لمبالغة المصدر. وفيها مبالغات: التسمية بالمصدر، كأنّ عين الشيطان طغيان، والبناء بناء المبالغة، والقلب. وهو للاختصاص، ولذلك اختص بالشيطان. والمراد بها هنا الجمع. والمعنى: كلّ من دعا إلى عبادة غير الله من شياطين الجنّ والإنس.

﴿ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل اشتمال من الطاغوت، أي: اجتنبوا عبادتها ﴿ وَأَنْسَابُوا إِلَى اللهِ ﴾ وأقبلوا إليه بشراشرهم عمّا سواه ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ بالثواب عملى ألسنة الرسل، أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَزَى المُوْمِئِينَ وَالْمُؤْمِئَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِالْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيُومَ جَنَاتُ ﴾ (١١).

<sup>(</sup>١) الحديد: ١٢.

٦٨..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وروي عن أبي عبدالله ﷺ : «أنتم هم، ومن أطاع جبّاراً فقد عبده».

﴿ فَبَشُرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَعِعُونَ الْحَسْدَةُ ﴾ وضع فيه الظاهر موضع ضمير «الذين اجتنبوا» للدلالة على مبدأ اجتنابهم، وأنّهم نقاد في الديس، موضع ضمير «الذين اجتنبوا» للدلالة على مبدأ اجتنابهم، وأنّهم نقاد في الديس، يميّرون بين الحقّ والباطل، والحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجب وندب، اختاروا الواجب، وكذلك اختاروا الندب على المباح، والعفو على القصاص، والإغضاء على الانتصار، والإخفاء على الإبداء، حِراصاً على ماهو أقرب عند الله وأكثر ثواباً، لقوله: ﴿ وَأَن تَعَقُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) ﴿ وَإِن تُحَقُوهَا أَوْرَالهِ عَلَى المُقالِقَ فَهُو خَيْرٌ لَكُمُ ﴾ (١) ﴿ وَإِن تُحَقُوا الْقَرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) ﴿ وَإِن تُحَقُوا اللهِ عَلَى المناهب، واختيار أثبتها وأقواها.

وقيل: معناه: يستمعون القرآن وغيره فيتَّبعون القرآن.

روي عن أبي الدرداء قال: لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يــوماً واحــداً: الظمأ بالهواجر. والسجود في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيّب التمر.

وعن ابن عبّاس: هو الرجل يجلس مع القوم، فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوىء، فيحدّث بأحسن ما سمع، ويكفّ عمّا سواه.

قيل: هاتان الآيتان في ثلاث نفر كانوا يقولون في الجاهليّة: لا إله إلّا الله: عمرو بن نفيل، وأبو ذرّ الففاري، وسلمان الفارسي.

﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ ﴾ لدينه ﴿ وَأَوْلَئِكَ هُمُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ من السقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة. وفي ذلك دلالة على أنَّ الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَانتَ تَنْقِدُ مَن فِي النَّارِ ﴾ جملة شرطيّة معطوفة على محذوف دلَّ عليه سوق الكلام. تقديره: ءَأنت مالك أمرهم؟ فمن حقّ عليه

<sup>(</sup>١ و ٢) البقرة: ٢٣٧ و ٢٧١.

العذاب فأنت تنقذه؟ فكرّرت الهمزة لتأكيد الإنكار والاستبعاد. ووضع «من فعي النار» موضع الضمير لذلك، وللدلالة على أنّ من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه، لامتناع الخلف فيه، وأنّ اجتهاد الرسول في دعائهم إلى الايمان سعي في إنقاذهم من النار.

ويجوز أن يكون «أفأنت تنقذ» جملة مستأنفة للدلالة على ذلك، وللإشعار بالجزاء المحذوف. تقديره: أفعن حقّ عليه كلمة العذاب فأنت تخلّصه؟ أو كمن وجبت له الجنّة. والمراد بكلمة العذاب قوله: ﴿ لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمٌ﴾ (١) الآية. وإنّما قال ذلك للنبي ﷺ لحرصه على إسلام المشركين. والمعنى: إنّك لا تقدر على إدخال الاسلام في قلوبهم قسراً، فلا عليك إذا لم يؤمنوا. وهذا كقوله: ﴿ فَلَعَلْكَ بَاخِعُ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثارهم ﴾ (١) الآية.

ثمّ بيّن سبحانه ما أعدّ للمؤمنين، كما بيّن ما أعدّه للكفّار، فقال:

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَقُوْا رَبُّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِن هَوْقِهَا غُرَفٌ ﴾ علالي (٣) بعضها فوق بعض ﴿ مَنْنِئِيَّةٌ ﴾ بنيت بناء المنازل على الأرض. وهذا في مقابلة قوله: «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل». ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي: من تحت النرف، فإنّ النظر من الغرف إلى الخضر والمياه أشهى وألذٌ ﴿ وَعَدَ اللهِ ﴾ مصدر مؤكّد، لأنّ قوله: «لهم غرف» في معنى الوعد، كأنّه قال: وعد الله وعداً ﴿ لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادُ ﴾ لأنّ الخلف نقص، وهو على الله محال.

روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنَّـه قـال: «إنَّ أهـل الجـنَّة ليتراءون الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرّيّ في الأفق، من المشرق أو

<sup>(</sup>١) السجدة: ١٣.

<sup>(</sup>٢) الكهف: ٦.

<sup>(</sup>٣) عَلَالِي جمع عُلَّية ، وهي: بيت منفصل عن الأرض ببيت ونحوه .

المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: والّذي نفسي بيده لرجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين».

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءَ مَآءٌ فَسَلَكُهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا شُخْلَفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلك لَذَكْرَى لِأَوْلِي الأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَعَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِهِ فَوْيِلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذَكْرِ اللَّهِ أُولِيَّكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾

ولمّا قدّم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد. عقّبه بذكر دلائل التوحيد. فقال مخاطباً لنبيّه ﷺ، وإن كان العراد جميع المكلّفين:

﴿ اَلَمْ تَنَ أَنَّ اللهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ هو المطر ﴿ فَسَلَكَهُ ﴾ فأدخله وأجراه ﴿ يَنَاهِيعَ فِي الأَرْضِ ﴾ عيوناً ومجاري ومسالك كائنة فيها كالعروق في الأجساد. وهو جمع الينبوع. أو مياه نابعات فيها، إذ الينبوع جاء للنابع. فنصبها على الحال.

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً الْوَائَهُ ﴾ صنوفه من البرّ والشعير والأرز وغيرها. يقال: هذا لون من الطعام. أو كيفيّاته من حمرة وخضرة وصفرة وغيرها. ﴿ ثُمُّ يَهِيجُ ﴾ يتمّ جفافه، لأنّه إذا تمّ جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب ﴿ فَتَوَاهُ مُضفّرًا ﴾ من يبسه ﴿ كُمُ يَجْعَلُهُ حُطّاماً ﴾ فتاتاً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكيراً بأنّه لابدّ من صانع حكيم دبّره وسوّاه. أو بأنّه مثل الحياة الدنيا، فلا تفتر بها ﴿لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ لأولي العقول السليمة في معرفة الصانع المحدث للعالم، إذ لا يتذكّر به غيرهم.

ولمّا ذكر أدلَّة التوحيد الَّتي إذا تفكّر فيها متفكّر، انشرح صدره، واطمأنّت

نفسه إلى التوحيد بلج (١) اليقين، قال عقيب ذلك:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْاَسْلَامِ ﴾ أفمن عرف الله أنّه من أهل اللطف به ، بنصب الأدلّة وإزاحة العلّة ، حتى انشرح صدره ووسع قلبه لقبول الاسلام بيسر ، فثبت عليه وتمكّن فيه ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورِ مِنْ رَبّهِ ﴾ يعني : المعرفة والاهتداء إلى الحقّ ، كمن لا لطف له ، فهو حرج الصدر قاسي القلب . ونور الله هو لطفه ، لأنّ به يعرف الحقّ ، كما بالنور تعرف أمور الدنيا .

وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، فقيل: يا رسول الله كيف انشراح الصدر؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح. فقيل: يــا رســول الله فــما عــلامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الفرور، والتأهّب للموت قبل نزوله».

ودل على حذف خبر «من»: ﴿ فَوَيْلُ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِحْدِ اللهِ ﴾ من أجل ذكره وبسببه. يعني: إذا ذكر الله عندهم أو آياته السمأزّت قلوبهم وازدادت قساوةً، كقوله: ﴿ فَرَالَتُهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ (٣). وهذا المعنى أبلغ من أن يكون «عن» مكان «من»، لأنّ القاسي من أجل الشيء أشدّ تأثياً عن قبوله من القاسي عنه لسبب آخر، ولهذا آثر «من» على «عن». وللمبالفة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع، ذكر شرح الصدر، وأسنده إلى الله، وقابله بقساوة القلب، وأسنده إلىهم.

﴿ أَوْتَلِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ يظهر ضلالهم للناظر بأدنى نظر. والآية نزلت في حمزة وعلى وأبى لهب وولده.

<sup>(</sup>١) بَلِجَ الْحَقُّ بَلَجاً: وضح وظهر .

<sup>(</sup>٢) التوبة: ١٢٥.

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَاثَا؛ مُّنَشَاهِا مَّنَانِيَ تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ عَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذَكْرِ اللَّهِ ذَلكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاّءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ﴿٣٣﴾ أَفَمَن يَقِي بِوَجُهِهِ سَتُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُمُتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٤﴾

روي: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّوا ملّة فقالوا: حدّثنا. فنزلت: ﴿اللهُ فَزُلُ الْحَسْنُ الْحَدِيثِ ﴾ يعني: القرآن. وفي الابتداء باسم الله، وبناء «نزّل» عليه، تأكيد للإسناد إليه تعالى، وأنّه من عنده، وأنّ مثله لا يجوز أن يصدر إلّا عنه، وتفخيم للمنزل، واستشهاد على مزيّة حسنه، وتنبيه على أنّه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث.

﴿ كِتَابِاً مُ تَشَابِها ﴾ بدل من «أحسن» أو حال منه. وتشابهه: تشابه أبعاضه في الإعجاز، وتجاوب النظم، وصحّة المعنى وإحكامه، وبناؤه على الحقّ والصدق، والدلالة على المنافع العامّة، لاشتماله على جميع ما يحتاج إليه المكلّف، من التنبيه على أدلّة التوحيد والعدل، وبيان أحكام الشرع، وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء، والترغيب والترهيب.

﴿ مَثَانِيَ﴾ جمع مثنى، بمعنى المردّد والمكرّر. أو مَثْنَى. وصف به «كتاباً» مع أنّه جمع باعتبار تفاصيله، من الأقاصيص والأحكام والمواعظ المكرّرة. وهذا كقولك: القرآن سور وآيات وأسباع وأخماس، والإنسان: عظام وعروق وأعصاب. أو جعل تمييزاً من «متشابهاً» كقولك: رجلاً حسناً شمائل. فالمعنى: كتاباً متشابهة مثانيه.

وفائدة التكرير في أقاصيصه وأحكامه ومواعظه ركزها في القلوب وغرسها في الصدور، فإن النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرّر عليها عوداً عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله. ومن ثمّ كانت عادة رسول الله عليها أن يكرّر عليهم ما كان يعظ به، وينصح ثلاث مرّات وسبعاً، ليركّزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم.

﴿ تَقْشَعِرُ ﴾ تتقبَض تقبضاً شديداً ﴿ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبِّهُمْ ﴾ وقف شعرهم خوفاً منا فيه من الوعيد. وهو مثل في شدّة الخوف. وتركيبه من حروف القشع، وهو الأديم اليابس، بزيادة الراء ليصير رباعيّاً، ويبدل على معنى زائيد، كتركيب القَمْطَر من القمط، وهو الشدّ. ويجوز أن يريد الله سبحانه به التعثيل، تصويراً لإفراط خشيتهم، وأن يريد التحقيق.

والمعنى: أنّهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده، أصابتهم خشـية شـديدة تقشعرٌ منها جلودهم.

﴿ فَمُ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ نِخْدِ اللهِ ﴾ بالرحمة وعموم المغفرة. والاقتصار على ذكر الله من غير ذكر الرحمة، للإشعار بأنَّ أصل أمره الرحمة والرأفة، وإن سبقت رحمته غضبه، فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كلَّ شيء من صفاته إلا كونه رؤوفاً رحيماً.

وتعدية «تلين» بر إلى التضمّنه معنى السكون والاطمئنان. فكأنّه قيل: سكنت واطمأنّت إلى ذكر الله، أي: بعد اقشعرار جلودهم منه، إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة، لانت جلودهم وقلوبهم، وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة.

وذكر الجلود وحدها أوّلاً ، ثمّ قران القلوب بها ثانياً. لدلالة الخشية الّـتي محلّها القلوب عليها. فهي في حكم الذكر. فكأنّه قيل: تقشعرٌ جلودهم من آيات

الوعيد، وتخشى قلوبهم في أوّل وهلة، فإذا ذكروا الله ومبنى أمـره عـلى الرأفــة والرحمة، استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم، وبالقشعريرة ليناً في جلودهم.

روي عن العبّاس بن عبد المطّلب أنّ النبيّ ﷺ قال: «إذا اقشعرٌ جلد العبد من خشية الله . تحاتّت عنه ذنوبه كما يتحاتّ عن الشجرة اليابسة ورقها».

وعن قتادة: هذا نعت لأولياء الله، نعتهم الله بأن تقشعرٌ جلودهم، وتـطمئنٌ قلوبهم إلى ذكر الله. ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنّما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: ذلك الكتاب ﴿ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ ﴾ يموفّق بعه بنصب الأدلّة وإزاحة العلّة ﴿ مَن يَشَامُ ﴾ هدايته من عباده العتقين الطالبين طريق الفوز والنجاة، كما قال: ﴿ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) ﴿ وَمَنْ يُضَلِلِ اللهُ ﴾ من يخذله من أهل العناد والفجور، بسبب عناده وفرط فجوره ﴿ فَمَا لَهُ فِن هَادٍ ﴾ يخرجهم من الضلال.

أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله، أي: أثر هداه، وهبو لطفه. فسمّاه هدى، لأنّه حاصل بالهدى. يهدي بهذا الأثر من يشاء من عباده. يعني: من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين، فكان ذلك مرغّباً لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم. «ومن يضلل الله» ومن لم يؤثّر فيه ألطافه، لقسوة قلبه وإصراره على فجوره «فما له من هاد» من مؤثّر فيه بشيء قطّ.

﴿ أَقَمَنْ يَثَقِي بِـوَجْهِهِ ﴾ يجعله درقة (٣) يقي به نفسه، لأنّه يكون يداه مغلولة إلى عنقه، فلا يقدر أن يتّقي إلّا بوجهه ﴿ سُوءَ الْعَدَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ كمن هو آمن مند. فحذف الخبر كما حذف في نظائره المذكورة غير مرّة.

وتنقيح المعنى: أنَّ الانسان إذا لقي مخوفاً من المخاوف استقبله بيده، وطلب

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢.

<sup>(</sup>٢) في هامش النسخة الخطّية : «الدَّرَقة : التّرس الّذي يتّخذ من الجلود . منه» .

أن يقي بها وجهد، لأنّه أعرّ أعضائه عليه. والّذي يلقى في النّار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه. فلا يتهيّأ له أن يتّقي النار إلّا بوجهه الّذي كان يتّقي المخاوف بغيره، وقاية له ومحاماة عليه. وقيل: العراد بالوجه الجملة. تسمية للشيء بأشرف أجزائه.

﴿ وَقِيلَ لِمُطَّالِمِينَ﴾ أي: لهم. فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عــليهم بالظلم، وإشعاراً بالموجب لما يقال لهم، وهو ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: قال لهم خزنة النار، ذوقوا وبال ما كنتم تعملون. والواو للحال، و«قد» مقدّرة.

كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَرْةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَرْقِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ ضَرَّبُنَا لِلْتَاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثْلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكُرُونَ ﴿٢٥﴾ قُرَانًا عَرِبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لِقَلَّهُمْ يَتَقُونَ ﴿٢٨﴾

ثمّ وعد كفّار قريش بذكر الأمم المكذّبة الساضية. واستئصالهم بالعذاب العاجل، وصليهم بالعذاب الآجل، فقال:

﴿ فَذَبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ بآيات الله وجحدوا رسله ﴿ فَالنَّهُمُ الْعَذَابُ ﴾ عاجلاً ﴿ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من الجهة الّتي لا يخطر ببالهم أنّ الشرّ يأتيهم منها. يعني: بينا هم آمنون رافهون إذ فوجؤا بالعذاب من مأمنهم.

﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيُ ﴾ الذلّ والصغار ﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا ﴾ كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء، وما أشبه ذلك من نكال الله ﴿ وَلَعْذَابُ الْآخِرَةِ ﴾ المعدّ لهم ﴿ أَكْبَرُ ﴾ لشدّته ودوامه ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ أي: بيِّنَا بياناً بليغ الوضوح ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلُّ مَثْلِ﴾ يمتاج إليه الناظر في أمر دينه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتدبّرون فيتّعظوا به.

﴿قُوْآَنَا عَرَبِيَا﴾ حالَ مؤكّدة من «هذا». والاعتماد فيها على الصفة. كقولك: جاءني زيد رجلاً صالحاً وإنساناً عاقلاً. ويجوز أن ينتصب على المدح. ﴿غَيْرَ ذِي عِوْجٍ﴾ أي: لا اختلال فيه بوجهٍ مّا، بريئاً من التناقض والاختلاف قطعاً ورأساً.

وفي إيثار «غير ذي عوج» على: غير معوج وعلى: «مستقيماً» فائدتان: إحداهما: نفي أن يكون فيه عوج قط ، كما قال: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلُ لَهُ عِوْجاً﴾ (١١). والثانية: ليدل على أن استقامته من حيث المعنى، فإن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان.

وقيل: العوج: الشكِّ واللبس، استشهاداً بقوله:

وفد آتاك يقين غير ذي عـوج من الأله وقول غـير مكـذوب ﴿ نَعَلَهُمْ يَتَقُونَ﴾ لكى يتّقوا معاصى الله. وهذا علّه أخرى مرتّبة على الأولى.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَارٌ رَجُارٌ فيهِ شُرُكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْنَوَيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

ثمّ مثّل حال من يثبت آلهة شتّى، وما يلزمه من سوء العواقب، ومن يتّخذ الله وحده إلهاً. وما يتبعه من حسن الخواتيم، فقال:

﴿ضَوْبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلاً﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ﴾ صلة قـوله: ﴿شُـوَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ من التشاكس بمعنى الاختلاف. وهذا مثل المشرك. ﴿وَرَجُلاً سَلَماً﴾ أي: خالصاً ﴿لِـرَجُلٍ﴾ وهذا مثل الموحّد. وقرأ نافع وابن عامر والكوفيّون: سَلَماً

<sup>(</sup>١) الكهف: ١.

سورة الزمر، آية ٢٩ ..... ٧٧

بفتحتين، مصدر: سَلَم، نعت به. أو على حذف المضاف، أي: ذا سلامة وخلوص لرجل من غير شركة. وتخصيص الرجل لآنة أفطن للضرّ والنفع.

وتوضيح المعنى: أن اضرب يا محمد لقومك مثلاً، فقل لهم: ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كلّ واحد منهم يدّعي أنّه عبده، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه (۱۱) في مهن شتّى ومشاغل كثيرة، وإذا عنت له حاجة تدافعوه، فهو متحيّر في أمره، وقد تشتبت الهموم قلبه، وتوزّعت أفكاره، ولا يدري أيّهم يرضى بخدمته، وعلى أيّهم يعتمد في حاجاته، وفي رجل قد سلم لمالك واحد، وخلص له، فهو معتمد على المالك فيما يصلحه من صنوف الخدمة، فهنّه واحد، وقلبه مجتمع، أيّ هذين العبدين أحسن حالاً وأحمد شأناً؟ روى الحاكم أبو الحسن الحسكاني بالإسناد عن عليّ ﷺ أنّه قال: «أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله ﷺ»(۱).

وروى العيّاشي بإسناده عن أبي خالد، عن أبي جـعفر ﷺ قـال: «الرجــل السلم لرجل علىّ حقّاً وشيعته».

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ صفة أو حالاً. ونصبه على التمييز. ووحد لأنه جنس. والمعنى: هل يستوي هذان الرجلان صفة وشبهاً في حسن العاقبة وحصول المنفعة، أي: لا يستويان، فإن الخالص لمالك واحد يستحقّ من معونته وحياطته ما لا يستحقّه صاحب الشركاء المختلفين في أمره.

﴿الْخَفْدُ بِثِهِ﴾ كلّ الحمد لله الواحد الذي لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه، لأنه المنعم بالذات، والمالك على الاطلاق، أي: يجب أن يكون الحمد والعبادة متوجّهاً إليه وحده، فقد ثبت أنّه لا اله إلا هو.

<sup>(</sup>١) تعاور القوم الشيءَ: تعاطوه وتداولوه.

<sup>(</sup>٢) شواهد التنزيل ٢: ١٧٦ ح ٨٠٧.

وقيل: معناه: احمدوا الله المستحقّ للشكر والثناء على هذا المثل الّذي علَم حمدا المثل الّذي علَم حمدوا الله علَم مناون الله المؤمنين الشبهة، وأوضح لهم الدلالة الهادية. أو احمدوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده، وأخلصتم له الإيمان والتوحيد، فهي النعمة السابغة.

﴿ بَلُ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره من فرط جهلهم.

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيَّوَنَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقَيَامَةِ عِندَ رَبِكُمْ تَخْصَمُونَ ﴿٣١﴾ فَمْ اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدُقَ إِذْ جَآءُهُ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لَلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي جَآءً بِالصَّدُقَ وَصَدَّقَ بِهِ أَلْسَنَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لَلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي جَآءً بِالصَّدُق وَصَدَّقَ بِهِ أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُنَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِهِمْ ذَلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ أُولِيكَ هُمُ الْمُنَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لِيُكَمِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسُواً الذِي عَمِلُوا وَيَجْزِئِهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِئِهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

روي: أنّ المشركين كانوا يتربّصون برسول الله ﷺ موته. فأخبر سبحانه أنّ الموت يعمّهم. فلا معنى للتربّص وشماتة الباقى بالفانى. فقال:

﴿إِنَّكَ مَيْتُ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾ أي: إنّك وإيّاهم وإن كنتم أحياء، فـإنّكم بـصدد الموت وفي عداد الموتى، لأنّ ما هو كائن فكأن قد كان.

والفرق بين الميّت والمائت: أنّ الميّت صفة لازمة كالسيّد، وأمّا المائت فصفة حادثة. تقول: زيد مائت غداً، كما تقول: سائد غداً، أي: سيموت وسيسود. سورة الزمر، آية ٣٠ ــ ٣٥.......٣٥

وإذا قلت: زيد ميَّت، فكما تقول: حيَّ، في نقيضه، فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت.

﴿ دُمُ إِنْكُمْ ﴾ على تغليب المخاطب على الغيب ﴿ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبُّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ فتحتج عليهم بأنّك كنت على الحقّ في التوحيد، وكانوا على الباطل في التشريك، واجتهدت في الارشاد والتبليغ، ولجّـوا في التكذيب والعناد، ويعتذرون بالأباطيل التي لا طائل تحته، بأن يقول الأنباع: أطعنا سادتنا وكبراءنا، ويقول السادات: أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون.

وقيل: المراد به اختصام الجميع، فإنّ الكفّار يخاصم بعضهم بعضاً، حتّى يقال لهم: ﴿ لاَ تَشْقَصِمُوا لَدَيُ ﴾ (١٠). والمؤمنون الكافرين، يبكّنونهم بالحجج. وأهل القبلة يكون بينهم الخصام.

وقال أبو سعيد الخدري: كنّا نقول: ربّنا واحد، ونبيّنا واحد، وديننا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلمّا كان يوم صفّين، وشدّ \_ يعني: حمل \_ بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا.

وعن ابن عمر: كنّا نرى أنّ هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين، وقلنا: كيف نختصم نحن ونبيّنا واحد وكتابنا واحد، حتّى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعلمت أنّها فينا نزلت.

ثمّ بين سبحانه حال الفريقين، فقال: ﴿ فَمَنْ أَطْلَمُ مِئْن كَذَبَ عَلَى اللهِ ﴾ بإضافة الولد والشريك إليه ﴿ وَكَذَّبَ مِالصَّدْقِ ﴾ بالأمر الذي هو الصدق بعينه. وهو ما جاء به محمد عَلَيْتِ ؟ . ﴿ إِذْ جَآءَهُ ﴾ من غير توقّف وتفكّر في أمره، واهتمام بتمييز بين حقّ وباطل، كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون.

ثمّ هدّد سبحانه من هذه صفته بأن قال: ﴿أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوى لِلْكَافِرِينَ﴾ الهمزة للتقرير، أي: يكفيهم ذلك مجازاة لأعمالهم. واللام للعهد، أي: لهؤلاء الذين

<sup>(</sup>۱) ق: ۸۲.

كذبوا على الله وكذّبوا بالصدق. أو لجنس الكفرة. واستدلّ به على تكفير المبتدعة. فإنّهم يكذّبون بما علم صدقه. وهو ضعيف، الأنّه مخصوص بمن فساجأ مما عملم مجىء الرسول به بالتكذيب بلا تفكّر فيه وتمييز.

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ هو رسول الله ﷺ، جاء بالحقّ و آمن به. والمراد هو ومن تبعه، لقوله: ﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُثَقُّونَ ﴾ كما في قوله ﴿ وَلَقَدْ آتَئِنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ نَهْتَدُونَ ﴾ (١٠. أو العراد جنس الرسل والمؤمنين.

وقيل: الذي جاء بالصدق محمّد ﷺ ، وصدّق به عليّ بن أبي طالب ﷺ. وهذا منقول عن مجاهد. ورواه الضحّاك عن ابن عبّاس. وهو المرويّ عـن أئـمّة الهدى من آل محمّد ﷺ.

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ ﴾ من الثواب وأنواع النعيم في الجنّة ﴿ عِنْدُ رَبِّهِمْ ﴾ ينالونه من جهته ﴿ ذَلِكَ جَزْاتُ المُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانهم.

﴿ لِيُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُمْ أَسُواً الَّذِي عَمِلوا ﴾ خصّ الأسوأ للمبالغة، فإنّه إذا كفّر كان غيره أولى بذلك. أو للإشعار بأنّهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنّهم مقصّرون مذنبون، وأنّ ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم. ويجوز أن يكون من قبيل إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل. فيكون الأسوأ بمعنى السيّه، كقولهم: الناقص والأشبح أعدلا بني مروان، يعني: عمر بن عبدالعزيز ومحمّد بس الخليفة عدلان من بينهم.

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ ويعطيهم ثوابهم ﴿ بِالْحَسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فتعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها، في زيادة الأجر وعظمه، لفرط إخلاصهم فيها. والعنى: يجزيهم ثوابهم بالفرائض والنوافل. فهي أحسن أعمالهم، لأنّ المباح وإن كان حسناً فلا يستحق به ثواب ولا مدح.

<sup>(</sup>١) المؤمنون: ٤٩.

أَلْيَسَ اللَّهُ بِكَافَ عَبْدُهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلْيَسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱبْتَقَامٍ ﴿٣٧﴾

روي: أنّ قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ: إنّا نخاف أن تخبّلك آلهتنا، لعببك إيّاها. فنزلت: ﴿الْنَيْسَ اللهُ بِكَافُ عَنْدَهُ﴾ استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات. والعبد رسول الله . ويحتمل الجنس. ويؤيّده قراءة حمزة والكسائي بالجمع. وفسّر بالأنبياء. ﴿وَيَحْوَفُونَكَ﴾ يعني: الأوثان الّـتي اتّخذوها آلهة من دونه.

وقيل: إنّه بعث خالداً ليكسر العرّى بالفأس، فقال له سادنها: أحدِّركها، فإنّ لها شدّة، أي: حملة لا يقوم لها شيء. فعمد إليها خالد فهشم أنفها. فقال الله هذا أليس الله بكافٍ نبيّه أن يعصمه من كلّ سوء، ويدفع عنه كلّ بعلاء في مواطن الخوف؟ فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه، لأنّه الآمر له بما خوّف عليه. وفيه تهكّم بهم، لأنهم خوّفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضرّ. أو أليس الله بكافٍ أنبياءه؟ ولقد قالت أممهم نحو ذلك، فكفاهم الله. وذلك قول هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلّا عَمْتَرَاكَ بَعْضُ

﴿ وَمَنْ يُصْلِلِ الله ﴾ بالتخلية والخذلان حتى غفل عن كفاية الله له ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ يهديه إلى الرشاد. أو من يضلل الله عن طريق الجنّة بكفره وفرط عناده ومعاصيه فليس له هادٍ يهديه إليه. أو من وصف وحكم بأنّه ضالٌ فليس له من يسمّيه هادياً.

<sup>(</sup>١) هود: ٥٤.

۸۲...... زیدة التفاسیر ــج ٦

﴿ وَمَنْ بَهْدِ اللهُ قَمَا لَهُ مِنْ مُضِلِّ ﴾ أي: من يهده الله فاهتدى فلا يقدر أحد على صرفه عنه . أو من يهده إلى طريق الجنّة فلا أحد يضلّه عنها ، إذ لا راد الهمله . كما قال: ﴿ النّهِ اللهُ بِعَوْيَوْ ﴾ غالب قاهر منهم لا يقدر أحد على مغالبته ﴿ ذِي النّبِقَامِ ﴾ ينتقم من أعدائه . وفيه وعيد لقريش ، ووعد للمؤمنين بأنّه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم .

وَكُنْ سَأَلَتُهُم مَّنْ حَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْمُ مَّا تَدْعُونَ من دُونِ اللَّه إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرَّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرَّه أَوْ أَرَادَني بِرَحْمَة هَلْ هُنَّ مُمْسكَاتُ رَحْمَته قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْكُلُ ٱلْمُتَوَّكُلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمُ آعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتَكُمْ إِنِّي عَاملٌ فَسَوُفَ تَعَلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيه عَذَابٌ يُخْزِيه وَيَحلُّ عَلَيْه عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزُلُنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَعَنِ آهُـتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَوَفَى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتَهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتُ في مَنَامَهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى الِنَّ أَجَل مُسَمًّى إنَّ في ذَلَكَ لَآيات لَّقُوم يَتَفَكُّرُونَ ﴿ ٤٢ ﴾ لوضوح البرهان على تفرّده بالخالقيّة ﴿قُلْ أَقْرَائِتُمْ مَا تَذَعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِلَى اللهِ عِلَى اللهُ تحقّقتم أنّ خالق العالم هو الله تعالى ﴿إِنْ أَرَادَتِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنْ كَاشِفَاتُ ضُرّوِ﴾ فيكشفنه ﴿ أَوْ أَرَادَتِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُفْسِكَاتُ رَحْمَةِهِ ﴾ فيمسكنها عليّ.

وقرأ أبو عمرو: كاشفاتٌ ضرَّه.... ممسكاتٌ رحمتَه، بالتنوين ونصب «ضرَّه ورحمتَه» على الأصل.

وإنّما فرض المسألة في نفسه دونهم، الأنهم خوقوه معرّة (١٠) الأوثان، فأمر بأن يقرّرهم أوّلاً بأنّ خالق العالم هو الله تعالى وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير: فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضرّ من مرض أو فقر، أو غير ذلك من النوازل، أو رحمة من صحّة أو غنى أونحوهما، هل هؤلاء اللّاتي خرّفتموني إيّاهنّ كاشفات على ضرّه، أو ممسكات رحمته؟ حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم فلا يجيبوا بكلمة.

وإنّما قال: «كاشفات .... وممسكات» على التأنيث، بعد قوله: «ويخوّفونك بالذين من دونه»، ليضعّفها ويعجّزها زيادة تضعيف وتعجيز عن كشف الضرّ وإمساك الرحمة، لأنّ الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أنّ الذكورة من باب الشدّة والصلابة. كأنّه قال: الإناث اللاتي هنّ اللات والعزّى ومناة أضعف ممّا تدعون لهنّ وأعجز، وفيه تهكم أيضاً.

روي: أنّ النبيّ ﷺ سألهم فسكتوا، فنزل: ﴿قُلْ حَسْمِيَ اللهُ﴾ كــافياً فــي إصابة الخير ودفع الضرّ، إذ تقرّر بهذا التقرير أنّه القادر الّذي لا مانع لما يريده من خير أو شرّ ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكُّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم بأنّ النفع والضرّ منه.

ثمّ هدّدهم بقوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اغْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالاتكم الّتي أنتم عليها، من العداوة الّتي تمكّنتم منها، وعلى قدر جهدكم وطاقتكم في إهـلاكـي. والأمر للتهديد. والمكانة اسم للمكان، استعير للحال، كما استعير «هنا» و«حيث»

<sup>(</sup>١) المعَرَّة: المساءة والإثم.

من المكان للزمان. وقرأ أبوبكر: مكاناتكم. ﴿إِنَّي عَامِلُ﴾ أي: على مكانتي، فحدف للاختصار، والمبالغة في الوعيد، والإشعار بأنَّ حاله لا يقف، فإنَّه تمالى يزيده كلّ يوم قوّة ونصرة. فلذلك توعّدهم بكونه منصوراً عليهم في الدارين، فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيه﴾ فإنّ خزي أعدائه دليل غلبته، وقد أخزاهم الله يوم بدر ﴿وَيَجُلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم. وهو عذاب النار.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ﴾ لأجلهم، فإنّه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم، ولا حاجة لي إلى ذلك، فإنّي أنا الفنيّ ﴿ بِالْحَقّ ﴾ متلبّساً به، وليس فيه شيء من الباطل رأساً ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى ﴾ فمن اختار الهدى ﴿ فَلِنَفْسِهِ ﴾ أي: فقد نفع به نفسه ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ ومن اختار الضلالة ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا ﴾ فقد ضرّها، فإنّ وباله لا يتخطّ ها ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم فِوَكِيلٍ ﴾ وما وكّلت عليهم لتجبرهم على الهدى، فإنّ التكليف مبنيّ على الاختيار دون الإجبار، وإنّما أمرت بالبلاغ وقد بلّغت، وجزاء أعمالهم على الذي يقدر على إماتتهم وإحيائهم وحفظ أعمالهم، وهو الله سبحانه.

كما قال: ﴿اللهُ يَتَوَقَّى الأَنْفُس حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يقبضها عن الأبدان، بأن يقطع تعلقها عنها، وتصرّفها فيها ظاهراً وباطناً عند موتها، أي: موت أبدانها في ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُثْ فِي مَنَامِهَا﴾ ويقبضها عن الأبدان، ويقطع تعلقها عنها وتصرّفاتها في النوم، فالنوم شبيه بالموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الّذِي يَتَوَقَّاكُمْ بِالنّذِلِ﴾ (١١ حيث لا يعيّرون ولا يتصرّفون، كما أنّ الموتى كذلك ﴿فَيَعْسِكُ﴾ الأنفس ﴿النّبي قَضَىٰ عَلَيْهَا المَوْنَ﴾ الحقيقي، ولا يردها إلى البدن إلى يوم القيامة. وقرأ حمزة والكسائي: قُضِيَ، بضمّ القاف وكسر الضاد، والموت بالرفع. ﴿وَيُرْسِلُ الأَخْوَىٰ﴾ أي: الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة ﴿إلَىٰ أَجَلٍ مُسَمَّى﴾ وقت مضروب لموته، وهو غاية جنس الإرسال.

<sup>(</sup>١) الأنعام: ٦٠.

وقريب منه ما روي عن ابن عبّاس: أنّ في بني آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس. فالنفس الّتي بها العقل والتمييز، والروح الّتي بها النفس والحـياة. فيتوفّيان عند العوت. وتتوفّى النفس وحدها عند النوم.

وروى العيّاشي بالإسناد عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن ثابت أبسي المقدام، عن أبيه. عن أبي جعفر على قال: «ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السماء، وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس. فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في ردّ الروح أجابت النفس الروح. وهو قوله: ﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها ﴾ الآية».

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ من التوفّي والإمساك والارسال ﴿ لَآيَاتِ﴾ دالّة عـلى كـمال قدرته وحكمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكُرُونَ﴾ يجيلون أفكارهم في كـيفيّة تـملّقها بـالأبدان، وتوفّيها عنها بالكليّة حين الموت، وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها، والحكمة فـي توفّيها عن ظواهرها، وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفّي آجالها.

أَمْ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شَمْعَآءَ قُلْ أَوَلُوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلاَ يَعْقَلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ قُل لِلهِ الشَّفَاءَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ أَمِ التَّخَذُوا﴾ بل اتّخذت قريش. والهمزة للإنكار. ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ من دون إذنه ﴿ شُفَعَاتَهُ تشفع لهم عند الله، حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ قُلُ أَوْلَوْ كَانُوا﴾ أي: أيشفعون ولو كانوا ﴿ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾ قطَّ حتّى ملكوا الشفاعة ﴿ وَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ ولا عقل لهم، لأنّهم جمادات، فلا يقدرون ولا يعلمون. ﴿ قُلُ شِهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾ لا يستطيع أحد شفاعته إلا بإذنه. ثـم قـرر ذلك فقال: ﴿ لَهُ مُلكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإنّه مالك الملك كلّه، لا يملك أحد أن يتكلّم في أمره دون إذنه ورضاه ﴿ مُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة، ولا يكون الملك في ذلك اليوم إلاّ له، فله ملك الدنيا والآخرة.

وَإِذَا ذَكُرَ اللَّهُ وَحْدَهُ آشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿ ٤٥﴾

ثمّ أخبر سبحانه عن سوء اعتقادهم وشدّة عنادهم، فقال: ﴿ وَإِنّا ذَكِرَ اللهُ وَحَدُهُ ﴾ أي: إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم، بأن قبل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ الشّمَازَتُ ﴾ انقبضت ونفرت ﴿ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ اللهِ معهم أم لم يدكر ﴿ إِنّا هُمُ اللَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني: آلهتهم، سواء ذكر الله معهم أم لم يدكر ﴿ إِنّا هُمْ يَسْتَنْشِرُونَ ﴾ لفرط افتتانهم بها، ونسيانهم حقّ الله إلى هواهم فيها. ولقد بالغ في الأمرين حتّى بلغ الفاية فيهما، فإنّ الاستبشار أن يمتلىء القلب سروراً حتّى تنبسط بشرة الوجه، والاشمئزاز أن يمتلىء غمّاً وغيظاً يظهر الانقباض في أديم الوجه، والعامل في «إذا ذكر» المفاجأة، تقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار.

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بُينَ عَبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلُفُونَ ﴿٤٦﴾

ولمّا بيّن أدلّة التوحيد بالطريق المذكور فلم ينظروا فيها، أمر نبيّه أن يحاكمهم إليه ليفعل بهم ما يستحقّونه، فقال: ﴿ قُلِ اللَّهُمُ قَاطِرُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يا خالقهما ومنشئهما ﴿ عَالِمَ الْفَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ﴾ يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق، وعالم ما شهدوه وعلموه.
يعني: التجيء إلى الله بالدعاء، فإنّه القادر على الأشياء، والسالم بالأحوال كلّها
﴿ أَنْتَ تَحْتُمُ بَيْنَ عَبِالِكَ ﴾ فأنت وحدك تقدر أن تحكم بينهم يوم القيامة أو الدنيا
﴿ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ في أمر دينهم ودنياهم، وتفصل بينهم بالحقّ في
الحقوق والمظالم، فاحكم بيني وبين قومي بالحقّ. وفيه وصف لحالهم، وإعذار
له تَلْبُينَ و وسليلة له، وبشارة للمؤمنين بالظفر والنصر، ووعيد للمشركين، لأنّه
سبحانه إنّما أمره اللهناقي به للإجابة لا محالة.

وعن سعيد بن المسيّب أنّه قال: إنّي لأعرف موضع آية لم يقرأها أحد قطّ. فسأل الله تعالى شيئاً إلّا أعطاه. وقرأ هذه الآية.

وعن الربيع بن خثيم \_ وكان قليل الكلام \_ : أنّه أخبر بقتل العسمين ﷺ \_ وسخط على قاتله \_ وقالوا: الآن يتكلّم، فما زاد على أن قال: آو أوقد فعلوا؟ وقرأ هذه الآية. وروي: أنّه قال على أثره: قتل من كان ﷺ يجلسه في حجره، ويضع فاه على فيه.

وَلُوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَسِمًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْفَيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا كُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَنَيْنَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ هِيمٍ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

ثمّ أخبر سبحانه عن وقوع العذاب الأليم والعقاب العـظيم بـالكفّار. وعـن إقناط كلّى لهم من الخلاص. فقال:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ طَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ ﴾ زيادة عليه ﴿ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوّءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ وقد مضى تفسيره ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ وظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ﴿ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ من الخلاص. وهمذا وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدّته. وهو نظير قوله في الوعد: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِيَ لَهُمْ مِن قُرَّةٍ أَعْيُنَ ﴾ (١٠).

والمعنى: وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قطّ في حسابهم، ولم يحدّثوا به نفوسهم.

وقيل: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيِّئات.

وعن سفيان الثوري: أنّه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء. وجزع محمّد بن المنكدر عند موته فقيل له: فقال: أخشى آيــة مــن كــتاب الله. وتلاها، ثمّ قال: أنا أخشى أن يبدوا لى من الله فى ذلك ما لم أحتسبه.

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّنَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ «ما» موصولة، أي: جزاء سيّات أعمالهم. أو مصدريّة، أي: جزاء سيّات أعمالهم. أو مصدريّة، أي: سيّات كسبهم حين تعرض صحائفهم، وكانت خافية عليهم، كقوله: ﴿ الحَصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ (٣). أو أراد بالسيّات أنواع العذاب الّتي يجازون بها على ما كسبوا. فستّاها سيّات، كما قال: ﴿ وَجَزَآءُ سَيِّنَةً مِسْتُغَةً مِثْلُهُ ﴾ (٣).

﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ وأحاطَ بهم ﴿ مَا كَانُوا هِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ جزاء هزئهم بما ينذرهم النبي ﷺ ، منا كانوا ينكرونه ويكذّبون به.

فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلَنَاهُ نِعْمَةً مِّنَا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمِ بَلْ هِيَ فِئْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يُعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن

<sup>(</sup>١) السجدة : ١٧ .

<sup>(</sup>٢) المجادلة: ٦.

<sup>(</sup>٣) الشورى: ٤٠.

قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ ٥٠ ﴾ فَأَصَابُهُمْ سَيْبَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَوُلاً ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيْبَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿ ٥٠ ﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُواَ أَنَّ اللَّهَ يُبِسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٥٢ ﴾

ثمّ أخبر عن مناقضتهم وتعكيسهم في التسبّب، بأنّهم يشمئزّون عن ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر الآلهة، مع أنّهم في حالة الضرّ كانوا يـدعون الله وحــده ويذرون آلهتهم. فقال عطفاً على قوله: «رَإِذَا ذكر الله وحده»:

﴿ فَإِذَا مَسُ الْإِنسَانَ ضُورٌ دَعَاناً﴾ أي: دعا من اشمأزٌ عن ذكره دون من استبشر بذكره. وما بين المعطوف والمعطوف عليه اعتراض مؤكّد لإنكار ذلك عليهم. والسبب في عطف هذه الآية بالفاء السببيّة، وعطف مثلها في أوّل السورة (١) بالواو: أنَّ هذه وقعت تعكيساً في التسبّب.

﴿ ثُمُّ إِذَا خُوْلْنَاهُ ﴾ أعطيناه ﴿ نِفْمَةُ ﴾ من الصحّة والسعة في الرزق وغير ذلك، تخويلاً صادراً ﴿ مِثَا﴾ تفضّلاً، فإن الشخويل مختصّ بالتفضل، يقال: خوّلني إذا أعطاك على غير جزاء ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيقُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ على علم منّي بوجوه كسبه. كما قال قارون: ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٢) يعني: الكيمياء. أو على علم من الله بي واستحقاقي. والهاء لهما ، إن جعلت موصولة. وإن جعلت كافّة فللنعمة. وتذكيره ذهاباً إلى المعنى، لأنّ معنى قوله: «نعمة منّا» شيئاً

<sup>(</sup>١) الزمر : ٨.

<sup>(</sup>٢) القصص: ٧٨.

من النعمة وقسماً منها.

ثمّ ردّ ما قاله بقوله: ﴿ بَلْ هِيَ فِئْلَةَ ﴾ أي: استحان واخـتبار له أيشكـر أم يكفر؟ لنجازي بحسبها. وتأنيث الضمير باعتبار لفيظ النـعمة أو الخـبر. ﴿ وَلَكِنُ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَطْلُمُونَ ﴾ ذلك. وهو دليل على أنّ الإنسان للجنس.

﴿ قَدْ قَالَهَا النَّذِينَ مِنْ قَلِهِمْ ﴾ الهاء لقوله: «إنّما أوتيته على علم» لأنّها كلمة أو جملة أو مقالة. «والذين من قبلهم» قارون وقومه، حيث قال: ﴿إِنْمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِنْدِي﴾ ورضي له قومه، فكأنّهم قالوها. ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها. ﴿قَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَضْبِبُونَ ﴾ من متاع الدنيا ويجمعون منه.

﴿ فَاصَابَهُمْ سَيُّنَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ جزاء سَيّنات أعمالهم، أو جزاء أعمالهم. وسمّاه سيّنة لانّه في مقابلة أعمالهم السيّنة، رمزاً إلى أنَّ جميع أعمالهم سيّنة. ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالمترّ ﴿ وَلَ هَوُلآ هِ ﴾ المشركين. و«من» للبيان أو للتبعيض. ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالمترّ ﴿ وَمَا أصاب أولئك. وقد أصابهم، فإنّهم قحطوا سبع سنين، وقتل ببدر صناديدهم. ﴿ وَمَا هُمْ يِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين، بأن يعجزوا الله بالخروج من قدرته.

﴿ أَوْلَمُ يَطْلَمُوا أَنَّ اللهُ يَئِشُطُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَامُ وَيَقْبِرُ ﴾ حيث حبس عنهم الرزق سبعاً، تقم الرزق سبعاً، تحسب ما يعلم من المصلحة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ لدلالات واضحات ﴿ يَقْوَم يُوْمِنُونَ ﴾ بذلك.

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْسُهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا . إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣٥﴾ وَأَنْيَبُولَ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴿ ١٥﴾ وَاتَّبُعُواَ أَحْسَنَ مَا آنْزِلَ إِلَيكُم مِن رَّبِكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيكُمُ العَذَابُ بَغْنَةً وَأَتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴿ ٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرتَى علَى مَا فَرَطتُ فِي جَنبِ اللّه وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿ ٢٥﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿ ٧٥﴾ أَوْ تَقُولَ حَيِنَ تَرَى الْهَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٨٥﴾ بَلَى قَدُ جَآءَتُكَ آيَاتِي فَكَذَبَّتِ بِهَا وَآسُنَكُمْرُتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ ١٥﴾

روي: أنّ أهل مكّة قالوا: يزعم محمّد أنّ من عبد الوثن وقتل النفس بغير حقّ لم يغفر له، فكيف نغفر ولم نهاجر، وقد عبدنا الأوثان وقتلنا الأنفس؟! فنزلت:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ النَّذِينَ السَّرَقُوا عَلَىٰ السَّسْبِهِ ﴾ أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي والتوغّل فيها. وقد مرّ(١) من قبل في هذه السورة \_ حيث فسّرنا قوله تعالى: «ولايرضى لعباده الكفر» \_ قول الفاضل النيشابوري في تعييم العباد وتخصيصه في هذه الآية، ونعيده هنا لتحقيق المقام. قال: «ثمّ إن قلنا: العباد عامّ فالإسراف على النفس يعمّ الشرك، ولا نزاع أنّ عدم اليأس من الرحمة يكون مشروطاً بالتوبة والإيمان. وإن قلنا: العباد المضاف في عرف القرآن مختصّ بالمؤمنين، فالإسراف إمّا بالصغائر، ولا خلاف في أنّها مكفّرة ما اجتنب الكبائر.

<sup>(</sup>١) راجع ص ٥٨ ذيل الآية (٧) من هذه السورة.

وإمّا بالكبائر وحينئذٍ يبقى النزاع بين الفريقين، فالمعتزلة شرطوا التوبة، والأشاعرة العفو»(١).

﴿ لاَ تَقْتَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ لا تماسوا من معفرته ﴿إِنَّ اللهُ يَعْفِيلُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ يعني: بشرط التوبة. وقد تكرّر ذكر هذا الشرط في القرآن، فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه، لأنَّ القرآن في حكم كلام واحد، ولا يجوز فيه التناقض. فإن مات الموحّد الفاسق من غير توبة فهو في مشيئته، إن شاء عذّبه بعدله، وإن شاء غفر له بفضله، كما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءَ﴾ (٣/ ﴿إِنْهُ هُو الْغَقُورُ الرَّحِيمُ ﴾ على المبالغة وإفادة الحصر.

واعلم أنّ في الآية اثني عشر شيئاً يدلّ كلّ واحد منها على الرجماء عملى مغفرة جميع الذنوب:

الأوّل: إضافة العباد إلى ذاته المستلزمة للرحمة والشفقة.

والثاني: إيثار «أسرفوا» على: عصوا، فإنَّ ذكر العصيان مشعر على القهر.

والثالث: إيثاره على: أخطأُوا، فإنّ «أسرفوا» مشتمل على رفق العتاب دون الاخطاء.

والرابع: النهي عن القنوط من رحمته المستلزم لتحريم اليأس من المغفرة.

الخامس: تعليله بأنَّ الله يغفر الذنوب.

السادس؛ وضع اسم الله موضع الضمير، ليكون إسناد المغفرة إلى صريح اسمه.

السابع: استيعاب المغفرة بجميع الذنوب، بإيراد صيغة الجمع المحلّى باللام. لا ببعض غير بعض.

<sup>(</sup>١) غرائب القرآن ٦: ١٠.

<sup>(</sup>٢) النساء: ٨٨.

سورة الزمر، آية ٥٣ ــ ٥٩.......٩٠

الثامن: تأكيده بلفظ «جميعاً».

التاسع: إيراد كلمة «إنّ» المفيدة للتأكيد.

العاشر: إيراد ضمير الفصل بين الاسم والخبر الّذي يفيد الحصر.

الحادي عشر: تقديم المغفرة على الرحمة، لشدّة عنايته بها.

الثاني عشر: ختم الآية بالرحمة دون بواقي الصفات.

روي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أَنَّه قال: «ما أحبّ أَنَّ لِي الدنيا وما فيها بهذه الآية. فقال رجل يا رسول الله: ومن أشرك؟ فسكت ساعة، ثمّ قال: ألا ومن أشرك، ثلاث مرّات». وعلى هذا يكون مخصوصاً بشرط الإيمان.

وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: «ما في القرآن آية أوسع رحمة من «يا عبادي الّذين أسرفوا» الآية».

قيل: إنّ الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة حين أراد أن يسلم، وخاف أن لا تقبل توبته. فلمّا نزلت الآية أسلم. فقيل: يا رسول الله هذه له خاصّة أو للمسلمين عامّة ؟ فقال: «بل للمسلمين عامّة».

وفي سبب نزولها دلالة على أنّ المففرة مشروطة بالتوبة. وكذا يدلٌ عليها أنّه سبحانه دعا عباده إلى التوبة بعد هذه الآية، وأمرهم بالإنابة، فقال: ﴿ وَأَنْفِئُوا إِلَىٰ وَبُكُمُ ﴾ وانتقادوا له بالطاعة، وأخلصوا له العمل ﴿ وَسُنِلُوْل لَهُ ﴾ وانتقادوا له بالطاعة، وأخلصوا له العمل ﴿ وَنْ قَبْلِ أَنْ يَاتِيْكُمُ الْعَذَابُ ثُمٌّ لاَ تُنْصَرُونَ ﴾ عند نزول العذاب بكم. فذكر الإنابة على أثر المغفرة، لنّلاً يطمع طامع في حسولها بغير توبة، ويرتكب المعصية اتكاءً على ظاهر الآية المتقدّمة.

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، فمن أتى بالمأمور به، وترك المنهيّ عنه، فقد اتّبع أحسن ما أنزل. أو اتّبعوا الواجبات والمندوبات الّتي هي الطاعات دون المباحات. وقيل: المراد العزائم دون الرخص، أو الناسخ دون المنسوخ. وهذا مثل قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَبِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَهُ﴾ (١). ﴿مِنْ قَبْلِ أَن يَاتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَـ غَتَهُ﴾ ضجأة ﴿وَاسْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ بمجيئه، أي: لا تعرفون وقت نزوله بكم فتتداركوا.

﴿ أَن تَقُولَ نَفُسٌ ﴾ كراهة أَن تقول. وتنكير «نفس» لأنّ القائل بعض الأنفس، وهي نفس الكافر. ويجوز أَن يراد نفس متميّزة من الأنفس، إمّا بفرط لجاج في الكفر وشدّة عناد في الطغيان، أو بعذاب عظيم وعقاب أليم. أو يراد به التكثير. ﴿ يَا حَسْرَتَيْنَ ﴾ يا ندامتي ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ ﴾ بما قصّرت. و«ما» مصدريّة، مثلها في ﴿ بِمَا رَحُبُتُ ﴾ (٣). والمعنى: على تقصيري. ﴿ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ في جانبه، أي: في حقّه، وهو طاعته. وقيل: في ذاته، على تقدير مضاف كالطاعة. وقيل: في قربه وجواره، ومنه قوله وجواره، وهو الجنّة. يقال: فلان في جنب فلان، أي: في قربه وجواره، ومنه قوله تمالى: ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾ (٣). فيكون المعنى: على ما فرّطت في طلب جواره وقربه.

وروى العيّاشي: بالإسناد عن أبي الجارود، عن أبي جـعفر ﷺ أنّـه قـال: «نحن جنب الله».

﴿ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِوِينَ ﴾ وإنِّي كنت لمن المستهزئين بالقرآن والنبيً والمؤمنين. ومحل «إن كنت» نصب على الحال، كأنَّه قال: فرّطت وأنا ساخر، أي: فرّطت في حال سخريّتي.

وروي: أنّه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق، وأتاه إبليس وقال له: تمتّم من الدنيا ثمّ تب، فأطاعه، وكان له مال فأنفقه في الفجور، فأتـاه مـلك

<sup>(</sup>١) الزمر: ١٨.

<sup>(</sup>٢) التوبة: ٢٥.

<sup>(</sup>٣) النساء: ٣٦.

الموت في ألّذ ما كان، فقال: يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله، ذهب عمري في طاعة الشيطان، وأسخطت ربّي، فندم حين لم ينفعه الندم، فأنزل الله خبره في القرآن.

﴿ أَوْ نَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهُ هَدَائِي ﴾ بالإرشاد إلى الحقّ ﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَقِينَ ﴾ سن الشرك والمعاصي. ولا يخلو: إمّا أن يريد به الهداية بالإلجاء، أو بالألطاف، أو بالوحي. والأوّل خارج عن المصلحة والحكمة، لمنافاته التكليف الذي هو مدار الشرع عليه. والآخران قد حصلا لكنّه لم ينظر إليه وأعرض عنه، لأجل اشتغاله بالذنيا والأناطيل.

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في العقيدة والعمل. و«أو» للدلالة على أنّه لا يخلو من هذه الأقوال تحيّراً وتعلّلاً بما لا طائل تحته، كما حكى عنهم الثعلّل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك. ونحوه: ﴿ لَوْ هَذَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ﴾ (١).

فرد الله عليه قوله: «لو أنّ الله هدائي» المتضمّن معنى النفي، فقال: ﴿ بَلَىٰ قَذَ جَاهَتُكَ آيَاتِي﴾ أي: قد هديت بالوحي ﴿ فَكَذَبْتُ بِهَا وَالسّتَكَبْرْتُ ﴾ عن قبولها ﴿ وَكُذْتُ مِنَ الْعَافِوينَ ﴾ وآثرت الكفر على الإيمان، والضلالة على الهدى. وتذكير الخطاب على المعنى. فهذه الآية جواب قوله: «لَوْ أنّ الله هَدَانِي»، وحقّها أن تذكر متصلة به، لكن فصل بينهما، لأنّ تقديمه يفرّق القرائن الثلاث، وتأخير المردّد يخلّ بالنظم المطابق للواقع، لأنّه يتحسر على النفريط في الطاعة، ثمّ يتعلّل بفقد الهداية، ثمّ يتمنّى الرجعة، فكان الصواب ماجاء عليه، وهو المحاق، ثمّ أقوال النفس على ترتيبها ونظمها، ثمّ أجاب من بينها عمّا اقتضى الجواب.

<sup>(</sup>١) إبراهيم: ٢١.

وَيُوْمَ الْقَيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسُودَةٌ أَلْيسَ فِي جَهَنَّمَ مَنْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَزَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ﴾ بأن وصفوه بما لا يجوز عليه، وهو متعالِ عنه . فأضافوا إليه الولد والشريك، وقالوا: ﴿ هَـوُ تَوْم شُـفَعَآ وُنَا ﴾ (١). وقالوا: ﴿ وَاللهُ اَمْزِنَا بِهَا ﴾ (٣). ولا يبعد عنهم قوم ينسبون القبائح إليه، ويجوزون أن يخلق خلقاً لا لغرض، ويؤلم لا لعوض، ويكلّف ما لا يطاق، ويجسّمونه بكونه مرئيّاً معايناً مدركاً بالحاسة، ويثبتون له قدماً ويذاً وجنباً، ويجعلون معاني قدماء، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

﴿ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدُهُ ﴾ بما ينالهم من الشدّة، أو بما يتخيّل عليها من ظلمة الجهل. والجملة حال، إذ الظاهر أن «ترى» من رؤية البصر. واكتفى فيها بالضمير عن الواو. ويحتمل أن يكون من رؤية القلب. فهو مفعول ثانٍ لدرسي».

﴿ اَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوئَ﴾ مقام ﴿لِلمُثَعَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان والطاعة. والاستفهام تقرير، لأنهم يرون كذلك.

وروى العيّاشي بإسناده عن خثيمة قال: «سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: من حدّث عنّا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً، فإن صدق علينا فإنّما يصدق على الله وعلى رسوله، وإن كذب علينا فإنّما يكذب على الله وعلى رسوله، لأنّا إذا حدّثنا لا

<sup>(</sup>١) يونس: ١٨.

<sup>(</sup>٢) الزخرف: ٢٠.

<sup>(</sup>٣) الأعراف: ٢٨.

سورة الزمر، آية ٦٦٠......٩٧

نقول: قال فلان وقال فلان. بل إنّما نقول: قال الله وقال رسول الله. ثمّ تــلا هــذه الآية: «ويَوْمَ القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة». ثمّ أشار خثيمة إلى أذنيه. فقال: صمّتا إن لم أكن سمعته».

وعن سورة بن كليب قال: سألت أبا جعفر الله عن هذه الآية فقال: «كلّ إمام انتحل إمامة ليست له من الله. قلت: وإن كان علويّاً؟ قال: وإن كان علويّاً. قلت: وإن كان فاطميّاً؟ قال: وإن كان فاطميّاً».

وَيُنجِي اللَّهُ الَّذِينَ آَقَوا بِمَفَازَةِمِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوَءُ وَلاَ هُمُ يَحْنَوُنَ﴿٦١﴾

ولمّا أخبر سبحانه عن حال الكفّار، عقّبه بذكر حال الأتقياء الأبرار. فقال:

﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتّقَوْا ﴾ معاصيه ﴿ مِعَقَارَتِهِمْ ﴾ بسبب فلاحهم. مفعلة من الفوز. يقال: فاز بكذا، إذا أفلح به وظفر بمراده منه. أو بسبب منجاتهم، من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَتُهُمْ بِمَقَارَةٍ مِنَ الْعَدَابِ ﴾ (١١، أي: بمنجاة منه. وقرأ الكوفيّون غير حفص بالجمع، تطبيقاً له بالمضاف إليه. والباء صلة لاينجيّ»، أو لقوله: ﴿ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ﴾ المكروه والشدّة ﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وهو حال، أو استثناف لبيان المفازة. كأنه قبل: وما مفازتهم؟ فقيل: لا يمسّهم السوء، أي: ينجّهم بنفي السوء والحزن عنهم، والنجاة من أعظم الفلاح، وسبب نجاتهم العمل الصالح، ولهذا فسر اسن عنها، المفازة بالأعمال الحسنة، من قبيل تسمية المسبّب باسم السبب، ولا شبهة أن العمل الصالح سبب الفلاح، وهو دخول الجنّة.

<sup>(</sup>١) آل عمران: ١٨٨.

اللَّهُ حَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿ ٢٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ ٦٣﴾

ولمّا ذكر الوعد والوعيد بيّن أنّه القادر على كلّ شيء بقوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ محدث كلّ شيء ومبدعه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ وَكِيلُ﴾ مدبّر حافظ يتولّى التصرّف فيه.

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا يملك أمرها ولا يتمكّن من التصرف فيها غيره. وهبو كناية عن قدرته وحفظه لهما. وفيها مزيد دلالة على الاختصاص، لأنّ الخزائن لا يدخلها ولا يتصرّف فيها إلاّ من بيده مفاتيحها. ولا واحد لها من لفظها. وقيل: جمع مقليد أو مقلاد، من: قلدته إذا ألزمته. وقيل: جمع إقليد معرّب إكليد على الشذوذ، كمذاكيس. فالتعريب أحالها عنة.

وسئل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: «تفسيرها: لا إله إلا الله , والله أكبر، وسبحان الله وسبحان الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، هو الأوّل والآخر، واللطاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كلّ شيء قدير». والمعنى على هذا: أنّ لله هذه الكلمات، يوحّد بها ويمجّد، وهي مفاتيح خير السماوات والأرض، من تكلّم بها أصابه.

﴿ وَالَّذِينَ كَقُرُوا بِآيَاتِ اللهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ متّصل بقوله: «وينجّي الله الذين اتقوله: وينجّي الله الذين اتقوله، والله عنى: وينجّي الله المتتقين بمفازتهم، والله ينهما العتراض للدلالة على أنّه هو خالق الأشياء كلّها، ومهيمن على العباد، مظلع على أفعالهم، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وما

وحقّ النظم أن يقال: ويحشر الّذين كفروا إلى النار. لكــن غـيّر للــتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد، قضيّة للكرم.

وعلى التفسير الثاني متصل بقوله: «له مقاليد السّموات والأرض». على معنى: أنّ من له المقاليد يليق بأن يؤمن به وبآياته، لينال خير الدارين. فمن كفر به يكون خاسراً، لأنّهم يخسرون على أنفسهم الجنّة ونعيمها، ويصلون النار وسعيرها. وعلى هذا التفسير: المراد بآيات الله كلمات توحيده وتمجيده. وتخصيص الخسار بهم، لأنّ غيرهم ذو حظّ من الثواب والرحمة.

قُلْ أَفَغَيْرَ اللّهِ تَأْمُونِيّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِنَ الشّاكِرِينَ ﴿١٦﴾

﴿ قُلُ الْفَقَيْنَ اللهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ منصوب ب«أعبد» أي: أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد؟ وقوله: «تأمروني» اعتراض. ومعناه: أفغير الله أعبد بأمركم؟ وذلك حين قال له المشركون عقيب ذلك: استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك، لفرط غباوتهم. ويجوز أن ينتصب بما دل عليه «تأمروني أعبد» لأنّه بمعنى: تعبدونني وتقولون لي أعبد. على أنّ أصله: تأمرونني أن أعبد، فحذف «أن» ورفع الفعل، كقوله: ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغي(١٠).

وقرأ ابن عامر: تأمرونني، بإظهار النونين على الأصل. ونافع بحذف الثانية. فإنها تحذف كثيراً.

<sup>(</sup>١) لطرفة بن العبد. وعجزه: وأن أشهد اللذَّات هل أنت مخلَّدي

ثمّ قال لنبيّه ﷺ قطعاً لطمع الكفّار فيما قالوا له: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ من الرسل ﴿ لَيْنَ الْمُرَكَّتَ لَيَخْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ كلام على سبيل فرض المحال، والأمر المحال يصحّ فرضه لغرض من الأغراض. ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُهُمْ جَمِيعاً ﴾ (١١). يعني: على سبيل الإلجاء، ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه، ووجود الصارف عنه. والفرض هاهنا من هذا الفرض تهييج الرسل، وإقناط المرسلين عنهم، وإشمار على تهديد الأمّة على الإشراك. وإفراد الخطاب باعتبار كلّ واحد. واللام الأولى موطّئة للقسم المحذوف، والثانية للجواب. وهذا الجواب سادٌ مسدّ الجوابين، أعني: جوابي القسم والشرط.

وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم، لأنّ شركهم أقبح. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِذَا لَاَنْقَنَاكُ ضِغْفَ الْحَيَاةِ وَضِغْفُ الْمَمَاتِ﴾ (٣). وأن يكون على التقييد بالموت، كما صرّح به في قوله: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن بِينِهِ فَيَعُتْ وَهُوَ كَافِرُ عَلَى المَعْنَاتُ القول بالإحباط على ما فَلُو اللّه عَلَى الله أهل الوعيد، لأنّ المعنى فيه الله يدلّ على صحّة القول بالإحباط على ما يدلّ على عبادة الله غيره - من الأصنام وغيرها - وقمت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به . ولأجل ذلك وصفها بأنّها محبطة ، إذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله لاستحق عليها الشواب. وعطف المسبّب على السبب.

ثمّ ردّ ما أمروه به من استلام بعض آلهتهم بقوله: ﴿ يَلِ اللهُ فَاعَبُدُ ﴾ كأنّه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله. فحذف الشـرط. وجـعل

<sup>(</sup>۱) يونس: ۹۹.

<sup>(</sup>٢) الإسراء: ٧٥.

<sup>(</sup>٣) البقرة: ٢١٧.

سورة الزمر، آية ٦٧......١٠١

تقديم المفعول عوضاً منه. ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِدِينَ﴾ إنعامه عليك. وفـيه إشـارة إلى موجب اختصاص العبادة له.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضُتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيًاتٌ بِبَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٧﴾

ولمّا كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الانسبان حتّى معرفته، وقـدّره في نفسه حتّى تقديره، عظّمه حتّى تعظيمه، قـيل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ مَتَّى قَدْرِهِ ﴾ أي: ما قدروا عظمته في أنفسهم حتّى عظمته، حيث جعلوا له شركاء، ووصفوه بما لا يليق به.

ثمّ قال: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّمْوَاتُ مَطْوِيَاتُ بِيَمِينِهِ ﴾ تنبيهاً على عظمته، وحقارة الأفعال العظام الّتي تتحيّر فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أنّ تخريب العالم أهون شيء عليه، على طريقة التمثيل والتخييل، من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً.

والقبضة المرّة من القبض، كقوله: ﴿فَقَيَضْتُ هَنِضَةٌ مِن أَخَرِ الرَّسُولِ﴾ (١). أطلقت بمعنى القبضة، وهي المقدار المقبوض بالكفّ، تسمية بالمصدر، أو بتقدير: ذات قبضة.

وتأكيد الأرض بالجميع لأنّ المراد بها الأرضون السبع، أو جميع أسعاضها البادية (٢) والغائرة.

والطيِّ: ضدَّ النشر، كما قال تعالى: ﴿ يَسُومَ نَطُوى السَّمَاءَ كَطَيُّ السُّجِلِّ

<sup>(</sup>۱) طّه: ۹٦.

<sup>(</sup>٢) البادية : الصحراء . والغائرة : ما انحدر واطمأنٌ من الأرض .

۱۰۲ ..................زیدة التفاسیر ــج ٦. بِلْكُتُنُهُ﴾(۱).

وذكر اليمين مبالغة في الاقتدار، لأنَّ معظم القدرة يصدر منه. وهذا كما قال: ﴿ أَقُ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ ﴾ (٢٠) أي: ما كانت تحت قدرتكم. وليس على معناه الحقيقي، إذ ليس الملك يختصّ باليمين دون الشمال وسائر الجسد.

وكذلك حكم ما يروى: «أنّ حبراً من الأحبار جاء إلى رسول الله تَلَيُّتُو فقال: يا أبا القاسم إنّ الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، وسائر الخلق على أصبع. ثمّ يهزّهن فيقول: أنا الملك، أين المتكبّرون والجبّارون؟ فمضحك رسول الله تَلَيُّوُ تعجّباً منا قال، ثمّ قرأ تصديقاً له: ﴿ وما قدروا الله حقّ قدره ﴾ (٣).

وإنّما ضحك أقصح العرب وتعجّب، لأنّه لم يفهم منه إلّا ما يفهمه علماء البيان، من غير تصوّر إمساك ولا أصبع ولا هزّ ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أوّل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة الّتي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأنّ الأفعال العظام الّتي تتحيّر فيها الأذهان ولا تكتنهها الأوهام، هيّنة عليه هوانـاً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه، إلّا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل. ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات، من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكـتب السـماويّة وكلام الأنبياء.

﴿ سُنِحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ما أبعد من هذه قدرته وعظمته، وما أعلاه عن إشراكهم. أو عمّا يضاف إليه من الشركاء.

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ١٠٤.

<sup>(</sup>۲) النساء: ۳.

<sup>(</sup>٣) انظر صحيح البخاري ٦: ١٥٧.

وَنُفِحَ فِي الصَّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءً اللَّهُ ثُمَّ فَيَحَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُم قَيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ ١٨ ﴾ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ شِكَاءً اللَّهُ ثُمَّ فَيْحَ الْكَثَابُ وَجِيَءً بِالنَّبِينَ وَالشُّهَدَآءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمُ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ ١٨ ﴾ لِلْكُونَ ﴿ ١٨ ﴾ لِلْكُونَ ﴿ ١٨ ﴾ .

﴿ وَنَفِخَ فِي الصَّورِ ﴾ يعني: المرّة الأولى. وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل. ووجه الحكمة في ذلك أنّها علامة جعلها الله تعالى ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف، فشبّه ذلك بما يتعارفوه من بوق الرحيل والنزول.

﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمْوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ خرّوا ميّتاً، أو مغشيّاً عليهم من شدّة تلك الصيحة. يقال: صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة. ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ الللهُ ﴾ قيل: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فإنهم لا يموتون بهذه الصيحة بعد. وقيل: حملة العرش.

وعن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ: «أنّه سأل جبرئيل عن هذه الآية من الّذي لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش».

﴿ فَمُ نُفِحَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ نفخة أخرى. وهي تدلّ على أنّ العراد بالأولى نفخة واحدة، كما نصّ به في مواضع (۱) أخر. وقال قتادة: إنّ ما بين النفختين أربعين سنة. ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامُ ﴾ قائمون من قبورهم. أو متوقفون في مكانهم لتحيّرهم ﴿ يَنفَلُرُونَ ﴾ حال من ضمير «قيام». والمعنى: يقلّبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين، أو ينتظرون ما يفعل بهم. وفي ذكر «إذا» المفاجأة إخبار عن سرعة إيجادهم. يعني: إذا

<sup>(</sup>١) الحاقّة: ١٣.

نفخ النفخة الثانية أعادهم الله تعالى عقيب ذلك دفعة يقومون من قبورهم أحياءً.

﴿ وَاشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ بما أقام فيها من العدل. سمّاه نوراً، لأنّه يزيّن البقاع ويظهر الحقوق، كما سمّى الظلم ظلمة.وترى الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك، وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقولون: أظلمت البلاد بجور فلان. وفي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة». وأضاف اسمه إلى الأرض، لأنّه يزيّنها حيث ينشر فيها عدله، وينصب فيها موازين قسطه، ويحكم بالحقّ بين أهلها، ولعمري إنّك لا ترى أزين للبقاع من العدل، ولا أعمر لها منه. أو المراد نور خلق فيها بلا توسّط أجسام مضيئة، ولذلك أضافه إلى نفسه.

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ للحساب والجزاء. من: وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه. أو صحائف الأعمال التي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في أيديهم ليقرأوا منها أعمالهم. واكتفي باسم الجنس عن الجمع. وقيل: اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف.

﴿ وَجِيءَ هِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَآءِ ﴾ الأمم وعليهم، من الملائكة والأوصياء وخيار المؤمنين. وقيل: المستشهدون في سبيل الله، فإنهم عدول الآخرة، يشهدون على الأمم بما شاهدوا. ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بين العباد ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقس ثواب أو زيادة عقاب، على ماجرى به الوعد.

﴿ وَوُقَيْتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾ أي: جزاء ما عملت، عـلى حـذف المـضاف ﴿ وَهُوَ اعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ فلا يفوته شيء من أفعالهم.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواَ الِي جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىَ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتُ أَبَوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَتُهَا أَلْمُ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتُلُونَ عَلَيكُمْ آيَاتِ رَبِكُمْ وَيُبذرُونَكُمْ لِفَاءَ يُومِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنُ حَقَّتُ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ قَيلُ آدُخُلُوا أَبُوابَ جَهَنَّمَ خَالدِينَ فِيهَا فَبِشْسَ مَثْوَى الْمُسَكَّمِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ اللَّذِينَ آنَقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ رُمُرًا حَتَى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتُ أَبُوابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالدِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الذِي صَدَقَنَا وَعُدَهُ وَأُورَثَنَا الأَرْضَ تَنْبَوَأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءً فَنعُمَ أَجُرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَوْبُنَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشُ يُسَبِّحُونَ مِحْمُد رَبِهِمْ وَفُضِي لِمُعْدَى وَقَيلَ الْحَمْدُ لِلْهِمُ وَفُضِي الْحَرْشُ وَهِهِ الْحَوْقُ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّهِمُ وَلَقُلِي هُوهُ وَهُونَ مِحْمُد رَبِهِمْ وَقُضِي الْمَدْقِ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِ الْهَالَمِينَ ﴿٧٤﴾

ثمّ فصل التوفية بقوله: ﴿ وَسِبِقَ النَّدِينَ كَفُرُوا ﴾ ويساقون سوقاً في عنف وهوان ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّم ﴾ كما يفعل بالأسارى إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ﴿ زُمَرا ﴾ أقواجاً متفرّقة بعضها في أثر بعض، على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشرارة. وهي جمع زمرة. واشتقاقها من الزّمر، وهو الصوت، إذ الجماعة لا تخلو عنه، أو من قولهم: شاة زمرة: قليلة الشعر، ورجل زمر: قليل المروءة، فإنّ كلّ زمر قليل بالنسبة إلى كلّ الزمر.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَآعُوهَا ﴾ انتهوا إلى جهنّم ﴿ فَتِحَتْ أَبْوَائِهَا ﴾ ليدخلوها. وهي سبعة أبواب، لقوله: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ (١) الآية. و«حتّى» هي التي تحكي بعدها

<sup>(</sup>١) الحجر: ٤٤.

الجمل. والجملة المحكيّة بعدها هي الشرطيّة. وقرأ الكوفيّون: فُتِحَتْ بـتخفيف التاء.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنْتُهَا ﴾ تقريعاً وتوبيخاً ﴿ أَنَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ من جـنسكم ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ حججه وما يدل على معرفته ﴿ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءً يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ أي: لقاء وقتكم هذا. وهو وقت دخولهم النار، لا يوم القيامة. وقـد جـاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدّة.

﴿ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أتونا وتلوا علينا ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَنَابِ عَلَى الْحَافِرِينَ﴾ أي: كلمة الله بالعذاب علينا. وهي قوله: ﴿ لَأَمْالُانَّ جَهَنَّمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ الْجَمْعِينَ﴾ (١٠) لسوء أعمالنا، كما قالوا: ﴿ غَلَيْتُ عَلَيْنَا شَقِقْتُنَا وَكُنَا قَدُما ضَمَالَينَ﴾ (١٠). فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب، وهو الكفر والضلال. والمعنى: وجب العقاب على من كفر بالله، لأنّه أخبر بذلك، وعلم من يكفر ويوافي بكفره، فقطع على عقابه، فلم يكن شيء يقع منه خلاف ما علمه وأخبر به، فصار كوننا في جهنم موافقاً لما أخبره به تعالى ولما علمه، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير، للدلالة على اختصاص تلك الكلمة بالكفرة.

﴿ قِيلَ انْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبهم القائل لتهويل ما يقال لهم ﴿ فَبِنْسَ مَثْوَى الْمُتَعَبِّرِينَ﴾ اللام فيه للجنس. والمخصوص بالذمّ مخصوص سبق ذكره، وهو جهنّم. ولا ينافي إشعاره بأنّ مثواهم في النار لتكبّرهم عن الحقّ أن يكون دخولهم فيها، لأنّ كلمة العذاب حقّت عليهم، فإنّ تكبّرهم وسائر مقابحهم مسبّبة عنه.

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبُّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ﴾ يساقون إسراعاً بهم إلى دار الكراسة

<sup>(</sup>۱) هود: ۱۱۹.

<sup>(</sup>٢) المؤمنون: ١٠٦.

والرضوان، كما يفعل بمن يشرّف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك، فشـتّان بين سوقهم وسوق أهل النار. وقيل: سيق مراكبهم، إذ لا يذهب بهم إلاّ راكبين. ويجوز أن يكون ذكر السوق هاهنا على وجه الزواج والمقابلة لسوق الكافرين إلى النار. ﴿ زُمُوا﴾ على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلوّ الطبقة.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَقَتِحَتْ الْبَوَائِهَا﴾ وهي ثمانية، كما نقل عن سهل بن سعد الساعدي أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ في الجنّة ثمانية أبواب، منها باب يسمّى باب الريّان، لا يدخله إلّا الصائمون». رواه البخاري ومسلم في الصحيحين(۱). وحذف جواب «إذا» للدلالة على أنّ لهم حينتذٍ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف. ولم يحذف الواو لتكون «فتحت» جزاء الشرط، للدلالة على أنّ أبواب الجنّة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين، وقرأ الكوفيّون: فتحت بالتخفيف.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ عند استقبالهم ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ سلمتم من الآفات، إذ لا يعتريكم بعد مكروه ﴿ طِبْتُتُمْ ﴾ طابت أنفسكم بدخول الجنّة. أو طبتم بالعمل الصالح في الدنيا، وطابت أعمالكم الصالحة وزكت. أو طهر تم من دنس المعاصي.

وروي: أنّهم إذا قربوا من الجنّة يردون على عين من الماء فيغتسلون بـها. ويشربون منها، فيطهّر الله أجوافهم، فلا يكون بعد ذلك منهم حدث وأذى، ولا تتغيّر ألوانهم، فيقول الملائكة لهم: طبتم.

﴿ فَانْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ مقدّرين الخلود فيها. والفاء للدلالة على أنّ الطهارة عن المعصية سبب لدخولهم وخلودهم. فما هي إلّا دار الطبين ومنوى الطاهرين، لأنّها دار طهّرها الله من كلّ دنس، وطيّبها من كلّ قدر، فلا يدخلها إلّا مناسب لها، موصوف بصفتها. فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة، وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة، إلّا أن يهب لنا الوهاب الكريم، ويوفّقنا الفقّار الرحيم، توبة نصوحاً

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري ٤: ١٤٥، صحيح مسلم ٢: ٨٠٨ - ١٦٦.

تنقّي<sup>(١)</sup> أنفسنا من درن الذنوب. وتميط وضر هذه القلوب. وحينثذٍ لا يمنع دخول العاصي بعفوه العطهّر للذنوب المكفّر للمعاصي.

﴿ وَقَالُوا ﴾ إذا دخلوها اعترافاً بنعم الله تعالى عليهم ﴿ الْحَفْدُ بِهِ الدِّي صَدَقَنَا وَعَدَهُ ﴾ على ألسنة الرسل بالبعث والنواب ﴿ وَأَوْرَفَخَا الْأَرْضَ ﴾ يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة، فإنّ إيرائها هاهنا بمعنى تعليكها. يعني: يمكّننا من التصرّف فيها تمكين الوارث فيما يرثه. وقيل: ذكر الإيراث لانّهم ورثوها عن أهل النار. ﴿ نَتَبَوّا مِنَ الْجَنّةِ حَيْثُ نَشَامَ ﴾ أي: يتبوّا كلّ منّا في أيّ مقام أراده من جنّته الواسعة. وفي الحديث: أقلّ منازل المؤمن فيها على سعة الدنيا سبع مرّات. ﴿ فَنَفَعَ آخِرُ الْعَاملديّ ﴾ الجنّة.

﴿ وَتَزَى الْفَلَائِكَةَ ﴾ أي: ومن عبائب أمور الآخرة أنّك ترى السلائكة ﴿ حَافَيْنَ ﴾ محدقين ﴿ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ «من» لابتداء الحفوف. وقيل: مزيدة، أي: حوله. ﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ ينزّهون الله عمّا لا يليق به ﴿ بِحَقدِ رَبِّهِمْ ﴾ ملتبسين بحمده. والجملة حال ثانية، أو مقيّدة للأولى.

والمعنى: ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه، متلذّذين به لا متعبّدين. وفيه إشعار بأنّ منتهى درجات العلّيين، وأعلى لذائذهم، هو الاستفراق في صفات الحقّ. وقد عظّم الله سبحانه أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش، وقيام الملائكة حوله معظّمين له سبحانه ومسبّحين، كما أنّ السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم يفعل كذلك تعظيماً لأمره، وإن استحال كونه عزّ وعلا على العرش، والجلوس على العرش من صفات الأجسام، تعالى الله عن ذلك.

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ فصل بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنّة. أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم، فإنّ الملائكة

<sup>(</sup>١) أي: تنظُّف. والدَرَنُ: الوسخ. وتُميط أي: تُذهِب. والوَضَر: الوسخ.

وإن كانوا معصومين جميعاً، لكن يفاضل بين مراتبهم على حسب مراتبهم في عبادتهم. ﴿ بِالْحَقَّ ِ فَسَاءً بالحقِّ والعدل ﴿ وَقِيلَ الْحَفْدُ شِرْبً الْعَالَمِينَ ﴾ أي: على ما قضي بيننا بالحقّ. والقائلون هم المؤمنون من السقضيّ بينهم، أي: السؤمنون قالوا: الحمد لله على قضائه بيننا، وإنزال كلّ منّا منزلته الّتي هي حقّه. أو القائلون الملائكة. وطيّ ذكرهم لتعيّنهم وتعظيمهم.

وقيل: إنّه من كلام الله تعالى. فقال في ابتداء الخلق: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض. وقال بعد إفناء الخلق وبعثهم، واستقرار أهل الجنّة في الجنّة: الحمد لله ربّ العالمين. فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كلّ أمر بالحمد وخستمه بالحمد.







## سورة المؤمن

مكّيّة. وهي خمس وثمانون آية.

روى أبو بريرة الأسلمي عن رسول الله ﷺ: «من أحبٌ أن يرتع في رياض الجنّة، فليقرأ الحواميم في صلاة الليل».

أنس بن مالك عن النبيِّ ﷺ قال: «الحواميم ديباج القرآن».

ابن عبّاس قال: لكلّ شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم.

ابن مسعود قال: إذا وقعت في «آل حّم» وقعت في روضات دمثات(١٠). أتانَّق هنِّ.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ: «من قرأ سورة حم المؤمن، لم يبق روح نبيّ ولا صدّيق ولا مؤمن إلّا صلّوا عليه، واستغفروا له».

وروى أبو بشير عن أبي عبدالله على قال: «الحواميم ريحان القرآن، فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها. وإنّ العبد ليقوم يقرأ الحواميم، فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر<sup>(٢)</sup> والعنبر. وإنّ الله ليرحم تىاليها وقيارتها، ويسرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه، وكلّ حميم أو قريب له. وإنّه في القيامة يستغفر له العرش والكرسيّ وملائكة الله المقرّبون».

<sup>(</sup>١) الدَّمْثُ والدَّمِثُ: المكان الليِّن السهل. وأرضٌ دَّمْثَاء: ليِّنة سهلة.

<sup>(</sup>٢) أي: طيّب الريح.

وروى أبو الصباح عن أبي جعفر للله قال: «من قرأ حم المــؤمن فــي كــلّ ثلاث، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وألزمه التقوى، وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا».

## بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّمَ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْمَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِمَّابِ ذِي الطَّوْلِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ إَلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

واعلم أنَّ الله سبحانه لمَّا ختم سورة الزمر بذكر الملائكة والجنَّة والنار، افتتح هذه السورة بمثل ذلك، فقال جلِّ وعزِّ:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حَمَ﴾ قد مضى ذكر الأقوال في الحروف المقطَّعة في مفتتح سورة البقرة.

وقال القرظي: هاهنا أقسم الله سبحانه بحلمه وملكه، لا يعذَّب من عاذ به. وقال: لا إله إلّا الله مخلصاً من قلبه.

وعن عطاء الخراساني: هو افتتاح أسمائه: حليم، حسميد، حسيّ، حكسيم، حنّان، ملك، مجيد، مبدىء، معيد.

وعن الكلبي: معناه: حُمَّ أي: قضي في اللوح المحفوظ ما هـو كـاثن مـن الحقائق وكتب فيه.

وأمال ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ألف «حا» إمالة محضة. ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين. وغيرهم فتحها.

﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يحتمل أن يكون تخصيص الوصفين.

لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدالُّ على كمال القدرة الكاملة والحكمة البالغة.

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شُويدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ صفات أخر لتحقيق ما في القرآن من الترغيب والترهيب، والحثّ على ما هو المقصود منه، والإضافة فيها حقيقيّة، لأنّه لم يرد بها زمان مخصوص من ماضٍ ومضارع، بل إنّما أريد ثبوت ذلك ودوامه، فكان حكمها حكم: إله الخلق وربّ العرش، فيوافق موصوفها، لإفادتها التعريف.

و «شديد العقاب» وإن كان في تقدير النكرة ــ أعني: شديد عقابه، لا ينفك من هذا ــ ولكن يؤول إلى: الشديد عقابه، فحذف اللام ليزاوج ما قبله ومــا بــعده لفظاً. وقد غيّروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج.

أو أبدال(١). وجعل «شديد العقاب» وحده بدلاً مشوّش للنظم.

وتوسيط الواو بين الأوّلين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة. أو لتغاير الوصفين، إذ ربما يتوهّم الاتّحاد. أو لتغاير سوقع الفعلين، لأنّ الغفر هو الستر، فيكون لذنبٍ باقٍ، وذلك لمن لم يتب، فإنّ التائب من الذنب كسمن لا ذنب له.

والتّوب مصدر، كالتوبة. وهو والثّوب والأوب أخوات في معنى الرجوع. وقيل: جمع التوبة. والطّول: التفضّل بترك العقاب المستحقّ. يقال: طال عليه وتطوّل إذا تفضّل. وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها.

روي عن ابن عبّاس أنّـه قال: «غافر الذنب» لمن قال: لا إلّـه إلّا الله. «شديد العقاب» لمن لم يقل: لا إله إلّا الله. «ذي الطول» ذي الغنــى عــمن لم يقـل.

<sup>(</sup>١) عطف على قوله: صفات أخر ...، في بداية الفقرة السابقة.

۱۱۶ ..... زیدة التفاسیر ـج ۲

﴿ لَا إِلَهُ إِلَّا هُـوَ﴾ أي: هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره، ولا يستحق العبادة سواه، فيجب الإقبال الكلّي على عبادته ﴿ إلنّهِ المَصِيدِ ﴾ العرجع للـجزاء، فيجازي المطيع والعاصي. والمعنى: أنّ الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع والضرّ والنهي غيره تعالى، وذلك يوم القيامة.

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرُكَ تَقَلَّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴿ ٤ ﴾ كَذَبَتُ قَبَلُهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدهِمْ وَهَمَّتُ كُلُّ أُمَّة بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخَذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيَدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَلِفَ كَانَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَهُمْ أَصْحَابُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ ٣ ﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ ٣ ﴾

ولمّا حقّق أمر التنزيل سجّل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن، فقال: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ ﴾ أي: لإدحاض الحقّ، لقوله: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُلْحِضُوا بِهِ الْحَقّ ﴾ (١) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ كَفُرُوا ﴾ فإنّ الجدال فيه لحلّ مشكلاته، واستنباط حقائقه، وإيضاح ملتبساته، وقطع تشبّت أهل الزيغ به، وردّ مطاعنهم فيه، فمن أعظم الطاعات. ولذلك قال المَنْفَيْقَةِ: «إنّ جدالاً في القرآن كفر» بالتنكير، فإنّ إيراده منكّراً تعييز بين جدال وجدال.

ولمًا كان الكفّار مشهوداً عليهم من قبل الله بالكفر، والكافر لا أحد أشقى منه

<sup>(</sup>١) المؤمن: ٥.

عند الله ، وجب على من تحقّق ذلك أن لا ترجّح أحوالهم في عينه ، ولا يغرّه إقبالهم في دنياهم بوسيلة المكاسب المربحة . ولهذا عطف ذلك على بيان مجادلتهم بالفاء العاطفة ، فقال:

﴿فَلَا يَغْرُونَ تَقَلِّبُهُمْ فِي الْهِلَادِ﴾ أي: إمهالهم في دنياهم. وتقلّبهم فسي بـلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة، لأنّهم مأخوذون عمّا قريب بكفرهم أخــذ مــن قبلهم. كما قال:

﴿ كَتَّبِتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَخْزَابُ ﴾ والّذين تحرِّبوا على الرسل وناصبوهم، كماد وثمود ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ بعد قوم نوح ﴿ وَهَمْتَ كُلُّ أُمَّةٍ ﴾ من هؤلاء ﴿ بِرَسُولِهِمْ لِيَاخُذُوهُ ﴾ ليتمكّنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل. من الأخذ بمعنى الأسر. ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ بما لا حقيقة له ﴿ لِيُنْجِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ليزيلوه به ﴿ فَاخَذْتُهُمْ ﴾ يعني: أنهم قصدوا أخذ رسولهم، فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم بالإهلاك. ثم قرر ذلك فقال تعجيباً: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ ﴾ فاتكم تمرون على ديارهم، فتعاينون أثر ذلك .

﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتُ ﴾ أي: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل، كذلك وجب ﴿ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي: وعيده، أو قضاؤه بالعذاب ﴿ عَلَى الَّذِينَ تَحَقُّوا ﴾ بكفرهم ﴿ النَّهُمُ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ لأنَّ علّة واحدة \_ وهي الكفر \_ تجمعهم أنّهم من أصحاب النار. وهذا بدل من «كلمة ربّك» بدل الكلّ على إرادة اللفظ، أي: وجب أنّهم أصحاب النار. أو الاشتمال على إرادة المعنى.

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُستَبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرُ لِلَّذِينَ

تَابُوا وَانَّبَعُوا سَبِيلُكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخُلُهُمْ جَنَاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَقُهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَآقِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يُؤمِّذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ ﴿٩﴾

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ على عواتقهم امتثالاً لأمر الله ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ من الملائكة المطيفين. وهم الكرّوبيتون سادة طبقات الملائكة. وحسلهم العرش وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له. أو كناية عن فرط قربهم من ذي العرش، ومكانتهم عنده، وتوسّطهم في نفاذ أمره.

روي عن النبي ﷺ: «أنَّ حـملة العـرش أرجـلهم فـي الأرض السـفلى. ورؤوسهم قد خرقت العرش. وهم خشوع لا يرفعون طرفهم».

وأيضاً عن النبيّ ﷺ: «لا تتفكّروا في عظم ربّكم، ولكن تفكّروا فيما خلق الله من الملائكة». فإنّ خلقاً من الملائكة يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، وقدماه في الأرض السفلى، وقد مرق(١١) رأسه من سبع سماوات. وإنّه ليتضاءل من عظمة الله حتّى يصير كأنّه الوصع(٢).

وفي الحديث: «إنَّ الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام

<sup>(</sup>١) أي: خرج.

<sup>(</sup>٢) الوصع: طائر أصغر من العصفور.

على حملة العرش، تفضيلاً لهم على سائر الملائكة».

وقيل: خلق الله العرش من جوهرة خضراء، وبين القائمتين مـن قـوائـمـه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام.

وقيل: حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة، يطوفون بــه مــهلّـلين مكترين. ومن ورائهم سبعون ألف صفّ قيام، قد وضعوا أيديهم على عــواتــقهم، رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير. ومن ورائهم مائة ألف صفّ قد وضعوا الأيمان على الشمائل، ما منهم أحد إلّا وهو يسبّح بما لا يسبّح به الآخر.

وعن مجاهد: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً من نور .

﴿ يُسَبِّحُونَ﴾ ينزّهونه عمّا يصفه به هؤلاء المجادلون، ملتبسين ﴿ بِحَمْدِ وَبُهِمْ﴾ أي: يذكرون الله بمجامع الثناء، من صفات الجلال والإكرام. وجعل التسبيح أصلاً والتحميد حالاً، لأنّ الحمد مقتضى حالهم، لإيجاد الله إيّاهم، وتوفيقهم في العبادة، دون التسبيح.

﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أخبر عنهم بالإيمان الإظهار شرفه وفضله والترغيب فيه، كما وصف الأنبياء في مواضع من كتابه بالصلاح، الإظهار شرفه، ولمّا وصفوا بمه على سبيل الثناء عليهم، علم أنّ إيمانهم وإيمان من في الأرض وكلّ من غاب عن ذلك المقام سواء، في أنّ إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير، وأنّه لا طريق إلى معرفته إلا هذا. وأنّه منزّه عن صفات الأجسام والأجرام.

وزعم الزمخشري (١) والعلامة الرازي (٣) أنّ في الآية ردّاً على المجسّمة، كما أورده النيشابوري في تفسيره قائلاً: «قال في الكشّاف: فيه تكذيب المجسّمة، فإنّ الأمر لو كان كما زعموا لكان الملائكة يشاهدونه، فلا يوصفون بالإيمان، لأنّه لا

<sup>(</sup>١) الكشَّاف ٤: ١٥٢.

<sup>(</sup>٢) التفسير الكبير ٢٧: ٣٢ - ٣٣.

يوصف بالإيمان إلّا الغائب، فعلم أنّ إيمانهم كإيمان أهل الأرض والكلّ سواء. في أنّ إيمانهم بطريق النظر والاستدلال.

واستحسن هذا الكلام الامام فخرالدين الرازي في تفسيره الكبير حتّى ترحّم عليه، وقال: «لو لم يكن في كتابه إلّا هذه النكتة لكفي به فخراً وشرفاً».

وأنا أقول: لا نسلّم أنّ الإيمان لا يكون إلّا بالغائب، وإلّا لم يكن الإيمان بالنبيّ وقت تحدّيه وبالقرآن. وإن شئت فتأمّل قوله تعالى: ﴿الدَّنِينَ يُدْوِينُونَ يُوفِئُونَ الْمَنْبِ﴾ (١٠. فلو لم يكن إيمان بالشهادة لم يكن لقوله: «بالغيب» فائدة، على أنّه يحتمل أن يشاهد الربّ وينكر كونه ربّاً وإلهاً. ويمكن أن يكون محمول الشيء محجوباً عن ذلك الشيء. فمن أين يلزم تكذيب المجسّمة ؟

وزعم الإمام فخرالدين أنّ في الآية دلالة أخرى على إسطال قول أهل التجسيم أنّ الإله على العرش، فإنّه لو كان كما زعموا وحامل الشيء حامل لكلّ ما على ذلك الشيء للزم أن يكون الملائكة حاملين لإله العالم حافظين له، والعافظ أولى بالإلهيّة من المحفوظ.

قلت: لا شكّ أنّ هذه مغالطة، جاز الحمل لأجل العظمة وإظهار الكبرياء على ما يزعم الخصم، كيف يلزم منه ذلك؟ اوهل يزعم عاقل أنّ الحمار أشرف من الإنسان الراكب عليه من جهة الركوب عليه»(٢٠).

انتهى كلامه المصرّح بتخطئتهما. والحقّ أنّهما زلقا وعثرا، سيّما الرازي، فإنّه خبط خبط عشواء، وركب متن عمياء، وإن ذيّل النيشابوري كلامه بقوله: «وإنّـما ذكرت ما ذكرت لكونه وارداً على كلام الإمامين، مع وفور فضلهما وبعد غورهما. لا لأنّى مائل فى المسألة إلى غير معتقدهما».

<sup>(</sup>١) البقرة: ٣.

<sup>(</sup>٢) غرائب القرآن للنيسابوري ٦: ٢٣.

ولأجل أنّ المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة وإن تخالفت الأجناس، لأنها أقوى المناسبات، كما قال تعالى: ﴿إنَّ مَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً﴾ (١١) يطلب الملائكة من الله المغفرة لأهل الإيمان من الشقلين، كما قال عرّ السمد: ﴿وَيَسْتَغْفُرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ كأنّه قيل: ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم من أهل الأرض، وإن تباعدت الأماكن بينهم وبين الثقلين. فبين قوله: «ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا» غاية التناسب والتجانس.

﴿ رَبُّنَا﴾ أي: يقولون ربّنا. وهذا بيان لايستغفرون» مرفوع المحلّ مئله. ﴿ وَسِغْتَ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْما ﴾ أي: وسعت رحمتك وعلمك، فأزيل الكلام عن أصله، بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم، وأخرجا منصوبين على التمييز، للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم، كأنّ ذاته رحمة وعلم واسعان كـلٌ شيء. وتقديم الرحمة على العلم، لأنّها المقصودة بالذات هاهنا.

﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ للّذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحقّ. وهو دين الإسلام. فما بعد الفاء مشتمل على حديث الرحمة والعلم، لا الففران وحده، فيطابق قوله: «وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً».

﴿ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ واحفظهم عنه. وهو تصريح بعد إشمار، للتأكيد والدلالة على شدّة العذاب. والفائدة في استغفارهم لهم وهم تاثبون صالحون موعودون: زيادة الكرامة والثواب. أو الدلالة على أنّ إسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله تعالى، إذ لو كان واجباً لكان لا يحتاج إلى مسألتهم، بل كان يفعله الله سبحانه لا محالة.

﴿ رَبُّنَا وَانْجِلْهُم جَنَّاتِ عَنْنِ الَّتِي وَعَدتَهُمْ ﴾ إيّاها على ألسن الرسل ﴿ وَمَن صَلَّحَ مِنْ آبَائِهِم وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرُيَّاتِهِمْ ﴾ عطف على «هم» الأوّل، أي: أدخل هؤلاء

<sup>(</sup>١) الحجرات: ١٠.

معهم ليتمّ سرورهم. أو الثاني. لبيان عموم الوعد. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الملك الَّذي لا يغلب، ولا يمتنع عليه مقدور ﴿الْحَكِيمُ﴾ الَّذي لا يفعل إلّا ما تقتضيه الحكمة. ومن ذلك الوفاء بالوعد.

﴿ وَقِهِمُ السَّيِّفَاتِ ﴾ العقوبات. أو جزاء السيّات، فحذف المضاف. وهذا تعميم بعد تخصيص، أو مخصوص بمن صلح. والوقاية منها: التكفير، أو قبول التوبة. أو المعاصي نفسها في الدنيا. وعلى هذا، معنى قوله: ﴿ وَمَن تَقِ السَّيئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِعْتَهُ ﴾ من تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة. كأنهم طلبوا السبب بعد ماسألوا المسبّب. وعلى الأوّل: ومن تق العقوبات أو جزاء المعاصي يوم القيامة فقد رحمته. ﴿ وَذَلِكَ ﴾ يعني: الرحمة، أو الوقاية، أو مجموعهما ﴿ هُوَ النَّفَوْزُ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُهَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَقْتَكُمُ أَنفُسَكُمُ إِذْ تُدُعَوْنَ إِلَى الإِيَمَانِ فَتَكُمُ أَنفُسَكُمُ إِذْ تُدُعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكُمُ أَنفُسَكُمُ إِذْ تُدُعُونَا بِذُنُوبِنَا فَهُلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿ ١١﴾ ذَلكُم بِأَنّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرُتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكُمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَكِيرِ ﴿ ١٢﴾ ذَلكُم بِإِنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرُتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكُمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَكِيرِ ﴿ ١٢﴾

ثمّ عاد الكلام إلى من تقدّم ذكرهم من الكفّار، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَوُوا يُنادَوْنَ﴾ أي: يناديهم الملائكة يوم القيامة، فيقولون لهم: ﴿ لَمَقْتُ اشْ اَخْبُرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لمقت الله أنفسكم أشدّ منّا تمقتون اليوم وأنتم في النار من مقتكم أنفسكم الأمّارة بالسوء، والمقت: أشدّ البغض، فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشدّه.

وعمن الحسم: لمّما رأوا أعممالهم الخبيشة مقتوا أنـفسمهم، فـنودوا: «لمقت الله».

وقيل: معناه: لمقت الله إيّاكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض، كقوله تعالى: ﴿ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضِ وَيَلْغَنُ بَعْضَكُمْ بَعْضا﴾ (١١).

﴿إِذ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف. وعامله فعل دل عليه المقت الأول، لا هو، لأنّه أخبر عنه، وقد فصل بينه وبين الظرف خبره، أعني «أكبر»، فلا يجوز. ولا المقت الثاني، لأنّ مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيئة. فالمعنى: مقتكم الله حين كان الأنبياء يدعونكم ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكَفُّرُونَ﴾ فتأبون قبوله، وتـختارون عليه الكفر. أو تعليل للحكم، وزمان المقتين واحد.

﴿ وَأَخْيَنْتُنَا النَّنْتَيْنِ ﴾ الإحياءة الأولى، وإحياءة البعث. وناهيك تفسيراً لذلك

<sup>(</sup>١) العنكبوت: ٢٥.

<sup>(</sup>٢) الرَ كيَّة: البئر ذات الماء.

۱۲۲ ..... زیدة التفاسیر ـج ٦

قوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَاحْيَاكُمْ ثُمُّ يُمِيتُكُمْ ثُمُّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (١). وكذا عن ابن عبّاس وأثمّة التفسير .

وعن السدّي: أنّ العراد بالإماتتين: الّتي بعد حياة الدنيا، والّتي بعد حياة القبر. ولزمه إثبات ثلاث إحياءات: إحياءة في القبر للسؤال، وإحياءة للحشر. وهو خلاف ما في القرآن، إلّا أن يتمحّل فيجعل حياة القبر غير معتدّ بها، لقلّة زمانها.

ومقصودهم من هذا القول اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به، ولذلك تسبّبوا بقولهم: ﴿ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ فإنّ اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم البعث. وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى، لأنّ من لم يخش العاقبة توسّع في المعاصي. فلمّا رأوا الإماتة والإحياء تكرّرا عليهم، علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم.

﴿ فَهُلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ ﴾ نوع خروج سريع أو بطيء من النار ﴿ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ طريق فنسلكه. وذلك إنّما يقولونه من فرط قنوطهم تعلّلاً وتحيّراً. ولذلك أجيبوا بقوله: ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ الذي أنتم فيه من أنّه لا سبيل لكم إلى خروج من سبيل ﴿ إِلنَّهُ ﴾ سبب أنّه ﴿ إِذَا نُعِيَ اللهُ وَحَدَهُ ﴾ متّحداً. أو توحّد وحده، فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية. ﴿ كَفَوْتُمْ ﴾ بالتوحيد ﴿ وَإِن يُشْوَكُ بِهِ تُـوْمِنُوا ﴾ بالإشراك ﴿ فَالْحُكُمُ بِشِ ﴾ المستحق للعبادة، حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد ﴿ النَّعْبِينَ ﴾ القادر على كل شيء، ليس فوقه من هو أقدر منه، أو من يساويه في مقدوره. ونقلت هذه اللفظة من عليّ المكان إلى عليّ الشأن، ولذلك جاز وصفه سبحانه بذلك، كما يقال: استعلى فلان عليه بالقوّة وبالحجّة. ﴿ الْكَمِيرِ ﴾

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢٨.

العظيم في صفاته الَّتي لا يشاركه فيها غيره. ومن أن يشرك به ويسوّى به بـعض مخلوقاته.

هُوَ الَّذِي يُوِيكُمُّ آيَاتِه وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءُ وِزُقًّا وَمَّا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُسِبُ ﴿ ١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَوْهِ الْكَافِرُونَ ﴿ ١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِه لِيُنذِرَ يَوْمَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عَبَادِه لِيُنذِرَ يَوْمَ الدَّرَكِةِ لَكُونُم اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَن الْمُلْكُ الْيُومَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَارِ ﴿ ١٩﴾ الْيُومَ الْيُومَ اللَّهُ الْوَاحِدِ الْقَهَارِ ﴿ ١٩﴾ الْيُومَ الْيُومَ اللَّهُ الْوَاحِدِ الْقَهَارِ ﴿ ١٩﴾ الْيُومَ الْيُومَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحَسَابِ ﴿ ١٤﴾

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَـاتِهِ ﴾ مصنوعاته الدالَّة على توحيده وكمال قدرته، من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق والشمس والقمر والنجوم، وسائر ما في السماوات والأرض ﴿وَيُدَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَآءِ رِزْقا﴾ أسباب رزق، كالمطر، مراعاة لمعاشكم.

﴿ وَمَا يَتَذَكُّو ﴾ وما يعتبر ويتعظ بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول، لظهورها المغفول عنها، للانهماك في التقليد واتباع الهوى ﴿ إِلَّا مَنْ يُنيبُ ﴾ يرجع عن الإنكار والعناد بالإقبال عليها والتفكّر فيها، فإنّ المعاند لا سبيل إلى تذكّره واتعاظه. والجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه.

ثمّ قال لمن ينيب: ﴿ فَادْعُوا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ من الشرك ﴿ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصكم، وشقّ عليهم.

﴿ وَفِيعُ الدُّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ خبران آخران لقوله: «هو». أوخبران لمبتدأ محذوف، للدلالة على علق صمديته، من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرّده في الألوهيّة، فإنّ من ارتفعت درجات كماله ومراتب عرّته وملكوته بحيث لا يحيط العقل بكنهه، وكان العرش الّذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته، لا يصحّ أن يشرك به.

وقيل: معناه: رافع درجات مراتب المخلوقات مـن الأنـبياء والأوليـاء فـي الجنّة. أو درجات ثوابه الّتي ينزلها أولياءه في الجنّة.

﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْوِهِ﴾ خبر رابع للدلالة على أنّ الروحانيّات أيضاً مسخّرات لأمره. والمراد بالروح الوحي. وتسميته بالروح لأنّه يحيي القلوب من موت الكفر. و«من» لابتداء الغاية. يعني: يلقي الوحي الّذي مبدؤه من أمره. أوبيانيّة. والمعنى: هو يلقى الوحى الّذي هو أمره بالخير.

﴿ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ على قلب من يشاء متن يراه أهلاً للنبوّة. يقال: ألقيت عليه كذا، أي: فهمته ﴿لِينُونِ ﴾ غاية الإلقاء. والمستكن فيه لله ، أو لامن» ، أو لا الروح» . أي: لينذر الله بالروح ، أو الملقى عليه به ، أو الروح . ﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ يوم القيامة ، فإنّ فيه تتلاقى الأرواح والأجساد، وأهل السماء والأرض. أو المعبودون والعبّاد . أو العمّال والأعمال .

﴿ يَوْمَ هُمْ بَاوِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم. أو ظاهرون لا يسترهم شيء، من جبل أو أكمة(١) أو بناء، لأنّ الأرض يومئذٍ تكون قاعاً صفصفاً. أو لا عليهم ثياب، بل إنّما هم عراة مكشوفون، كما قال النّبيّ ﷺ: «يحشرون عراة حفاة

<sup>(</sup>١) الأكَمَة : التلَّ ، أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً ممّا حوله.

غرلاً»(١). أو ظاهرة نفوسهم، لا تحجبهم غواشي الأبدان الكثيفة. أو أعمالهم وسرائرهم.

﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللهِ مِنْهُم شَنِيءً ﴾ من أعيانهم وأعمالهم. وهذا تقرير لقوله: 
«هم بارزون»، وإزاحة لنحو ما يتوهّم في الدنيا. يعني: أنّهم كانوا يتوهّمون في
الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أنّ الله لا يراهم، وتخفى عليه أعمالهم، فهم
اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهّمون فيها مشل ما كانوا
يتوهّمونه. قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ ظَنْفَتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِثَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

﴿ لِمَنِ الْمُلُكُ الْمَيْوَمَ﴾ فيقرّ المؤمنون والكافرون ﴿ بِشِ الْوَاحِدِ الصَّهَارِ﴾ وهـذا حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم، ولما يجاب به. ومعناه: أنّه ينادي منادٍ فيقول: لمن الملك اليوم. فيجيبه أهل المحشر: لله الواحد القهّار.

وقيل: يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء، كأنَّها سبيكة فضّة لم يعص الله فيها قطّ، فأوّل ما يتكلّم به أن ينادي منادٍ: لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار.

وقال القرظي: يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلّها، ثمّ يجيب نفسه، لأنّه بقى وحده.

ويضقف هذا القول، إذ بيّن أنّه يقول ذلك يوم التلاق، يوم يبرز العباد فيه من قبورهم. وإنّما خصّ ذلك اليوم بأنّ له الملك فيه، لأنّه قد ملك العباد بعض الأمور في الدنيا، ولا يملك أحد شيئاً ذلك اليوم. أو حكاية لما دلّ عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط، وأمّا حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً.

ولمَّا قرَّر أنَّ الملك لله وحده في ذلك اليوم، عدَّد نتائج ذلك بقوله: ﴿الْيَوْمَ

<sup>(</sup>١) غُرْل جمع أغْرَل، وهو الصبيّ الّذي لم يختن.

<sup>(</sup>٢) فصّلت: ٢٢.

تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِهَا كَسَبَتْ ﴾ يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. وتحقيقه: أنّ النفوس تكتسب بالمقائد والأعمال هيئات توجب لذّتها وألمها، لكنّها لا تشعر بها في الدنيا لموائق تشغلها، فإذا قامت قيامتها زالت الموائق وأدركت لذّتها وألمها.

وفي الحديث: «إنّ الله تعالى يقول: أنا الملك، أنا الديّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة أن يدخل الجنّة، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة حتّى أقضيه منه. وتلا هذه الآية».

﴿ لَا طُلُمُ الْمُيْوَمَ﴾ بنقص الثواب وزيادة العذاب ﴿إِنَّ اللهُ سَوِيعُ الْحِسَابِ﴾ إذ لا يشغله شأن عن شأن، فيصل إليهم ما يستحقّونه سريعاً في وقت واحد، وهو أسرع الحاسبين. وعن ابن عبّاس: إذا أخذ في حسابهم لم يَقِل(١) أهل الجنّة إلّا فيها، ولا أهل النار إلّا فيها.

وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَة إِذِ الْتَلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنُ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿ ١٨ ﴾ يَعْلَمُ خَآتِنَةَ الأَّغْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصَّدُورُ ﴿ ١١ ﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ ٢٠ ﴾

ثمّ أمر سبحانه نبيّه ﷺ أن يخوّف المكلّفين يوم القيامة، فقال: ﴿وَالْفِزَهُمُ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ أي: القيامة سمّيت بها لأزوفها، أي: قربها. ويجوز ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطّة الآزفة، وهي مشارفتهم دخول النار. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ فإنّها

<sup>(</sup>١) من : قَالَ يَقِيلُ قَيْلُولَةً : نام في القائلة ، أي : في منتصف النهار .

ترتفع عن مقارّها فتلتصق بحلوقهم. فلا هي تخرج فيموتوا. ولا ترجع إلى موضعها فيتنفّسوا ويتروّحوا. ولكنّها معترضة كالشجا<sup>(١)</sup>.

﴿ كَاتَلِمِينَ﴾ ممتلئين غمّاً وخوفاً. حال من أصحاب القلوب على المعنى، لأنّ المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها. ويجوز أن يكون حالاً من القلوب، أي: حال كون القلوب كاظمة على غمّ وكرب فيها مع بلوغها الحناجر. وإنّما جمع جمع السلامة، لآنّه وصفها بالكظم الّذي هو من أفعال العقلاء، كما قال: ﴿ وَالْتَهُمْ لَي سَاجِدِينَ ﴾ (٣). وقال: ﴿ فَطَلّتُ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (٣). أو من مفعول «أنذرهم» على أنّه حال مقدّرة، أي: أنذرهم مقدّرين أو مشارفين الكظم، كقوله: ﴿ فَالْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٩).

﴿ مَا لِلفَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ قريب مشفق ﴿ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ أي: شفيع يشفع، فإنَّ المطاع مجاز في الشفع، لأنَّ حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر، في أنَّها لا تكون إلا لمن فوقك، فلو كان المطاع على حقيقته لكان الله مطيعاً، والمطيع يكون أدنى مرتبة، تعالى الله عن ذلك. والضمائر إن كانت للكفّار \_ وهو الظاهر \_ كان وضع الظالمين موضع ضميرهم، للدلالة على اختصاص ذلك بهم، وأنَّه لظلمهم.

واعلم أنّ معنى قوله: «ولا شفيع يطاع» نفي الشفاعة والطاعة معاً، لا نفي الطاعة دون الشفاعة. كما تقول: ما عندي كتاب يباع. فهو محتمل نفي البيع وحده، وأنّ عندك كتاباً إلّا أنّك لا تبيعه، ونفيهما جميعاً، بأن لا كتاب عندك، ولا كونه مبيعاً. بأن لا كتاب عندك، ولا كونه مبيعاً. بأن لا يرضون إلّا من أحبّه الله مبيعاً. بأن

<sup>(</sup>١) الشَجّا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

<sup>(</sup>٢) يوسف: ٤.

<sup>(</sup>٣) الشعراء: ٤.

<sup>(</sup>٤) الزمر: ٧٣.

ورضيه، وأنّ الله لا يحبّ الظالمين، فلا يحبّونهم، وإذا لم يحبّوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (١٠) وقال: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (١٠). ولأنّ الشفاعة لا تكون إلّا في زيادة التنفضّل، وأهمل التنفضّل وزيادته إنّما هم أهل الثواب، بدليل قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضَلِهِ﴾ (١٠). وعن الحسن: والله مايكون لهم شفيع ألبتّة.

والفائدة في ذكر الصفة ونفيها - مع أنّ الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فقط 
- إقامة انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة، لأن الصفة لا تتأتى بدون 
موصوفها، فيكون ضمّها إليه إزالة لتوهم وجود الموصوف. بيانه: إنّك إذا عو تبت 
على القعود عن الغزو فقلت: مالي فرس أركبه، ولا معي سلاح أحارب به، فقد 
جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علّة مانعة من الركوب والمحاربة. كأنّك تـقول: 
كيف يتأتّى متي الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي؟ فكذلك قوله: 
«ولا شفيع يطاع» معناه: كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع؟

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي: النظرة الخائنة، كالنظرة الثانية إلى غير المحرم، واستراق النظر إليه، على أن تكون مفة للنظرة. أو خيانة الأعين، على أن تكون مصدراً بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة. ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين، لأنّه لا يساعد عليه قوله: ﴿ وَمَا تُشْفِي الصُّدُورُ ﴾ من الضمائر.

والجملة خبر خامس، للدلالة على أنّها ما من خفيّ إلّا وهو متعلّق العـلم وانجزاء، مثل «يلقي الروح»، ولكن «يلقي الروح» قد عـلّل بـقوله: «ليـنذر يـوم التلاق». ثمّ استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله: «ولا شفيع يـطاع»، فـبَمُد

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢٧٠.

<sup>(</sup>٢) ألأنبياء: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) انساء: ١٧٣.

﴿ وَاللّٰهُ ﴾ والَّذي هذه صفاته ﴿ يَقْضِي ﴾ يفصل بعين الخلائق ﴿ بِالْحَقّ ﴾ فيوصل كلّ ذي حقّ إلى حقّه، لأنّه المالك الحاكم على الإطلاق، المستغني عن الجور، فلا يقضي بشيء إلّا وهو حقّ ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من الأصنام ﴿ لاَ يقضُونَ بِشَيّ ﴾ تهكّم بهم، لأنّ الجماد لا يقال فيه إنّه يقضي أو لا يقضي. وقرأ نافع وهشام بالتاء، على الالتفات، أو إضمار: قل.

﴿إِنَّ اللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ فيسمع المسموعات ﴿الْبَصِيرُ﴾ يسمر المسمرات. وهذا تقرير لعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، وقضائه بالحقّ. ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون. وتعريض بحال ما يدعون من دونه من الأصنام، وأنّها لا تسمع ولا تبصر. وهاتان الصفتان إذا أطلقتا على الله يرجعان إلى كونه حيّاً عالماً بجميع المسموعات والمبصرات، لاستغنائه عن آلتي السمع والبصر.

أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَلِفَ كَانَ عَاقِبَهُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمُ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنْوِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقِ ﴿٢١﴾ ذَلكَ بِأَهُمْ كَانَت تَأْتِهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيْنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

ثمّ نبّههم سبحانه على أن ينظروا في حال الأمم المكذّبة الخالية نظر اعتبار وتفكّر . فقال:

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبَلِهِمْ ﴾ مآل حال الذين كذّبوا الرسل قبلهم، كعاد وثمود ﴿ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوْقُ ﴾ قدرة وتمكّناً. وإنّما جيء بالفصل بين معرفة وغير معرفة، وحقّه أن يقع بين معرفتين، لمضارعة «افعل من» للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه، فأجري مجراه، وقرأ ابن عامر: أشدّ منكم بالكاف. ﴿ وَآثَاراً فِي الآرْضِ ﴾ مثل القلاع والمدائن الحصينة. وقيل: المعنى: وأكثر آثاراً، كقوله: متقلداً سيفاً ورمحاً ١٠ أي: وحاملاً رمحاً، لأنّ الرمح لا يتقلد. ﴿ فَاخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ يمنع العذاب عنهم.

﴿ ذَلِكَ ﴾ الأَحْدِ ﴿ بِانَّهُمْ كَانَتْ تَاتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيْنَاتِ ﴾ بالمعجزات الباهرات، والأحكام الواضحات ﴿ فَعَفْرُوا فَاخَذَهُمُ الله ﴾ أهلكهم عقوبة على كفرهم ﴿ إِنَّهُ قَوِيً ﴾ قادر على الانتقام منهم، متمكن ممّا يسريده غاية التمكن ﴿ شَدِيدُ الْعَقَابِ ﴾ لا يؤيه بعقاب دون عقابه.

وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَان مُبِينِ ﴿٣٣﴾ إِلَى فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَابٌ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقّ مِنْ عِندنَا قَالُوا الْقَالُوا الله وَالله الله وَالله وَقَالَ وَرُعُونُ ذَرُونِي أَقْتُلُ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبّهُ إِنِي أَخَافُ أَن يُبَدّلَ دَينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِي عُذْتُ بَرّبِي وَرَبّكُم مِن كُلّ مُتَكَبّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيوْمِ الْحَسَابِ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِن مِنْ أَلْ فَرْعُونَ يَكُمُ مِن كُلّ مُتَكَبّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيوْمِ الْحَسَابِ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِن مَن كُلّ مُتَكَبّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيوْمِ الْحَسَابِ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِن مَن كُلّ مُتَكَبّرٍ لا يُؤْمِنُ بَيوْمِ الْحَسَابِ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِن مَن كُلّ مُتَكَبّرٍ لا يُؤْمِنُ بَيوْمِ الْحَسَابِ ﴿٧٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِن مَن كُلّ مُتَكَبّرٍ لا يُقْمِنُ مَانِكُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّي اللّهُ وَقَدْ جَآعَكُمُ مِنْ كُلّ مُتَكَبّرُ لا يُؤْمِنُ بَاللّهُ مَا أَنْ يَقُولُ رَبّي اللّهُ وَقَدْ جَآعَكُمُ مَنْ كُلّ مُتَكِمُونَ يَكُمُ مَن كُلّ مُنْ كُلُونُ لَا مُولِكُونَ أَنْ يَقُولُ رَبِّي اللّهُ وَقَدْ جَآعَكُمُ مَنْ كُلّ مُنْ كُلّ مُنْ كُلُولُ مُؤْمِنُ اللّهُ وَقَدْ مَا مُنْ اللّهُ وَقَدْ جَآعَكُمُ

<sup>(</sup>١) صدره: ورأيت زوجك في الوغى

بِالْبَيْنَاتِ مِن رَّبِكُمُ وَإِن يَكُ كَادِّبًا فَعَلَيْهِ كَذُبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَمِدُكُمُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾

ثمّ ذكر قصّة موسى وفرعون لينظروا فيها نظر اعتبار، فقال: ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ يعني: المعجزات ﴿ وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ وحجّة ظاهرة. والعطف لتغاير الوصفين، أو الإفراد بعض المعجزات كالعصا، تقديماً لشأنه.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ》 كان موسى ﷺ رسولاً إلى كاقتهم. إلا أنّـه خصّ فرعون وهامان وقارون بالذكر، لأنّ فرعون رئيسهم، وكان هامان وزيـره، وقارون صاحب كنوزه، والباقون تبع لهم ﴿فَقَالُوا سَاحِرُ كَذَّابُ》 يعنون: موسى ﷺ. وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، وبيان لعاقبة من هو أشدٌ من الذين كانوا من قبلهم بطشاً وأقربهم زماناً.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ بالنبوّة ﴿ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا الْفَلُوا الْبَنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَخْفُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ أي: أعيدوا عليهم ما كنتم تنعطون بهم أوّلاً، كي يصدّوا عن مظاهرة موسى ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلّا فِي ضَلَالٍ ﴾ في ضياع. يعني: أنّهم باشروا قتلهم أوّلاً فما أغنى عنهم، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه، فما يغني عنهم هذا القتل الثاني. ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم، والدلالة على الملّة.

﴿ وَقَالَ فِزِعَوْنُ ذَرُوبِي ﴾ اتركوني ﴿ أَقْلُلْ مُوسَىٰ ﴾ كانوا يكفّونه عن قتله. ويقولون: إنّه ليس الذي تخافه، وهو أقلّ من ذلك وأضعف، وما هـ و إلّا بـعض السحرة، ومثله لا يقاوم إلّا ساحراً مثله، ولو قتلته أدخلت الشبهة على الناس أنّك عجزت عن معارضته بالحجّة.

والظاهر أنَّ فرعون كان قد استيقن أنَّه نبيٍّ. وأنَّ ما جاء به آيات وما هــو

بسحر، ولكنّه كان فيه خبّ<sup>(۱)</sup> وجربزة، وكان قتّالاً سفّاكاً للدماء في أهون شيء. فكيف لا يقتل من أحسّ منه بأنّه هو الّذي يثلّ<sup>(۲)</sup> عرشه ويهدم ملكه؟! ولكنّه كان يخاف إن همّ بقتله لا يتيسّر له ويعاجل بالهلاك.

وقوله: ﴿ وَلَنِيْنَعُ رَبِّهُ﴾ شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربّه. وكان قوله: «ذروني أقتل موسى» تمويهاً على قومه، وإيهاماً أنّهم هم الّذين يكفّونه. وما كان يكفّه إلّا ما في نفسه من هول الفزع.

﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أَن يُبَدِّلُ وِينَكُمْ﴾ أن يغيِّر ما أنتم عليه من عبادتي وعبادة الأصنام، لقوله: ﴿وَيَدُرَكَ وَآلِهَتَكُ ﴿ ۖ ﴿ أَوْ أَن يُطْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ ﴾ ما يفسد دنياكم من التفاتن (٤) والتهارج الذي يذهب معه الأمن، وتتمطّل المزارع والمكاسب والمعايش، ويهلك الناس قتلاً وضياعاً، إن لم يقدر أن يبدل دينكم بالكليّة.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر<sup>(ه)</sup> بالواو. على معنى الجمع. وابن كثير وابن عامر والكوفيّون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع «الْفَسَادُ».

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ أي: لقومه لمّا سمع كلام فرعون ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبَّكُمْ مِنْ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ عن الإذعان للحقّ. وهوأقبح استكبار وأدلّه على دناءة صاحبه ومهانة نفسه، وعلى فرط ظلمه.

ثمّ قال ﴿ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ لآنه إذا اجتمع في الرجل التجبّر والتكذيب

<sup>(</sup>١) الخَبّ: الخديعة. ورجل خَبّ: خدّاع.

<sup>(</sup>٢) أي: يهدم ويسقط.

<sup>(</sup>٣) الأعراف: ١٢٧.

<sup>(</sup>٤) أي: الوقوع في الفتنة والتحارب. والتهارج: القتال والمهارشة.

<sup>(</sup>٥) أي: وأن يُظْهِرَ ....

بالجزاء، وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده، ولم يترك معصية عظيمة إلا ارتكبها. وصدر الكلام بدان، تأكيداً وإشعاراً على أنّ السبب المؤكّد في دفع الشرّ هو العياذ بالله. وخصص اسم الرب، لأنّ المطلوب هو العفظ والتربية. وإضافته إليه وإليهم حثّاً لهم على اقتدائهم به، فيعوذوا به عياذه، لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة. ولم يسمّ فرعون، وذكر وصفاً يعمّه وغيره، لتعميم الاستعاذة، والدلالةعلى الحامل له على هذا القول.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: عُدتٌ ـ فيه وفي الدخان<sup>(١)</sup> ـ بالإدغام. وعن نافع مثله.

ولمّا قصد فرعون قتل موسى وعظه المؤمن من آله، كما قال عزّ اسمه: ﴿ وَقَالَ رَجُلُ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِزعَوْنَ ﴾ وكان قبطيّاً ابن عمّ لفرعون، آمن بموسى سرًا.
وقيل: «من» متعلّق بقوله: ﴿ يَكْتُمُ إِيفَائَهُ ﴾ من آل فرعون على وجه التقيّة. اسمه
سمعان، أو حبيب، أو خربيل. وقيل: حزبيل.

قال أبو عبدالله ﷺ: «التقيّة من ديني ودين آبائي». و«لا دين لمن لا تقيّه له». و«التقيّة ترس الله في أرضه، لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الاسلام لقتل».

وقال ابن عبّاس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فـرعون. وغير المؤمن الّذي أنذر موسى. وهو الذي جاء من أقصى المدينة.

﴿انَقْتُلُونَ رَجُلاً﴾ أتقصدون قتله ﴿إن يَقُولَ﴾ لأن يقول، أو وقت أن يقول، من غير رؤية و تأمّل في أمره ﴿رَبِّي الله ﴾ وحده. وهو في الدلالةعلى الحصرمثل: صديقي زيد. وفيه إنكار منه عظيم، وتبكيت شديد. كأنّه قال: أتر تكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرّمة، وما لكم علّة قطّ في ارتكاب قتلها إلا كلمة الحقّ التي نظق بها، وهي قوله: «ربّى الله» ؟!

<sup>(</sup>١) الدخان: ٢٠.

﴿ وَقَسدَ جَسآءَكُم بِسالْقِيقاتِ ﴾ المستكثرة على صدقه، من المعجزات والاستدلالات، أي: لم يحضر لتصحيح قوله بيّنة واحدة، ولكن بيّنات عدّة ﴿ مِنْ رَبُّكُمْ ﴾ أضافه إليهم بعد ذكر البيّنات احتجاجاً عليهم، واستدراجاً لهم إلى الاعتراف به.

ثمّ أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم من باب الاحتياط، فقال: لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً ﴿ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبْهُ ﴾ يعود عليه، ولا يتخطاه وبال كذبه، فيحتاج في دفعه إلى قتله ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَتِخطاًه وبال كذبه، فيحتاج في دفعه إلى قتله ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِرْضَتم له.

وفيه مبالغة في التحذير، وإظهار للإنصاف والمداراة والتلطّف وعدم التعصّب، كقوله: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَ عَلَىٰ هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١). فجاء بما علم أنّه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه، ولذلك قدّم كونه كاذباً. ثمّ قال: «بعض الذي يعدكم»، ولم يقل: يصبكم جميع الذي يعدكم، مع أنّ موسى نبيّ صادق لابدً لما يعدهم أن يصيبهم كلّه، والمراد بالبعض: عذاب الدنيا، وهو بعض مواعيده، كأنّه خوّفهم بما هو أظهر احتمالاً عندهم.

﴿إِنَّ اللهُ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْوِفٌ كَذَّابُ﴾ احتجاج ثالث. ومعناه: لو كان موسى مسرفاً كذَّاباً لما هداه الله إلى ما يدّعي من النبوّة، ولما عضده بمتلك المحجزات. ويحتمل أن يكون معناه: أنَّ من خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فلا حاجة لكم إلى قتله. ولعلّه أراد به المعنى الأوّل، وخيّل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم، وعرّض به لفرعون بأنّه مسرف كذّاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة. ويجوز أن يكون ذلك ابتداء كلام من الله تعالى.

<sup>(</sup>١) سبأ: ٢٤.

يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَبِصُونًا مِن بَأْسِ اللَّه إِنْ جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أَرِيكُمُ إِلاَّ مَآ أَرَى وَمَاۤ أَهْديكُمُ اِلاَّ سَبيلَ الرَّشَاد ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مَثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مثْلَ دَأْبِ قَوْمٍ نُوجٍ وَعَادٍ وَتُعُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلَّمًا للْعَبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنْيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدْمِرِينَ مَا لَكُم مَّنَ اللَّه منْ عَاصم وَمَن يُضْلل اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمُ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيْنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مَمَّا جَآءُكُم بِهِ حَثَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمُ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلَكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغَيْرِ سُلطَان أَتَاهُمُ كَثِمَرَ مَقَّنَّا عندَ اللَّه وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبُعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قُلْبٍ مُتَكَبِّر جَبَّار ﴿٣٠﴾

ثمّ ذكّرهم مؤمن من آل فرعون ما هم فيه من الملك ليشكروا الله تعالى على ذلك بالايمان به. فقال:

﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ ﴾ عالين على الناس غالبين ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿ فَعَن يَنْصُونَا مِن بَاسِ اللهِ ﴾ عذابه ﴿ إِن جَاعَنَا ﴾ أي: فلا تفسدوا

أمركم، ولا تعرّضوا لبأس الله بقتله، فإنّه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد. وإنّما أدرج نفسه في الضميرين، لأنّه كان منهم في القرابة، وليريهم أنّه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ ﴾ ما أشير عليكم ﴿إِلَّا مَا أَزَىٰ ﴾ لنفسي، وأستصوبه من قتله ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ ﴾ وما أعلمكم ﴿إِلَّا سَهِيلَ الرَّشَادِ ﴾ إلّا ما علمت من طريق الصواب. ولا أدّخر منه شيئاً، ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر. يعني: أنَّ قلبي ولساني متواطئان على ما أقول لكم. وقد كذب لعنه الله، فإنّه كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى، ولكنّه كان يتجلّد، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً، ولم يقف الأمر على الإشارة.

﴿ وَقَالِ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ في تكذيبه. والتعرّض له ﴿ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْزَابِ ﴾ مثل أيّام الأمم الماضية. يعني: وقائعهم. وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم، فإنّه لم يلبس أنّ كلّ حزب منهم كان له يوم دمار.

﴿ مِثْلَ دَأْبٍ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ ﴾ مثل جزاء ما كانواعليه دائباً \_ أي: دائماً \_ من الكفر وإيذاء الرسل، ولا يفترون عنه ساعة ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ كقوم لوط على الكفر وإيذاء الرسل، ولا يفترون عنه ساعة ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ كقوم لوط على ﴿ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ يعني: أنّ تدميرهم كان عدلاً وقسطاً، فلا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخيّي الظالم منهم بغير انتقام. وهو أبلغ من قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظُلْم لِلْعَبِيدِ ﴾ (١)، من حيث جعل المنفيّ إرادة الظلم، لأنّ من كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الطلم أبعد. وفي هذا أوضح دليل على فساد قول المجبّرة القائلة بأنّ كلّ ظلم يكون في العالم فهو بإرادة الله تعالى.

ثمّ حذّرهم من عذاب الآخرة أيضاً، فقال: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ يوم القيامة ينادي بعضهم بعضاً للاستغاثة، أو يتصايحون بالويل والنبور، أو

<sup>(</sup>١) فصّلت: ٤٦.

يتنادى أصحاب الجنّة وأصحاب النار، كما حكى في الأعراف في قوله: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ ( أ ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ( آ).

﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ ﴾ عن العوقف ﴿ مَنْبِرِينَ ﴾ منصرفين عنه إلى النمار. وقسل: فارّين عنها. ﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمِ ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ ﴾ خذلاناً وتخلية ، لفرط عناده. أو عن طريق الجنّة. ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ يهديه.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ ﴾ بن يعقوب، على أنّ فرعونه فرعون موسى، أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد. أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. أقام فيهم نبياً عشرين سنة. ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل موسى ﴿ بِالْبَيّنَاتِ ﴾ بالمعجزات، فشككتم فيها ﴿ فَعَا زِلْتُمْ فِي شَكُ ﴾ فلم تزالوا شاكّين كافرين ﴿ مِنّا جَآءَكُمْ بِهِ ﴾ من الدين ﴿ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ ﴾ مات ﴿ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ ضمّاً إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده. أو جزماً بأن لا يبعث من بعده رسول مع الشكّ في رسالته ، حكماً من عند أنفسكم من غير برهان منكم على تكذيب الرسل.

﴿ كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الضلال، أي: الخذلان ﴿ يُحْمِلُ الله ﴿ يَحَدُل الله في المصيان لفرط العناد ﴿ مَنْ هُوَ مُسْوِقٌ ﴾ مفرط فيه ﴿ مُزْقَابٌ ﴾ شاكّ فيما تشهد به البيّنات، لغلبة الوهم والانهماك في التقليد.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بدل من الموصول الأوّل، لأنّه بمعنى الجمع، فكأنّه قال: كلّ مسرف ﴿ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ﴾ بغير حجّة، بل إمّا بتقليد أو بشبهة داحضة ﴿ اتّاهُمْ كَبُرَ ﴾ فيه ضمير «مَن». وإفراده للفظ، كما جمع البدل منه للمعنى. وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى. ﴿ مَقْتا ﴾ تسييز ﴿ عِنْدُ اللهِ وَعِنْدُ اللّهِ وَعِنْدُ اللّهِ يَنْ آمَنُوا ﴾ ويجوز أن يكون مبتدأ خبره «كبر» على حذف مضاف، أي: وجدال الذين يجادلون كبر مقتاً. أو خبره «بغير سلطان» وفاعل «كبر» ﴿ كَذَلِكَ ﴾

<sup>(</sup>١ و٢) الأعراف: ٤٤ و ٥٠.

أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال. فيكون قوله: ﴿ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلُّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ استئنافاً للدلالة على الموجب لجدالهم. والطبع بمعنى الخذلان والتخلية، كما مـرّ غير مرّة.

وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان: قلبٍ بالتنوين، على وصفه بالتكبّر والتجبّر، لأنّه منبعهما، كقولهم: رأت عيني، وسمعت أذني. أو على حذف مضاف، أي: كلّ ذي قلب متكبّر.

وَقَالَ فَرْعَوْنُ يَا هَامَانُ آبَنِ لِي صَرْحًا لَعَلِي أَبُلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى آبِهِ مُوسَى وَإِنِي لَاَّظْتُهُ كَادْبًا وَكَذَلكَ زَيْنَ لَاسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى آلِيهِ مُوسَى وَإِنِي لَالْظَتُهُ كَادْبًا وَكَذَلكَ زَيْنَ لفرْعَوْنَ اللَّهِ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ لفرْعَوْنَ اللَّهْ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الدَّيْنَ آمَنَ يَا قَوْمٍ أَنْمَا هَذِهِ وَقَالَ الدَّيْنَ مَنَاعٌ وَإِنَّ الآخَوَةُ هِي دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٦﴾ مَنْ عَمِلَ سَيْمَةً فَلاَ الدَّنْيَا مَنْكُما وَمَنْ عَمِلَ سَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَكِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةُ يُرْدُونُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حَسَابٍ ﴿٤٠٠﴾

ثمّ بيّن سبحانه ما موّه به فرعون على قومه، لمّا وعظه المؤمن، وخوّفه من قتل موسى، وانقطعت حجّته، فقال:

﴿ وَقَالَ فِزْعَوْنُ يَا هَامَانُ انْنِ لِمِي صَـرْحاً ﴾ بناءً مكشوفاً عالياً مشيّداً بالآجرّ. من: صرح الشيء إذا ظهر، أي: بناءً ظاهراً لا يخفى على الناظر. ﴿ لَـعَلِّي الْبَلُغُ

﴿اسْبَابَ السَّمْوَاتِ﴾ بيان لها. وفي إبهامها ثمّ إيضاحها تفخيم لشأنها، وتشويق للسامع إلى معرفتها، فإنّه لمّا كان بلوغها أمراً عجيباً، أراد أن يورده على نفس متشوّفة(١) إليه، ليعطيه السامع حقّه من التعجّب، فأبهمه ليشرّف إليه نـفس هامان.

ثمّ أوضحه ﴿ فَاطِّبِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ ﴾ عطف على «أبلغ». وقرأ حفص بالنصب، على جواب الترجّي. ولعلّه أراد أن يبني له رصداً في موضع عالٍ، يرصد منه أحوال الكواكب، الّتي هي أسباب سماويّة تبدلٌ على الحوادث الأرضيّة، فيرى هل فيها ما يدلّ على إرسال الله إيّاه ؟! أو أن يرى فساد قبول موسى، بأنّ إخباره من إله السماء يتوقّف على اطلاعه ووصوله إليه، وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء، وهو متا لا يقوى عليه الإنسان. وذلك لجهله بالله، وكيفيّة استنائه.

﴿ وَإِنِّي لَافَلَتُهُ كَاذِبِا﴾ في دعوى الرسالة ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ومثل ذلك التريين ﴿ زُيِّنَ لِفِزِعَوْنَ سُوّةً عَنْدِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ سبيل الرشاد. ومزيّد هـ و الشيطان بوسوسته، كقوله: ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدُهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ (٣). أو الله على وجه التخلية، فإنّه مكّن الشيطان وأمهله. ومثله: ﴿ زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٣).

وقرأ الحجازيّان والشامي وأبو عمرو : وَصَدَّ، على أنَّ فرعون صدّ النـاس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات. ويؤيّد ﴿ وَمَا كَيْدُ فَرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾

<sup>(</sup>١) تشوّف إلى الشيء: تطلّع إليه.

<sup>(</sup>٢ و ٣) النمل: ٢٤ و ٤.

۱٤٠ ...... زيدة التفاسير ــج ٦ في خسار وهلاك.

ثمّ عاد الكلام إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ يعني: مؤمن آل فرعون. وقيل: موسى ﷺ. ﴿ يَما قَدْهِمِ التَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ ﴾ بالدلالة ﴿ سَبِيلُ الرَّشَادِ ﴾ سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود.

وفيه تعريض بأنّ ما عليه فرعون وقومه سبيل الغيّ. وتكرّر النداء لزيادة تنبيه لهم، وإيقاظ عن سنة الففلة، وأنّهم قومه وعشيرته، وهم فيما يوبقهم، وهمو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزّن لهم ويتلطّف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتّهموه، وأن يتنبّهوا على أنّ سرورهم سروره، وغمّهم غمّه، وينزلوا على تنصيحه لهم، كما كرّر إبراهيم ﷺ في نصيحة أبيه: ﴿يَا أَبْتِ﴾ (١٠). فلأجل ذلك كرّر النداء مرّة أخرى بقوله: ﴿يَا قَوْمٍ إِنَّمًا هَذِهِ الْحَياةُ اللَّذَيْ مَتَاعً﴾ تمتّع يسير، لسرعة زوالها.

ثمّ ذكّرهم تعظيم الآخرة والاطّلاع على حقيقتها، وأنّها هي الوطن الحقيقي والمستقرّ الأصلي. وذكر الأعمال سيّئها وحسنها، وعاقبة كلّ منهما، ليـنبّط عـمّا يتلف، وينشط لما يزلف، فقال:

﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِنِي دَارُ الْقَرَارِ ﴾ لخلودها ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّفَةٌ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ عدلاً من الله. ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرِ أَوْ انتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاوْتَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةُ يُرْزَقُونَ فِيهَا مِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل، بل أضعافاً مضاعفة، فضلاً منه ورحمة. وتقسيم العمّال، وجعل الجزاء جملة اسميّة مصدّرة باسم الاشارة، وتفضيل الثواب، لتغليب الرحمة، وجعل العمل عمدة والإيمان حالاً، للدلالة على أنّه شرط في اعتبار العمل، وأنّ ثوابه أعلى من ذلك.

<sup>(</sup>١) مريم: ٤٢ ـ ٤٥.

ثمّ وازى بين الدعوتين: دعوته إلى دين الله الّذِي ثمرته النجاة. ودعوتهم إلى اتّخاذ الأنداد الّذي عاقبته النار . فقال:

﴿ وَيَا قَوْمٍ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاة﴾ من النار بالإيمان بالله ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ إلى الشرك الذي يوجب النار . ويَخهم بذلك على ما يقابلون بــــ نــصحـــــ وعطف على النداء الثاني ، لأنّه داخل على ما هو بيان لما قبله. ولم يعطف الثاني على الأوّل ، لأنّ ما بعده أيضاً تفسير لما أجمل فيه تصريحاً أو تعريضاً .

﴿ أَنْدَعُونَنِي لِأَعْفُرْ بِاشِ ﴾ بدل أو بيان فيه تعليل. والدعاء كالهداية في التعدية بدالى» واللام. فيقال: دعاه إلى كذا ودعا له، كما يقال: هداه إلى الطريق وهدى له.

﴿ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا نَيْسَ بِي بِهِ ﴾ بربوبيّته ﴿عِلْمُ ﴾ المراد بنفي العلم نفي المعلوم. كأنّه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وما ليس بإله كيف يصحّ أن يعلم إلهاً، وفيه إشعار بأنّ الألوهيّة لابدً لها من برهان، فاعتقادها لا يصحّ إلّا عن إيقان. ﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْخَرِيزِ الْمُفْلُو ﴾ المستجمع لصفات الألوهيّة، من كمال القدرة والغلبة، وما يتوقّف عليه من العلم والإرادة، والتمكّن من المجازاة، والقدرة على التعذيب والغفران.

﴿ لَا جَرَمَ﴾ لاردّ لما دعاه إليه قومه. و «جَرَم» فَعَل بمعنى: حقّ، وفاعله ﴿ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إلَيْهِ لَيْسَ لَهُ نَعْوَةً فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآجَرَةِ ﴾ أي: حقّ ووجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلاً، لآنها جمادات ليس لها ما يقتضي ألوهيتها. أو عدم دعوة مستجابة. أوعدم استجابة دعوة لها.

وقيل: «جرم» بمعنى: كسب، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنْاَنُ قَوْمِ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ (١١). وفاعله مستكن في «تمدعونني» أي: كسب ذلك الدعاء إليه أن لا دعوة له. بمعنى: ماحصل من ذلك إلّا ظهور بطلان دعوته.

وقيل: «لا جرم» نظير: لابد، فعل من الجرم بمعنى القطع، كما أنّ بداً فعل من التبديد، وهو التفريق. والمعنى: لا قطع لبطلان دعوى ألوهيّة الأصنام، أي: لا تزال باطلة، لا ينقطع ذلك في وقت مّا فينقلب حقّاً. ويؤيّده قولهم: لا جرم أنّه يفعل، فإنّه لغة فيه، كالرُشد والرَشَد.

﴿ وَأَنَّ مَرَدُنَا إِلَى اللهِ ﴾ أي: وجب أنّ سرجعنا ومصيرنا إلى الله بالموت. فيجازي كلاً بما يستحقّه ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ووجب أنّ المسرفين في الضلالة والطغيان، كالإشراك وسفك الدماء. وقيل: اللّذين غلب شرّهم خيرهم. ﴿ هُمْمُ أَضْ خَالُونُ ملازموها.

<sup>(</sup>١) المائدة: ٢.

ثمّ قال لهم على وجه التخويف والوعظ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ صحّة ما أقول لكم من النصيحة إذا حصلتم في العذاب بكفركم. ثمّ أظهر إيمانه بقوله: ﴿وَالْقَوْضُ أَمْرِي إِلَىٰ اللهِ ليمصمني من كلّ سوء. والأمر: اسم جنس. ﴿إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ عالم بأحوالهم وبما يفعلونه من الطاعة والمعصية.

وهذا جواب توعدهم المفهوم من قوله: ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّفَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ صرف الله عنه شدائد مكرهم، وما همّوا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم، فنجا مع موسى حتّى عبر البحر ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ ﴾ بفرعون وقومه، واستغنى بذكرهم عن ذكره، للعلم بأنّه أولى بذلك، وقيل: بطلبة المؤمن من قومه، فإنّه فرّ إلى جبل، فبعث فرعون بطائفة فوجدوه يصلّي والوحوش صفوف حوله، فرجعوا رعباً، فقتلهم، ﴿ لَهُ وَاللهُ اللهُ الله

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيبًا ﴾ جملة مستأنفة. أو «النار» خبر محذوف، و «يعرضون»، و «يعرضون» حال من النار، أو من الآل، والمراد بعرضهم على النار إحراقهم بها. من قولهم: عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به. وذلك لأرواحهم، كما روى ابن مسعود: أنّ أرواحهم في أجواف طيور سود، تعرض على النار بكرة وعشيّاً إلى يوم القيامة. وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد. وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر.

وعن نافع، عن ابن عمر أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالفداة والعشيّ، إن كان من أهل النار فمن المعدد بالفداة والعشيّ، إن كان من أهل النار فمن النار. فيقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله يوم القيامة». أورده البخاري(١١) ومسلم في الصحيح. وقال أبو عبدالله ﷺ: ذلك في البرزخ.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ أي: هذا ما دامت الدنيا، فإذا قامت الساعة قيل لهم:

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري ٢: ١٢٤. صحيح مسلم ٤: ٢١٩٩ ح ٦٥.

﴿أَنْخِلُوا آلَ فِزْعَوْنَ﴾ يا آل فرعون(١) ﴿أَشَدَ الْعَنَابِ﴾ عذاب جهنّم، فإنّه أشدّ منا كانوا فيه، أو أشدّ عذاب جهنّم.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص: أَدْخِلُوا، على أمر المــلائكة بإدخالهم النار.

وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَا ُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبُرُواۤ إِنَّا كُمُّ لَكُمُ تَبَعًا فَهَلُ أَنْتُم مُعْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿ ٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ ٱسْتَكْبُرُوآ إِنَّا كُلِّ فَيهاۤ إِنَّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَئِنَ الْعَبَادَ ﴿ ٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَة جَهَنَّمَ الْمُعَلَّ إِنِّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَئِنَ الْعَبَادَ ﴿ ٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَة جَهَنَّمَ الْمُعَلِّ إِنِّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَئِنَ الْعَبَادَ ﴿ ٤٩﴾ وَقَالَ اللّهِ فِي النَّارِ لِخَزَنَة جَهَنَّمُ رُسُلُكُم بِالْبَيْنَاتَ قَالُوا بَلِي قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَا أَ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَال ﴿ ٤٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَيُومَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿ ٤٠﴾ يَوْمَ لاَ يَنْفَرُ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنِيا وَيُومَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿ ٤٠٠ } يَوْمَ لاَ يَنْفَرُ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الذَّارِ ﴿ ٢٠﴾ وَلَا اللّهُ اللّهُ فَيْهُ مَا سُوءُ الذَّارِ ﴿ ٢٠﴾

ثمّ ذكر سبحانه ما يجري بين أهل النار من الحجاج، فقال: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ﴾ واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها. ويحتمل عطفه على «غدوًاً».

لَّ مَ فَصَل التخاصم بقوله: ﴿ فَيَقُولُ الضَّعَقَاءُ ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبُرُوا﴾ وهم الروساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُم تَبَعا﴾ أتباعاً، كخدم جمع خادم. أو ذوي

<sup>(</sup>١) هذا التفسير على قراءة : ادْخُلُوا.

تبع، على إضمار مضاف، بمعنى: أتباع، أو وصف بالمصدر تبجوزاً. ﴿ فَهَلَ انْتُمْ مُفْنُونَ عَنَّا تَصْبِياً مِنَ النَّاوِ ﴾ بالدفع أو الحمل، فإنّه يلزم الرئيس الدفع أو الحمل عن أتباعه والمنقادين لأمره. و«نصيباً» مفعول به لما دلّ عليه «مغنون عنّا» من معنى الدفع أو الحمل. أو مصدر، كشيئاً في قوله: ﴿ لَنْ شُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْـوَالُـهُمْ وَلَا الْهُمْ مِنَ اللهِ شَغْنِا ﴾ (١٠). و«من» صلة «مغنون».

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكَثِرُوا إِنَّا كُلُّ﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه. والتقدير: كلّنا. يعني: نحن وأنتم. ﴿فِيهَا﴾ في النار، فكيف نغني عنكم؟! ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا. و«كلّ فيها» مبتدأ وخبر في موضع رفع بأنّه خبر «إنّ». والمعنى: إنّا مجتمعون في النار. ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ بأن أدخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، ولا معقب لحكمه. أو بأن لا يتحمّل أحد عن أحد، وأنّه يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لا محالة.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي الدَّارِ ﴾ أي: المتبوعون والأتباع ﴿ لِحَوْزَقَةِ جَهَنَّهُ لَقُوام تعذيب أهل النار. ووضع جهتم موضع الضمير للتهويل، أو لبيان محلّهم فيها، إذ يحتمل أن تكون جهتم أبعد دركاتها قعراً، من قولهم: بئر جِهِنّام بعيدة القعر، وفيها أعتى الكفّار وأطفاهم، فلعلّ الملائكة الموكّلين بعذاب أولئك أقرب إجابة للدعوة، لزيادة قربهم من الله، فلهذا تعتدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم. ﴿ أنفُوا رَبُّكُم يُخفّفُ عَنا يَوْما ﴾ قدر يوم ﴿ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ شيئاً من العذاب. ويبجوز أن يكون المفعول «يوماً» بحذف المضاف، و«من العذاب» بيانه.

﴿ قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَاتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والدلالات الواضحة على صحّة التوحيد والنبوّات. أرادوا به إلزامهم للحجّة، وتوبيخهم على إضاعتهم أوقات الدعاء، وتعطيلهم أسباب الإجابة.

<sup>(</sup>۱) آل عمران: ۱۰.

١٤٦ ..... زيدة التفاسير ـ. ج ٦

﴿ قَالُوا بَلَيٰ﴾ جاءتنا الرسل والبيّنات، فكذّبناهم وجحدنا نبوّتهم.

﴿ قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم فإنّا لا نجترى، فيه، أو لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم. وفيه إقناط لهم عن الإجابة، ودلالةعلى الخيبة، فإنّ الملك المقرّب إذا لم يسمع دعاء الكافر؟! كما قال: ﴿ وَمَا دُعَامُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ في ضياع لا يجاب.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالحجّة والظفر والنصرة والغلبة، والانتهام لهم من الكفرة ﴿فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي: في الدارين، وإن غُلبوا في الدنيا في بعض الأحيان امتحاناً من الله، فالعاقبة لهم، فإنّه يتيح الله من يقتصّ من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريّا - لمّا قتل - حين قتل به سبعون ألفاً. فهم لا محالة منصورون في الدنيا. والأشهاد جمع شاهد، كصاحب وأصحاب. والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس، من الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

ثمَّ أخبر سبحانه عن ذلك اليوم بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الطَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ بدل من الأوّل. وعدم نفع المعذرة لأنّها باطلة، أو لأنّه لم يؤذن لهم فيعتذروا. وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء. ﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ البعد من الرحمة ﴿ وَلَهُمْ سُوّهُ الدَّارِ ﴾ سوء دار الآخرة، وهو عذابها.

وَلَقَدُ آَثَیْنَا مُوسَى الْهَدَى وَأَوْرَثَنَا بَنِيَ إِسْرَآثِیلَ الْکِتَابَ ﴿٣٥﴾ هُدَى وَذَكْرَى لِأُولِي الْأَبَابِ ﴿٤٥﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقَّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبَحْ بِحَمْد رَبِكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾

ثمّ ذكر حسن عاقبة موسى وقومه ونجاتهم من فـرعون، فـقال: ﴿ وَلَـقَدْ

آئَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾ ما يهتدي به في الدين، من المعجزات وصحف التوراة والشرائع، بعد استئصال آل فرعون ﴿ وَأَوْرَفْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْجِنَابَ ﴾ وتركنا عليهم بعده ذلك التوراة ﴿ هُدى ﴾ هداية يعرفون بها معالم دينهم ﴿ وَنِحْرَى ﴾ وتذكرة لهم بها وعبرة . أو هادياً ومذكّراً. ﴿ لِأُولِسِي الْأَفْبَابِ ﴾ لذوي العقول السليمة.

ثمّ أمر نبيّه ﷺ بالصبر على تحمّل أذى قومه، فإنّ الصبر مفتاح الفـرج، ولكلّ عسر يسر، ولكلّ نازلة حسن عاقبة، كعواقب أمور موسى بعد تحمّل المشائق من آل فرعون، فقال:

﴿ فَاصْبِزِ﴾ على أَذى المشركين في تكذيبهم إيّاك ﴿ إِنَّ وَعَدَ اللهِ ﴾ بنصرة الرسل ﴿ حَقَّ ﴾ واجب عليه ثابت لا يخلفه. واستشهد بموسى وما آناه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده، وإبقاء آثار هداه في بنني إسرائيل. فالله ناصرك كما نصرهم، ومظهرك على الدين كلّه، ومبلغ ملك أمّتك مشارق الأرض ومغاربها.

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ وأقبل على أمر دينك، وتدارك فرطاتك \_كترك الأولى \_ بالاستغفار، فإنّه تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر. ومثل هذا تمبّد من الله سبحانه لنبيّه، لكي يزيد في الدرجات، وليصير سنّة لمن بعده. ﴿ وَسَبِّحْ بِحَفْدِ رَبِّكَ بِالْفَشْبِيِّ وَالْإِبْكَادِ ﴾ ودم على التسبيح والتحميد لربّك. وقيل: من زوال الشمس إلى الليل، ومن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وعن ابن عبّاس: يريد الصلوات الخمس. وقيل: صلّ لهذين الوقتين، إذ كان الواجب بمكّة ركعتين بكرة وركعتين

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «قال الله ﷺ: يابن آدم اذكرني بـعد الغـداة ساعة. وبعد العصر ساعة. أكفك ما أهمّك». إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانِ أَتَاهُمُ إِن فِي صُدُورِهِمُ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانِ أَتَاهُمُ إِن فِي صُدُورِهِمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٠﴾ لَخُلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ حَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لاَ يُعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَغْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيّءُ وَمَا يَسْتَوِي الأَغْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيّءُ وَمَا يَشِدُونَ الْمَالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيّءُ وَمَا يَشَوْلُ الْمُسَالِكَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ السَّاعَة لَآئِيةٌ لاَ رُيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكُمْ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٥﴾ وقَالَ رَبُّكُمُ آدْعُونِيَ أَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّ الذِينَ يَسْتَكُبُرُونَ عَنْ عَبْدَرِينَ ﴿٣٠﴾ عَبْدَرَي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٣٠٤﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ في دفعها ﴿بِفَيْرِ سُلْطَانِ ﴾ بغير حجّة ﴿ اتَاهُمْ ﴾ عام في كلّ مجاذل مبطل، وإن نزلت في مشركي مكّة واليهود حين قالوا: سيخرج صاحبنا المسيح بن داود \_ يريدون الدجّال \_ ويبلغ سلطانه البرّ والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فيرجع إلينا الملك. فسمّى الله تمنيهم ذلك كبراً، ونفى أن يبلغوا متمنّاهم، وقال: ﴿إِن فِي صُدُورهِمْ إِلّا كِبْرٌ ﴾ إلا تكبّر عن الحقّ، وتعظّم عن التفكّر والتعلّم، أو إرادة التقدّم والرئاسة. ﴿ هَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ ببالغي موجب الكبر ومقتضيه. وهو الرئاسة أو إلى البرة. أو ببالغي دفع الآيات.

﴿فَاسْتَعِدْ بِاللهِ﴾ فالتجيء إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك ﴿إِنَّهُ هُـوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بما تعمل ويعملون. فهو ناصرك عليهم، وعاصمك من شرّهم. ولمّا كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على إنكار البعث، وهـو أصـل المجادلة ومدار المخاصمة، فاحتجّ بخلق السماوات والأرض، لأنّهم كانوا مقرّين بأنّ الله خالقهما، فقال:

﴿ لَخَلْقُ السَّمُواتِ وَالْأَرْضِ الْحَبُرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ فمن قدر على خلقهما مع عظمهما من غير أصل، ووقوفهما بغير عمد، قدر على خلق الانسان مع مهانته ﴿ وَلَكِنَّ الْخَثْرُ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ لآنهم لا ينظرون ولا يتأمَّلون، لفرط غفلتهم وانباعهم أهواءهم، يعني: أنهم إذا أقرّوا بأنَّ الله تعالى خلق السماوات والأرض، فكيف أنكروا قدرته على إحياء الموتى ؟! ولكنهم أعرضوا عن التدبّر، فحلّوا محلّ الجاهل الذي لا يعلم شيئاً.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالبَصِيدُ ﴾ الغافل المتكبّر والعاقل المستبصر، أي: لا يستوي من أهمل نفسه ومن تفكّر فعرف الحقّ ﴿ وَالَّذِينَ آ مَنُوا وَعَبِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا المُسبِيءَ ﴾ أي: المحسن والمسيء، في الكرامة والإهانة، والهدى والضلال. فينبغي أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت، وهي فيما بعد البعث.

وزيادة لفظة «لا» في «المسيء» لأنَّ المقصود نفي مساواة المسيء للمحسن فيما له من الفضل والكرامة، والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف على الأعمى والبصير، لتغاير الوصفين في المقصود، أو الدلالة بالصراحة والتمثيل.

﴿قَلِيلاً مَا تَقَتَكُرُونَ﴾ أي: تذكّراً قليلاً يتذكّرون. أو قليلاً تذكّرهم. والضمير للناس، أو الكفّار. وقرأ الكوفيّون بالتاء، على تغليب المخاطب، أو الالتفات، أو أمر الرسول بالمخاطبة.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةً لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شكّ في مجيئها، لوضوح الدلالة على جوازها، وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُـوْمِنُونَ ﴾ لا يصدّون بها، لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسّون به. ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ الْمُونِي﴾ اعبدوني. وعن الحسن ـ وقد سئل عنها ـ : اعملوا وأبشروا، فإنّه حقّ على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله.

وعن الثوري أنَّه قيل له: ادع الله. فقال: إنَّ ترك الذنوب هو الدعاء.

وفي الحديث: «إذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

وعن النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة. ثــمّ قــرأ: «وقال ربّكم ادعوني».

﴿اسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أثب لكم لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَغْبِرُونَ عَنْ عِبَانَتِي سَينَدْ فُلُونَ جَهَنَّم تافِرِينَ﴾ صاغرين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بضم الياء وفتح الخاء.

وعن ابن عبّاس: وحّدوني أغفر لكم. وهذا تنفسير للمدعاء بالعبادة، ثـمّ للعبادة بالتوحيد.

ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما، ويسريد ب«عبادتي» دعائي، لأنّ الدعاء باب من العبادة، ومن أفضل أبوابها. ويصدّقه قول ابن عبّاس: «أفضل العبادة الدعاء». وعلى هذا؛ استجابته مشروط باقتضاء المصلحة.

وعن كعب: أعطى الله هذه الأمّة ثلاث خلال لم يعطهن إلّا نبيّاً مرسلاً. كان يقول لكلَّ نبيّ: أنت شاهدي على خلقي. وقال لهذه الأمّة: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآهَ عَلَى النَّاسِ﴾ (١٠. وكان يقول: ما عليك من حرج. وقال لها: ﴿ مَا يُوِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَرْجٍ﴾ (١٠. وكان يقول: ادعني أستجب لك. وقال لها: «ادعوني أستجب لكم».

وعلى القول الأخير؛ الآية دالَّة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى. وعلى

<sup>(</sup>١) البقرة: ١٤٣.

<sup>(</sup>٢) المائدة: ٦.

فضل الانقطاع إليه. وقد روي عن معاوية بن عمّار قال: «قلت لأبي عبدالله للله: جعلني الله فداك ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً، كان أحدهما أكثر صلاة، والآخر أكثر دعاء، فأيّهما أفضل؟ قال: كلَّ حسن، قلت: قد علمت، ولكن أيّهما أفضل؟ قال: أكثرهما دعاءً. أما تسمع قول الله تعالى: «ادعوني أستجب لكم» إلى آخر الآية. وقال: هي العبادة الكبرى».

وروى زرارة عن أبي جعفر ﷺ أيضاً في هذه الآية قال: «هو الدعاء. وأفضل العبادة الدعاء».

وروى حنان بن سدير ، عن أبيه ، قال : «قلت لأبي جـعفر ﷺ : أيّ العـبادة أفضل؟ قال: ما من شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده . وما أحــد أبغض إلى الله ﷺ متن يستكبر عن عبادته . ولا يسأل ما عنده».

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُّ اللَّيلَ لِتَسْكُثُوا فِيهِ وَالْفَهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ ذَلِكُمُّ اللَّهُ رَبُّكُمُّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنِّى تُؤْفَكُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا إِنَّاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾

ثمّ ذكر ما يدلَّ على توحيده، فقال: ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَيْلَ﴾ وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لتستريحوا فيه، بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدي إلى ضعف المحرّكات وهدوء الحواسّ ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ أي: مضيئاً تبصرون فيه مواضع حاجاتكم. وإسناد الإبصار إلى النهار مجاز، لأنّ الإبصار في الحقيقة لأهل النهار، فعدل إلى المجاز مبالغة، ولذلك لم يقل: لتبصروا ١٥٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

فيه، ليقابل قوله: «لتسكنوا».

﴿إِنَّ اللهُ لَذُو فَضْلِ عَلَى النَّاسِ﴾ لا يوازيه فضل. وللإشعار بهذا المعنى - الذي هو مفاد تنكير الفضل - لم يقل: لمحفضل أو لمتفضّل. ﴿ وَلَكِنُ أَكْفَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ لجهلهم بالمنعم، وإغفالهم مواقع النعم. وتكرير الناس، وعدم الاكتفاء بالضمير، لتخصيص الكفران بالناس، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (١٠). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (١٠). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُورُكُ (١٠). ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١٠).

﴿ ذَلِكُمُ﴾ المخصوص بهذه الأفعال المقتضية للألوهيّة والربوبيّة ﴿ اللهُ وَبُكُمْ خَالِقُ كُلُ شَيْءٍ﴾ من السماوات والأرض وما بينهما ﴿ لا إِللهُ إِلاَ هُوَ﴾ أخبار مترادفة تخصّص اللاحقة السابقة وتقرّرها، أي: هو الجامع لهذه الأوصاف. من الإلهيّة والربوبيّة، وخلق كلّ شيء وإنشائه بحيث لا يمتنع عليه شيء، والوحدانيّة الّتي لا تأني له ﴿ فَانَّىٰ تُوْفَعُونَ ﴾ فكيف ومن أيّ وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، مع وضوح الدلالة على توحيده ؟!

﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ما أفك وصرف هؤلاء ﴿ يُؤْفُكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ أي: يؤفك عن الحق كلَّ من جحد بآيات الله ولم يتأمّلها، ولم يكن همّه طلب الحق وخشية العاقبة. وهم من تقدّمهم من أكابرهم ورؤسائهم، فإنّهم هم الذين صرفوهم عن الحقّ.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَآءُ بِنَآءٌ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيْبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُ الْعَالَمِينَ

<sup>(</sup>١) الحجّ: ٦٦.

<sup>(</sup>۲) العاديات: ٦.

<sup>(</sup>٣) إبراهيم: ٣٤.

﴿ ٢٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدَّيِنَ الْحَمْدُ لَله رَبّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٥﴾ هُوَ اللّهِ لَمَا جَاءَنِيَ الْعَلَمِينَ ﴿ ٢٥﴾ هُوَ اللّهِ لَمَا جَاءَنِيَ الْبَيْنَاتُ مِن رَّبِي وَأُمُوتُ أَنْ أَسْلَمَ لِرَبّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٦﴾ هُوَ اللّهِ لَمَا جَاءَنِي تُرَبّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٦﴾ هُو اللّهِ يَعَلَمُ مَن تُرَاب ثُمَّ مِن عَلَقَة ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِبَلْغُوا اللّهَ يُعَلَّمُ مُن عَلَقَة ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لِبَلْغُوا اللّهَ يُكُمْ ثُمَّ لَيْكُونُوا شُيُوحًا وَمِنكُم مَن يُوقِي مِن قَبْلُ وَلِنَبْلَغُوا الْجَلّا مُسَمَّى وَلَعَلَكُمْ لَنَّا لَهُ كُن لَا اللّهِ يَعْلُ لَهُ كُن اللّهِ كُلُ هُمَا اللّهِ لَمَا يَعُولُ لَهُ كُن اللّهِ لَمَا يَعُولُ لَهُ كُن اللّهِ كُلُولُ اللّهِ كُلُ ﴿ ٢٨﴾

ثمّ ذكر سبحانه استدلالاً آخر بأفعال أخر مخصوصة على توحيده، فقال:

﴿اللهُ الدِّي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءَ﴾ أي: قبّة، ومنه: أبنية العرب
لمضاربهم، لأنَّ السماء في منظر المين كقبّة مضروبة على وجه الأرض. ﴿ وَصَوْرَكُمْ
قَاحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾ بأن خلقكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء
والتخطيطات، متهيّين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات. قبل لم يخلق حيواناً
أحسن صورة من الإنسان.

وعن ابن عبّاس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً. يأكل بيده. ويتناول بيده. وكلّ ما خلق الله غيره يتناول بفيه.

﴿ وَرَزَقَتُمْ مِنَ الطَّيْبَاتِ﴾ اللذائد، فإنّه ليس شيء من الحيوان له طيّبات المآكل والمشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم، فإنّ أنواع اللذّات والطيّبات الّتي خلقها الله تعالى لهم ـ من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك ـ مـمّا لا ۱۵٤ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

يحصى كثرة.

﴿ ذَلِكُمُ ﴾ أي: فاعل هذه الأشياء ﴿ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فإنَّ كلّ ما سواه مربوب؛ مفتقر بالذات، معرض للزوال.

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَآءَنِيَ الْبَيْنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ من الحجج المقليّة والآيات السمعيّة، فإنّها مقرّية لأدلّة العقل، ومؤكّدة لها، ومضمّنة ذكرها، نحو قوله تعالى: ﴿ التَعْبُدُونَ مَا تَنْجِدُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠، وأشباه ذلك من التنبيهات على أدلّة العقل. ولا شبهة أنّ تناصر الأدلّة العقليّة والسمعيّة أقوى في إيطال مذهبهم، وإن كانت أدلّة العقل وحدها كافية.

﴿ وَامِرْتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أن أنقاد له. أو أخلص له ديني.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمْ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمْ يُغْرِجُكُمْ طِفْلاً والتوحيد لإرادة الجنس، أو على تأويل كلّ واحد منكم ﴿ فُمْ لِتَبْلَغُوا السُدُكُمْ ﴾ يتملّق اللام فيه بمحذوف تقديره: ثمّ يبقيكم لتبلغوا. وكذا في قوله: ﴿ فُمْ لِتَكُونُوا شُيُوخاً ﴾ ويجوز عطفه على «لتبلغوا». وقرأ نافع وأبو عسرو وحفص وهسام: شيوخاً بضمّ الشين. ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل الشيخوخة. أو قبل بلوخ الأشدّ. أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطاً. ﴿ وَلِيتَبْلُغُوا ﴾ أي: ويفعل ذلك لتبلغوا ﴿ اجَلاً مُسَمّى ﴾ هو وقت الموت. وقبل: يوم القيامة. ﴿ وَلَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ما لحبج والعبر.

﴿ هُوَ الَّذِي يُضِي وَيُمِيتُ ﴾ يحييكم ويميتكم. فأوّلكم من تراب، وآخركم إلى

<sup>(</sup>١) الصافّات: ٩٦\_٩٥.

تراب. ﴿ فَإِذَا قَضَنَىٰ أَمْوا ﴾ فإذا أراده ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فإنّما يكونه من غير كلفة ولا معاناة، ولا مدّة ولا عدّة، ومن غير أن يتعذّر بل يتعسّر عليه. فهو بمنزلة ما يقال له: كن فيكون، لأنّه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكوّن. والفاء الأولى للدلالة على أنّ ذلك نتيجة ما سبق من قدرته على الإحياء والإماتة، وسائر أفماله المحكمة المتقنة، من حيث إنّه يقتضي قدرة ذاتيّة غير متوقّفة على العدد والموادّ. كأنّه قال: فلذلك الاقتدار الذاتي إذا قضى أمراً كان أهون شيء وأسرعه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَى يُصْرَفُونَ ﴿ ٢٠﴾ إَذِ الْأَغْلَالُ فِي كَنَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا آرُسُلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوُفَ يَعْلَمُونَ ﴿ ٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ ٧٧﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ ٧٧﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُوا ﴿ ٧٧﴾ مَنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُوا عَنَّا بَلِ لَمْ نَكُنَ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿ ٧٤﴾ ذَلَكُم مِنا كُتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿ ٧٧﴾ آذْخُلُوآ فِيهَا فَيْشُن مَنْوَى اللَّهَ يُعْمِرِنَ ﴿ ٢٧﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّـنِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ في إبطالها ودفعها ﴿ أَنَّـنَ يُضرَفُونَ ﴾ أين يقلبون عن التصديق به؟ ولوكانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحّتها والفكر فيها، لما ذمّهم الله تعالى. وكرّ (١) ذمّ المجادلة لتعدّد المجادل، أو

<sup>(</sup>١) في الآية ٣٥ و٥٦ و ٦٩.

۱۵۸ ..... زیدة التفاسیر ـج ٦

المجادل فيه، أو للتوكيد.

ثمّ وصفهم بالتكذيب فقال: ﴿الَّذِينَ تَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بالقرآن، أو بجنس الكتب السماويّة ﴿ وَيِمَا أَرْسَلْفًا بِهِ رُسُلْفًا﴾ من سائر الكتب، أو الوحي والشرائع ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ جزاء تكذيبهم، فيعرفون أنّ ما دعوتهم إليه حقّ، وما ارتكبوه ضلال وفساد.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَغْنَاقِهِمْ ﴿ فَرْفَ الْاِيعَلَمُونَ » إِذْ المعنى على الاستقبال، وإن كان «إِذَ» للمضيّ. والتعبير عن الاستقبال بلفظ المضيّ لتيقّنه، فلا يكون ذلك مثل قولك: سوف أصوم أمس. ﴿ وَالسَّلاسِلُ ﴾ عطف على الأغلال. أو مبتدأ خبره ﴿ يُسْحَبُونَ فِي الْمَعِيمِ ﴾ والعائد محذوف، تقديره: يسحبون \_ أي: يجرّون \_ بها في الما الحارّ الذي قد انتهت حرارته. وهو على الأوّل حال.

﴿ ثُمُّ فِي النَّادِ يُسْجَرُونَ﴾ أي: يقذفون وتوقد بهم في جميع جوانبهم. من: سجر التنور إذا ملأه بالوقود. ومنه: السجير للصديق، كأنّه سجر بالحبّ، أي: ملىء. والمعنى: أنّهم في النار، فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بالنار، مملوءة بها أجوافهم. ومنه: قوله: ﴿ ثَالُو اللهِ الْمُوقَدَةِ اللّٰتِي تَطْلِعُ عَلَى الْأَفْلِدَةِ ﴾ (١). والمراد: تعذيبهم بأنواع من العذاب، ويتقلون من بعضها إلى بعض.

﴿ فَمُ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ من الأصنام ﴿ قَالُوا ضَـلُوا عَنْ مُعَالِهُ عَنْ عَابُوا عن عيوننا، فلا نراهم لنتنفع بهم ﴿ بَلْ لَمْ نَكُنْ مَذَكُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئِا﴾ بل تبين لنا أنّا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم، كقولك: حسبت أنّ فلاناً شيء، فإذا هو ليس بشيء، إذا لم تر عنده خيراً.

﴿ كَذَٰلِكَ﴾ مثل ضلال آلهتهم عنهم ﴿ يُضِلُ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾ يضلّهم عن آلهتهم، حتّى لو طلبوا الآلهة أوطلبتهم الآلهة لم يتصادفوا. أو المعنى: كما أضلَّ الله أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يؤمّلونه، كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر، فلا ينتفعون

<sup>(</sup>١) الهمزة: ٦\_٧.

وقيل: يضلّ الكافرين عن طريق الجنّة والثواب، كما أضلّهم عـمّا اتّـخذوه إلهاً، بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها.

والآية لا تنافي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصْبُ جَهَنَّمُ ﴾ (١٠) بأنهم مقرونون بآلهتهم، لجواز أن يضلّوا عنهم حين وبّخوا وقيل لهم: أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم، وأن يكونوا معهم في ساثر الأوقات.

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ الإضلال ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقَّ ﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ تتوسّعون في الفرح تبطّراً وتكبّراً، والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ.

ثمّ حكى سبحانه عن هؤلاء الكفّار أنّه يقال لهم: ﴿انْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنّهُ﴾ الأبواب السبعة المقسومة لكم في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ ابْوَابِ لِكُلِّ بَابِ مِنْهُمْ جُزْهُ مَقْسُومٌ﴾ (\*) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدّرين الخلود ﴿فَيِئْسَ مَلْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحق جهيّم. وكان مقتضى النظم: فبئس مدخل المتكبّرين، كما تقول: زر بيت الله فنعم المزار، ولكن لمّا كان الدخول المقيّد بالخلود سبب الشواء \_ أي: الإقامة \_ عبر بالمثوى. وإنّما أطلق عليه اسم «بئس» مع كونه حسناً، لأنّ الطبع ينفر عنه كما ينفر المقبل عن القبيح.

فَاصْبِرُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ فَإِمَّا نُرِيَّلَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَكَ فَالْيَنَا يُوْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

<sup>(</sup>١) الأنساء: ٨٨.

<sup>(</sup>٢) الحجر: ٤٤.

۱۵۸ ..... زیدة التفاسیر ـج ٦

وبعد تهديد الكفَّار أمر نبيَّه ﷺ بالصبر على مقاساته أذيَّتهم، فقال:

﴿ فَاصْدِرْ إِنَّ وَعَدَ اللهِ ﴾ بالنصر لأنبيائه. والانتقام من أعدائه ﴿ حَقَ ﴾ كائن لا محالة. أو ما وعد الله به المؤمنين على الصبر \_ من التواب في الجنّة \_ حقّ لا شكّ فيه.

﴿ فَإِمَّا نُبِويَنَكَ ﴾ في حياتك. أصله: إن نُرك. و«ما» مزيدة لتأكيد الشرطية. ولذلك لحقت النون الفعل، ولا تلحق مع «إن» وحدها بدون «ما»، فلا يقال: إن تكرمني أكرمك، ولكن: إمّا تكرمني أكرمك. ﴿ بَغضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ وهو القتل والأسر. وإنّما قال: «بعض الّذي» لأنّ المعجّل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقّ نه.

﴿ أَوْ نَتَوَقَّفِتُكُ ﴾ قبل أَن تراه ﴿ فَإِلَيْقَا يُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة، فننتقم منهم أشدّ الانتقام، ولا يفوتوننا. ونحوه قوله تعالى: ﴿ فَهَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنتَقِّمُونَ ﴾ أَوْ فُرِيْتُك الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَيْرُونَ ﴾ (١٠). وهو جواب «نـتوفَيْتُك». وجـواب «نرينك» محذوف، مثل: فذاك. ويجوز أن يكون جواباً لهما، بمعنى: إن نعذّبهم في حياتك أولم نعذّبهم، فإنّا نعذّبهم في الآخرة أشدّ العذاب، ويدلّ على شدّته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض.

وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ لِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقْ وَحَسَرَ هُمَالِكَ الْمُنْطِلُونَ ﴿ ٧٧﴾

<sup>(</sup>١) الز/خرف: ٤٦\_٤١.

روي: أنّ المشركين قد اقترحوا بالمعجزات عناداً بعد ظهور ما يغنيهم عنها. فقال سبحانه تسلية النبيّة المنجيّة :

﴿ وَلَقَدُ ارْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ أخبارهم ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ ذكرهم، إذ على المشهور عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والمذكور قصصهم أشخاص معدودة.

وقيل: إنّ عددهم ثمانية آلاف نبيّ. أربعة آلاف من بني إسرائيل. وأربـعة آلاف من غيرهم.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولِ أَن يَاتِئِ بِآيَةٍ ﴾ بمعجزة ﴿ إِلَّا بِاذْنِ اللهِ ﴾ وأمره، فإنّ المعجزات عطايا قسّمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَهُوْ اللهِ ﴾ بالعذاب في الدنيا أو الآخرة ﴿ قَضِيَ بِالْحَقَّ ﴾ بإنجاء المحقّ و تعذيب المبطل ﴿ وَضَعِيرَ هُمَائِكَ الْمُعْطِلُونَ ﴾ المعاندون باقتراح الآيات، فأنكروها وسمّوها سحراً. والمبطل بمعنى صاحب الباطل، أو الذي يخسر الجنّة، ويدخل في النار بدلاً منها.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُّ الْأَمَّامَ لِتُرَكِّبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمُّ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وُيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

ثمّ عدد سبحانه نعمه على خلقه فقال: ﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَفْعَامَ ﴾ من الإبل والبقر والغنم ﴿ لِتَزْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فإنّ من جنسها ما يؤكل كالغنم. ومنها

١٦٠ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

ما يؤكل ويركب، كالإبل والبقر .

وقيل: المراد بالأنعام هاهنا الإبل خاصّة، لأنّها الّتي تركب ويحمل عليها في أكثر العادات.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ كالألبان والجلود والأوبار والأصبواف والأشمار ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَلَجَةٌ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ بأن تركبوها وتبلغوا المواضع الّتي تقصدونها بحواثجكم بالمسافرة عليها ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ في البرّ ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ في البحر ﴿ تُحْدَلُونَ ﴾ .

وإنّما قال: «وعلى الفلك» ولم يقل: في الفلك، للمزاوجة. أو لأنّ معنى الإيعاء (١) ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم، لأنّ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها. فلمّا صحّ المعنيان صحّت العبارتان، كما قال: ﴿ قُلْنَا المَعْلِ فِيهَا مِنْ كُلُّ رُوْجَيْنِ الْفَنْيَنِ﴾ (٢).

ولم يقل: ولتأكلوا، ليكون موافقاً لما قبله وما بعده في التعليل، كما هو مقتضى النظم، لأنّ الركوب قد يكون في الحجّ والغزو، وفي بلوغ الحاجة: الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم. وهذه أغراض دينيّة إمّا واجبة أو مندوبة ممّا يتعلّق به إرادة الحكيم. وأمّا الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الّذي لا ينملّق به أمره، لأنّ الأمر لا يكون إلّا بما فيه ترجيح من واجب أو ندب، والمباح إنّما يكون مساوي الطرفين لا رجحان فيهما أصلاً في نظر الشرع. فلأجل ذلك الفرق أورد الغرض في الركوب، وترك في الأكل. أو للفرق بين العين والمنفعة.

﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ دلائله الدالّةعلى كمال قدرته وفرط رحمته ﴿ فَأَيُّ آيَـاتِ اللهِ ﴾ جاءت على اللغة المستفيضة المشهورة. وقولك: فأيّة آيات الله. قليل. لأنّ

<sup>(</sup>١) أوعيتُ الزاد والمتاع في الوعاء، إذا جعلته في الوعاء وأدخلته فيه.

<sup>(</sup>٢) هود: ٤٠.

التفرقة بين المذكّر والمؤنّث في الأسماء غير الصفات \_ نـحو: حـمار وحـمارة \_ غريب، وهي في «أيّ» أغرب، لإبهامه. والمعنى: أيّ آية من تـلك الآيات ﴿تُنْكِرُونَ﴾ فإنّها لظهورها لا تقبل الإنكار. وهو ناصب «أيّ»، إذ لو قدّرته متعلّقاً بضميره كان الأولى رفعه.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَلِفَ كَانَ عَاقَبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَ قَوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَكْسَبُونَ ﴿ ١٨﴾ فَلَمَّا جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيْنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِنَ الْعِلْمِ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ١٨﴾ فَلَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنًا بِاللّهِ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ١٨﴾ فَلَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنًا بِاللّهِ
وَحُدهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُمَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿ ١٨﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيَاهُمْ لَمَا رَأُوا

ثمّ قال سبحانه مخاطباً للكفّار الذين جحدوا آيات الله، وأنكروا أدلته الدالّة على توحيده: ﴿ أَفَلَمْ يَسْبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفٌ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَعْلَى مِنْهُمْ وَالشَدَّ قُوْةُ وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما. وقيل: آثار أقدامهم في الأرض، لعظم أجرامهم. ﴿ فَسَمًا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ ﴾ نافية، أو استفهاميّة منصوبة بدأغنى »، أي: أيّ شيء أغنى عنهم ؟! ﴿ مَا تَعَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ موصولة، أو مصدريّة مرفوعة به، أي: مكسوبهم، أو كسبهم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿ فَوِهُوا

١٦٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

يِمَا عِنْدَهُم مِنَ الْعِلْمِ ﴾ واستحقروا علم الرسل. والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة، كقوله تعالى: ﴿ قِلُ الدَّانَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ ﴾ (١٠). وهو قولهم: لا نبعث ولا نعذّب. ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةٌ وَلَـنِنْ رُحِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ﴾ (١٠). ﴿ وَلَقِنْ رُدِنْ إِنْ لِي عَنْدَهُ لَلْحُسْنَى ﴾ (١٠). ﴿ وَلَقِنْ رُدِنْ إِنْ لِي لَمْ حَون للله مِنْهُمُ مُنْقَلِبًا ﴾ (١٠). وكانوا يفرحون بدالك، ويدفعون به البيّنات وعلم الأنبياء، كما قال الله ﴿ فُلُ حِزْبٍ بِهَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (١٠). وسمّاها علماً على زعمهم تهكماً بهم.

أو<sup>(ه)</sup> العلوم الطبيعيّة والفلسفة والتنجيم، وعلوم الدهريّين من بـني يــونان. وكانوا إذا سمعوا بوحــى الله دفعوه، وصغّروا علم الأنبياء إلى علمهم.

وعن سقراط: أنّه سمع بموسى ﷺ، وقيل له: لو هاجرت إليه. فقال: نـحن قوم مهذّبون، فلا حاجة إلى من يهذّبنا.

أو علمهم بأمور الدنيا، ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ طَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ("). ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْجِلْمِ﴾ ("). فلمّا جاءهم الرسل بعلوم الديانات \_ وهي أبعد شيء من علمهم، لبعثها على رفض الدنيا، وذمّ الملاذ والشهوات \_ لم يلتفتوا إليها، وصغّروها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنّه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به.

أو علم الأنبياء. وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به. ويؤيّده ﴿ وَحَاقَ﴾

<sup>(</sup>١) النمل: ٦٦.

<sup>(</sup>٢) فصّلت: ٥٠.

<sup>(</sup>٣) الكهف: ٣٦.

<sup>(</sup>٤) الروم : ٣٢.

<sup>(</sup>٥) عطف على قوله: والمراد بالعلم عقائدهم ... ، في بداية الفقرة السابقة .

<sup>(</sup>٦) الروم: ٧.

<sup>(</sup>٧) النجم: ٣٠.

وقيل: الفرح أيضاً للرسل، فإنّهم لمّا رأوا تمادي جهل الكفّار وسوء عاقبتهم. فرحوا بما أوتوا من العلم، وشكروا الله عمليه، وحماق بمالكافرين جزاء جمهلهم واستهزائهم.

﴿ فَلَمَّا رَأُوا بَأْسَنَا﴾ شدّة عذابنا. ومنه قـوله تـعالى: ﴿ بِـعَذَابِ بَـثِيسٍ ﴾ (١٠. ﴿ قَالُوا آمَنًا بِاللهِ وَحْدُهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ يعنون أصنامهم.

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنَفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا﴾ لامتناع قبوله حينئذٍ، لأنّ فعل الملجأ لا يقبل، ولا يستحقّ به المدح. ولذلك قال: «فلم يك ينفعهم» بمعنى: لم يصحّ ولم يستقم. ولم يقل: فلم ينفعهم إيمانهم.

وترادف هذه الفاءات، أمّا في قوله: «فما أغنى عنهم» فلأنّه نتيجة قوله: «كانوا أكثر منهم». وأمّا في قوله: «قَلمًا جاءتهم رسلهم بالبيّنات» فجارٍ مجرى البيان والتفسير لقوله: «فما أغنى عنهم». كقولك: رزق زيد المال، فمنع المعروف، فلم يحسن إلى الفقراء. وقوله «فلمّا رأوا بأسنا» تابع لقوله «فلمّا جاءتهم». كأنّه قال: فكفروا، فلمّا رأوا بأسنا آمنوا. وكذلك: «فلم يك ينفعهم إيمانهم» تابع لايمانهم لمّا رأوا بأس الله.

﴿ سُنَّةَ اللهِ اللَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ أي: سنَّ الله ذلك سنَّة ماضية في العباد. والعراد الطريقة المستمرَّة من فعله بأعدائه الجاحدين. وهي من المصادر المؤكّدة. ﴿ وَخَسِرَ هُذَاكِ الْكَافِرُونَ ﴾ أي: وقت رؤيتهم البأس. اسم مكان استعير للزمان.

<sup>(</sup>١) الأعراف: ١٦٥.

## سورة هم السجدة رفصّلت)

مكّيّة. وهي أربع وخمسون آية.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ: «من قرأ حم السجدة أعطي بعدد كلّ حـرف منها عشر حسنات».

وروى ذريح المحاربي عن أبي عبدالله ﷺ قال: «من قرأ حم السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً، وعاش في هذه الدنيا محموداً منبوطاً».

## بسم الله الرحمن الرحيم

حَمَّ ﴿١﴾ تَنزيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿٢﴾ كَتَابٌ فُصَلَتُ آيَاتُهُ قُرْاًنَّا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشيرًا وَنَذيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قَلُوبُنَا فِي أَكْمَة مَمَّا تَدْعُوناً إلَيه وَفِي آذَانِنا وَقُرْ وَمِن بَبْنَنا وَبَيْنك حِجَابٌ فَاعْمَلُ إِنَنا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنْمَا أَنَّا بَشَرٌ مَثْلُكُمُ يُوحَى إِلَي أَنمَا فَيْكُمُ لِللهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيهِ وَاسْتَغْفُرُوهُ وَوَلِلْ للْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الذِينَ لا يَوْتُونَ الزُّكَةَ وَهُم بِالآخرَة هُمْ كَافرُونَ ﴿٧﴾

١٦٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

ولمّا ختم الله سبحانه سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله. افتتح هـذه السورة بمثل ذلك. فقال:

﴿ بِسَمِ اللهِ الرُّحْفِ الرُّحِيمِ حَمَّ إِن جعل اسماً للسورة كان مبتداً ، وخبره ﴿ تَنْزِيلُ مِنَ الرُّحْفِ الرُّحِيمِ ﴾ . وإن جعل تعديداً للحروف ، ف« تنزيل» خبر محذوف . أو مبتدأ ، لتخصّصه بالصفة ، وخبره ﴿ كِتَابٌ ﴾ . وهو على الأوّلين بدل منه ، أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف . وقد تقدّم (١) القول فيه .

وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع ب«حم» وتسميتها به: إنها مصدّرة ببيان الكتاب، متشاكلة في النظم والمعنى. وإضافة التنزيل إلى الرحمن الرحيم، للدلالة على أنّه مناط المصالح الدينيّة والدنيويّة.

﴿فُصَّلَتْ آیَــاتُهُ﴾ میّزت باعتبار اللفظ، وجعلت تفاصیل فی معانِ مختلفة. من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعید وغیر ذلك.

﴿ قُوْآناً عَرَبِياً ﴾ نصب على المدح أو الحال من «فـصّلت». وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصّلة المبيّنة بلسانهم العربيّ المبين، لا يلتبس عليهم شيء منه. أو لأهل العلم والنظر. وهو صفة أخرى لاهرآناً». أو صلة لاتنزيل» أو لافصّلت» أي: تنزيل من الله لأجلهم، أو فصّلت آياته لهم. والأجود أن يكون صفة، لوقوعه بين الصفات. والمعنى: قرآناً عربياً كائناً لقوم يعلمون.

﴿ بَشِيراً﴾ للعاملين به ﴿ وَنَثِيراً﴾ للمخالفين له ﴿ فَاعْرَضَ اتْحَرُهُمْ ﴾ عـن تدبّره وقبوله ﴿ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تأمّل وطاعة، فكأنّهم لا يسمعونه رأساً. من قولك: تشفّعت إلى فلان فلم يسمع قولي. ولقد سمعه، ولكنّه لمّا لم يقبله ولم يعمل

<sup>(</sup>١) راجع ص ٥٤، ذيل الآية ١ من سورة الزمر.

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أغطية جمع كنان، وهو الغطاء ﴿ مِمَّا تَدْعُونَا إِنَّهِ وَفِي آذَنِنَا وَقُرُ ﴾ يمنعنا عن وَفِي آذَنِنَا وَقُرُ ﴾ يمنعنا عن التواصل. و«من» لإفادة أنّ الحجاب ابتدأ منّا وابتدأ منك، بحيث استوعب المسافة المتوسّطة، ولم يبق فراغ.

وهذه تمثيلات لنبر قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه واعتقادهم، كأنّها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها، كقوله: ﴿ وَقَالُوا قَلُوبُنَا غَلْفَ ﴾ (١). ومج أسماعهم له، كأنّ بها صمماً عنه. وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول ﷺ. يعني: لأجل تباعد المذهبين كأنّ بينهم وماهم عليه، وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه، حجاباً ساتراً وحاجزاً منيعاً من جبل ونحوه.

﴿ فَاعْمَلْ﴾ على دينك، أو في إبطال أمرنا ﴿إِنْنَا عَامِلُونَ﴾ على ديننا، أو في إبطال أمرك، قيان في المحمد أنت إلى الله إلى الله إلى الله إلى الله أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب، فاعمل أنت على دينك ومذهبك، إنّنا عاملون على ديننا ومذهبنا.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشِّرٌ مِثْلَكُمْ مُوْحَىٰ إِلَيُّ انَّمَا اِلْهُكُمْ إِلَّهُ وَاحِدٌ ﴾ لست ملكاً ولا جنّياً لا يمكنكم التلقي منه، ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع، وإنّما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل، وقد يدلّ عليهما دلائل العقل وشواهد النقل.

﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ فاستقيموا في أفعالكم متوجّهين إليه. أو فاستووا إليه بالتوحيد والإخلاص، غير ذاهبين يميناً وشمالاً، ولا ملتفتين إلى ما يسوّل لكم الشيطان ﴿ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ وتوبوا إليه منا أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل.

ثم هدّدهم على ذلك بقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ من فرط جهالتهم

<sup>(</sup>١) البقرة: ٨٨.

۱٦٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

واستخفافهم بالله تعالى ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ لبخلهم، وعدم إشفاقهم على الخلق، وحرصهم على حبّ الدنيا، وذلك من أعظم الرذائل، وأقرب الأسباب إلى . الكفر.

وفيه دليل على أنّ الكفّار مخاطبون بالفروع. وحثّ شديد على أداء الزكاة. وتخويف بليغ من منعها. حيث جعله مقروناً بالكفر.

وعن عطاء عن ابن عبّاس أنّ معناه: لا يفعلون مـا يــزكّي أنــفسهم، وهــو الإيمان والطاعة.

﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ حال مشعرة بأنّ امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وإنكارهم الآخرة، فإنّ المال أحبّ الأشياء إلى الإنسان، فإذا بذله في سبيل الله دلّ ذلك على ثباته في الدين وصدق نيّته.

وعن الفرّاء: أن ذكر الزكاة في هذا الموضع لأجل أنّ قريشاً كانت تطعم الحاجّ وتسقيهم، فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد عليه الله .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ ﴿ ٨﴾ قُلُ أَثَنَكُمْ لَنَكْفُرُونَ بِالَّذِي حَلَقَ الأَرْضَ فِي يُومَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارِكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتُهَا فِي أَرْبَعَهَ أَيام سَوَاءً لِلسَّاتِهَايَنَ ﴿ ٩٠ ﴾

ثمّ عقّب ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَبِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ لا يمنّ به عليهم. من المنّ، وأصله القطم، من: مننت الحبل إذا قطعته. وقيل: نزلت في المرضى والهرمى والزمنى، إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصحً ما كانوا يعملون.

﴿ قُلُ أَفِنَكُمْ لَتَكُفُرُونَ بِالَّذِي خُلَقَ الْأَرْضَ﴾ بتحقيق الهمزتين، أوالثانية بين بين، أو بألف بينهما. والاستفهام للتعجيب. والمعنى: كيف تستجيزون أن تكفروا بسمن خلق الأرضين السبع ﴿ في يَوْمَنِنِ ﴾ في مقدار يومين. أو نوبتين، بأن خلق في كلّ نوبة ما خلق في أسرع ما يكون.

ويحتمل أن يكون العراد من الأرض ما في جهة السفل من الأجرام البسيطة. ومن خلقها في يومين أنّه خلق لها أصلاً مشتركاً، ثمّ خلق لها صوراً بها صارت أنواعاً، وكفرهم به إلحادهم في ذاته وصفاته.

﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾ أشالاً وأشباهاً، ولا يصح أن يكون له نـد ﴿ ذَلِكَ ﴾ الله خلق الأرض في يومين ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ خالق جميع ما وجد من الممكنات ومريها، ومالك التصرّف فيهم.

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِنِ ﴾ جبالاً ثابتات. استئناف غير معطوف على «خلق» للفصل بما هو خارج عن الصلة. ﴿ مِن فَوْقِهَا ﴾ مرتفعة عليها ليظهر ما فيها من وجوه الاستبصار، وتكون منافعها معرّضة للطلاب، حاضرة لمحصّليها. وليبصر أنّ الأرض والجبال أثقال على أثقال، كلّها مفتقرة إلى محسك لابدّ لها منه، وهو محسكها عزّ وعلا بقدرته. ولو كانت تحتها كالأساطين لاستقرت الأرض عليها، أو كانت مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان. وأيضاً لفاتت الفوائد المذكورة.

﴿ وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ وأكثر خيرها وأنماها، بأن خلق فيها أنواع النباتات والحيوانات ﴿ وَقَدْرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم، بأن عين لكلّ نوع ما يصلحه ويعيش به. أو أقواتاً تنشأ منها، بأن خصّ حدوث كلّ

١٧٠ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

قوت بقطر من أقطارها.

﴿ فِي أَوْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ في تتمّة أربعة أيّام من حين ابتداء الخلق. فاليومان الأوّلان داخلان فيها، كما تقول: سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيّام، وإلى الكوفة في خمسة عشر، أي: في تتمّة خمسة عشر، ولم يقل: في يومين كما في الأوّل، للإشعار باتّصالهما باليومين الأوّلين، والتصريح على الفذلكة لمدّة خلق الله الأرض وما فيها.

﴿ سَوَاءَ﴾ أي: استوت سواء، بمعنى استواء. والجملة صفة «أيّام». ويمدل عليه قراءة يعقوب بالجرّ. والمعنى: أربعة أيّام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان.

وقيل: حال من الضمير في «أقواتها» أي: قدّر الأقوات فـي الأرض حـال كون الأرض مستوية في هذا الحكم.

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ متملّق بمحذوف تقديره: هذا الحصر لأجل من سأل: في كم خلقت الأرض وما فيها؟ أو ب«قدر» أي: قدّر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها، المحتاجين إليها من المقتاتين.

وإنّما خلق الأرض وما فيها في هذه المدّة على التأنّي والتدريج، مع أنّه كان قادراً على إيجادها لحظة واحدة، ليعلم أنّ من الصواب التأنّي في الأمور، وترك الاستعجال فيها، كما في الحديث: «التأنّي من الرحمٰن، والعجلة من الشيطان». وليعلم بذلك أنّها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام، إذ لو صدرت عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة.

وروى عكرمة عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ: «أنّ الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين. وخلق الجبال يوم الثلاثاء. وخلق الشجرة والماء والعمران والخراب يوم الأربعاء. فتلك أربعة أيّام. وخلق يوم الخميس السماوات، وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم». ثُمَّ آسْتَوَى إِلَى السَّمَآءَ وَهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَثْبَيَا طَوْعًا أَوْ كَرُهًا قَالَآ أَثْبَنَا طَآتَهِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَنْعَ سَمَاوَات فِي يَوْمَئِنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءَ أَنْرَهَا وَرَثَيَّنَا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ الْعَزيزِ الْعَزيزِ الْعَرْمَ صَاعِقَةً مَثْلَ صَاعَقَة عَاد وَثُمُودَ الْعَليمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلُ أَنذَرُتُكُم صَاعِقَةً مَثْلَ صَاعَقَة عَاد وَثُمُودَ ﴿١٤﴾ إِذْ جَآءَنُهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ اللَّهَ تَالُوا اللَّهَ قَالُوا لَوْ مَا اللَّهُ قَالُوا اللَّهَ قَالُوا اللَّهُ الْعَرْضُونَ ﴿١٤﴾

ولمّا بيّن خلق الأرض وما فيها، ذكر خلق السماوات، فقال: ﴿ فُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قصد نحوها. من قولهم: استوى إلى مكان كذا، إذا توجّه إليه توجّهاً لا يلوي على غيره. وهو من الاستواء الذي هو ضدّ الاعوجاج. ونحوه قولهم: استقام إليه وامتدّ إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ (١٠).

والمعنى: ثمّ دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها، من غير صارف يصرفه عن ذلك. والظاهر أنّ «ثمّ» لتفاوت ما بين الخلقين، لا للتراخي في المدّة، لقوله: ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ نَحاهَا ﴾ (٢). ودحوها متقدّم على خلق الجبال من فوقها.

﴿ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ظلمانيّ . قيل : كان عرشه قبل خلق السماوات والأرض على

<sup>(</sup>١) فصّلت: ٦.

<sup>(</sup>٢) النازعات: ٣٠.

١٧٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

الماء، فأخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق الماء وعلا عليه، فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثمّ فتقها فجعلها أرضين، ثمّ خلق السماء من الدخان المرتفع. ويحتمل أنّه أراد بالدخان مادّتها والأجزاء المتصفّرة الّتي تركّبت منها.

﴿ فَقَالَ لَهُا وَلِلْأَرْضِ الْمَتِيا﴾ بماخلقت فيكما من التأثير والتأثّر، وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوّعة. والمعنى: اثنيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف، أي: اثني يا أرض مدحوّة قراراً ومهاداً لأهلك، واثني يا سماء مقبّبة سقفاً لهم. أو ائنيا في الوجود، على أنّ الخلق السابق بمعنى التقدير.

وقيل: إتيان السماء حدوثها، وإتيان الأرض أن تصير مدحوّة.

ويجوز أن يكون المعنى: لتأت كلَّ واحدة منكما صاحبتها الإتيان اللذي أريده وتقتضيه حكمتي وتدبيري، من كون الأرض قراراً للسماء، وكون السماء سقفاً للأرض.

﴿ طَوْعَا أَوْ تَزْها﴾ أي: شئتما ذلك أو أبيتما. والمراد إظهار كمال قدرته، ووجوب وقوع مراده، لا إثبات الطوع والكره لهما. وهمما مصدران وقما موقع الحال، أي: طائعين أو كارهين.

﴿ قَالْتَا اتَنْنَا طَائِعِينَ ﴾ منقادين بالذات. والأظهر أنّ المراد تصوير تأثير قدرته فيهما، وتأثرهما بالذات عن قدرته، من غير أن يحقّق شيء من الخطاب والجواب. ونحوه قول القائل: قال الجدار للوتد: لِمَ تشقّني؟ قال الوتد: سل من يدقني فلم يتركني. أو تمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع، كقوله: «كن فيكون». فمعنى إتيانهما وامتثالهما: أنّه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع، فهو من المجاز الذي يسمّى التمثيل، وما قيل: إنّه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب

إنَّما يتصوّر على الوجه الأوّل والأخير لا المتوسّط، لأنَّ الإقدار فرع الوجود.

وإنّما قال: «طائعين» ولم يقل: طائعتين على اللفظ، أو طائعات على المعنى، لأنّهما سماوات وأرضون، باعتبار كونهمامخاطبتين، فمتكونا كقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَائِيتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (١).

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمْوَاتٍ ﴾ فخلقهن خلقاً إبداعيّاً، وأتقن أمرهنّ. والضمير للسماء على الأوّل، وتمييز على للسماء على الأوّل، وتمييز على الثاني. ﴿ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ قبل: خلق السماوات يوم الخميس، والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة. ﴿ وَأَوْشَى فِي كُلُّ سَمَاءً أَمْرَهَا ﴾ شأنها وما يتأتّى منها، بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً. وقبل: أوحى إلى أهلها بأوامره.

﴿ وَزَيْنُا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ فإنّ الكواكب كلّها ترى كأنّها تتلألأ عليها ﴿ وَدِيْكَ السَّمَاءَ الدَّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ فإنّ الكواكب كلّها ترى كأنّه الله على المعنى، كأنّه قال: وخصّصنا السماء الدّنيا بمصابيح زينة وحفظاً. ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ النّبَلِيمِ في القدرة والعلم.

﴿ فَإِنْ أَغْرَضُوا ﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿ فَقُلْ أَنذُرْتُكُمْ صَاعِقَةً ﴾ مهلكة تنزل بكم كما نزلت بمن قبلكم. أو فحذّرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنّـه صاعقة. ﴿ مِثْلُ صَاعِقَةٍ عَادٍ وَنَثُودَ ﴾ .

﴿إِذْ جَآءَتُهُمُ الرُّسُلُ﴾ حال من «صاعقة عاد». ولا يبجوز جعله صفة لا المعنى، ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ لاساعقة »، أو ظرفاً لا أنذرتكم»، لفساد المعنى، ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أتوهم من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كلّ جهة. أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عمّا جرى فيه على الكفّار، ومن جهة المستقبل بالتحذير عمّا أعد لهم في الآخرة، وكلّ من اللفظين يحتملهما، أو من قبلهم ومن بعدهم، إذ قد بلغهم خبر

<sup>(</sup>١) يوسف: ٤.

٧٧٤ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

المتقدّمين، وأخبرهم هود وصالح عن المتأخّرين، داعيين إلى الإيسان بهم أجمعين. ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة، كقوله تعالى: ﴿يَاتِمِهَا رِزْقُهَا رَغَما مِنْ كُلُّ هَكَانِ﴾ (١).

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ ۚ بأن لا تعبدوا. أو أي: لا تعبدوا. أو مخفَّفة من الثقيلة. أصله: بأنّه لا تعبدوا. أي: بأنّ الشأن والحديث قولنا لكم: لا تعبدوا.

﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُنا﴾ إرسال الرسل ﴿ لَأَنزَلَ مَلَائِحَةً ﴾ برسالته ﴿ فَإِنَّا بِمَا الرسلَتْةَ بِهِ ﴾ على زعمكم ﴿ كَافِرُونَ ﴾ إذ أنتم بشر مثلنا، لا فضل لكم علينا.

فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكُبْرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قَوَّةً أَوَلُمْ يَرُوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي حَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ ١٥ ﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي آيَامٍ نَّحِسَاتِ لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدِّنِيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لاَيْنِصَرُونَ ﴿ ١٦ ﴾ وَأَمَّا الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدِّنِيَا وَلَعَدَابُ الآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لاَيْنِصَرُونَ ﴿ ١٦ ﴾ وَأَمَّا شُودُ فَهَدَّيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهَدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ مِنَا كَانُوا يَكُسْبُونَ ﴿ ١٧ ﴾ وَيَجْيَنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّونَ ﴿ ١٨ ﴾

﴿فَامًا عَادٌ فَاسْتَكْبُرُوا فِي الْأَرْضِ بِفَيْرِ الْحَقَّ﴾ فتعظّموا فيها على أهلها بغير المتحقاق ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوقَ﴾ اغتراراً بقوّتهم وشوكتهم. قيل: كان من قوّتهم أنّ الرجل منهم ينزع الصخرةفيقتلعها بيده. ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهُ الذِّي كَلْقُهُمْ هُوَ أَشَدُ

<sup>(</sup>١) النحل: ١١٢.

مِنْهُمْ قَوْقٌ﴾ قدرة. فإنّه قادر بالذات. مقتدر على ما لا يتناهى. قويٌ على ما لا يقدر عليه أحد غيره ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعرفون أنّها حقّ فينكرونها. وهو عطف على «فاستكبروا».

﴿ فَازْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَواً﴾ باردة تهلك بشدّة بردها. من الصرّ، وهو البرد الذي يصرّ، أي: يجمع ، أو شديدة الصوت في هبوبها. من الصرير . ﴿ فِي أَيّام لَمْ حِسَاتٍ﴾ جمع نحسة ، من: نحس نحساً ، نقيض: سعد سعداً . وقرأ الحجازيّان والبصريّان بالسكون ، على التخفيف ، أو النعت على فَعْل ، أو الوصف بالمصدر .

وقيل: كنّ آخر الشوّال، من الأربعاء إلى الأربعاء. وما عذّب قوم إلّا في يوم الأربعاء.

﴿ لِنُدِيقَهُمْ عَدَابَ الْجَزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ أضاف العذاب إلى الخزي \_ وهو الذلّ \_ على قصد وصفه به، من إضافة الموصوف إلى الصفة، لقوله: ﴿ وَلَـعَدَابُ الْآخِرَةِ الْخَزْيُ﴾ وهو في الأصل صفة المعذّب، وإنّما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة. ﴿ وَهُمْ لَا يُعْصَرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم.

﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ فدللناهم على الحقّ، بنصب الحجج وإرسال الرسل ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلى الْهُدَىٰ ﴾ فاختاروا الضلالة على الهدى، والكفر على الإيمان ﴿ فَاخَذْتُهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ صاعقة من السماء فأهلكتهم. وإضافتها إلى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة، أو بحذف المضاف، أي: ذي الهون، وهو الهوان \_ أي: العذاب \_ الذي يهينهم. ﴿ بِمَا كَانُوا يَتُعْبِبُونَ ﴾ من اختيار الضلالة والكفر. ﴿ وَنَعْلَمُوا يَتُعْبِبُونَ ﴾ من اختيار الضلالة والكفر. ﴿ وَنَجْبُنْ النَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتُعُونَ ﴾ من تلك الصاعقة.

وَيُوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَآءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدَتُمْ عَلَيْنَا قَالُواَ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِيَ أَنطَقَ كُلَّ شَيْء وَهُوَ خَلَقَكُمُ أَوَّلَ مَرَةً وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبِصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلَكُمْ ظَنَكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرِيكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مَن تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلَكُمْ ظَنَكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرِيكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مَن الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِن يَصْبُوا فَالنّارُ مَثْوَى لَهُمْ وَإِن يَسْتَعْشِوا فَمَا هُم مِن الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ وَيَوْمَ يُحْشُو أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ ﴾ وقرأ نافع: نَحْشُو، بالنون المفتوحة وضمّ الشين، ونصب «أغدَاء». ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يحبس أوّلهم على آخرهم لئلا يتفرّقوا. وهو عبارة عن كثرة أهل النار.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَاجَاهُوهَا ﴾ إذا حضروها. و«ما» مزيدة لتأكيد اتَّ صال الشهادة بالحضور. ﴿ شَهِ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَابْ صَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بأن ينطقها الله، أو يظهر عليها آثاراً تدلّ على ما اقترف بها، فينطق بلسان الحال.

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدُمُ عَلَيْنَا﴾ سؤال توبيخ أو تحجّب ولعل المراد بالجلود النفس الحيوانيّة . ﴿ قَالُوا أَنطَقَنَا الله الّذِي أَنطَقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أي: ما نطقنا باختيارنا ، بل أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء . أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الّذي أنطق كلّ حيّ . ولو أوّل الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عامّاً في الموجودات الممكنة . ﴿ وَهُوَ خَلَقُكُمُ أَوْلَ مَرَةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود ، وأن يكون استئنافاً .

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ أي: كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم أنّ أعضاءكم تشهد عليكم بها، فما استترتم عنها، وفيه تنبيه على أنّ المؤمن ينبغي أن يتحقّق أنّه لا يمرّ عليه حال إلا وهو عليه رقيب، ﴿ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهُ لَا يَعْلَمُ كَبْيراً مِمْ على ما فعلتم.

﴿ وَذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ظنّهم هذا. وهو مبتدأ، وقوله: ﴿ ظَنْتُكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمُ بِرَبِّكُمْ ازْدَاكُمْ ﴾ خبران له. ويجوز أن يكون «ظنّكم» بدلاً، و«أرداكم» خبراً. ﴿ فَاصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِوِينَ ﴾ إذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سبباً لشقاء المنزلين.

﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثُونٌ لَهُمْ ﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا ﴾ يسألوا العتبى. وهي الرجوع إلى ما يحبّون. ﴿ فَمَا هُمْ مِنَ المعتَبِينَ ﴾ المجابين إليها. ونظيره قوله تعالى حكاية: ﴿ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَجِيصٍ ﴾ (١).

وَقَيْضُنَا لَهُمْ قُرُنَا ۚ فَزَيْنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيدِهِمْ وَمَا خُلْفُهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُوا لَا تَسْمَعُوا لَهَذَا الْفُرْآنِ وَالْغَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنذيقَنَ الذينَ كَفُرُوا عَذابًا شَديدًا وَلَنجْزِيَّتُهُمْ أَسُواً الذي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ ذَلِكَ جَزَآءً أَعْدَآء اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَآءٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ ذَلِكَ جَزَآء أَللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَآءٌ بِمَا

<sup>(</sup>١) إبراهيم: ٢١.

كَانُوا بِآيَاتِنَا يَبِجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذَينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَانًا مِنَ الْسَفَلِينَ ﴿٢٩﴾ الْمُجَانُونَ مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ الْمِجْزِ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ وَقَيْضَنا ﴾ أي: قدّرنا ﴿ لَهُمْ ﴾ للكفرة ﴿ قُرْنَا ٓ ﴾ أخداناً ( أن الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض البدل. ومنه: المقايضة للمعاوضة. ﴿ فَزَيْتُوا لَهُمْ مَا بَئِنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا واتّباع الشهوات ﴿ وَمَا خَلَقَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة وإنكاره. فدعوهم إلى التكذيب به، وأن لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا حساب.

﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ》 أي: كلمة العذاب ﴿ فِنِي أَمَمٍ ﴾ في جملة أمم بالخسران والهلاك. وهو حال من الضمير المجرور في «عليهم». ﴿ قَدْ خَلْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْحِنْ وَالْإِنْسِ ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَـاسِرِينَ ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب. والضمير لهم وللأمم.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ تَقَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ وعارضوه بالهذيان. أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوّشوه على القارىء. يقال: لغي يلغى، ولغا يلغو، إذا هذى. ﴿ لَمَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ أي: تغلبونه على قراءته.

﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً ﴾ السراد بهم هؤلاء القائلون، أو عامّة الكفّار ﴿ وَلَنَجْزِينَتُهُمْ أَسُواً الّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ جزاء سيتات أعمالهم، وقد سبق مثله.

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى الأسوأ، مبتدأ ﴿ جَزَآءُ أَعْنَآءِ اللهِ ﴾ خبره ﴿ النَّـارُ ﴾ عطف بيان للجزاء، أو خبر محذوف ﴿ لَهُمْ فِيهَا ﴾ في النار ﴿ ذَارُ الخُلْدِ ﴾ فإنّها دار إقامتهم. وهو كقولك: في هذه الدار دار سرور، وتعنى بالدار عينها، على أنّ المقصود هـ و

<sup>(</sup>١) أُخْدان جمع خِدْن ، وهو الحبيب والصاحب.

الصفة. ﴿ جَزَآهَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ينكرون الحقّ. أو يلفون، وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفُرُوا رَبُّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ يعني: شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان. وقيل: هما إبليس وقابيل، فإنهما سنّا الكفر والقتل.

وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي: أزْنَا بالتخفيف، كفَخْذ في فَخِذ. وقرأ الدوري باختلاس<sup>(١)</sup> كسرة الراء.

﴿ نَجْعَلُهُمَا تَحْتُ أَقْدَامِ نَا﴾ ندوسهما انتقاماً منهما. وقيل: نجعلهما في الدرك الأسفل. ﴿ لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ مكاناً، أو ذَلاً.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَّبُنَا اللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَاتِكَةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلاَ تَخْزُفُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُتُمُ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآوُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مَثَن دَعَا إِلَى اللّهِ وَمَلْ صَالحًا وَقَالَ إِنْنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَسْتَوي الْحَسَنَةُ وَلاَ تَشْتَوي الْحَسَنَةُ وَلاَ وَقَالَ إِنْنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ اللّهِ اللّهِ اللّهَ اللّهَ عَلَا وَقَالَ إِنْنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَسْتَوي الْحَسَنَةُ وَلاَ تَسْتَوي الْحَسَنَةُ وَلاَ تَشْتَوي الْحَسَنَةُ وَلاَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَالَوَةً وَقَالَ إِنْنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَسْتَوي الْحَسَنَةُ وَلاَ اللّهِ عَمْ اللّهُ عَالَوَةً كَانَّةً وَلِي حَمِيمٌ

<sup>(</sup>١) اختلس القارىء الحركة: لم يبلّغها. ويقابله الإشباع. وهو تبليغ الحركة حتّى تصير حرف مدّ.

۱۸۰ ..... زیدة التفاسیر ـ ج ٦

﴿٣١﴾ وَمَا يُلَقَاهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظَّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسُتَعِدْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

ولما ذكر سبحانه وعيد الكفّار، عقبه بذكر الوعد للمؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّكَ الله ﴾ اعترافاً بربوبيته، وإقراراً بوحدانيته ﴿ ثُمُّ السَفّامُوا ﴾ ثبتوا على الإقرار ومقتضياته، من فعل الأعمال الصالحة، وترك الأفعال السيّئة، و«ثمّ» لتراخي الاستقامة عن الإقرار في الرتبة وفضلها عليه، من حيث إنّ الإقرار مبدأ الاستقامة، أو لأنّها عسر قلّما تتبع الإقرار.

وعن عليّ ﷺ معناه: «أدّوا الفرائض بعد الإقرار».

وقال سفيان بن عبدالله التقفي: «قلت: يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به. قال: قل: ربّي الله ثمّ استقم. قال: فقلت: ما أخوف ما تخاف علميّ. فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه فقال: هذا».

وعن أنس قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ثمّ قال: «قد قالها ناس ثمّ كفر أكثرهم. فمن قالها حتّى يموت فهو متن استقام عليها».

وروى محمّد بن الفضيل قال: «سألت أبا الحسن الرضا ﷺ عن الاستقامة. فقال: هي والله ما أنتم عليه».

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَاتَفِكَةُ ﴾ عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم ﴿ أَلا تَخَافُوا ﴾ ما تقدمون عليه ﴿ وَلا تَجْزَنُوا ﴾ على ما خلفتم. والخوف: غمّ يلحق لتوقّع المكروه، والحزن: غمّ يلحق لوقوعه، من فوات نافع أو حصول ضارّ. والمعنى: إنّ الله كتب لكم الأمن من كلّ غمّ، فلن تذوقوه أبداً. و«أن» مصدريّة، أو مخفّفة مقدرة بالباء، وأصله: بأنّه لا تخافوا. أو مفسّرة. ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَدَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا على لسان الرسل. ﴿ نَحْنُ ﴾ معاشر الملائكة ﴿ اَوْلِيَاقُكُمْ ﴾ أنصاركم وأحبّاؤكم ﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنَيا ﴾ نتولّى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى، ونلهمكم الحق، ونحملكم على الخير، بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة ﴿ وَقِي الآخِرَةِ ﴾ بالشفاعة والكرامة، حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم، ولا نفارقكم إلى أن ندخلكم الجنّة ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ في الآخرة ﴿ مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ ﴾ من اللذائذ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَمنّون . من الدعاء بمعنى الطلب. وهو أعمم من الأول.

﴿ فَزُلاً مِنْ غَقُورٍ رَحِيمٍ﴾ حال من «ما تدّعون» للإشعار بأنّ ما يتمنّون بالنسبة إلى ما يعطون مثا لا يخطر ببالهم كالنزل، أي: كرزق النزيل، وهوالضيف.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ﴾ صورته صورة الاستفهام، والمراد به النفي. وتقديره: وليس أحد أحسن قولاً ﴿ مِمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ ﴾ إلى عبادته ﴿ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ فيما بينه وبين ربّه ﴿ وَقَالَ إِنَّتِي مِنَ الْمَسْلِمِينَ ﴾ المستسلمين لأمر الله تعالى، المنقادين لطاعته. وليس الفرض أنّه تكلّم بهذا الكلام، بل المراد أنّه اتّـخذ دين الاسلام مذهبه، كما تقول: هذا قول فلان، والمراد مذهبه.

والآية عامّة في كلّ من جمع بين هذه الثلاث، وهمي: أن يكمون موحّداً. معتقداً لدين الإسلام، عاملاً بالخير، داعياً إليه. وما هم إلّا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد، الدعاة إلى دين الله.

وعن ابن عبّاس: نزلت في النبيّ ﷺ. وقيل: في المؤذّنين.

وفي هذه الآية دلالة على أنّ الدعاء إلى الدّين من أعظم الطاعات وأجلً الواجبات. والداعي يجب أن يكون عاملاً بعلمه، ليكون الناس إلى القبول منه أقرب، وإليه أسكن.

﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ﴾ في الجزاء وحسن العاقبة. و «لا» الثانية

۱۸۲ ..... زیدة التفاسیر ـج ۲

مزيدة لتأكيد النفي. ﴿انَقَعْ بِالنِّبِي هِيَ احْسَنُ﴾ ادفع السيّئة حيث اعترضتك بالحسنة الّتي هي أحسن منها، على أنّ المراد بالأحسن الزائد مطلقاً. أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات. ومثال ذلك: رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه، والّتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمّك فتمدحه، ويقتل ولك فتفتدي ولده من يد عدوّه.

وإنّما لم يقل: فادفع، لأنّه أخرجه مخرج الاستئناف، على أنّه جواب من قال: كيف أصنع؟ للمبالغة. ولهذا آتر «أحسن» على الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها.

وعن ابن عبّاس: «الّتي هي أحسن» الصبر عند الفضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة.

وروي عن أبي عبدالله ﷺ : «أنَّ الحسنة التقيَّة، والسيّئة الإذاعة».

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌّ شَمِيمٌ ﴾ أي: إذا فعلت ذلك صار عدرّك المشاقّ مثل الوليّ الشفيق والحميم الشقيق.

﴿ وَمَا يُلَقَّنَهَا ﴾ وما يلقى هذه السجيّة الّتي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿ إِلّا الَّذِينَ صَنَبَرُوا ﴾ فإنّها تحبس النفس عن الانتقام ﴿ وَمَا يُلَقُّهُا إِلَّا ذُو حَظِ عَظِيمٍ ﴾ من الخير وكمال النفس. وقيل: الحظّ العظيم الجنّة.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾ وإن يصبك ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغَ ﴾ نخس. شبّه به وسوسته، لأنّها تبعث الإنسان على ما لا ينبغي، كالدفع بما هو أسوأ. وجعل النزغ نازغأ، على طريقة: جدّ جدّه. أو أريد به نازغ، وصفاً للشيطان بالمصدر للمبالغة. والمعنى: وإن صرفك الشيطان عمّا وضيت به من الدفع بالّتي هي أحسن ﴿ فاستعبد المبالغة من شرّه، ولا تطعه، وامض على شأنك ﴿ إِنَّهُ هُـ وَ السَّعِيعُ ﴾ لاستعاذتك ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ من شرّه، ولا تطعه، وامض على شأنك ﴿ إِنَّهُ هُـ وَ السَّعِيعُ ﴾ لاستعاذتك

وَمَنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْفَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا للشَّمْسِ وَلاَ لْلْقَمَر وَٱلسُّجُدُوا للَّه الَّذي خَلَقَهُنَّ إِن كُتُتُمْ آيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِن ٱسْنَكُبْرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُستَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَاۤ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ آهُنَزَّتُ وَرَبَّتُ إِنَّ الَّذِيَّ أَخْيَاهَا لَمُحْيِي الْمُؤْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٌ قَديرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذينَ يُلحدُونَ في آيَاتَنَا لاَ يَخْفُونَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَى في النَّار خَيْرٌ أَمْ مَّن يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْفَيَامَة آغْمَلُوا مَا شِئْتُمُ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمُ وَإِنَّهُ لَكِنَابٌ عَزِيزٌ ﴿ ٤١﴾ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَثِينِ يَدُيْهِ وَلاَ منْ خَلْفه تَنزيلْ مّنْ حَكيم حَميد ﴿٤٢﴾

ثمّ ذكر دلالات التوحيد فقال: ﴿ وَمِسْ آيَاتِهِ ﴾ أي: حججه الدالّةعلى وحدانيّته، وأدلّته على صفاته التي باين به جميع خلقه ﴿ اللّيَلُ ﴾ بذهاب الشمس عن بسيط الأرض ﴿ وَالنَّهَارُ ﴾ بطلوعها على وجهها، وتقديرهما على وجه مستقرّ، وتدبيرهما على نظام مستمرّ ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ وما اختصًا به من النور، وما ظهر فيهما من التدبير في المسير، والتصريف في فلك التدوير.

﴿لَاتَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَالِلْقَمَرِ ﴾ وإن كان فيهما منافع كثيرة ، لأنَّهما مخلوقان

١٨٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

مأموران مثلكم ﴿وَاسْجُنُوا بِشِ الَّذِي خَلَقَهُنَ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة، فإنّ حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأثنى أو الإناث، يقال: الأقلام بريتها وبريتهنّ. أو لمّا قال: «ومن آياته» كنّ في معنى الآيات، فقيل: «خلقهنّ». والمقصود تعليق الفعل بهما إشعاراً بأنّهما من عداد ما لا يعلم. ﴿إِن كُنتُمُ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون فاسجدوا له، فإنّ السجود أخصّ العبادات.

والآية نزلت في ناس منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر، كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن هذه الواسطة، وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصاً إن كانوا إيّاه يعبدون، وكانوا موحّدين غير مشركين.

وهذا موضع السجود عندنا وعند الشافعي، للأمر به. وعند أبي حنيفة الآية الأخرى، لأنّها من تمام المعنى.

﴿ فَإِنِ السَّتَعَبُرُوا﴾ ولم يمتثلوا ما أمروا به، وأبوا إلا الواسطة، فدعهم وشأنهم ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدُ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة. وهذا عبارة عن الزلفي ومزيّة المكانة والكرامة. ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ ﴾ ينزّهونه عن الأنداد ﴿ بِاللَّقِلِ وَالشَّهَارِ ﴾ أي: دائماً، لقوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشَامُونَ ﴾ لا يملّون.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ الدالّة على ربوبيته ﴿ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ يابسة متطامنة. مستعار من الخشوع بمعنى التذلّل. وصفها بالهمود في قبوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ (١). وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربرّ في قبوله: ﴿ فَإِذَا الْمَوْرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ (أَنْ الله عَنْ الله المعتزلة المختال في زيّه ﴿ وَرَبَتْ ﴾ وانتفخت به ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهًا ﴾ بعد موتها ﴿ لَمُحْدِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من الإحياء والإماتة.

<sup>(</sup>١) الحجّ: ٥.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ ﴾ يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آيَاتِنَا ﴾ يمقال: ألحد الحافر ولحد، إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شقّ. فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحّة والاستقامة، والطعن فيها، وإلقاء المزخرفات، وفعل المكاء(١) والصفير في أثناء قراءتها. ﴿لاَ يَسْخَفُونَ عَلَيْنَا ﴾ فنجازيهم على العادهم.

﴿ اَقَمَن يَلَقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ ﴾ وهم الملحدون ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَـوْمَ
الْقِيامَةِ ﴾ من عـذاب الله . وهم المومنون المطيعون . والاستفهام للتقرير ، أي:
لا يستويان أصلاً . قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إحـماد حـال
المؤمنين . ﴿ اعْمَلُوا مَا شِنْتُمْ ﴾ تهديد شديد ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ عالم لا يخفى
عليه شيء منها .

ثمّ أخبر عنهم مهجّناً لهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ كَفُرُوا بِالذَّكْرِ لَمَا ﴾ بعد إذ ﴿جَآءَهُمُ ﴾ بدل من قوله: «إن الذين يلحدون في آياتنا». أو مستأنف. وخبر «إنّ» محذوف، مثل: معاندون، أو يجازون بكفرهم. وعن أبي عمرو بن العلاء النحويّ: أنّ خبره ﴿ اَوْلَقِكَ يُكَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٣). والمراد بالذكر القرآن، لأنّهم \_ لكفرهم به \_ طعنوا فيه وحرّفوا تأويله. ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ كثير النفع، عديم النظير، أو منيع محميّ بحماية الله من التغيير والتبديل.

﴿لَا يَاتِيهِ﴾ لا يتطرّق إليه ﴿الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ وهذا مثل، كأنّ الباطل لا يتطرّق إليه. ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتّى يصل إليه ويتعلّق به. أو المراد: ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا في إخباره عمّا يكون

<sup>(</sup>١) مَكَا مُكَاءً: صفر بفيه.

<sup>(</sup>٢) فصّلت: ٤٤.

١٨٦ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

في المستقبل باطل، بل أخباره كلّها موافقة لمخبراتها. وهذا القول مرويّ عن أبي جعفر وأبى عبدالله ﷺ.

وقيل: إنّ الباطل الشيطان. ومعناه: لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً. أو يزيد فيه باطلاً. والطاعنون المبطلون وإن كانوا يطعنون فيه ويتأولونه بالباطل، لكنّ الله حماه عن تعلّق باطلهم به، بأن قيّض قوماً عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم، فلم يخلّوا طعن طاعن إلاّ ممحوقاً، ولا قول مبطل إلاّ مضمحلاً. ونحوه قوله: ﴿إِنَّا لَمُنْ نَدُّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِقُلُونَ﴾ (١٠).

﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ ﴾ أيّ حكيم ﴿ حَبِيدٍ ﴾ يحمده كلّ مخلوق بما ظهر عليه من نعمه.

مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

ثمّ سلّى نبيّه ﷺ عن تكذيب العبطلين، فقال: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ ﴾ أي: ما يقول لك كفّار قومك ﴿ إِلَّا مَا قَدَ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ إلّا مثل ما قال لهم كفّار قومهم. وقيل: معناه: ما يقول الله لك إلّا مثل ما قال لهم، وهو الأمر بالدعاء إلى الحقّ في عبادة الله ولزوم طاعته، فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب. ﴿ إِنَّ رَبُّكَ لَدُو عَلَى الناني مَفْفِزَةٍ ﴾ لذو رحمة سابغة لأنبيائه ﴿ وَتُوعِقَابٍ البِيمٍ ﴾ لأعدائهم. وهو على الناني يحتمل أن يكون مقول القول. يعني: أنّ حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمقوبة. فمن حقّة أن يرجوه أهل طاعته، ويخافه أهل

<sup>(</sup>١) الحجر : ٩.

سورة حم السجدة، آية £2 ...... ١٨٧

وَلَوْ جَمَلْنَاهُ قُرْاَنًا أَعْجَمَيًّا لَقَالُوا لَوْلاً فُصَلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيِّ وَعَرَبِيِّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِيَ آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّى أُوْلِكَ يُنِادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤١﴾

روي: أنّ المعاندين لفرظ تعنّهم كانوا يقولون: هلّا نزّل عليك القرآن بلغة المجم. فنزلت: ﴿ وَلَقَ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً ﴾ الضمير للذكر ﴿ لَقَالُوا لَمُولاً فُصَلَتْ آيَاتُهُ ﴾ بيّنت بلسان نفقهه ﴿ ءَاعْجَمِيًّ وَعَرَبِيًّ ﴾ أكلام أعجميّ ومخاطب عربيّ ؟ والهمزة للإنكار. والأعجميّ يقال للّذي لا يفهم كلامه.

وهذا قراءة أبي بكر وحمزة والكنسائي. وقـرأ قــالون وأبــو عــمـرو بــالمدّ والتسهيل. وورش بالمدّ وإبدال الثانية ألفاً. وابن كثير وابن ذكوان وحفص بتسهيل الثانية بفير مدّ. وهشام: أعجمــيّ، على الإخبار.

والمعنى: إنّ القوم غير طالبين للحقّ. وإنّما يتّبعون أهواءهم الباطلة وآراءهم الزائفة. فآيات الله على أيّ طريقة جاءتهم كانوا غير منفكّين عـن التـعنّت فـيها. مقترحين غيرها، لفرط العناد واللجاج.

لا يقال: كيف يقال عربيِّ والحال أنَّ الآية نزلت في أمَّة العرب؟

لأنّا نقول: مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أنّ المكتوب إليه، لا على أنّ المكتوب إليه من الفرض، ولا المكتوب إليه من الفرض، ولا يوصل به ما يخيّل غرضاً آخر. ألا تراك تقول ـ وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة ـ : اللباس طويل واللابس قصير. ولو قلت: واللابسة قصيرة، جئت بما هو لكنة وفضول قول، لأنّ الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته، وإنّما وقع في غرض غيرهما.

۱۸۸ ..... زیدة التفاسیر سج ۲

﴿ قُلْ هُوَ ﴾ أي: القرآن ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدى ﴾ إلى الحق ﴿ وَشِفَاءُ ﴾ لما في الصدور من كلّ شكّ وشبهة. ستي اليقين شفاءً، كما ستي الشكّ مرضاً في قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضُ﴾ (١١. ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فِي آذَائِهِمْ وَقُرُ ﴾ على تقدير: هو في آذَائِهم ثقل ﴿ وَهُو عَلَيْهِمْ عَمى ﴾ وذلك لتصامّهم عن سماعه، وتعاميهم عمّا يريهم من الآيات. ومن جرّز السطف على عاملين عطف قوله: ﴿ الّذِينَ لا يؤمنون في آذائهم ﴿ اللّذِينَ لا يؤمنون في آذائهم وقر. ﴿ أَوْلَئِكَ يُنْادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: انّهم لا يقبلونه، ولا يرعونه أسماعهم، في شدّة إعراضهم عنه، مثل من يصاح به من مسافة بعيدة لا يسمع من مثلها الصوت، فلا يسمع النداء.

وَلَقَدْ آتَٰيْنَا مُوسَى الْكَتَابَ فَاخْتُلُفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلَمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكَّ مَنْهُ مُرِيبٌ ﴿ ٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلتَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلْيَهَا وَمَا رَبُّكَ بِظُلاَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿ ٤٦﴾

ثمّ سلّى نبيّه ﷺ عن جحود قومه له وإنكارهم لنبوّته بقوله: ﴿وَلَقَدُ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِمِهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كما اختلف في القرآن، فلا تحزن ولا تبخع<sup>(٢)</sup> نفسك عليهم حسرات ﴿وَلَـوْلَا كَلِمَةُ سَـبَقَتْ مِنْ رَبُّكَ﴾ وهي العدة بالقيامة، وفصل الخصومة في ذلك اليوم. أو تقدير الآجال. ﴿لَـقَضِينَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا باستئصال المكذّبين قبل انقخاء آجالهم. ومثل ذلك قوله تعالى:

<sup>(</sup>١) البقرة: ١٠.

<sup>(</sup>٢) بَخَعَ نفسَهُ: نهكها وكاد يهلكها من غضب أو غمّ.

﴿ وَلَكِن يُؤَخُّرُهُمْ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمِّى ﴾ (١). وقوله: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ (١). ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ وإنَّ اليهود، أو الآدرآن و القرآن ﴿ فَهِي شَكِّ مِنْهُ ﴾ من التحوراة، أو القرآن ﴿ مُويبٍ ﴾ موجب للاضطراب وقلق النفس، موقع لهم الريبة، وهي أفظع الشك وأبلغه.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً قَلِنَفْسِهِ ﴿ نفعه، لأنّ ثواب ذلك واصل إليه قطعاً ﴿ وَمَنْ أَسُاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ضرّه، لأنّ عقابه يلحق به دون غيره ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِطْلَّام لِلْعَبِيدِ ﴾ فيفمل بهم ما ليس له أن يفعله، بأن يعذّب غير المسىء، وغير ذلك.

وإنّما قال بصيغة المبالغة، مع أنّه لا يظلم مثقال ذرّة، للإشعار بأنّ من فعل الظلم وإن قلّ \_ وهو عالم بقبحه، وبأنّه غنيّ عنه \_ لكان ظلّاماً.

وقيل: هذا على طريق الجواب لمن زعم أنّه يظلم العباد. فيأخذ أحداً بذنب غيره. ويثيبه بطاعة غيره. ولا شكّ أنّ ذلك غاية الظلم ونهاية التعدّي.

إَلِيهِ يُرِدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتِ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَشَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيُومَ يُنَادِيهِمْ أَينَ شُرَكَآفِي قَالُواَ آذَنَاكَ مَا مِنَا مِن شَهِيد ﴿٤٤﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَحْيِصٍ ﴿٤٤﴾

ثمّ بين سبحانه أنّه العالم بوقت القيامة دون غيره، فقال: ﴿ النِّسهِ يُسَرُدُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: قل ذلك لهم إذا سألوا عنها، إذ لا يعلمها إلّا هو ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَخْمَاتُهُ ﴾ من أوعيتها. جمع كِمّ بالكسر، وهو وعاء الثمرة. وقرأ نافع وابن عامر

<sup>(</sup>١) النحل: ٦١.

<sup>(</sup>٢) القمر: ٤٦.

١٩٠ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

وحفص: من ثمرات بالجمع، لاختلاف الأنواع.

و«ما» نافية. و«من» الأولى زائدة للاستغراق. ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على «الساعة». و«من» مبيّنة، بخلاف قوله: ﴿ وَمَسَا تَخْمِلُ مِنْ أَسْفَى وَلَا تَخْمَعُ ﴾ بمكان، أي: ما يحدث شيء من خروج ثمرة، ولا حمل حامل، ولا وضع واضع ﴿ إِلّا بِعِلْمِهِ ﴾ إلا مقروناً بعلمه واقعاً حسب تعلّقه به. فيعلم سبحانه قدر الثمار وأجزاءها وكيفيّتها، من طعومها وروائحها وألوانها. ويعلم ما في بطون الحبالي، وأنواع انتقاله من حال إلى حال، وكيفيّته من الطول والقصر والوسط، ومن الخداج (١) والتمام، والذكورة والأثوثة، والحسن والقبح.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ ينادي المشركين ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ أضافهم إليه تعالى على زعمهم، وبيانه في قوله: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي النَّدِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢) وفيه تهكّم و تقريع، ﴿ قَالُوا آذَمُّاكَ ﴾ أعلمناك ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة، إذ تبرأنا عنهم للتوبيخ، أو عنهم للتوبيخ، أو من أحد يشاهدهم، لاتهم ضلّوا عنّا.

وقيل: هو قول الشركاء، أي: ما منّا من شهيد يشهد لهم بأنّهم كانوا محقّين فيما أضافوا إلينا من الشركة.

﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا ﴾ أي: آلهة غير الله ﴿ كَانُوا يَدْعُونَ ﴾ يعبدون ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ في الدنيا، أي: لا يرونهم، أو لا ينفعونهم، فكأنّهم ضلّوا عنهم على النفسير الأخير ﴿ وَظَنُوا ﴾ وأيقنوا ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ مَجِيصٍ ﴾ مهرب من عذاب الله. والظنّ معلّق عنه بحرف النفي.

<sup>(</sup>١) الخِداجُ: كلُّ نقصان في شيء.

<sup>(</sup>٢) انقصص: ٦٢.

لاَيسْأَمُ الإِسَانُ مِن دُعَآء الْخَيْرِ وَإِن مَسَنَهُ الشَّرُ فَيَوُوسٌ قَنُوطٌ ﴿ ٤٩ ﴾ وَلَئِنُ أَدْقُنَاهُ رَحْمَةً مِّنَا مِن بَعْدِ ضَرَّاءً مَسَنَهُ لَيَعُولَنَ هَذَا لِي وَمَآ أَظُنُ السَّاعَة وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَى رَبِي إِنَّ لِي عِندَهُ الْحُسْنَى فَلَنْنَبَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمُولُ وَلَيْنَ مَنْ الْخُسْنَى فَلَنْنَبَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمُولُ وَلَئَذَ يَتَنَهُم مِنْ عَذَابِ عَلَيظٌ ﴿ وَ وَ ﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَاى بِجَانِبَه وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُ فَذُو دُعَآء عَرِيضٍ ﴿ (٥ ﴾ قُلْ أَرَأَيْمُ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَصَلُ مِينَ هُو فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿ ٢٥ ﴾

ثمّ بين سبحانه طريقتهم المذمومة في الدنيا بقوله: ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ ﴾ لا يملّ ﴿ مِنْ دُصَاءِ الشَّقْيِ ﴾ من طلب السعة في النعمة ﴿ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُ ﴾ الضيقة فيها ﴿ فَيَوُوسُ ﴾ شديد اليأس ﴿ قَنُوطُ ﴾ من فضل الله ورحمته. وقد بولغ فيه من طريقين: بناء فعول، ومن طريق التكرير. والقنوط: أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر، أي: يقطع الرجاء من فضل الله وروحه. وهسنده صفة الكافر، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لاَ يَنِالَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْفَوْمُ النَّافُومُ ﴾ (١).

﴿ وَلَئِنْ أَنْقَنَاهُ رَحْمَةُ مِنَّا مِنْ بَعِدِ ضَرَّآءَ مَسَّقَهُ ۗ أَي: إذا فرّجنا عنه بصحة بعد مرض، أو سعة بعد ضيق ﴿ لَيَقُولُنَ هَذَا لِي ﴾ حقّي أستحقه، لما لي من الفضل وأعمال البرّ. أو هذا لي لا يزول عنّى. ونحوه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتُهُمُ ٱلْكَسَنَةُ

<sup>(</sup>١) يوسف: ٨٧.

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةَ ﴾ تقوم ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ
لَلْحُسْنَى ﴾ أي: ولئن قامت على طريق التوهم \_ كان لي عند الله الحالة الحسنى
من الكرامة. وذلك لاعتقاده أنّ ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه، أو
لقياس أمر الآخرة على أمر الدنيا. وعن بعضهم: للكافر أمنيتان، يقول في الدنيا:
﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ للْكُسْنَى ﴾. ويقول في الآخرة: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ
ثَرُامِا ﴾ (٢). وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿ فَ لَنُنْبُقُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلنخبرتهم ﴿ بِمَا عَمِلُوا﴾ بحقيقة أعمالهم، ولنبصرتهم عكس ما اعتقدوا فيها من أنهم يستوجبون عليها كرامة عند الله. وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس، وطلباً للافتخار والاستكبار لا غير. وكانوا يحسبون أنّ ما هم عليه سبب الغنى والصحّة، وأنّهم محقوقون بذلك ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴾ شديد متراكم، لا يمكنهم التفصّى عنه.

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ﴾ عن الشكر، وأبطرته النعمة حتّى كأنّه لم يلق بؤساً قطّ، فنسي المنعم ﴿ وَنَآ بِجَانِبِهِ ﴾ عطفه. وهذا عبارة عن الانحراف، كما قالوا: ثتّى عطفه، وتولّى بركنه. فالمعنى: انحرف عنه تكبّراً وتجبّراً عن الاعتراف بنعم الله تعالى، وأعرض وتباعد عنه تكبّراً وتعظّماً. أو الجانب مجاز عن النفس، كالجنب في قوله ﴿ في جَنْبِ اللهِ ﴾ ". فكأنّه قال: ونأى بنفسه، كقولهم في المتكبّر: ذهب بنفسه، وذهبت به الخيلاء كلّ مذهب.

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الضرّ ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَوِيضٍ ﴾ كثير. مستعار ممّا له عرض متسع، للإشعار بكثرته واستمراره، كما استعير الفلظ لشدّة العذاب. وهو أبلغ من

<sup>(</sup>١) الأعراف: ١٣١.

<sup>(</sup>٢) النبأ: ٤٠.

<sup>(</sup>٣) الزمر: ٥٦.

الطويل، إذ الطول أطول الامتدادين، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنَّك بطوله؟!

﴿ قُلُ أَرْأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِن كَانَ ﴾ أي: القرآن ﴿ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمُّ كَفَرْتُهُ بِهِ ﴾ من غير نظر واتّباع دليل ﴿ مَنْ اضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: من أضلٌ منكم. فوضع الموصول موضع الصلة شرحاً لحالهم، وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

وتوضيح المرام في هذا المقام: أنّ الله سبحانه أمر حبيبه بأن يتقول لأهل الشرك: إنّ ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجّة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج (١) الصدور، وإنّما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل، يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده، وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا، فما أنكرتم أن يكون حقاً وقد كفرتم به ؟ فأخبروني من أضلً منكم وأبعد في المشاقة والمناصبة في أمر الحقّ، فأهلكتم بذلك أنفسكم ؟

سُنْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِيَ أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمُ يَكُف بِرِّكِ أَنْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣٥﴾ أَلاَ إِنْهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَاءِ رَهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٤٥﴾

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآقَاقِ﴾ يعني: ما أخبرهم النبي ﷺ به من الحوادث الآتية، وآثار النوازل الماضية، وما يسر الله له ولأمّته من الفتوح والظهور على الجبابرة والأكاسرة، وتغليب قليلهم على كثيرهم، وتسليط ضعافهم على أقويائهم، ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة، وبسط دولته في الشرق والغرب على وجه خارق للعادة.

<sup>(</sup>١) أي: ارتياحها واطمئنانها.

﴿ وَفِي انفُسِهِمْ ﴾ ما ظهر فيها بين أهل مكّة، وما حلّ بهم من عجائب الصنع الدالّة على كمال قدرته. والاستقراء يطلعك \_ في التواريخ والكتب المدوّنة في مشاهد أهل الإسلام وأيّامهم \_ على عجائب، بحيث لا ترى وقعة من وقائعهم إلّا علماً من أعلام الله وآية من آياته، يقوى معها اليقين، ويزداد بها الإيمان.

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقِّ﴾ الضمير للقرآن أو الرسول، أي: يظهر لهم أنَّ دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد (١١) عنه إلاّ مكابر حسّه، مغالط نفسه.

وعن عطاء معنى الآية: سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم وأقطار السماء والأرض، من الشمس والقمر والنجوم والنباتات والأشجار والجبال، وفي أنفسهم ما فيها من لطائف الصنع وبدائع الحكم أتي بيّنت جملة منها في علم التشريح، حتّى يظهر لهم أنّ الله هو الحقّ. وما الثبات والاستقامة إلّا صفة الحقّ والصدق، كما أنّ الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والتزوير، وأنّ للباطل ريحاً تخفق ثمّ تسكن، ودولة تظهر ثمّ تضمحلّ.

﴿ أَوْ لَمْ يَكُفُ بِرَبِّكَ ﴾ أولم يكف ربّك. والباء مزيدة للتأكيد، كأنّه قيل: أو لم تحصل الكفاية به. ومعنى كفايته سبحانه هاهنا: أنّه بيّن للناس ما فيه كفاية، من الدلالة على توحيده وتصحيح نبرّة رسله. ولا تكاد تزاد الباء في الفاعل إلا مع «كفى». ﴿ أَنّهُ عَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ بدل منه. والمعنى: أو لم يكفك أنّه تعالى على كلّ شيء شهيد محقّق له، فيحقّق أمرك بإظهار الآيات الموعودة، كما حقّق سائر الأشياء الموعودة.

ومحصول المعنى: أنَّ هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفــاق وفــي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبيّنون عند ذلك أنَّ القرآن تنزيل عالم الغيب الَّذي هو على كلَّ شيء شهيد، أي: مطَّلع مهيمن، يستوي عنده غيبه وشهادته. فيكفيهم

<sup>(</sup>١) أي: لا يميل عنه.

ذلك دليلاً على أنّه حقّ، وأنّه من عنده، ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوّة، ولما نصر حاملوه هذه النصرة. أو المعنى: أولم يكف الإنسان رادعاً عن المعاصي أنّه تمالى مطّلع على كلّ شيء، لا يخفى عليه خافية.

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِزْيَةٍ ﴾ شكّ ﴿ مِن لِقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ لقاء مجازاة ربّهم يــوم البــعث ﴿ آلَا ﴾ كلمة تنبيه ﴿ إِنّه مِكُلِّ شَنْيَءٍ مُحِيطً ﴾ عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها، ظواهرها وبواطنها، مقتدر عليها، لا يفوته شيء منها، فهو مجازيهم على كفرهم.

·

..

·

•



وتستى سورة الشورى أيضاً. مكتة. وعن ابن عبّاس وقنادة: إلّا أربع آيات نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ لَا الشَّالُكُمْ عَلَيْهِ الجَرَا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُوْبَىٰ﴾ (١٠). قال ابن عبّاس: ولمّا نزلت هذه الآية. فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ الْفَتَرَىٰ عَلَى اللهِ عَنْوِبُهُ (٢٠). ثمّ إِنَّ الرجل تاب وقدم فنزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ الشَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ إلى قوله ﴿لَهُمْ عَذَابُ شَدِيدٌ﴾ (٣).

وعدد آيها ثلاث وخمسون.

أبيّ عن النبيّ ﷺ: «من قرأ سورة حــة عشــق كــان مــمّن يــصلّي عــليـه الملائكة. ويستففرون له ويسترحمون».

وروى سيف بن عميرة، عن أبي عبدالله قال: «من قرأ حم عسق بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، حتى يقف بسين يسدي الله الله عبدي أدمنت قراءة حم عسق ولم تدر ما ثوابها، أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها، ولكن سأجزيك جزاءك، أدخلوه الجنة، وله فيها قصر من ياقو تة حمراء أبوابها وشرفها ودرجها، منها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها. وله فيها حوراوان من الحور العين، وألف جارية، وألف غلام من الولدان المخلّدين الذين وصفهم الله تعالى».

<sup>(</sup>۱ و ۲) الشورى: ۲۳ و ۲۶.

<sup>(</sup>٣) الشورى: ٢٥ ـ ٢٦.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَ ﴿ ١﴾ عَسَقَ ﴿ ٢﴾ كُذَلكَ يُوحِيَ إَلَيكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلكَ اللَّهُ الْعَرِرُ الْحَكِيمُ ﴿ ٢﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُ الْمَظْيمُ ﴿ ٤﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَقَطَّرُنَ مِن فَوْقِينَ وَالْمَاكَتَكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَدْ رَبِهِمُ وَيَكُودُ السَّمَاوَاتُ يَقَطَّرُنَ مِن فَوْقِينَ وَالْمَاكَتَكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَدْ رَبِهِمُ وَيَسَتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ ٥﴾ وَالَّذِينَ وَيُسْتَغْفِرُونَ لِمَن دُونِهِ أُولِيَا عَالَيْهِمْ وَمَا أَنْكَ عَلَيْهِم وَكِيل ﴿ ٢﴾

واعلم أنّه سبحانه لمّا ختم سورة السجدة بذكر القرآن. افتتح هذه الســورة بذكره أيضاً، فقال:

﴿ بِسَمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هَم عَسَقَ﴾ لعلّهما اسمان للسورة، ولذلك فـصل بينهما، وعدًا آيتين. وإن كانا اسماً واحداً فالفصل ليطابق سائر الحواميم.

وقيل: إنّما فضّلت هذه السورة من بين سائر الحواميم ب «عسّق»، لأنّ جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلّا هذه، فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب، لآنه اسم من أسماء القرآن، وهو معنى قول قتادة، فإنّه قال: هو اسم القرآن.

وقيل: إنّ هذه السورة انفردت بأنّ معانيها أوحيت إلى سائر الأنبياء، فلذلك خصّت بهذه التسمية.

وقال عطاء: هي حروف مقطّعة منبئة عن حوادث الزمان. فالحاء من حرب. والميم من تحويل ملك. والعين من عدوّ مقهور. والسين من الاسـتئصال بسـنين

كسنيّ يوسف، والقاف من قدرة الله ﷺ وقهّاريّته على الجبابرة في الأرض.

وقال النيشابوري في تفسيره: «قيل: رموز إلى فتن كان عليَّ ﷺ يعرفها.

وقيل: الحاء حكم الله. والميم ملكه، والعين علمه، والسّين سناؤه، والقاف قدرته.

وقيل: الحاء حرب عليّ ومعاوية، والميم ولاية المروانيّة، والصين ولايــة العبّاسيّة، والسين ولاية السفيانيّة، والقاف قدرة المهديّ. وهذه الأقـــاويل مــمّا لا معوّل عليها.

وقال أهل التصوّف: حاء حبّه، وميم محبوبيّة محمّدﷺ، وعين عشقه إلى سيّده، وقاف قربه إلى سيّده، أقسم أنّه يوحي إليه وإلى سائر الأنبياء من قبله، أنّه محبوبه في الأزل، وبتبعيّته خلق الكائنات»(١١).

وباقى الأقوال في ذلك مذكورة في أوّل البقرة.

﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني، أو مثل ذلك الوحي أوحى الله إليك وإلى الرسل من قبلك. يعني: أنّ الله تعالى كرّر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماويّة، لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لمباده من الأوّلين والآخرين.

وعن عطاء، عن ابن عبّاس قال: ما من نبيّ أنزل الله عليه الكتاب، إلّا أنزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم.

وإنّما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية، للدلالة على استمرار الوحي، وأنّ إيحاء مثله عادة الله سبحانه.

وقرأ ابن كثير: يُوحَى بالفتح، على أنّ «كذلك» مبتدأ، و «يوحى» خبره المسند إلى ضميره، أي: مثل ذلك يوحى. أو مصدر، و «يوحى» مسند إلى «إليك».

<sup>(</sup>١) غرائب القرآن للنيسابوري ٦: ٦٧.

۲۰۰ ..... زیدة التفاسیر ـ ج ٦

أي: إيحاء مثل إيحاء هذه السورة يوحي إليك.

و «الله» مرفوع بما دلَّ عليه «يوحى». كأنَّ قائلاً قال: من الموحي؟ فقيل: الله . كقراءة السلمي ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِتَخْفِدٍ مِنَ الْمُشْنِكِينَ قَتْلَ الْوَلَادِهِمْ شُنوَحَاقُهُمْ ﴾ (١٠) على البناء للمفعول ورفع «شركاؤهم»، على معنى: زيّنه لهم شركاؤهم.

و «العزيز الحكيم» صفتان له، مقرّرتان لعلوّ شأن الموحى بـه، أي: القرآن نزل من القادر الذي لا يغالب، المحكم لأفعاله، كما مرّ في السورة السابقة.

أو بالابتداء (٢)، كما مرّ في قراءة «نوحي» بالنون. و «العزيز» وما بعده أخبار. أو «العزيز الحكيم» صفتان له، وقوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمْوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْفَظْلُمُ﴾ خبران له. وعلى الوجوه الأخر استثناف مقرّر لعزّ ته وحكمته.

﴿ تَكَادُ السَّمْوَاتُ﴾ وقرآ نافع والكسائي بالياء ﴿ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي: يتشقّن من على شأن الله وعظمته. ويدلّ عليه مجيئه بعد قوله: «العليّ العظيم». وقبيل: من دعائهم له ولداً، كقوله: ﴿ تَكَادُ السَّمْوَاتُ يَتَغَطُّرْنَ مِثْهُ﴾ (٣٠.

وقرأ البصريّان وأبو بكر : يَنْفَطِرْنَ. والأوّل أبلغ، لأنّه مطاوع: فطّر.

﴿ مِنْ فَوْقِهِنَ ﴾ أي: يبتدىء الانفطار من جهتهن الفوقائية. وتخصيصها على الأوّل، لأنّ أعظم الآيات وأدلّها على علوّ شأنه من فوق السماوات، وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة القائلين بالتسبيح والتقديس حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلّا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى. وعلى الثاني، ليدلّ على الانفطار من تحتهنّ بالطريق الأولى. وقيل: الضمير للأرض.

﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَيِّحُونَ بِحَدِدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ﴾ بالسعى فيما

<sup>(</sup>١) الأنعام: ١٣٧.

<sup>(</sup>٢) عطف على قوله: بما دلَّ عليه، قبل خمسة أسطر.

<sup>(</sup>٣) مريم: ٩٠.

سورة الشورى، آية ١ ــ٣ـ.....٢٠١

يستدعي مغفرتهم، من استدعاء الحلم منه تعالى، وإعداد الأسباب المقرّبة إلى الطاعة. وهذا المعنى يعمّ المؤمن والكافر. بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عمّ الحيوان، بل الجماد. والأصحّ أنّ المراد بهم المومنون، لقوله: 

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْأَيْنِنَ آمَنُوا ﴾ (١٠). وحكايته عنهم: ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ (٢٠). فالمراد بالاستغفار الشفاعة.

﴿ الآبانَّ اللهُ هُوَ الْفَقُورُ الرَّحِيمُ﴾ إذ ما من مخلوق إلاّ وهو ذو حظّ من رحمته. والآية على الأقل (٢) زيادة تقرير لعظمته. فكانَـه قيل: تكـاد السـماوات يتفطّرن هيبة من جلاله، واحتشاماً من كبريائه، والملائكة الذين هم مـل، السـبع الطباق، وحافّون حول العرش صفوفاً بعد صفوف، يداومون ـخضوعاً لعظمته ـعلى عبادته وتسبيحه وتحميده، ويستغفرون لمن في الأرض خوفاً عـليهم من سطواته.

وعلى الثاني (4)؛ دلالة على تقدّسه عدّا نسب إليه. فكأنّه قيل: يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء، والملائكة يوخدون الله وينزّهونه عدًا لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به، حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنّهم عندها يستعصمون، مختارين غير ملجئين، ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرّوا من تلك الكلمة ومن أهلها. أو يطلبون من ربّهم أن يحلم عن أهل الأرض، ولا يعاجلهم بالعقاب، لما عرفوا في ذلك من المصالح، وحرصاً على نجاة الخلق، وطمعاً في توبة الكفّار والفسّاق منهم.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءً ﴾ شركاء وأنداداً ﴿ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ رقيب

<sup>(</sup>١ و ٢) غافر: ٧.

<sup>(</sup>٣) أي: على قراءة: يَتَفَطُّرُنَ.

<sup>(</sup>٤) أي: على قراءة: يَنْفَطِرْنَ.

على أحوالهم وأعمالهم، لا يفوته منها شيء، فيجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ يا محمّد ﴿ عَلَيْهِمْ بِهَا هُوَكِما أَنْتَ﴾ يا محمّد ﴿ عَلَيْهِمْ بِهَا فِكِيلٍ ﴾ بموكّل بهم، أو بموكول ومفرّض إليك أمرهم، ولا قسرهم على الإيمان، بل إنّما أنت منذر فحسب، فلا يضيقنّ صدرك بتكذيبهم إيّاك. وفيه تسلية له ﷺ .

وَكَذَلَكَ أَوْحَيُنَا آلِيكَ قُرُانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أَمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوَلَهَا وَتُنذَرَ يُومَ الْجَمْعِ لاَ رُبِّبَ فِيهِ فَرِقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلُو شَآءً اللَّهُ لَجَمَلَهُمْ أَمَّةً وَاحَدَةً وَلَكِنَ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتَهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مَن ولِي وَلاَ نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَم آتَخذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المُوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

﴿ وَكَذَلِكَ﴾ الإشارة إلى مصدر:يوحي، أي: مثل ذلك الإيحاء البيّن السفهم ﴿ الْوَحَيْفَا إِلَيْكَ ﴾ أو إلى معنى الآية المتقدّمة من أنّ الله هو الرقيب عليهم وماأنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم، فإنّ هذا المعنى كرّره الله في كتابه في مواضع جمّة. فيكون الكاف مفعولاً به لاأوحينا». وقوله: ﴿ قُرْآناً عَرَبِيناً ﴾ حالاً منه، أي: أوحيناه إليك وهو قرآن عربيّ بيّن لا لبس فيه عليك، لتفهم ما يقال لك، ولا تتجاوز حـدً الإنذار.

﴿لِتُنْذِرَ أَمُّ الْقُرْىٰ﴾ أِهل أَمُّ القرى. وهي مكّة. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مـن العـرب ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة يجمع فيه الخالائق، أو الأرواح والأشـباح، أو المثّال والأعمال. يقال: أنذرته كذا، وأنذرته بكذا. وقد عدّي الأوّل ـ أعنى «لتنذر

أمّ القرى» \_ إلى المفعول الأوّل، والثاني \_ وهو قوله : «وتنذر يــوم الجــمع» \_ إلى المفعول الثاني. فحذف ثاني مفعولي الأوّل، وأوّل مفعولي الثاني، للتهويل وإيــهام التعميم.

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ اعتراض لا محلّ له ﴿ فَوِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَوِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ أي: يجمعون في السوقف أوّلاً ثمّ يفرّقون. والتقدير: منهم فريق. والضمير للمجموعين، لدلالة الجمع عليه، فإنّه في معنى: يوم جمع الخلائق.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: مؤمنين كلّهم على القسر والإكراه، كقوله: ﴿ وَلَوْ شِغْنَا لَآتَيْنَا كُلُ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ (١٠). وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُكَ لَامَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا ﴾ (١٠). والدليل على أنّ المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان قوله: ﴿ أَفَانَتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠). وإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله، دليل على أنّ الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره، فالمعنى: ولو شاء ربّك مشيئة قدرة لقسرهم جميعاً على الإيمان.

﴿ وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَن يَشَاءَ فِي رَحْمَدِهِ ﴾ مشيئة حكمة. فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون، ليدخل المؤمنين في رحمته، وهم المرادون بمن يشاء. وتغيير المقابلة لأجل ذلك، أو للمبالغة في الوعيد، إذ الكلام في الإنذار. ألا ترى أنه وضعهم في مقابلة الظالمين، وترك الظالمين بغير وليّ ولا نصير في عذابه، بقوله: ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِي مَا يَتولَى أمرهم وينصرهم.

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا﴾ أَم منقطعة. ومعنى الهمزة فيها للإنكار، أي: بل اتَخذوا ﴿ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآ اَ﴾ كالأصنام ﴿ فَاللهُ هُوَ الْوَلِئُ ﴾ هو الّذي يجب أن يتولّى وحده، ويعتقد أنّه المولى والسيّد. وذكر الفاء لأنّه جواب شرط محذوف، كأنّه قيل بعد إنكار كلّ

<sup>(</sup>١) السجدة: ١٣.

<sup>(</sup>۲ و ۳) يونس: ۹۹.

٢٠٤ ...... زيدة التفاسير ــج ٦

ولميّ سواه: إن أرادوا وليّاً بحقّ فالله الوليّ بالحقّ، لا ولميّ سواه.

﴿ وَهُوَ يُخْمِي الْمُوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلُّ شَمْعٍ عَلَيْكِ ﴾ كالتقرير لكوند حقيقاً بالولاية، أي: ومن شأن هذا الوليّ أنّه يحيي الموتى للمجازاة، قادر على كلّ من الإحياء والإماتة وغير ذلك. فهو الحقيق بأن يتّخذ وليّاً، دون من لا يقدر على شيء.

وَمَا آخَنَافُتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكُمُهُ إِلَى اللّهِ ذَلَكُمُ اللّهُ رَبِي عَلَيْهِ
تَوكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْسِبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ لَيسَ كَمْثُله شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لَمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

ثمّ حكى الله سبحانه قول رسوله للمؤمنين، فقال: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُهُ ﴾ أنتم والكفّار ﴿ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من أمر من أمور الدنيا أو الدين ﴿ فَحُكْمُهُ ﴾ فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض ﴿ إِلَى اللهِ ﴾ يميّز بين المحقّ والمبطل بالنصر، أو بالإثابة والمعاقمة.

وقيل: وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا إلى المحكم من كتاب الله. وإلى الظاهر من سنّة رسول الله ﷺ.

وقيل: وما تنازعتم من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله. ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره. كقوله: ﴿ فَإِن شَنْازَعْتُمْ فِي شَنِيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللهِ

وقيل: وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم الّتي لا تتصل بـتكليفكم، ولا طريق لكم إلى علمه، فقولوا: الله أعلم، كمعرفة الروح. قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْلَأُنُونَكَ عَنِ الرَّوحِ قُلِ اللهِ وَعَلَى الْمَوْرَةُ مِنْ أَمْوِرَبُعِي﴾ (٢٠).

﴿ ذَلِكُمُ﴾ الحاكم بينكم ﴿ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ فَوَكُلْتُ﴾ في ردَّ كيد أعداء الديس، وفي سائر مجامع الأمور ﴿ وَإِلَيْهِ أَنِيهِ ﴾ أرجع في كفاية شرّهم، وغيرها مس المعضلات.

﴿ فَاطِنُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خبر آخر لا «ذلكم». أو مبتدأ خبره ﴿ جَعَلَ لَكُم مِن انْفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم ﴿ ازْوَاجاً ﴾ نساء لتسكنوا إليها ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ ازْوَاجاً ﴾ أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً، أو ذكوراً أي: خلق للأنعام من جنسها أزواجاً. أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً، أو ذكوراً وإناثاً. ﴿ يَذَرُو تُكُمْ كَثَر كم. يقال: ذراً الله الخلق: بتّهم وكثرهم. من الذرء، وهو البتّ. وفي معناه: الذرو والذرّ. والضمير راجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الفيب منا لا يعقل. ﴿ فِيهِ ﴾ في جعل الناس والأنعام أزواجاً ليكون بينهم توالد. وإيثار «فيه» على: به، لإفادة أنّ هذا التدبير كالمنبع والعدن للبتّ والتكثير.

﴿ لَيْسَ كَمِثْتُهِ شَيْءً﴾ أي: شيء يزاوجه ويناسبه. والمراد من مثله ذاته، كما في قولهم: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته على قصد المبالغة في نفيه، فسلكوا به طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يناسبه ويسد مسدد، ويكون على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه بطريق أولى.

فإذا علم أنَّه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين

<sup>(</sup>١) النساء: ٥٩.

<sup>(</sup>٢) الاسراء: ٨٥.

قوله: «ليس كمثله شيء» إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها، فكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد، وهو نفي المماثلة عن ذاته. ونحوه قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مُنِسُوطُتَانِ﴾ (ا)، فإنّ معناه: بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسطها، لائهما وقعتا عبارة عن الجود، لا يقصدون شيئاً آخر، حتّى إنّهم استعملوها فيمن لا يد له، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له.

ومن قال: الكاف فيه زائدة، لعلَّه عنى أنَّه يعطي معنى: ليس مثله، غير أنَّه أكَّد لما ذكر ناه. وقيل: مثله صفته، أي: ليس كصفته صفة.

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي: العالم بكلِّ ما يسمع ويبصر.

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائنها ﴿ يَبْسُطُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَـقْدِرُ﴾ يوسّع ويضيّق على وفق مشيئته ﴿إنَّهُ بِكُلِّ شَنِيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما ينبغي. فإذا علم أنَّ الغنى خير للعبد أغناه، وإلاّ أفقره.

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا ٓ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي َ أُوحَيْنَا آ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَنْفَرَقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يُشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ( المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إلَيْهِ مَن يُشَاءُ وَيَهْدِي إلَيْهِ مَن يُنِيبُ ( ﴿١٣ ﴾ وَمَا تَفَرَقُوا اللَّمَ اللَّهُ مَن يُنِيبُ مِن بَعْدِ مِن بَعْدِهِمُ مِن اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَالَّهُ مَنْ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ الللَّهُ مُنْ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

<sup>(</sup>١) المائدة: ٦٤.

أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابِ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَإِلَيهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّـيْنَا بِـهِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ أي: شرع لكم من الدين، دين نوح ومحددﷺ، ومن بينهما من أرباب الشرائم، وهو الأصل المشترك فيما بينهم.

ثمّ فسر الشرع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: ﴿ أَن أَقِيمُوا الدُّينَ ﴾ وهو الإيمان بما يجب تصديقه، من توحيد الله وكتبه ورسله وحججه ويوم الجزاء، وسائر ما يكون الرجل بإقامته مؤمناً. ولم يرد الشرائع التي هي مصالح للأمم على حسب أحوالها من فروعات الإسلام، فإنّها مختلفة متفاوتة. قال الله تمالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْفَا مِنْكُمْ شِيْرَعَةٌ وَمِنْهَاجاً ﴾ (١٠). ومحله النصب على البدل من مفعول «شرع». أو الرفع على الاستئناف. كأنّه قيل: وما ذلك المشروع؟ فقيل: هو إقامة الدين. أو الجرّ على البدل من هاء «به».

﴿ وَلاَ تَتَقُرُ قُوا فِيهِ ﴾ ولا تختلفوا في هذا الأصل ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ عظم وشق عليهم ﴿ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد ﴿ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ ﴾ يجتلب إلى ما تدعوهم. أو إلى الدين بالتوفيق والتسديد. ﴿ مَنْ يَشْاَءَ ﴾ من ينفع فيهم توفيقه، ويجدي عليهم لطفه، من أصحاب الاسترشاد ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ ﴾ بالإرشاد والتوفيق ﴿ مَنْ يَبْدِثُ ﴾ من يقبل إليه.

<sup>(</sup>١) المائدة: ٤٨.

﴿ وَمَا تَقَرُقُوا ﴾ يعني: الأمم السالفة. وقيل: أهل الكتاب، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَخْتَكَ اللَّهِ الْكِتَاب، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا الْخَتَكَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

﴿ وَلَوْلَا عَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بالإمهال ﴿ إِنَى أَجُلٍ مُسَمَّى ﴾ هو يوم القيامة ،

أو آخر أعمارهم المقدّرة ﴿ لَقَصْمِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ باستئصال المبطلين حين افترقوا ، لعظم

ما اقترفوا ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِدُوا الْجَتَابَ مِنْ بَقِيهِمْ ﴾ يعني : أهل الكتاب الذين كانوا في

عهد الرسول ، أو المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب ﴿ لَفِي شَكٍّ

مِنْهُ ﴾ من الكتاب ، لا يعلمونه كما هو ، أو لا يؤمنون به حقّ الإيمان . أو من القرآن .

﴿ مُريب ﴾ مقلق ، أو مدخل في الريبة .

وقيل: كان الناس أمّة واحدة مؤمنين، بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان، فلمّا مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم، وذلك حين بعث الله إليهم النبيّين مبشّرين ومنذرين، وجاءهم العلم، وإنّما اختلفوا للبغي بينهم.

﴿ فَلِذَلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرّق، ولما حدث بسببه من تشعّب الكفر شعباً. أو لأجل ذلك الكتاب، أو العلم الذي أوتيته. ﴿ فَادْعُ﴾ إلى الاتّفاق على العلّة العنيفيّة القديمة، أو للاتّباع لما أوتيت فادع. وعلى هذا يجوز أن تكون اللام في موضع «إلى» لإفادة الصلة، فإنّه يفيد معنى كون ما دخل عليه اللام معمولاً متقدّماً، فكأنّه قال: ادع إلى الاتّباع، لانّه يقال: دعا إليه.

﴿ وَاسْتَقِمْ ﴾ على الدعوة ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ كما أمرك الله ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ المختلفة الباطلة.

﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابِ ﴾ أيّ كتاب صبح أنّ الله أنزله. يعني:

<sup>(</sup>١) آل عمران: ١٩.

الإيمان بجميع الكتب المنزلة، لا كالكفّار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكَفُرُ بِبَعْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾ (١).

﴿ وَأَمِزِتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في تبليغ الحكومات والشرائع. والأوّل إنسارة إلى كمال القوّة النظريّة، وهذا إنسارة إلى كمال القوّة العمليّة.

﴿ اللهُ رَبُنَا وَرَبُكُمُ ﴾ خالق الكلّ ومتولّي أمره. وإنّما قال ذلك لأنّ المشركين قد اعتر فوا بأنّ الله هو الخالق. ﴿ لَنَا اعْمَالُنَا وَلَكُمُ اعْمَالُكُمُ ﴾ وكلُّ مجازى بعمله، ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره، فلا يضرّنا إصراركم على الكفر. ﴿ لاَ هُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ لا حجاج بمعنى: لا خصومة، إذ الحقّ قد ظهر، ولم يبق للمحاجّة مجال، ولا للخلاف مبدأ، سوى العناد، فلا حاجة إلى المحاجّة.

وهذه محاجزة في مواقف المقاولة لا المقاتلة، ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجّة والإلزام. فليس في الآية ما يدلّ على متاركة الكفّار رأساً، حتّى تكون منسوخة بآية القتال(٢).

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي َأَنَوَلَ الْكَتَابَ إِلَّاحَقِ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ هِمَا الَّذِينَ لَا

<sup>(</sup>١) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١.

<sup>(</sup>٢) التوبة: ٢٩.

يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيُعْلَمُونَ أَنَهَا الْحَقُّ أَلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ في السَّاعَة لَفِي ضَلال بَعِيد ﴿ ١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَاده يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿ ١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدُ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ﴿ ٢٠﴾

ولمّا تقدّم ظهور الحجّة وانقطاع المحاجّة، عقبه بذكر من يحاجّ بالباطل، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللهِ﴾ في دينه ﴿مِنْ بَغدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام، ليردّوهم إلى دين الجاهليّة، كقوله: ﴿وَدُ كَتْئِيرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَائِكُمْ كَفّاراً﴾ (١٠).

وقيل: نزلت في اليهود والنصاري كانوا يقولون للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيّكم، ونحن خير منكم.

وقيل: من بعد ما استجاب الله لرسوله، وأظهر دينه بنصره يوم بدر. أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب، بأن أقرّوا بنبوّته واستفتحوا به.

﴿ حُبُّتُهُمْ﴾ أي: ما ستوه حجّة على اعتقادهم ﴿ وَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ زائلة باطلة ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَبُ﴾ لمعاندتهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَاكِ شَدِيدٌ﴾ على كفرهم.

﴿ الله الذي أنزَلَ الْكِتَابَ﴾ جنس الكتاب ﴿ بِالْحَقّ ﴾ ملتبساً بالحقّ ، مقرناً به ، بعيداً من الباطل . أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة ، أو بالواجب من التحليل والتحريم ، وغير ذلك من العقائد والأحكام . ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ والشرع الذي توزن به الحقوق، ويسوّى بين الناس . أو العدل . ومعنى إنزاله : أنّه أمر به في كتبه المنزلة .

<sup>(</sup>١) البقرة: ١٠٩.

وقيل: الّذي توزن به الأجناس. وإنزاله الوحي بـإعداده والأمـر بــه فــي الكــتب السماويّة.

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ إتيانها، فاتبع الكتاب، واعسل بالشرع، واطب على العدل، قبل أن يفاجئك اليوم الذي توزن فيه أعمالك وتوفى جزاؤك. وقيل: تذكير القريب لائنه بمعنى: ذات قرب، أو لأنَّ الساعة بمعنى البعث.

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ استهزاءٌ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ خائفون من مجيئها، مع اعتنائهم بها، لتوقع الثواب ﴿ وَيَعْلَمُونَ انْهَا الْحَقُ ﴾ الكائن لا محالة ﴿ الاَ إِنَّ اللَّذِينَ يُعَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ يجادلون فيها، فيخاصمون في مجيئها على وجه الإنكار لها. من العربة، أي: يدخلهم السرية والشكّ. أو من: مريت الناقة، إذا مسحت ضرعها بشدّة للحلب، لأنّ كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدّة. ﴿ لَفِي ضَكُل بَعِيدٍ ﴾ عن الحق، لأنّ قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله، ولدلالة الكتاب المعجز على أنّها آتية، ولشهادة العقول على التجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه.

﴿ الله لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ برّ بهم بصنوف من البرّ بحيث لا تبلغها الأفهام. أو عالم بخفيّات الأمور والغيوب، فيوصل النعمة إلى العباد من وجه يمدق إدراكه، بأن يعطيهم النعم الّتي لا يترقّبونها، ويصرف الآفات عنهم، ويدخل السرور والملاذّ إليهم، بحيث خفي أسبابها عنهم، وغير ذلك من الألطاف الّتي لا يوقف على كنهها لغموضها.

﴿ يَزِزُقُ مَنْ يَشَمَآءُ﴾ أي: يرزقه كما يشاء. فيخصّ كلاً من عباده بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته. يعني: كلّهم مبروزون بحيث لا يخلو أحد من برّه. إلّا أنّ البرّ أصناف. وله أوصاف. والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قـضايا الحكمة والتدبير، فيطير (١) لبعض العباد صنف من البرّ لم يطر مثله لآخر، ويصيب هذا حظّ له وصف ليس ذلك الوصف لحظّ صاحبه. فمن قسّم له منهم ما لم يقسّم للآخر فقد رزقه، كما يرزق أحد الأخوين ولداً دون الآخر، على أنّه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد. أو معناه: يوسع الرزق على من يشاء. يقال: فلان مرزوق، إذا وصف بسعة الرزق.

وقيل: معناه: يرزق من يشاء في خفض ودعة، ومن يشاء في كدّ وتـعب. وكلّ من يرزقه الله من ذي روح، فهو مكن يشاء أن يرزقه.

﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ ﴾ الباهر القدرة ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ المنيع الغالب الَّذي لا يغلب.

﴿ مَنْ كَانَ يُوِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ توابها، أو العمل الذي يوجب توابها، شبّهه بالزرع من حيث إنّه فائدة تحصل بعمل الدنيا، ولذلك قبل: الدنيا مزرعة الآخرة. والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض. ويقال للزرع الحاصل منه أيضاً. ﴿ مَزْدُ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ فنعطه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها. أو نوفقه في عمله، فضوعفت حسناته. فستى ما يعمله العامل مثا يبغي به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز.

﴿ وَمَنْ كَانَ يُوِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا تُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ شيئاً منها، لا ما يريده ويبتغيه. وهو رزقه الذي قسمنا له. ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ إذ الأعمال بالنيّات، ولكلَّ امرىءِ ما نوى.

وقيل: معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين والثواب في الآخرة. ومن قصد به الغنيمة لم يحرم ذلك، وحصل له سهمه من الغنيمة، ولكن لا نصيب له من الثواب في الآخرة.

وروي عن النبيَّ ﷺ أنَّه قال: «من كانت نـيَّته الآخـرة جـمع الله شـمله.

<sup>(</sup>١) أي: يقسم، من: أطار المال: قسمه.

وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت نيّته الدنيا فرّق الله عليه أمره، وجعل الفقر بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلّا ما كتب له».

وعن الحسن: من كان يعمل للآخرة نال الدنيا والآخرة. ومن عمل للــدنيا فلاحظً له في الآخرة. لأنّ الأعلى لا يجعل تبعاً للأدون.

أَمْ لَهُمْ شُرُكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللّهُ وَلَوْلاً كَلَمَةُ الْفَصْلِ الْفَضِيَ بُيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ١٧﴾ تَرَى الظَّالَمِينَ مُمَّ عَدَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ١٧﴾ تَرَى الظَّالَمِينَ مُمَّ مَسُّفَقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُو وَاقعٌ بِهِمْ وَالّذِينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَنَّا وُنَ عِندَ رَبِهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الكَبِيرُ ﴿ ٢٧﴾ وَلَكُ الدِّي الشَّالِحَاتِ قُل لاَ أَسُألُكُمْ وَلَكَ اللّهَ عَبَادَهُ الدِينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَ أَسُألُكُمْ عَلَيْهِ أَجُرًا إِلاَّ الْمَوَدَةَ فِي الْقَرْبَى وَمَن يَشَرِفُ حَسَنَةً نَزِدُ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللّهَ عَنُونٌ شَكُونٌ شَرَكُونٌ ﴿ ٢٢﴾

ولمّا أخبر سبحانه أنّ من يطلب الدنيا بأعماله فلا حظّ له في الآخرة، قال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ﴾ بل ألهم شركاء، والهمزة للتقريع والتقرير، وشركاؤهم شياطينهم، ﴿ شَرَعُوا لَهُمْ﴾ بالتزيين ﴿ مِنَ الدّينِ مَا لَمْ يَاذَنْ هِهِ الله ﴾ كالشرك، وإنكار البعث، والعمل للدنيا.

وقيل: شركاؤهم أوثانهم. وإضافتها إليهم لأنّهم متّخذوها شركاء لله. فـتارة تضاف إليهم لهذه العلابسة. وتارة إلى الله. وإسناد الشرع إليها لأنّها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تديّنوا به، فكأنّها شارعة لهم دين الكفر، كما قال إبراهيم على ﴿ وَبُ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ تَكِيْواً مِنَ التَّاسِ ﴾ (١٠. أو صور من سنّه لهم، كما قيل: إنَّ جمشيد أخذ تماثيل مصوّرة بصورته، فأرسلها إلى الأقاليم ليعظّموها.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ ﴾ أي: القضاء السابق ستأجيل الجزاء، أو العدّة بأنّ الفصل يكون يوم القيامة ﴿ نَقَضِيّ بَيْنَهُمْ ﴾ بين الكافرين والمؤمنين، أو المشركين وشركائهم ﴿ وَإِنَّ الفَلْلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

﴿ تَزَى الظَّلْمِينَ ﴾ في القيامة ﴿ مُشْيقِقِينَ ﴾ خائفين خوفاً شديداً أرقّ (") قلوبهم ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ من السيّات ﴿ وَهُوَ وَاقِعْ بِهِمْ ﴾ أي: وباله لاحق بهم، وواصل إليهم، لابد لهم منه، أشفقوا أولم يشفقوا ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْبَعْلَاتِ الْمُعَلِقِ الْصَالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْبَعْلَاتِ الْمُعَلِقِ الْمُعاامِ وَأَنْزِهِا، فإنّ الروضة الأرض الخضرة بحسن النبات والأشجار المثمرة المورقة المونقة ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاعُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: ما يشتهونه ثابت لهم عند ربّهم ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما للمؤمنين ﴿ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ الذي يصغر عنده ما لفيرهم في الدنيا.

﴿ ذَلِكَ الَّذِي ﴾ ذلك الثواب الله في ﴿ يُبَشَّرُ اللهُ عِبَادَهُ اللهِ الْمَوْلَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي: يبشّرهم الله به، فحذف الجارّ ثمّ العائد. أو ذلك التبشير الله يبشّره الله عباده، ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: يَبْشُرُ. من بَشَرَه. ومــن شــدّد الشين أراد به التكثير، ومن حُقّفها فلأنّه يدلّ على القليل والكثير.

روي: أنّه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: أترون محمّداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت: ﴿قُلْ لَا السَّالَكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أتعاطاه من

<sup>(</sup>١) إبراهيم: ٣٦.

<sup>(</sup>٢) أي: ألاته.

التبليغ والبشارة ﴿أَجْواً﴾ نفعاً منكم ﴿إلَّا المَوَدَّة فِي الشَّوْئِينَ﴾ إلّا أن تودّوا أهل قرابتي والبتهم، فكانت صلتهم لازمة لهابتي. ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة، لأنَّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة. ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قطّ، ولكن أسألكم أن تودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم، ولا تؤذوهم.

ولم يقل: إلا مودة القربى، أو إلا المودة للقربى، بل قال: إلا المودة في القربى، لإفادة أنّهم جعلوا مكاناً للمودة ومقرّاً لها، كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوئ وحبّ شديد. تريد: أحبّهم، وهم مكان حبّي ومحلّه. وليست «في» بصلة للمودة، كاللام إذا قلت: إلاّ المودة للقربى، بل هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلاّ المودة ثابتة في القربى ومتمكّنة فيها، والقربى مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى القرابة، والمراد: في أهل القربى، كما فشرنا به.

روي عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّها لمّا نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجسبت علينا مودّتهم؟ قال: «على ، وفاطمة، وابناهما».

وعن النبيّ ﷺ: «حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عتر تي. ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطّلب، ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقينى يوم القيامة».

<sup>(</sup>١) غرائب القرآن ٦: ٧٤.

وقال النيشابوري: إنّه كان يقول: «فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يـؤذيها». وثبت بالنقل المتواتر أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا كان كذلك وجب علينا محبّتهم، لقوله: ﴿فاتّبعوه﴾ (١). وكفى شرفاً لآل رسول الله ﷺ وفخراً ختم التشهد بذكرهم، والصلاة عليهم في كلّ صلاة»(٤). انتهى كلامه.

وورد من طرق الخاصة والعامّة أنّ النبيّ ﷺ قال: «مثل أهل بيتي كـمثل سفينة حبّ سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق». فنحن نركب سفينة حبّ آل محمد ﷺ انتخلّص في بحر التكليف وظلمة الجهالة من أمواج الشبه والضلالة.

وروي: أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنّهم افتخروا. فـقال عـبّاس: لنــا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاهم في مجالسهم، فقال: «يا معشر الأنصار الم تكونوا أذلّة فأعزّكم الله بي؟

قالوا: بلي يا رسول الله.

قال: ألم تكونوا ضلّالاً فهداكم الله بي؟

قالوا: بلى يا رسول الله .

قال: أفلا تجيبونني؟ يعني: لِمَ لَمْ تفتخروا أنتم أيضاً؟

قالوا: ما نقول يا رسول الله؟

قال: ألا تقولون: ألَم يخرجك قومك فآويناك؟ أولم يكذّبوك فصدّقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟

قال: فما زال يقول ﷺ حتّى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولر سوله». فنزلت الآية.

<sup>(</sup>١) الأنعام: ١٥٣.

<sup>(</sup>٢) غرائب القرآن ٦: ٧٤.

وروى الزمخشري والتعلبي في تفسيريهما أنّه قال رسول الله ﷺ: «من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مفغوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملك العوت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كلى المنتقد آلد من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنّة» (أله ومن مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنّة» (أله ومن مات على بغض آل

وقيل: لم يكن بطن من بطون قريش إلّا وبين رسول الله وبينهم قربى، فلمّا كذّبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت. والمعنى: إلّا أن تودّوني في القربى، أي: في حتى القربى ومن أجلها، كما تقول: الحبّ في الله والبغض في الله، بمعنى: في حقّه ومن أجله. يعني: أنّكم قومي وأحقّ من أجابني وأطاعني، فإذا قد أبيتم ذلك فاحفظوا حتى القربى، ولا تؤذونى، ولا تهيّجوا على.

وقيل: أتت الأنصار رسول الله بمال جمعوه وقالوا: يا رسول الله قد هدانا الله بك. أنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة. فاستعن بسهذا عـلى مـا ينوبك. فنزلت، وردّه.

وقيل: «القربي» التقرّب إلى الله، أي: لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً. إلّا أن تحبّوا الله ورسوله في تقرّبكم إليه بالطاعة والعمل الصالح.

<sup>(</sup>١) الكشَّاف ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

والقول الأوّل منقول عن عليّ بن الحسين، وسعيد بن جسبير، وعسرو بسن شعيب، وجماعة كثيرة. وهوالمرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله ﷺ.

وروي عن عليّ ﷺ قال: «فينا في آل حم آية. لا يـحفظ مـودّتنا إلّاكـلّ مؤمن. ثمّ قرأ هذه الآية».

﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفَ حَسَنَةً ﴾ ومن يكتسب طاعة سيّما حبّ آل الرسول ﴿ فَزِدْ لَهُ فِيهَ ﴾ في الحسنة ﴿ حُسْنَا ﴾ بمضاعفة الشواب ﴿ إِنَّ اللهُ عَفُورٌ ﴾ لمن أذنب ﴿ شَكُورٌ ﴾ لمن أطاع، بتوفية الثواب والتفضّل عليه بالزيادة، فإنّ الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة، وتوفية ثوابها، والتفضّل على المثاب.

وصح عن الحسن بن علي أنه الله خطب الناس فقال في خطبته: «أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال: «قُلُ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

<sup>(</sup>١) الشنّ : القِرْبة البالية الصغيرة .

<sup>(</sup>٢) شواهد التنزيل ٢: ٣٠٣ - ٨٣٧.

وروى إسماعيل بن عبد الخالق، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إنّها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء».

والظاهر العموم في أيّ حسنة كانت، إلّا أنّها لمّا ذكرت عقيب ذكر المودّة في القربى، دلّ ذلك على أنّها تناولت المودّة تناولاً أوّليّاً، وكان سائر الحسنات لها توابع.

أَمْ يَقُولُونَ آفْتَوَى عَلَى اللَّهِ كَذَبًا فَإِن يَشَأْ اللَّهُ يَخْتُمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلَمَاتِهَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتَ الصَّدُورِ ﴿ ٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ النَّوْبَةَ عَنْ عَبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعُلُونَ ﴿ ٢٥﴾ يَقْبَلُ النَّوْبَةَ عَنْ عَبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعُلُونَ ﴿ ٢٥﴾ وَيَسْتَجَيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمْلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿ ٢٦﴾ عَذَابٌ شَديدٌ ﴿ ٢٢﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ ﴾ بل أيقولون افترى محمد ﴿ عَلَى الله عَذِبا ﴾ بدعوى النبوّة أو القرآن. فرأم » منقطعة ، والهمزة للتوبيخ . كأنّه قيل: أيتمالكون أن ينسبوا مثل الرسول إلى الافتراء ، ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفري وأفحشها ؟ ﴿ فَإِن يَشَا اللهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ استبعاد للافتراء عن مثله ، مع الإشعار على أنّه إنّما يجترىء عليه من كان مختوماً على قلبه جاهلاً بربّه، فأمّا من كان ذابصيرة ومعرفة فلا . وكأنّه قال: إن يشاً الله يجعلك من المختوم على قلوبهم ، حتّى تفتري على الكذب ، فإنّه لا يجترىء على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مشل حالهم .

وعن قتادة: معنى «يختم على قلبك» ينسك القرآن، ويقطع عـنك الوحـي. يعني: لو حدّث نفسك بأن تفتري على الله كذباً لطبع الله عـلى قـلبك، والأنسـاك القرآن. وهذا كقوله: ﴿ لَئِنْ الشَّرَكَةَ لَيَخْبَطَنُّ عَمَلُكَ﴾ (١٠].

وقيل: «يختم على قلبك» يربط عليه بالصبر، حتّى لا يشقّ عليك أذاهم.

﴿ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقَّ الْحَقَّ بِكِلِمَاتِهِ ﴾ استئناف لنفي الافتراء عمّا يقوله، بأنّه لو كان مفترى لمحقه، إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحقّ بوحيه أو بقضائه، كقوله: ﴿ بَلْ نَقْفِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ (٢٠). يعني: لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه، وقذف بالحقّ على باطله فدمغه. ويجوز أن يكون عدة لرسول الله بأنّه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهتان والتكذيب، وتثبيت الحقّ الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مردّ له من نصرك عليهم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في صدرك وصدورهم، فيجري الأمر على حسب ذلك. وسقوط الواو من «يمح» في بعض المصاحف لاتباع اللفظ، كما في قوله: ﴿وَيَنْدُعُ الرَّبِالْنَهُ ﴿ \* اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ اللَّلَّا الللَّهُ اللَّا الللَّلْمُ اللَّاللَّالِي اللَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّ ا

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ النَّوْبَةَ عَنْ عِبَالِهِ ﴾ بالتجاوز عمّا تابوا عنه وإن عظمت معاصيهم. فكانّه قال: من نسب محمّداً إلى الافتراء ثمّ تاب قبلت توبته وإن جلّت معصيته. والقبول يعدّى إلى مفعول ثانٍ ب«من» و«عن» ، لتضمّنه معنى الأخذ والإبانة. يقال: قبلت منه الشيء، وقبلته عنه. فعمنى قبلته منه: أخذته منه، وجعلته مبدأ قبولى ومنشأه. ومعنى قبلته عنه: عزلته وأبنته عنه. والتوبة أن يسرجع عن

<sup>(</sup>١) الزمر: ٦٥.

<sup>(</sup>٢) الأنساء: ١٨.

<sup>(</sup>٣) الإسراء: ١١.

<sup>(</sup>٤) العلق: ١٨.

سورة الشورى، آية ٢٤ ـــــ ٢٦ .....

القبيح، وعن الإخلال بالواجب، بالندم عليهما، والعزم على أن لا يعاود.

وروى جابر: أنّ أعرابيّاً دخل مسجد رسول الله ﷺ وقـال: اللّـهمّ إنّـي أستغفرك وأتوب إليك، وكبّر. فلمّا فرغ من صلاته قال له عـليّ ﷺ: «يــا هــذا إنّ سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذّابين، وتوبتك تحتاج إلى التوبة.

فقال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟

قال: اسم يقع على ستّة معانٍ: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتنضيع الفرائض الإعادة، وردّ المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربّيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كلّ ضحك ضحكته».

﴿ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيْفَاتِ ﴾ عن الكبائر إذا تيب عنها، وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. أو يعفو عن الكبائر والصغائر مطلقا لمن يشاء تفضّلاً. ﴿ وَيَطْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ من خير وشرّ، فيجازيهم على ذلك، ويتجاوز عنهم على مقتضى حكمته. وقرأ حمزة وحفص والكسائى: ما تفعلون بالتاء.

﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَبِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي: يستجيب الله لهم، فحذف اللام كما حذف في ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمُ ﴾ (١). والمراد إجابة الدعاء أو الإثابة على الطاعة، فإنّها كدعاء وطلب لما يترتّب عليها. ومنه قوله ﷺ: «أفضل الدعاء الحمد لله». أو يستجيبون الله بالطاعة إذا دعاهم إليها. ﴿ وَيَوْيِدِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ على ما سألوا واستوجبوا له.

وروي عن ابن عبّاس: أنّ معنى «ويستجيب الّذين آمنوا» أن يشــفّعهم فــي إخوانهم. «ويزيدهم من فضله» يشفّعهم في إخوان إخوانهم.

وروي عن أبي عبدالله الله قال: «قال رسول الله الله وآله في قوله: ويزيدهم من فضله الله الشاعة لمن وجبت له النار ممّن أحسن إليهم في الدنيا».

<sup>(</sup>١) المطفّفين: ٣.

۲۲۲ ..... زیدة التفاسیر ـج ٦

﴿ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بدل ما للمؤمنين من التواب والتفضّل.

وَلُوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغُوا فِي الأَرْضِ وَلَكِنُ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشْنَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدٍ مَا قَنطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتُهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٨٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِن دَآبَةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءً قَدْمِرٌ ﴿٢٩﴾

ولمّا بيّن سبحانه أنّه يزيد المؤمنين من فضله، أخبر عقيبه أنّ الزيــادة فــي الأرزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح، فقال:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ اللهُ الرَّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَقُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لبغى بعضه على بعض استيلاءً واستعلاءً. أو لتكبّروا وأفسدوا فيها بطراً، فإنَّ الغنى مبطرة مأشرة (١٠). وكفى بحال قارون عبرة. وهذا على الغالب. وقال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمّتي زهرة الدنيا وكثرتها». وأصل البغي طلب التجاوز عن الاقتصاد فيما يتحرّى كمّيّة وكيفيّة.

﴿ وَلَكِن يُنذُلُ بِقَدَرٍ ﴾ بتقدير ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ كما اقتضته مشيئته ﴿ إِنَّهُ بِجِبَادِهِ خَبِيرٌ ﴾ عليم بخفايا أمرهم وجلايا حالهم ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بما يصلحهم وما يفسدهم في عواقب أمورهم. فيقدّر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم، فيفقر ويغني، ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط، كما توجبه الحكمة الربّائيّة. ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم جميعاً لهلكوا.

<sup>(</sup>١) الأشر: البطر. والبَطَر: التكبّر عن الحقّ وعدم قبوله.

قيل: نزلت في قوم من أهل الصفّة تمنّوا سعة الرزق والغنى. قال خبّاب بن الأرتّ: فينا نزلت، وذلك أنّا نظرنا إلى أموال بني قسريظة والنـضير وبـني قـينقاع فتمنّيناها.

وقيل: نزلت في العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا، وإذا أجدبوا انتجعوا. ولا شبهة في أنّ البغي مع الفقر أقلّ، ومع البسط أكثر وأغلب، فلو عمّ البسط لفلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن، فلأجل ذلك الفقراء أكثر من الأغنياء.

روى أنس عن النبي ﷺ، عن جبرئيل، عن الله ﷺ؛ «إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا السحّة. يصلحه إلّا السحّة. ولو صححته لأفسده. وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفنى، ولو أفقرته لأفسده. وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفنى، وذلك أنّي أدبّر عبادي لما يعلوهم.

ومتى قيل: نحن نرى كثيراً ممّن يوسّع عليه الرزق يبغي في الأرض.

قلنا: إذا علمنا على الجملة أنّه سبحانه يدبّر أمور عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم، فلعلّ هؤلاء كان يستوي حالهم في البغي، وسّع عليهم أو لم يوسّع، أو لعلّهم لولم يوسّع عليهم لكانوا أسوأ حالاً في البغي، فلذلك وسّع عليهم. والله أعلم بتفاصيل أحوالهم.

ثمّ بين حسن نظره بعباده، فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْفَيْثَ ﴾ السطر اللذي يغيثهم من الجدب، ولذلك خصّ بالنافع. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد. ﴿ مِنْ بَغْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أيسوا منه. ووجه إنزاله بعد القنوط: أنّه أدعى إلى شكر الآتي به وتعظيمه، والمعرفة بموقع إحسانه. ﴿ وَيَنشُونُ رَحْمَتُهُ ﴾ أي: يفرّق ويبسط بركات الفيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب في كلّ شيء، من السهل والجبل والنبات

٢٧٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

والحيوان ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُ ﴾ الذي يتولَّى عباده بإحسانه ونشر رحمته ﴿ الْمَهِيدُ ﴾ الستجون للحمد على ذلك.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُواتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإنّها بذاتها وصفاتها تدلَّ على وجود صانع قادر حكيم ﴿ وَمَا بَتُ فِيهِهَ ﴾ مجرور أومر فوع عطفاً على «السخوات» أو «خلق» ﴿ مِنْ دَآبَةٍ ﴾ من حيّ، على إطلاق اسم المسبّب على السبب. أو منا يدبّ على الأرض. وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنّه فيهما في الجملة، كقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُوُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (١٠). وإنّما يخرج من الملح. فلا يقال: لم قبل فيهما «من دابّة» والدواب في الأرض وحدها ؟ وأيضاً يجوز أن يكون للملائكة على مشي مع الطيران، فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسي. ولا يبعد أيضاً أن يخلق في السماوات حيواناً يمشي فيها مشي الأناسي على الأرض. سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ ﴾ حشرهم إلى الموقف بعد إماتتهم ﴿إِذَا يَشَاءَ ﴾ في أيّ وقت يشاء ﴿ قَدِيرٌ ﴾ متمكّن منه. و «إذا» كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع. قال الله تعالى: ﴿ وَاللّذِلِ إِذَا يَقْشَىٰ ﴾ (٣).

وَمَا ٓ أَصَابُكُم مِن مُصِيبَة فَبِمَا كَسَبَتُ أَيدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا ٓ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللّهِ مِن وَلِي وَلاَ نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ ﴿٣٣﴾ إِن يَشَأُ يُسْكِنِ الرِّمِحَ فَيَظْلُلْنَ

<sup>(</sup>١) الرحين: ٢٢.

<sup>(</sup>٢) الليل: ١.

رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِفُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

ولمّا بيّن سبحانه عظيم نعمه على العباد. بيّن بعده أنّه لا يـعاقبهم إلّا عـلى معاصيهم. فقال:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِينِةٍ ﴾ من بلوى في نفس أو مال ﴿ فَيِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ فبسبب معاصيكم. وذكر الفاء بناء على تضمين «ما» معنى الشرط. ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببيّة. ﴿ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ من الذنوب، فلا يعاقب عليها. والآية مخصوصة بالمجرمين، وعن النبيّ ﷺ: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب». وأمّا ما أصاب غيرهم، من الأنبياء وسائر المعصومين من الأثبّة، ومن الأطفال والمجانين، فلأسباب أخر، منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه.

وعن بعضهم: من لم يعلم أنّ ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه، وأنّ ماعفا عنه مولاه أكثر، كان قليل النظر في إحسان ربّه إليه.

وعن بعض آخر: العبد ملازم للجنايات في كلّ أوان، وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه، لأنّ جناية المعصية من وجه، وجناية الطاعة مـن وجوه، والله يطهّر عبده من جناياته بأنواع من المصائب، ليخفّف عنه أثـقاله فـي القيامة، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أوّل خطوة.

وعن عليّ ﷺ، عن النبيّ ﷺ: «من عفي عنه في الدنـيا عـفي عـنه فـي الآخرة، ومن عوقب في الدنيا لم تئنّ عليه العقوبة في الآخرة». ۲۲٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وعنه ﷺ: «هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن».

﴿ وَمَا أَنتُمْ مِمْحْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فائتين، أي: لا تعجزونني حيث ما كنتم، فلا تسبقونني هرباً في الأرض عمّا قضي عليكم من المصائب ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيِّ﴾ متولٍّ بالرحمة يحرسكم عنها ﴿ وَلَا نَصِيرِ ﴾ يدفعها عنكم.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ السفن الجارية ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغَلَامِ ﴾ كالجبال الطوال. قالت الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنَّـه عــلم فـي رأسـه نــار ( ) وإن صخراً لتأتم الهداة بــ كأنَّــه عــلم فـي رأسـه نــار

﴿إِن يَشَا يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ وقرأ نافع وحده: الرياح ﴿ فَيَظْلَلُنَ رَوَاكِدَ ﴾ ثوابت لا تجري ﴿ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ ظهر البحر ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلُّ صَدِّالٍ ﴾ على بلاء الله ﴿ شَكُورٍ ﴾ لنعمائه. وهما صفتا المؤمن المخلص، فجعلهما كناية عنه، فإنّه هو الذي وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكّر فيها. وعن النبي النظر في آيات الله والتفكّر فيها. وعن النبي النظر في آيات الله والتفكّر فيها. وعن النبي النظر في آيات الله والتفكّر فيها.

﴿ أَوْ يُوبِقُهُنَّ﴾ عطف على «يسكن» لأنّ أصل الكلام: أو يرسلها فيوبقهنّ، أي: يهلكهنّ بإرسال الريح العاصفة المفرقة، لأنّه قسيم «يسكن»، فاقتصر على المقصود.

وخلاصة المعنى: أنّه سبحانه إن يشأ يبتل المسافرين في البحر بإحدى بليّتين: إنّا أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنهن من الجري، وإمّا أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقاً. والمراد إهلاك أهلها، لقوله: ﴿ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ عطف على «يوبقهنّ». وأصل الكلام: أو يرسله عاصفة فيوبق ناساً بذنوبهم، وينج ناساً على طريق العفو منهم.

﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ عطف على علَّة مقدّرة ، مثل: لينتقم منهم ويعلم. ونحوه في العطف على التعليل المذكور غير عزيز في القرآن. أو على

الجزاء. ونُصِب نَصبَ الواقع جواباً للأشياء الستّة، نحو: إن تأتني آتك وأعـطيك. وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستثناف. ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَجِيصٍ﴾ ملجأ يلجؤن إليه من العذاب.

فَعَآ أُوتِيتُم مّن شَيْء فَمَـَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَمَا عندَ اللَّه خَيْرٌ وَأَبْقَى للَّذينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنُبُونَ كَبَآثَرَ الإِثْم وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لرَّبِهُمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمَمَّا رَزَّفْنَاهُمْ يُنفقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَجَزَآءُ سَيِّئَةِ سَيِّئَةٌ سَنَّلُهُا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه إِنَّهُ لاَ يُحبُّ الظَّالمينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَن ٱتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمه فَأُوُّلُكَ مَا عَلَيْهِم مّن سَبيل ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَظُلُّمُونَ النَّاسَ وَيُبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمَنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿ ٢٣﴾

ثمّ خاطب سبحانه من تقدّم وصفهم، فقال: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ أَيُها المشركون ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من الغنى والبسطة ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تمتّعون به مدّة حياتكم ثمّ تموتون فيبقى عنكم، أو يهلك المال قبل موتكم ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من ثواب الآخرة ٣٢٨ ..... زيدة التفاسير \_ ج ٦

﴿ خَيْرٌ وَابْقَىٰ﴾ من هذه المنافع ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لخلوص نفعه ودوامه. و«ما» الأولى موصولة تضمّنت معنى الشرط، من حيث إنّ إيتاء ما أوتوا سبب للتمتّع بها في الحياة الدنيا، فجاءت الفاء في جوابها، بخلاف الثانية.

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنْمِ وَالْقُوَاجِسُ ﴾ عطف على «الذين آمنوا» أي: وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين المتوكّلين على ربّهم، المجتنبين الآنام الكبيرة، والأعمال الفاحشة، والأفعال القبيحة شرعاً وعقلاً ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ ﴾ منا يفعل بهم من الظلم ﴿ يَغْفِرُونَ ﴾ يتجاوزون عنه. والإتيان بههم من الظلم ﴿ يَغْفِرُونَ ﴾ يتجاوزون عنه. والإتيان بههم من الغضب. ومثله هم ميناه مين اليه، للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة في حال الغضب. ومثله هم ينتصرون» (١٠). وقرأ حمزة والكسائي: كَبِيرَ الأنم، وعن ابن عبّاس: «كبير الإثم» هو الشرك. والمراد بالمغفرة ما يتعلّق بالإساءة إلى نفوسهم، فعتى عفوا عنها كانوا مدوحين. فأمّا ما يتعلّق بحقوق الله والحدود الواجبة، فليس للامام تركها ولا العفو عن المرتد وعن جرى مجراه.

ثمّ زاد سبحانه في صفاتهم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ أي: وللَّذين ﴿ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَاقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: نزلت في الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان بـــه وطاعته، فاستجابوا له بالإيمان والإطاعة وإقامة الصلوات الخمس.

وكانوا إذا أرادوا أمراً قبل الاسلام وقبل قدوم النبي الشي المجتمعوا وتشاوروا ثم عملوا عليه، فأثنى الله عليهم بقوله: ﴿ وَأَمْوُهُمْ شُمورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ذو شورى، لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الأمور. وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور، وهو المفاوضة في الكلام ليظهر الحق.

وعن الضحّاك: هو تشاور الأنصار حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود

<sup>(</sup>١) الشورى: ٣٩.

النقباء عليه، حتّى اجتمعوا في دار أبي أيّوب على الإيمان به والنصرة له.

وعن النبي ﷺ أنّه قال: «ما من رجل يشاور أحداً إلّا هدي إلى الرشاد». ﴿ وَمِمَّا رَزُقْنَاهُمْ يُنقِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿ وَالَّذِينَ ﴾ وللّذين ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَقْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ متن بغى عليهم، على ما جعله الله لهم من القوّة والتسلّط، كراهة التذلّل. وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمّهات الفضائل. كما نقل عن النخعي أنّه كان إذا قرأها قال: كانوا يكرهون أن يذلّوا أنفسهم، فيجترىء عليهم الفسّاق. والمعنى: أنّه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة، فإذا قال: أخزاك الله، قال: أخزاك الله، من غير أن يعتدي. وهو لا يخالف وصفهم بالغفران، فإنّه ينبىء عن عجز المغفور، والانتصار عن مقاومة الخصم، والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلّب مذموم، لائته إجراء وإغراء على البغي.

ثمّ عقب وصفهم بالانتصار بقوله: ﴿ وَجَزَآؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ للمنع عن التعدّي. وسمّي الثانية سيّئة للازدواج، أو لائها تسوء من تنزل به. ﴿ فَسَمْنُ عَفَا ﴾ عتاله المؤاخذة به ﴿ وَأَصْلَعَ ﴾ بينه وبين عدوه ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ عدة مبهمة تدلّ على عظم الموعود ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ المبتدئين بالسيّئة، والمتجاوزين في الانتقام.

وعن النبيّ ﷺ؛ «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أجر فليقم. قال: فيقوم خلق، فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون: نحن الذين عفونا عمّن ظلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنّة بإذن الله».

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ﴾ لنفسه وانتصف ﴿ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ أي: بعد ما ظلم، فإنّه من إضافة المصدر إلى المفعول ﴿ فَاوْلَئِكَ ﴾ إشارة إلى معنى «من» دون لفظه ﴿ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلِ ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة . ﴿إِنَّمُنَا السَّهِيلُ ﴾ أي: الإنم والعقاب ﴿عَلَى الَّذِينَ يَطْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ يبتدؤنهم بالإضرار ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِقَيْرِ الْحَقَّ ﴾ يطلبون ما لا يستحقّونه تجبّراً عليهم ﴿أَوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ الِيمُ ﴾ على ظلمهم وبغيهم.

﴿ وَلِمَنْ صَنِيرَ ﴾ على الظلم والأذى ﴿ وَغَفَرَ ﴾ ولم ينتصر ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ إنّ ذلك الصبر والتجاوز منه، فحذف كما حذف في قولهم: السمن منوان بدرهم، للعلم به ﴿ لَمِنْ عَزْمَ الْأَمُورِ ﴾ من ثابت الأمور التي أمر الله بها، فلم تنسخ.

وقيل: عزم الأمور هو الأخذ بأعلاها في باب نيل الثواب والأجر.

ويحكي: أنَّ رجلاً سبَّ رجلاً في مجلس الحسن البصري. وكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق. ثمَّ قام فتلا هذه الآية. فـقال الحسسن: عـقلها والله وفهمها إذ ضيَّمها الجاهلون.

وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِي مِن بَعْده وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدِ مِن سَبِيلٍ ﴿ ٤٤ ﴾ وَتَرَاهُمُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خاشعِينَ مِن الذَّلِ يَنظُرُونَ مِن طَرُفَ حَفْي وقالَ الذِينَ آمَنُواۤ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الذَّينَ مَنُواۤ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الذَّينَ خَسرُواۤ أَنفُسَهُمْ وَأَهۡلِيهِمْ يَوْمَ الْقَيَامَة أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابِ مُقيم ﴿ ٥٤ ﴾ خَسرُواۤ أَنفُسَهُمْ وَأَهۡلِيهِمْ يَوْمَ الْقَيَامَة أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابِ مُقيم ﴿ ٥٤ ﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِن أُولِيآ عَيْمُ مِن قَبلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لاَ مَرَدً لَهُ مِن اللّه مَا لَكُم سَبِيلٍ ﴿ ٤٤ ﴾ وَان أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مَن مَلْمُ أَنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهِمْ أَنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهِمْ أَنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهِمْ أَنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهُ إِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهُ مَا يَعْهُمْ وَمُولُوا فَمَا أَرْسَلَنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهُ إِلَّا يُومَنُونُ وَمَا لَكُمْ مَن فَكِيمِ ﴿ وَهِ عَلَى إِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلَنَاكَ عَلَيْهِمْ مِن مَلْهُ مِنْ فَيْكُولُ مِنْ فَيْ فَيْ وَاللّهُ مِنَ اللّهِ مَا يَعْمُ لِولَالِهُ مِنْ فَيْلِ أَنْ يَالِمُ وَاللّهُ مَا لَكُمْ مَن فَكُمْ لَعُمْهُمْ وَلَعُمُوا وَمَا لَكُومُ وَاللّهُ مَا لَكُمْ مَا لَكُمْ مَن فَكُولُ مِنْ فَيْلِ أَنْ عَلَوْلُ الْمُعْمَالِولَا لَهُمْ مُنْ فَيْكُولُومُ اللّهُ مَا لَكُمْ اللّهُ مَا لَكُمْ مَن فَيْلِ أَنْ يَا لَكُمْ لَهُمْ مُنْ فَيْكُولُومُ اللّهُ مَا لَكُمْ مِنْ فَيْلُولُ اللّهُ مَا لَكُمْ اللّهُ مَا لَكُمْ مَن فَيْلُولُ وَالْمُؤْلُولُ وَمَا لَوْلَكُولُولُومُ اللّهُ مَا لَكُمْ مَن مَالِلْهُ مَا لَكُمْ مُن مَا لِلْهُ مِنْ فَلْمُ الْمُولُولُ مِنْ فَلَولُولُومُ الْمُنْ الْمُؤْلِقُولُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا أَنْ مُؤْلُومُ الْمُؤْلُولُومُ الْمُؤْلِقُولُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا أَنْ اللّهُ مَا أَنْ مُؤْلِقُولُومُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّ

حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَعُ وَإِنَّا إِذَآ أَذْقَنَا الإِنسَانَ مِنَا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمُ سَيِّنَةٌ بِمَا قَدَّمَتُ أَيدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَلُورٌ ﴿ ٤٨ ﴾

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهِ لِيخذَلَه الله ويخلَّيه بينه وبين نفسه ﴿ فَمَا لَهُ مِن وَلِئِّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من ناصر يتولّاه من بعد خذلان الله إيّاه ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ ﴾ حين يرونه، فذكر بلفظ الماضي تحقيقاً ﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ أي: إلى رجعة إلى الدنيا.

﴿ وَتَزَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ على النار قبل دخولهم فيها. ويدل عليه العذاب. ﴿ خَاشِعِينَ ﴾ متذلكين متقاصرين ﴿ مِنَ الذُّلَ ﴾ ممّا يلحقهم من الذلَّ ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَوْفٍ خَفِيْ ﴾ أي: يبتدىء نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم خفيّ ضعيف بمسارقة، كالمصبور (١) ينظر إلى السيف. وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها، ويملأ عينيه منها.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْمَاسِوِينَ﴾ في الحقيقة ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالتعريض للعذاب المخلّد، وتفويتهم الانتفاع بنعيم الجنّة ﴿ وَالْمَلِيهِمْ ﴾ وأولادهم وأقاربهم، لا ينتفعون بهم ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إِمّا أن يتعلّق به «خسروا»، ويكون من قول المؤمنين في الدنيا. أو يتعلّق به قال» أي: يقولون إذا رأوا عظيم ما نزل بالظالمين يوم القيامة ﴿ أَلَا إِنَّ الطَّالِمِينَ فِي عَدَابٍ مُقِيمٍ ﴾ المقيم: الدائم الذي لازوال له. هذا تمام كلامهم، أو تصديق من الله لهم.

﴿ وَمَا كَانَ لَـهُمْ مِنْ الْوَلِيآءَ﴾ مسّا عبدوه وأطاعوه في المعصية نـصّار ﴿ يَنصُرُونَهُمْ مِن دُونِ اللهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ ﴾ يخذله تخلية ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ إلى الهدى، أو النجاة.

<sup>(</sup>١) المصبور: المحبوس للقتل.

﴿اسْتَجِيبُوا لِزَبُكُمُ ﴾ أجيبوا داعي ربّكم \_ يعني: محمداً ﷺ \_ فيما دعاكم إليه ورغّبكم فيه من المصير إلى طاعته ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَاتِي يَوْمُ لا مَزَدُ لَهُ مِنَ اللهِ ﴾ لا يردّه بعد ما حكم به. و «من» صلة الامردّ». وقيل: صلة «يأتي » أي: من قبل أن يأتي يوم من الله لا يقدر أحد على ردّه ﴿ مَا لَكُمْ مِن مَلْجَإٍ ﴾ مفرّ ﴿ يَوْمَنْإِ وَمَا لَكُمْ مِن مَلْجَا ﴾ مفرّ ﴿ يَوْمَنْإِ وَمَا لَكُمْ مِن مَلْجَا ﴾ مفرّ ﴿ يَوْمَنْإِ مَن الله مدوّن في صحائف أعمالكم، وتشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم.

﴿ فَإِنْ أَغْرَضُوا﴾ أعرض الكفّار، أي: عدلوا عمّا دعوتهم إليه ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ رقيباً، أي: مأموراً بحفظهم لئلًا يخرجوا عمّا دعوتهم إليه. كما يحفظ الراعي غنمه لئلًا يتفرّقوا، فلا تحزن لإعراضهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَادِعُ﴾ ليس عليك إلّا إيصال المعنى إلى أفهامهم، والبيان لما فيه رشدهم، وقد بلّغت.

﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْقَةً ﴾ أي: إذا أوصلنا إليه نعمة، من الصحة والغنى والأمن ﴿ فَرَحِ بِهَا ﴾ بطراً أو أشراً. وأراد بالإنسان الجنس لا الواحد، لقوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُهُ سَيِّنَةً ﴾ من المرض والفقر والمخاوف ﴿ فِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أيدي المجرمين ﴿ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ بليغ الكفران، ينسى النعمة رأساً، ويذكر البليّة ويعظّمها، ولا يتأمّل سببها. وهذا وإن اختصّ بالمجرمين، لكن جاز إسناده إلى الجنس، لغلبتهم واندراجهم فيه.

وتصدير الشرطيّة الأولى ب«إذا» والثانية ب«أن» لأنّ إذاقة النعمة محقّقة، من حيث إنّها عادة مقتضاة بالذات، بخلاف إصابة البليّة. وإقامة علّة الجزاء مقامه، ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية، للدلالة على أنّ هذا الجنس موسوم بكفران النعمة، كما قال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ تَقَارُ﴾ (١١. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَخَلُومٌ كَقَارُ﴾ (١١. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَحَلُومٌ كَقَارُ﴾ (١١.

<sup>(</sup>۱) إبراهيم: ٣٤.

<sup>(</sup>٢) العاديات: ٦.

للَّه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهِبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لَمَنَ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَانًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقيمًا إِنَّهُ عَليمٌ قَديرٌ ﴿٠٠﴾

ولمًا ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها، أتبع ذلك أنّ له الملك، وأنّه يقسّم النعمة والبلاء كيف أراد وفق الحكمة والمصلحة، فقال:

﴿ يَتِهِ مُلُكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له التصرّف فيهما وفيما بينهما بما تقتضيه الحكمة، فله أن يقسّم النعمة بين العباد كيف يشاء ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ من أنواع الخلق من غير مجال اعتراض. ثمّ قال إبدالاً من «يخلق» إبدال البعض: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الدُّكُورُ ﴾ فلا يولد له ذكر ﴿ وَيَهَبُ لِمِن يَشَاءُ الدُّكُورُ ﴾ فلا يولد له أنى.

﴿ أَوْ يُزُوِّجُهُمْ ذُكُوْاناً وَإِنَاناً ﴾ أو يجمع لهم بين البنين والبنات. تقول العرب: زوَّجت إللي، أي: جمعت بين صفارها وكبارها. ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ لا يلد ولا يولد له.

وتنقيح المعنى: أنّه سبحانه يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة عـلى مقتضى المشيئة، فيهب لبعض إمّا صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى، أو الصنفين جميعاً. ويعقم آخرين.

ولعلَّ تقديم الإناث الأنها أكثر لتكثير النسل. أو لأنَّ مساق الآية للدلالة على أنَّ الواقع ما يتعلَّق به مشيئة الله الم مشيئة الإنسان والإناث كذلك. أو لأنَّ الكلام في البلاء ، والعرب تعدّهن بلاء ، أو لتطبيب قلوب آبائهن . ولمّا أخّر الذكور لذلك ، تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم ، لأنَّ التعريف تنويه وتشهير . ويحتمل أن يكون تأخير الذكور ثمَّ تعريفهم لرعاية الفواصل .

٢٣٤ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

ثمّ قدّم الذكران على الإناث لإعطاء كلا الجنسين حقّه من التقديم، للإشعار بأنّ تقديمهنّ أوّلاً لم يكن لتقدّمهنّ، ولكن لمقتضي آخر، فقال: ﴿ ذَكَرَاناً وإناثاً﴾ كما قال: ﴿إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تَكْوِ وَانشَىٰ﴾ (١) ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَنِيْ الذَّكَرَ وَالْأَنشَىٰ﴾ (١٪

وتغيير العاطف في ذكر تزويج الذكران والإناث. لأنّه قسيم المشــترك بــين القسمين. ولم يحتج إليه الرابع<sup>(٣)</sup>، لإفصاحه بأنّـه قســيم المشــترك بــين الأقســـام المتقدّمة.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد ﴿قَدِيرٌ﴾ على تكوين ما يصلحهم.

قيل: نزلت في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً، ولإبراهيم ذكوراً، ولمحمد ﷺ ذكوراً وإناثاً، وجعل يحيى وعيسي عقيمين.

وَمَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحُيًا أَوْ مِن وَرَآءَ حِجَابِ أَوْ يُوْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلَيٌّ حَكِيمٌ ﴿ ١٥ ﴾ وَكَذَلَكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُتَت تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَآءُ مِنْ عَبَادَنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ٢٥ ﴾ صراط الله الذي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأَمُورُ ﴿ ٣٥ ﴾

<sup>(</sup>١) الحجرات: ١٣.

<sup>(</sup>٢) القيامة: ٣٩.

<sup>(</sup>٣) وهو قوله تعالى: ﴿ويجعل من يشاء حقيماً﴾ باعتباره الجملة الرابعة في الآية الشريفة.

ثم ذكر ما كان أجل النعم المذكورة، وهي النبوّة، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرِ ﴾ وما صح لأحدٍ من البشر ﴿ ان يُكلّمُهُ اللهُ إِلّا وَضيا ﴾ إلا أن يوحي إليه وحياً. أي: كلاماً خفياً يدرك بسرعة. وهو عبارة عن الإلهام، أي: قذف المعنى وإلقاؤه في القلب يقظة أو نوماً، كما أوحى إلى أمّ موسى ﷺ، وإلى إبراهيم ﷺ في ذبح ولده. وعن مجاهد: أوحى الله الزبور إلى داود ﷺ في صدره.

﴿أَوْ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ أي: إلّا أن يكلّمه من ورائه، كما يكلّم الملك بعض خواصه وهو من وراء العجاب، فيسمع صوته ولا يرى شخصه. ومنه الأحاديث المعراجيّة، أو يسمع الكلام اللّذي يخلق في الأجسام الجماديّة، كما اتّفق لموسى ﷺ في الطور.

﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولُ ﴾ أي: إلّا أن يرسل ملكاً من الملائكة ﴿ فَيُوحِيَ وَإِذِيهِ مَا يَشَامُ ﴾ فيوحي الملك إلى الأنبياء ما يشآء الله، أي: يبلّغ وحيه على وفق ما أمره، كجبرئيل أرسل إلى محد ﷺ.

واعلم أنّ «وحياً» وما عطف عليه منتصب بالمصدر، لأنّ «وحياً» نوع من الكلام كمافسرنا به، و«من وراء حجاب» صفة كلام محذوف، والمعطوف والمعطوف عليه واقعان موقع الحال. والتقدير: وما صحّ أن يكلّم أحداً إلّا موحياً، أو مسمعاً من وراء الحجاب، أو مرسلاً. والإرسال أيضاً نوع من الكلام، كما تقول: لا أكلّمه إلّا جهراً وإلّا إخفاتاً، لأنّ الجهر والإخفات ضربان من الكلام. وقرأ نافع: أوْ يُرْسِلُ برفع اللام.

﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن الإدراك بالابصار وسائر صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما تقتضيه حكمته من التكلّم بأحد الأنحاء الثلاثة.

وروي: أنّ اليهود قالت للنبيّ ﷺ؛ ألا تكلّم الله وتنظر اليه إن كنت نبيّاً. كما كلّمه موسى ونظر إليه. فإنّا لن نؤمن لك حتّى تفعل ذلك؟ فقال: «لم ينظر موسى ۲۳٦ ...... زيدة التفاسير ـج ٦ إلى الله» فنز لت.

وعن عائشة: من زعم أنّ محمّداً رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية. ثـمّ قالت: أولم تسمعوا ربّكم يقول: فتلت هذه الآية.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿ أَوْحَيْنَا اِلنَّكَ رُوحاً مِنْ الْهِ بَا﴾ يعني: ما أوحي إليه. وسمّاه روحاً، لأنّ القلوب تحيا به كما يحيا الجسد بالروح. وقيل: جبرئيل. والمعنى: أرسلناه إليك بالوحي.

وعن أبي جعفر وأبي عبدالله ﷺ أنّهما قالا: «هو ملك أعظم من جـبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ، ولم يصعد إلى السماء، وإنّه لفينا».

﴿ مَا تُكُنْتَ تَدْدِي﴾ قبل الوحي ﴿ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ أي: الإيمان بسما لا طريق إليه إلا السمع من فروع الاسلام، فإنه ما كان له فيه علم حتّى كسبه بالوحي، كالعلم بالصلاة والصوم والزكاة والحجّ وغيرها. لا الإيمان الذي منشأه العقل، كالعلم بالصانع وصفاته وغيره من الأحكام العقليّة.

﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ ﴾ أي: الروح، أو الكتاب، أو الإيمان ﴿ نوراً ﴾ الأنه طريق النجاة ﴿ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِناً ﴾ بالتوفيق واللطف، فإنّ من لا لطف له \_ لفرط عناده والتوغّل في مكابرته \_ فلا هداية له ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هو الاسلام.

﴿ صِرَاطِ اللهِ﴾ بدل من الأوّل ﴿ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمْوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً ﴿ الْا إِلَى اللهِ تَصِيعُ الْأَمُورُ﴾ بارتفاع الوسائط والتعلّقات، فلا يملك ذلك غيره يوم القيامة. وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين.



## سورة الزخرف

مكِّيَّة. وهي تسع وثمانون آية.

أُبِيِّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الزخرف كان ممّن يقال له يوم القيامة: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفُ عَلَيْكُمُ النَّوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (١١ ادخلوا الجنّه بغير حساب».

وعن أبي بصير قال: قال أبو جعفر ﷺ: «من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوام الأرض، ومن ضمّة القبر، حتّى يقف بين يمدي الله ﷺ، ثمّ جاءت حتّى تكون هي التي تدخله الجنّة بأمر الله سبحانه».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكَتَابِ الْمَبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَكُمْ نَعُقلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِيَ أَمِّ الْكَتَابِ لَدَّيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفْنَضْرِبُ عَنكُمُ الذَّكُرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ۲۳۸ ..... زیدة التفاسیر ـ ج ٦

ولمّا ختم الله تعالى سورة حمّ عسق بذكر القرآن والوحي. افتتح هذه السورة بذلك أيضاً. فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ حَمْ وَالْعِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنَا عَرَبِيّا ﴾ أقسم بالقرآن على أنّه جعله قرآناً عربيّاً. وهو من الأيمان الحسنة البديعة، لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من وادٍ واحد. ونظيره قول أبي تمام: وثناياكِ إنّها إغريض (١). وهو البرد.

ولعلَّ إقسام الله بالقرآن من حيث إنَّه معجز مبيِّن لطرق الهدى وما تحتاج إليه الأمّة في أبواب الديانة. أو أنَّه بيّن للعرب ما يدلَّ على أنَّه تعالى صيّره قرآناً عربيًّا.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ لكي تفهموا معانيه، لأنه بلغتهم وأساليبهم، ويبجوز أن يكون «جعلنا» بمعنى: خلقنا، وحينئذٍ «قرآنا عربياً» حال من الضمير. و«لعلّ» مستعار لمعنى الإرادة ليلاحظ معناها ومعنى الترجّي. والمعنى: خلقناه عربياً غير عجميّ إرادة أن تعقله العرب، ولئلا يقولوا: لولا فصّلت آياته.

وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن، لأنّ المجعول هوالمحدث بعينه. 
﴿ وَإِنّهُ ﴾ عطف على «إنّا» ﴿ فِي أُمّ الْكِتَابِ ﴾ في اللوح المحفوظ، فإنّه أصل الكتب السماويّة، فإنّها كلّها تنسخ منه، وكتب فيه ماكان وما يكون إلى يوم القيامة. وقرأ حمزة والكسائي: أمّ الكِتَابِ بالكسر. ﴿ لَدَيْنَا ﴾ محفوظاً عندنا عن التخبير ﴿ لَعَلِيّهُ ﴾ ذو حكمة بالغة. أو محكم لا ينسخه غيره.

واعلم أنّ «في أمّ الكتاب» متعلّق ب«عليّ» واللام لا تمنعه. أو حال منه. و «لدينا» بدل منه، أو حال من «أمّ الكتاب».

<sup>(</sup>١) وعجزه: ولآل نُوّار أرض وميض.

والنُوّار: نور الشجر. والوميض: شديد البريق واللمعان.

﴿ أَفَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الدُّكُونَ ﴾ فننعيه ونبقده عنكم. مجاز من قولهم: ضرب الغرائب \_ أي: الإبل الغريبة \_ عن الحوض. ومنه قول الحجّاج: ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. والفاء للعطف على محذوف، تقديره: أنهملكم فنضرب عنكم الذكر، أي: القرآن، و ﴿ صَفْحاً ﴾ مصدر من غير لفظه، فإنَّ تنحية الذكر عنهم إعراض، أو مفعول له، أو حال بمعنى: صافحين، وأصله: أن تولّي الشيء صفحة عنقك، وقيل: إنّه بمعنى الجانب، فيكون ظرفاً، كما تقول: ضعه جانباً، وامش جانباً، والمراد إنْ يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب.

﴿ أَن كُنتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾ أي: لأن كنتم. وهو في الحقيقة علّة مقتضبة لترك الإعراض عنهم. وقرأ نافع وحمزة والكسائي: إن بالكسر، على أنّ الجملة شرطيّة مخرجة للمحقّق مخرج المشكوك استجهالاً لهم، وما قبلها دليل الجزاء. وذلك كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفّني حقّي، وهو عالم بذلك، ولكنّه يخيّل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحقّ، فعل من له شكّ في الاستحقاق مع وضوحه، استجهالاً له.

وَكُمْ أَرْسَلْنَا مِن نَبِي فِي الأَوَّلِينَ ﴿ ٢﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَبِي إِلاَّكَانُوا بِهِ يَسْنَهْرِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكُنَّا أَشَدَ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثُلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلاً لَقَلَكُمْ تَهْدَونَ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءَ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرُنَا بِهِ بُلدَةً مَّيَّا كَذَلِكَ تَخْرَجُونَ ﴿٧١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنُ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَجُونَ ﴿١٣﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَؤْيَـتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سَبُحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا َ إِلَى رَبِنَا لَمُنقَلِبُونَ﴿١٤﴾

ثمّ سلّى نبيّه ﷺ عن استهزاء قومه بـقوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوْلِينَ﴾ في الأُمم الماضية ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَقْذِءُونَ﴾ حكاية حال ماضية مستمرّة. يعني: من الأمم الخالية كفرت بالأنبياء وسخرت منهم، لفرط جهلهم، واستهزأت بهم كما استهزأ قـومك بك، أي: فـلم نـضرب عـنهم صـفحاً لاستهزأتهم برسلهم، بل كرّرنا الحجج وأعدنا الرسل.

﴿ فَاهَلَكُنَا الشَدَّ مِنْهُمْ ﴾ أي: من القوم المسرفين من قومك، لأنّه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول مخبراً عنهم ﴿ بَطْشَا﴾ قوّة ومنعة، فلا يمترّ هؤلاء المشركون بالقوّة والنجدة ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوْلِينَ ﴾ وسلف في القرآن قصّتهم العجيبة التي حمِّها أن تسير مسير المثل لغرابته. وفيه وعد للرسول، ووعيد لهم. يعني: لمّا أهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم وعملهم القبيح، فعاقبة هؤلاء أيضاً الإهلاك.

﴿ وَلَئِنْ سَالْتَهُمْ ﴾ سألت قومك ﴿ مَنْ خَلَقَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ ﴾ القادر الذي لا يقهر ﴿ السَعْلِيمُ ﴾ بمصالح العباد. لعلل ذلك لازم مقولهم، أو ما دلّ عليه إجمالاً، أقيم مقامه تقريراً لإلزام الحجّة عليهم. فكأنهم قالوا: الله . كما حكى عنهم في مواضع أخر . ومعناه: لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه . وهذا إخبار عن غاية جهلهم ، إذ اعترفوا بأنّ الله خالق السماوات والأرض ، شمّ عبدوا معه غيره ، وأنكروا قدرته على البعث . ويجوز أن يكون هذا مقولهم ، وما بعده استئناف .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ فتستقرّون فيها. وقرأ الحرميّان وأبـو عــمرو وابن عامر: مهاداً. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلاً﴾ تسلكونها ﴿لَـعَلَّكُمْ تَــهْتُدُونَ﴾ لكــي تهتدوا إلى مقاصدكم، أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك.

﴿ وَالَّذِي نَذَلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ غيثاً ﴿ بِعَدَرِ ﴾ بمقدار ينفع ولا يضرّ، بأن يسلم معه البلاد والعباد ﴿ فَانْشَرْنَا بِهِ ﴾ فأحيينا بذلك المطر ﴿ بَلْدَهُ مَيْتَا ﴾ أرضاً جافّة يابسة، بإخراج النبات والأشجار والزروع. وتذكير الميّت لأنّ البلدة بمعنى البلد والمكان . ﴿ خَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الإخراج والإنشار ﴿ تُخْرُجُونَ ﴾ تنشرون من قبوركم. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح التاء وضمّ الراء.

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُهَا﴾ أصناف السخلوقات، فمن الحيوان الذكر والأنثى، ومن غيره ممّا هو كالمقابل، كالحلو والعرّ، والرطب واليابس، وغير ذلك ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَزْكَبُونَ﴾ ما تركبونه، على تغليب المتعدّي بنفسه \_ وهو الركوب على الأنعام \_ على المتعدّي بغيره، وهو الركوب على السفينة، إذ يقال: ركبت الدابّة، وركبت في السفينة، أو المخلوق للركوب على المصنوع له، أو المالب على النادر، ولذلك قال:

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي: ظهور ما تركبون. وهو الفلك والأنعام. وجمعه للمعنى. ﴿ ثُمُّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ تذكر وها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ مقاومين في القوّة. من: أقرن الشيء إذا أطاقه. وأصله: وجده قرينته، إذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف.

﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبُّنَا لَمُنْقَلِمُونَ﴾ أي: راجعون. واتّصاله بذلك لأنّ الركوب للتنقّل. والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى الله في مركب الجنازة. أو لأنّه مخطر نفسه. فكم ٧٤٧ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

من راكب دابّة عثرت به أو شمست<sup>(۱)</sup> أو تقجمت، أو طاح من ظهرها فهلك. فكان من حقّ الراكب أن لا ينسى عند الركوب يوم هلاكه ومنقلبه إلى الله، حتّى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه.

وعنه ﷺ أنّه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله. فإذا استوى على الدابّة قال: الحمد لله على كلّ حال، سبحان الّذي سخّر لنا هذا إلى قوله: لمنقلبون، وكبّر ثلاثاً، وهلّل ثلاثاً. وإذا ركب في السفينة قال: ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْرًاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَقُورٌ رَجِيمٌ ﴾ (٢).

وروى العيّاشي بإسناده عن أبي عبدالله 機 قال: «ذكر النعمة أن تقول: الحمد لله الذي هدانا للاسلام، وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بـمحمّد ﷺ. وتـقول بـعده: ﴿ سُبِحان الذي سخّر لغا هذا﴾ الآية».

وعن الحسن بن علي ﷺ «أنّه رأى رجلاً ركب دابّة فقال: ﴿سبحان الذي سخّو لنا هذا﴾. فقال ﷺ: أبهذا أمرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟ قال: أن تدكروا نعمة ربّكم». كان قد أغفل التحميد فنبّه عليه. وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله، ومحافظتهم على دقيقها وجليلها. جعلنا الله من المقتدين بهم، والسائرين بسيرتهم. فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الديانات؟

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عَبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِسَانَ لَكُفُورٌ شُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ

<sup>(</sup>١) شَمَسَ الفرسُ: منع ظهره، وكان لا يمكن أحداً من ركوبه، ولا يكاد يستقرّ. وتقحّم الفرس براكبه: ألقاه على وجهه.

<sup>(</sup>٢) هود: ٤١.

لْلرَّحْمَن مَثَلًا ظُلَّ وَجُهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظيمٌ ﴿٧١﴾ أَوَمَن يُنشَأُ في الْحَلْيَة وَهُوَ فِي الْخَصَامَ غَيْرُ مُبين ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَآتِكَةَ الَّذينَ هُمْ عَبَادُ الرَّحْمَن إِنَاتًا أَشَهَدُوا خَلْقَهُمْ سَنَكُنَّبُ شَهَادَتُهُمْ وُيِسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَآعَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلَكَ مِنْ عَلْم إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمُّ آتَيْنَاهُمُ كَاأَبًا مَن قَبْله فَهُم به مُسْتَمْسكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوآ إِنَّا وَجَدُنَاۤ آبَاءَناۤ عَلَىٰ أَمَّة وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهم مُّهُنَّدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلَكَ مَا ٓ أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ في قَرْيَة مّن نَّذيرِ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا ٓ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٓ آثَارِهِم مُّقَنَّدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أُولَوْ جُنُّتُكُم بِأَهْدَى مَنَّا وَجَدَّتُمْ عَلَيْهِ آبَا ۚكُمْ قَالُواۤ إِنَّا بِمَآ أَرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَنْنَا مِنْهُمْ فَانظُرُ كَلِفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبينَ ﴿٢٥﴾

ثمّ عاد سبحانه إلى ذكر الكفّار الذين تقدّم ذكرهم، فقال: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عَبَادِهِ جُزْءاً ﴾ . هذا متّصل بقوله: «ولئن سألتهم» أي: ولئن سألتهم عن خالق السماوات والأرض ليعترفن به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده ولداً. فقالوا: الملائكة بنات الله، فوصفوه بصفات المخلوقين. وسمّاه جزءاً كما سمّي

٢٤٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

بعضاً. لأنّه بضعة من الوالد. وفي هذه التسمية دلالة على استحالة الولد على الواحد الحقّ في ذاته. وقرأ أبوبكر جُزُماً بضمّتين.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَقُورٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الكفران.ومن ذلك نسبة الوالد إلى الله ، لانّها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه، وهو أصل الكفران.

ثمّ أنكر سبحانه عليهم قولهم، فقال: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِنَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَاصْفَاكُمْ مِالْبَنِينَ ﴾. معنى الهمزة في «أم» الإنكار والتعجّب من شأنهم والتجهيل لهم، حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزءاً، حتّى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس ممّا اختير لهم وأبغض الأشياء إليهم، بحيث إذا بشر أحدهم بها اشتدّ غمّه به، كما قال:

﴿ وَإِذَا بُشُو اَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْفَيْ مَثَلاً﴾ بالجنس الدي جعله له مثلاً وشبهاً، إذ الولد لابد وأن يماثل الوالد، والمعنى: أنّهم نسبوا إليه هذا الجنس، ومن حالهم أنّ أحدهم إذا قبل له: قد ولدت لك بنت ﴿ ظَلَّ وَجَهُهُ مُسُودَاً﴾ صار وجهه أسود في الغاية، لما يعتريه من الكآبة وفرط الغم ﴿ وَهُوَ تَغْلِيمُ ﴾ مملوء قلبه من الكرب غيضاً وتأسّفاً، وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه، وتنكير «بنات» وتعريف «البنين»، وتقديمهن في الذكر، لما مرّ في قوله: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاداً ويهبُ لمن يشاء الذكور ﴾ [١٠].

ثمّ وبّخهم بما افتروه، فقال: ﴿ أَوْمَن يُنَشَّوُا فِي الْجِلْيَةِ ﴾ أي: أو جعلوا له، أو اتّخذ من يتربّى في الزينة والترفّه، يعني: البنات ﴿ وَهُوَ فِي الْجَصَامِ ﴾ في المخاصمة ﴿ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أي: ليس عندهنّ بيان، ولا يأتين ببرهان يحججن به من يخاصمنه، لضعف عقولهنّ، ونقصانهنّ عن فطرة الرجال، وضعف رأيهنّ. فهذا مقرّر لما يدّعيه من نقصان العقل وضعف الرأى.

ويجوز أن يكون «من» مبتدأ محذوف الخبر، أي: أو من هذا حالة ولده.

<sup>(</sup>١) الشورى: ٤٩.

سورة الزخرف، آية ٦٥ ــ ٢٥.......٢٤٥

و«في الخصام» متعلّق بـ««مبين». وإضافة «غير» إليه لا تمنعه، لما عرفت.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: يُنَشَّأ، أي: يربّى.

وعن قتادة: قلّما تكلّمت امرأة فأرادت أن تتكلّم بحجّتها إلّا تكلّمت بالحجّة عليها.

وفيه أنّه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذامّ، وأنّه من صفة ربّات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه.

ثمّ بين كفراً آخر تضمنه مقالتهم الشنيعة ، فقال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمُ عَبِالُ الرَّحْمَٰ إِنَاتَا ﴾ أي: جعلوا أكمل العباد وأكرمهم على الله تعالى أنقصهم رأياً وأخسّهم صنفاً. فهم جمعوا في كفرة ثلاث كفرات، وذلك أنّهم نسبوا إلى الله الولد، ونسبوا إليه أخسّ النوعين، وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله، واستحقروهم واستخفّوا بهم.

وقرأ الحجازيّان وابن عامر ويعقوب: عند الرحمن، عملى تمثيل زلفاهم واختصاصهم.

ثمّ رد ذلك عليهم بقوله: ﴿الشّهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أحضروا خلق الله إيّاهم فشاهدوهم إناثاً، فإنّ ذلك منا لا يعلم إلّا بالمشاهدة. وهو تجهيل وتهكم بهم. يعني: أنّهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم، فإنّ الله تعالى لم يضطرّهم إلى علم ذلك، ولا تطرّقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم، فلم يبق إلّا أن يشاهدوا خلقهم، فيخبروا عن هذه المشاهدة. وهذا كقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا المَلْاَئِكَةُ إِنَاكًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (١٠).

وعن نافع: أَشْهِدُوا على أَفْهِلوا. بضمّ الهمزة وسكون الشين. وقبلها هـمزة الاستفهام مفتوحة. ثمّ تخفّف الثانية بين بين. وآأشهدوا. بمدّة بينهما برواية قالون.

<sup>(</sup>١) الصافّات: ١٥٠.

٧٤٦ ..... زيدة التفاسير \_ ج ٦

﴿ سَتَعْتَبُ شَهَادَتُهُمْ ﴾ الّتي شهدوا بها على الملائكة من أنو ثنهم ﴿ وَيُسْالُونَ ﴾ أي: عنها يوم القيامة. وهذا وعيد.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحَفنُ ﴾ أي: لو شاء عدم عبادة الملائكة ﴿ مَا عَبْدْنَاهُمْ ﴾ وذلك لزعمهم الباطل أنّ عبادتهم بمشيئة الله ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: لا يعلمون صحة ما يقولون، فقولهم باطل، الآنه لم يصدر عن علم ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخُوصُونَ ﴾ كاذبون، كما يقول إخوانهم المجبّرة، ولا دليل على أنّهم قالوه مستهزئين لا جادّين، ليكونوا عند المجبّرة مؤمنين، وادّعاء ما لا دليل عليه باطل، على أنّ الله قد حكى عنهم على سبيل الذمّ والشهادة بالكفر: أنّهم جعلوا له من عباده جزءًا، وأنّه اتّخذ بنات وأصفاهم بالبنين، وأنّهم جعلوا الملائكة المكرّمين إناثاً، وأنّهم عبدوهم. وأيضاً لو كانت هذه الكلمة ألّي نطقوا بها هزءًا، لم يكن لقوله تعالى: «ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون» معنى.

ولمّا بين أقوالهم الزائفة، ونفى أن يكون لهم بذلك علم من طـريق العـقل. أضرب عنه إلى إنكار أن يكون لهم سند من جهة النقل. فقال:

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مَن قَبْلِهِ ﴾ من قبل القرآن ﴿ فَهَمْ بِهِ مُسْتَضْعِكُونَ ﴾ بذلك الكتاب متمسّكون، ومعلوم أنهم لم يمكنهم ادّعاء أنّ الله تعالى أنزل بذلك كتاباً، فعلم أنّ ذلك من تخرّصهم.

ولمّا لم يكن لهم على ذلك حجّة عقليّة ولا نقليّة، جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة، كما حكى الله سبحانه عنهم بقوله: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَمْدٍ ﴾ أي: ملّة وطريقة تؤمّ، أي: تقصد، كالرحلة للمرحول إليه ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آفَارِهِمْ مُهَتَدُونَ ﴾ .

ثمّ سلّى سبحانه رسوله ﷺ على أنّ التقليد في نحو ذلك ضلال قديم، وأنّ مقدّميهم أيضاً لم يكن لهم سند منظور إليه، فقال:

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ ﴾ في مجمع من الناس ﴿ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ أي:

نذيراً، لأنّ «من» زائدة ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ متنعّموها الذين أترفتهم النحمة، أي: أبطرتهم، فلا يحبّون إلّا الشهوات والملاهي ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَمْةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آلَهُ وَإِنَّا عَلَىٰ آلَةً وَإِنَّا عَلَىٰ آلَهُ وَاللّهُ عَنْ آلَهُ وَاللّهُ عَنْ التنعّم وحبّ البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد. وقوله: «على آثارهم مقتدون» خبر لا إنّ»، أو الظرف صلة لا مقتدون».

ثمّ قال للنذير: ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَوْلَوْ جِنْتُكُمْ﴾ أي: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم ﴿ بِاهْدَى ﴾ بدين أهدى ﴿ مِمّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ من دين آبائكم. وهو حكاية . أمر ماضٍ أوحي إلى النذير . وفيه حسن التلطّف في الاستدعاء إلى الحقّ ، وهو أنّه لو كان ما يدّعونه حقّاً وهدى ، وكان ما جئتكم به من الحقّ أهدى منه ، كان أوجب أن يتبع ويرجع إليه . ويجوز أن يكون ذلك خطاباً لرسول الله ﷺ . ويؤيّد الأوّل أنّه قرأ ابن عامر وحفص: قال .

وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا ارْسِلْقُمْ بِهِ﴾ أيّها المرسلون ﴿كَافِرُونَ﴾ أي: إنّا ثابتون على دين آبائنا، لا ننفكّ عنه وإن جئتنا بما هو أهدى. وهذا إقناط للنذير من أن ينظروا أو يتفكّروا فيه.

ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم، فقال: ﴿فَانتَقَفْنَا مِنْهُمْ ﴾ بالاستئصال ﴿فَانتَقَفْنَا مِنْهُمْ ﴾ بالاستئصال ﴿فَانظُو كَنفُ كَانَ عَاقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ لأنبياء الله والجاحدين لهم، فلا تبال بتكذيبهم. وفي هذا إشارة إلى أنّ العاقبة المحمودة تكون لأهل الحقّ والمصدّقين لرسل الله.

وَإِذْ قَالَ أِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّنَا تُعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَتِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

﴿ ٢٨ ﴾ بَلْ مَنْفَتُ هَٰؤُلا ۚ وَآبَآعُمُمْ حَتَّى جَآءُهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ ثُمِينٌ ﴿ ٢٩ ﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سخرٌ وَإِنَّا بِه كَافرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلِ مَّنَ الْقَرْيَتَينِ عَظيمِ ﴿٣٦﴾ أَهُمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَّبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعيشَتْهُمْ في الْحَيَاة الدُّنيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجَات لَيَتَّخذَ بَغْضُهُم بَغْضًا سُخْرَنًا وَرَخْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مَنَا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أَمَّةً وَاحدَةً لَجَعَلْنَا لَمَن يَكُفُرُ بِالرَّحْمَن لَبُيُوتِهُمْ سُقُفًا مَن فَضَّة وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِيُبُوتِهُمْ أَبُواْبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَّكُوُونَ ﴿٣٤﴾ وَرُخُوفًا وَإِن كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَنَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَّةُ عِندَ رَّبِكَ لَلْمُتَّقِينَ ﴿ ٣٠ ﴾

ثمّ دلَّ على بطلان التقليد بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمِيمُ ﴾ واذكر وقت قوله هذا ليرواكيف تبرّأ أشرف آبائهم عن التقليد وتمسّك بالدليل، حيث قال ﴿ لأبِيهِ ﴾ أي: لعمّه الذي هو بمنزلة أبيه في تربيته ﴿ وَقَوْمِهِ إِنْنِي بَرَآءَ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ بريء من عبادتكم أو معبودكم من الأصنام والكواكب. مصدر نعت به، ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدّد، والمذكّر والمؤنّث.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ منصوب على أنَّه استثناء منقطع، كأنَّه قال: لكن أعبد

الذي فطرني ﴿ فَإِنَّهُ سَيَهِدِينِ ﴾ أي: سيئتني على الهداية على الاستقبال، كما هداني في الماضي والحال، أو سيهديني إلى ما وراء ما هداني إليه. ويحتمل أن يكون مجروراً بدلاً من المجرور ب«من»، على أنه استثناء متصل، وذلك لأنهم \_كما قبل \_كانوا يعبدون الله مع أوثانهم. وأن تكون «إلاّ» صفة بمعنى غير، على أن «ما» في «ما تعبدون» موصوفة، تقديره: إنّني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني. في «ما تعبدونها غير الذي فطرني.

﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ وجعل إبراهيم أو الله كلمة التوحيد ﴿ كَلِمَةٌ بَاقِيَةٌ فِي عَقْبِهِ ﴾ في ذريته، فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعو إلى توحيده ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحده وتاب عمّا هو عليه.

وعن أبي عبدالله 幾: «الكلمة هي الامامة إلى يوم القيامة».

وعن السدّي: أنَّ المراد بالذرّيَّة هم آل محمَّد ﷺ.

ثمّ ذكر سبحانه نعمه على قريش، وهم من أعقاب إبراهيم، فقال:

﴿ بَلْ مَتَعْتُ هَوُلاَءِ﴾ أي: هؤلاء المعاصرين من قريش ﴿ وَآبَاءَهُمْ ﴾ بالمدّ في العمر والنعمة ، ولم أعاجلهم بالعقوبة لكفرهم ، فاغتزوا بذلك ، وشغلوا بالتنعّم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقِّ ﴾ دعوة التوحيد أو الترقيق ﴿ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ ظاهر الرسالة بما له من المعجزات البيّنة ، أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ لينتههم عن غفلتهم ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ أي: زادوا شرارة، فضموا إلى شركهم معاندة الحقّ والاستخفاف به، فسموا القرآن سحراً وكفروا به، واستحقروا الرسول.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزُّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلِ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ ﴾ من إحدى القريتين:

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ٢٢.

مكّة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال، كالوليد بن المغيرة المخزومي من مكّة. وعروة بن مسعود الثقفي، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، وعتبة بن أبي ربيعة من مكّة، وكنانة بن عبد ياليل من الطائف. وكان الوليد يقول: لو كان حقاً ما يقول محمّد لنزل هذا القرآن عليّ أو على أبي مسعود الثقفي، فإنّ الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم. ولم يعلموا أنّها رتبة روحانيّة تستدعي عظم النفس بالتحلّي بالفضائل والكمالات القدسيّة، لا التزخرف بالزخارف الدنيويّة.

فرد الله سبحانه ذلك عليهم، فقال إنكاراً وتجهيلاً وتعجيباً من تحكمهم: 
﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أي: النبوّة ﴿ نَحْنُ قَسَمْناً بَيْنَهُمْ مَوِيشَدَّهُمْ فِي الصّياةِ
الدُّنْيا﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها، وهي خُويصَّة (١١) أسرهم وما يصلحهم في
دنياهم، ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا. فإذا كانوا في
تدبير أمر المعيشة الدنيّة في الحياة الدنيا على هذه الصفة، فما ظنّك بهم في أن
يدبروا أمر النبوّة التي هي أعلى المراتب الإنسيّة، ورحمة الله الكبرى، ورأفته
العظمى، وما يتبعها من الفوز والفلاح في دار السلام.

إن قيل: المراد بالمعيشة ما يعيشون به من المنافع، فمنهم من يعيش بالحلال، ومنهم من يعيش بالحرام، فإذن قد قَسّم الله الحرام كما قسّم الحلال.

فأجيب بأن الله قسّم لكلّ عبد معيشته، وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع، وأذن له في تناولها، ولكن كلّفه أن يسلك في تناولها الطريق اللّتي شرعها، فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً، وسمّاها رزق الله، وإذا لم يسلكها تناولها حراماً، وليس له أن يسمّيها رزق الله. فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع، ولكنّ العباد يكسبونها صفة الحرام بسوء تناولهم، وهو عدولهم عمّا شرعه الله على شرعه.

<sup>(</sup>١) أي: الَّذين يختصُّ بهم. وهي تصغير خاصَّة.

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ قَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ ﴾ بأن أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره، فجعلنا منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء ومحاويج، وموالي وخدماً ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضَا مُشْخُرِيّا ﴾ ليتسخّر بعضهم بعضاً في أشغالهم وحوائجهم، فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسع، ولا لنقص في المقتر ﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ ﴾ يعني: النبوة وما يتبعها ﴿ خَيْرٌ مِمًّا يَجْمَعُونَ ﴾ من حطام الدنيا.

ثمّ أخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه، وقلَّة مقدارها عنده، فقال:

﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ لولا كراهة أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة وتنقم لحبّهم الدنيا، فيجتمعوا عليه ﴿ لَجَفَلْنَا لِمِثْنَ يَحْفُرُ بِالرَّحْفٰنِ لِبِنُيُوتِهِمْ ﴾ بدل من «لمن» بدل الاشتمال. ويجوز أن يكون علّة، مثل اللامين في قولك: وهبت له ثوباً لقيصه، أي: لأجل قيصه. ﴿ سُقْفَا ﴾ جمع سقف. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: سَقْفاً، اكتفاءً بجمع البيوت. ﴿ مِنْ فِضْهُ وَمَعَارِجَ ﴾ ومصاعد. جمع معرج. ﴿ عَلَيْهَا يَعْفَهُونَ ﴾ يعلون السطوح، لحقارة الدنيا ﴿ وَلِبَيْدُوتِهِمْ البَوَالِبَا وَسُدُوا﴾ أي: من فضّة. حذفت اكتفاءً بذكرها أولاً. ﴿ عَلَيْهَا يَتْجُونُ ﴾ .

﴿ وَرُخُوفا﴾ وزينة، عطف على «سقفاً». أو ذهباً، عطف على محل «من فضّة». وفي معناه قول رسول الله ﷺ: «لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء». وإنّما لم يوسع الدنيا على المسلمين ليرغب الكفّار في الإسلام، لأنّ التوسعة عليهم مفسدة أيضاً، لما تؤدّي إليه من الدخول في الاسلام لأجل الدنيا لا محض القربة، فكانت الحكمة فيما دبر، حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء، وغلّب الفقر على الغنى.

﴿ وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ «إن» هي المخفّقة، واللام هي الفارقة. وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه: لمّا بالتشديد، بمعنى «إلّا»، و«إن» نافية.

٢٥٢ ..... زيدة التفاسير ـ.ج ٦

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ والجنّة الباقية ﴿عِنْدَرَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصّة لهم. وفي الآية دلالةعلى اللطف، وأنّه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعو إلى الكفر، وإذا لم يفعل ما يؤدّي إلى الكفر فلأن لا يفعل الكفر ولا يريده أولى.

وَمَن يَعْشُ عَن ذَكْرِ الرَّحْمَنِ نَقَيْضُ لَهُ شَيْطاًناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنْهُم مَّهُمَّدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّى إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَا كَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيُوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٦﴾

ولمّا تقدّم ذكر الوعد للمتقين، عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضدّ صفتهم، فقال:

﴿ وَمَن يَغَشُ ﴾ يتعام ويعرض ﴿ عَن نِخِو الرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: يعرف أنّه الحقّ ثمّ يتجاهل ويتغابى (١)، كقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتُهَا أَنفُسُهُمْ ﴿ ٢). وذلك لفرط استغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات. ﴿ فَشَقِصْنَ لَهُ شَيْطَاناً ﴾ نقدر له، بمعنى: نخذله ونخل بينه وبين الشيطان، كقوله: ﴿ وَقَيْضَنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ ﴾ (١) ﴿ فَهُو لَهُ قَرِينَ ﴾ يوسوسه ويغويه دائماً. وقرأ يعقوب بالياء، على إسناده إلى ضمير الرحمان.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ ﴾ جمع الضمير للمعنى، إذ المراد جنس العاشي

<sup>(</sup>١) أي: يتغافل.

<sup>(</sup>٢) النمل: ١٤.

<sup>(</sup>٣) فصّلت: ٢٥.

والشيطان المقيّض له. والمعنى: أنّ الشياطين المقيّضين ليـصدّون العـاشين ﴿عَـنِ السَّبِيلِ﴾ عن الطريق الّذي من حقّه أن يسبل ﴿وَيَـخَسَبُونَ﴾ ويحسب العـاشون ﴿النَّهُمْ مُهَدُّونَ﴾ أنّهم على الهدى فيتّبعونهم.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَمَا﴾ أي: العاشي. وقرأ الحجازيّان وابـن عــامر وأبـو بكـر: جـاءانا. أي: العاشي والشيطان ﴿ قَالَ﴾ أي: العاشي للشيطان ﴿ يَا تَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُـغدَ الْـمَشْرِقَيْنِ﴾ بعد المشرق من المغرب، والمغرب مـن المشــرق. فــلمّا غــلّب المشرق، وجمع المفترقين بالتثنية، أضاف البعد إليهما. ﴿ فَيِفْسَ الْقَوِينُ﴾ أنت.

﴿ وَلَنْ يَنَفَقَكُمُ الْيَوْمَ ﴾ أي: ما أنتم عليه من تمنّي مباعدة القرين ﴿ إِذ ظَلَمْتُمْ ﴾ إِذ صحّ أنّكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا. بدل من اليوم. ﴿ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ لأنّ حقّكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه، وهو الكفر. ويجوز أن يسند الفعل إليه، بمعنى: ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب، كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه، لتعاونهم في تحمّل أعبائه، وقلك أنّ كلّ واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته.

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْهُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالِ مُبَينِ ﴿ ٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَ بِكَ فَإِمَّا مِنْهُم مُّنتَقَمُونَ ﴿ ٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَكَ الَّذِي وَعَدُنَاهُمْ فَإِمَّا عَلَيْهِم مُقْتَدِرُونَ ﴿ ٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكُ بِالذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِلَّكَ عَلَى صراط مُسْتَقِيمٍ ﴿ ٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذَكْرٌ لَكَ وَلِقُومِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿ ٤٤﴾ وَآسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعْلنا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلَهَةً يُغْبَدُونَ ﴿ ٤٥﴾

وفيه إشعار بأنّ الموجب لذلك تمكّنهم في ضلال لا يخفى، فلا يضيقنّ صدرك تصميمهم على الكفر، فإنّه لا يقدر على هدايتهم إلّا الله وحده على سبيل الإلجاء والقسر، كقوله: ﴿إِنَّ الله يُسْعِعُ مَنْ يَشْلَهُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٢٠).

ولمًا وصفهم بشدّة الشكيمة بالكفر والضلال، أتبعه شدّة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة، فقال:

﴿ فَإِمَّا نَذْهَنِنَّ بِكَ ﴾ «ما » مزيدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكّدة. والمعنى: فإن قضناك قبل أن ننصرك عليهم، ونشفي صدور المؤمنين منهم ﴿ فَإِنَّ مِنْ نُهُمْ مُ نُتُقِفُونَ ﴾ بأشـــد الانتقام في الآخرة. كقوله: ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيْنُكَ فَإِلَيْنَا فَ الْمَعْوِنَ ﴾ بأشــد الانتقام في الآخرة. كقوله: ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيْنُكَ فَإِلَيْنَا فَ الْمُعْوِنَ ﴾ (٣).

﴿ أَوْ نُرِيئُكُ الَّذِي وَعَـدْنَاهُمْ ﴾ أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب. وقرأ يعقوب برواية رويس: أوْ نُرِينُك، بإسكان النون. وكذا: نَذْهَبَنْ، ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُقْتَدِرُونَ ﴾ لا يفوتوننا.

قال الحسن وقتادة: إنَّ الله أكرم نبيَّه بأن لم يره تلك النقمة، ولم ير في أمَّته

<sup>(</sup>١) عَشِيَ يَعْشَى عَشاً: ساء بصره بالليل والنهار.

<sup>(</sup>٢) فاطر: ٢٢.

<sup>(</sup>٣) غافر : ٧٧.

إلاّ ما قرّت به عينه. وقد كان بعده عليه وآله السلام نقمة شديدة. وقــد روي أنــه صلوات الله عليه وآله أري ما تلقى أمّته بعده، فما زال منقبضاً، ولم ينبسط ضاحكاً حتّى لقى الله تعالى.

وروى جابر بن عبدالله الأتصاري قال: «إنِّي لأدناهم من رسول الله اللَّيْنِيُّ في حجّة الوداع بمنى، حتّى قال: لألفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفتني في الكتيبة التي تضاربكم. ثمّ التهفت إلى خلفه فقال: أو عليّ أو عليّ، ثلاث مرّات. فرأينا أنّ جبرائيل غمزه، فأنزل الله على أثر ذلك: «قَإِمَّا نذهبرٌ بك فإنّا منهم منتقمون» بعليّ بن أبي طالب».

وقيل: إنَّ النبيِّ ﷺ أري الانتقام منهم. وهو ما كان من نـقمة الله مـن المشركين يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكّة. فقد أسر منهم وقتل مع قلّة أصحابه وضعف منّتهم(١٠)، وكثرة الكفّار وشدّة شوكتهم.

ثم أمره سبحانه بالتمسّك بالقرآن، فقال: ﴿ فَاسْتَعْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ فكن متمسّكاً بما أوحينا إليك من الآيات والشرائع وبالعمل به ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ لا عوج له، ولا يحيد عنه إلا ضال شقيّ. فزدكلّ يوم صلابة في المحاماة على دين الله، ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك.

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ وإنَّ الَّذي أوحىي إليك ﴿ لَذِكرٌ ﴾ لشرف ﴿ لَكَ وَلِـ قَوْمِكُ وَسَـ وْ فَ تُسْأَلُونَ ﴾ أي: عنه يوم القيامة، وعن قيامكم بحقَّه، وعن تعظيمكم له، وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين.

﴿ وَاَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِناً ﴾ ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال، لإحالته، بل في الكلام مضاف مقدر، تقديره: واسأل أممهم وعلماء دينهم. فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء. وقرأ ابن كثير والكسائي بتخفيف الهمزة. ﴿ أَجَفَلْنَا

<sup>(</sup>١) المُنَّة: القوّة.

۲۵٦ ...... زيدة التفاسير ــج ٦

مِنْ دُونِ الرَّحْمُنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ هل حكمنا بعادة الأوثان؟ وهل جاءت في ملّة من مللهم؟

وقبل: إنّ النبيّ ﷺ جمع له تسعون نبيّاً \_ منهم مـوسى وعـيسى \_ ليـلة الإسراء في بيت المقدس فأمّهم، وقبل له: سلهم، فلم يشكّ ولم يسأل.

وقيل: السؤال مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم، هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملّة من ملل الأنبياء؟ وكفاه نظراً وفحصاً نظره في كتاب الله المعجز المصدّق لما بين يديه، وإخبار الله فيه بأنّهم لا يحبدون إلّا الله. وهذه الآية كافية في نفسها، لا حاجة إلى غيرها. والسؤال الواقع مجازاً عن النظر، حيث لا يصحّ السؤال على الحقيقة، كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال. ومنه قول من قال: سل الأرض من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإنّها إن لم تجبك حواراً أأجابتك اعتباراً. والقول الأوّل قول أكثر المفسّرين.

وَلَقَدُ أُرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتَنَا إِلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَمْهِ فَقَالَ إِنِي رَسُولُ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مَنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مَنْ آيَة إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا وَأَخَذَنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا آئِهَا السَّاحِرُ آدُعُ لَنَا رَبُكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهَنَّدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَنْمَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُنُونَ ﴿٠٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا

<sup>(</sup>١) أي: مخاطبة بالنطق، ومجاوبة للكلام.

قَوْمِ أَلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴿ ٥٠ ﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِنْ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ﴿ ٥٠ ﴾ فَالْوَلاَ أَلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِن ذَهَبِ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَتَكَةُ مُقْتَرِينَ ﴿ ٢٠ ﴾ فَاسْتَخَفَ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿ ٤٠ ﴾ فَلَمَّا آسَنُونَا آتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ٥٠ ﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَقًا وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ ﴿ ٢٠ ﴾

ولمّا تقدّم سؤال الرسول عن أحوال الرسل وماجاؤا به. اتّصل به \_ استشهاداً بصحّة دعوته إلى التوحيد \_ حديث موسى وعيسى، لأنّ أهـل الكـتابين إليـهما ينتسبون، فذكر قصّتهما مع أمّتهما تصديقاً لنبيّه في دعواه، فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَلِاهِ ﴾ أي: أشراف قومه. وخصّهم بالذكر وإن كان مرسلاً أيضاً إلى غيرهم، لأنّ من عداهم تبع لهم. ﴿ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أرسلني إليكم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ وأظهرها عليهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أي: فاجؤا وقت ضحكهم استهزاءً بها أوّل ما رأوها ولم يتأمّلوا فيها.

﴿ وَمَا نُرِيهِم مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ اكْتَرُ مِنْ أَخْتِهَا ﴾ إلّا وهي بالغة أقصى درجات الإعجاز، بحيث يحسب الناظر فيها أنّها أكبر ممّا يقاس إليها من الآيات. والمراد وصف الكل بالكبر، يعني: أنّ الآيات موصوفات بفرط الكبر، لا يكدن يتفاوتن فيه. وكذلك الأشياء الّتي تتلاقى في الفضل، كقولك: رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض. أو إلّا وهي مختصة بنوع من الإعجاز مفضّلة على غيرها بذلك الاعتبار. فلا

٢٥٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

يقال: إنّ هذا الكلام متناقض. لأنّ معناه: ما من آية من النسع إلّا وهي أكبر من كلّ واحدة منها. فتكون واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة.

﴿ وَاخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ كالسنين والطوفان والجراد ﴿ لَعَلُّهُم يَـرْجِعُونَ﴾ أي: على وجه يرجى رجوعهم.

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ نادوه بذلك في تلك الحال لشدّة شكيمتهم وفرط حماقتهم. أو لأنهم كانوا يسمّون العالم الماهر ساحراً، لاستعظامهم السحر، فلم يكن صفة ذمّ. ﴿ اثمُ لَنَا رَبُكَ ﴾ فيكشف عنّا العذاب ﴿ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ بعهده عندك من النبوّة كما زعمت. أو من أن يستجيب دعوتك. أو أن يكشف العذاب عمن العددى. أو بما عهد عندك فوفيت به، وهو الإيمان والطاعة. ﴿ إِنْنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ .

وقال بعضهم (١) في تطبيق تسميتهم موسى بالساحر مع قولهم: «إنّنا لمهتدون»: إنّ قولهم هذا وعد منويّ إخلافه، وعهد معزوم على نكثه، كما دلٌ عليه قوله: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾ بدعاء موسى ﴿ إِذَا هُمْ يَمْتُكُونَ ﴾ فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء. فما كانت تسميتهم إيّاه بالساحر بمنافية لقولهم: «إنّنا لمهتدون».

وفي هذا تسلية للنبئ ﷺ ، فإنّ المعنى: اصبر يا محمد على أذى قومك ، فإنّ حالك معهم كحال موسى مع قومه ، فيؤول أمرك إلى الاستعلاء على قومك كما آل أمره إلى ذلك .

﴿ وَنَادَى فِزْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ﴾ جعلهم محلاً لندائه وموقعاً له. والمعنى: نادى فرعون بنفسه في مجامع قومه عند عظماء القبط، فيرفع صوته بذلك فيما بينهم، ثمّ ينشر عنه في جموع القبط، فكأنّه نودي به بينهم. أو أمر بالنداء في مجامعهم من نادى بذلك، فأسند النداء إليه، كقولك: قطع الأمير اللصّ، إذا أمر بقطعه.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ ﴾ أنهار النيل. ومعظمها أربعة

<sup>(</sup>١) الكشَّاف ٤: ٢٥٧.

سورة الزخرف، آية ٤٦\_٥٦......٥٦

أنهر: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس، ﴿ تَجْدِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصري، أو سريري، أو أمري، أو بين يدي في جناني. والواو إمّا عاطفة الاهذه الأنهار» على «ملك مصر» و «تجري» حال منها. أو «هذه» مبتدأ، و «الأنهار» صفتها، و «تجري» خبرها. ﴿ أَفَلَا تُبْمِئُونَ ﴾ هذا السلك العظيم، وشدّة قوتي وتسلّطي، وضعف موسى.

﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة. من المهانة، وهي: القلّة، وقيل: المهين الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه، ليس له من يكفيه أمره. ﴿ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ﴾ الكلام، لما به من العقدة الّتي في لسانه، فكيف يصلح للرسالة ؟ يريد: أنّه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به. وهو في نفسه مخلّ بما ينعت به الرجال من الفصاحة. وكانت الأنبياء أبيناء (١) بلغاء.

وعن الحسن: كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله، كما قال مخبراً عن نفسه: ﴿ وَاحْلُلُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ (٣)، ثمّ قال: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ (٣). ولكن لم يعلم قومه بذلك، فعيّره بما كان في لسانه قبل.

وقيل: كان في لسانه لثغة (٤)، فرفعها الله تعالى وبقي فيه ثقل مّا.

و«أم» منقطعة، والهمزة للتقرير، إذ قدّم أسباب فضله، من ملك مصر وجري الأنهار تحته، ونادى بذلك في مجامعهم وقال: أنا خير. كأنّه يقول: أثبت عندكم واستقرّ أنّي أنا خير؟ أو متّصلة، على إقامة المسبّب مقام السبب. والمعنى: أفلا تبصرون، أم تبصرون فتعلمون أنّي خير منه؟ فوضع موضع: تبصرون، قوله: «أنا

<sup>(</sup>١) أبيناء جمع بيّن، من: بان الشيءُ: اتّضح، مثل: هيّن وأهيناء.

<sup>(</sup>۲ و ۳) طّه: ۲۷ و ۳۹.

<sup>(</sup>٤) اللُّثُغَةُ: النطق بالسين كالثاء، أو بالراء كالغين، إلى غير ذلك. أو ثقل اللسان بالكلام.

۲۹۰ ..... زیدة التفاسیر ـج ۲ خیر ».

ولتًا وصف نفسه بالملك والعرّة، ووازن بينه وبين موسى على اله. ووصفه بالضعف وقلّة الأعضاد، اعترض فقال:

﴿ فَلَوْلَا أَلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ ﴾ أي: فهلا إن كان صادقاً ألقى الله عليه مقاليد الملك وسوّده وسوّره، إذ كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه وطوّقوه بطوق من ذهب. وأساور (۱۱) جمع أسورة، جمع سوار. وقرأ يعقوب وحفص: أسورة، ﴿ أَوْ جَآءَ مَكُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِفِينَ ﴾ مقرونين يعينونه، أو يصدّقونه. من: قرنته به فاقترن. أو متقارنين، من: اقترن بمعنى: تقارن.

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ﴾ فطلب منهم الخفّة، وحملهم عملى أن يحفّوا له في مطاوعته. أو فاستخفّ أحلامهم. ﴿ فَاطَاعُوهُ ﴾ فيما أمرهم به ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فَاسِقِينَ ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق.

﴿ فَلَمَّا عَاسَفُونَا﴾ أغضبونا بالإفراط في العناد والعصيان. منقول من: أسف إذا اشتد غضبه. ﴿ الْمَتَقَعْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي: لتا أفرطوا في السعاصي والعدوان، فاستوجبوا أن لا نحلم عنهم، فنعجّل لهم عذابنا وانتقامنا. ومعنى غضبه على العصاة إرادة عقابهم، كما أن رضاه عن العطيعين إرادة ثوابهم اللذي يستحقّونه على طاعاتهم. وقيل: معناه آسفوا رسلنا، لأنّ الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله تعالى. ﴿ فَا غَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في اليمّ، ما نجا منهم أحد.

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفَا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفّار يقتدون بهم في استحقاق مثل عذابهم. مصدر نعت به. أو جمع سالف، كخدم وخادم. وقرأ حمزة والكسائي بضمّ السين واللام جمع سليف، كرغيف ورُغُف، أو سالف كصابر وصُبُر، أو سلف كخُشُب وخشب. والمعنى: وجعلناهم متقدّمين إلى النار. ﴿ وَمَثَلًا لِللَّا فِيكَ فِرِينَ ﴾ عبرة

<sup>(</sup>١) أي: في قراءة: أساور.

وَلَمَا ضُرِبَ آئِنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿ ٧٠ ﴾ وَقَالُواۤ أَالَهِٰتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضُرُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَصِمُونَ ﴿ ٩٠ ﴾ إِنْ هُو إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا آبَنِيَ إِسْرَاتَيلَ ﴿ ٩٠ ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَا لَبْنِيَ إِسْرَاتَيلَ ﴿ ٩٠ ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَلَّاتُكُمُ فِي اللَّرْضَ يَخُلُفُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ السَّاعَةِ فَلاَ تَشْرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صَرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿ ٩١ ﴾ وَلاَ يَصُدَّنَكُمُ الشَّيْطَالُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُونٌ مُبِينٌ ﴿ ١٢ ﴾

روي: أنّ رسول الله ﷺ لمّا قرأ على قريش ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَدَّمَ﴾ (١) امتعضوا (٢) من ذلك امتعاضاً شديداً.

فقال عبدالله بن الزبعرى: يا محمد أخاصّة لنا ولآلهتنا، أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم.

فقال: خصمتك وربّ الكعبة، ألست تنزعم أنّ عيسى بن مريم نبيّ وتثني عليه خيراً وعلى أمّه؟ وقد علمت أنّ النصارى يعبدونهما، وعنزير يعبد، والملائكة يعبدون، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم.

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ٩٨.

<sup>(</sup>٢) امتعض من الأمر: غضب منه وشق عليه.

۲٦٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

ففرحوا وضحكوا، وسكت النبيّ ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخَسْفَىٰ اَوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١). ثمّ نزلت:

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَوْيَمَ مَثَلاً ﴾ أي: مثلاً ضربه ابن الزبعرى ﴿ إِذَا قَـوْمَكَ ﴾ قريش ﴿ وِنَهُ صَحِكاً ، لظنَّهم أَنَّ قريش ﴿ وَضحكاً ، لظنَّهم أَنَّ الرسول صار ماذ ما به .

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضمّ من الصدود، أي: يصدّون عن الحقّ ويعرضون عنه. وقيل: هما لفتان، نحو يعكُف ويعكِف.

﴿ وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرُ أَمْ هُوَ ﴾ أي: آلهتنا خير عندك أم عيسى، فإن كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا معه ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً ﴾ ما ضربوا هذا المثل إلّا لأجل الجدل والغلبة، لا لتمييز الحقّ من الباطل ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ شداد الخصومة، حراص على اللجاج، كقوله تعالى: ﴿ قَوْمًا لَذَا ﴾ (٢).

ولا شبهة أنَّ قوله: ﴿إِنَّكُم وما تعبدون﴾ (٣) ما أريد به إلا الأصنام. وكذلك قوله ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم» إنَّما قصد به الأصنام، ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة. إلا أنَّ ابن الزبعرى لخداعه وخبث دخلته (٤)، لمّا رأى كلام الله ورسوله محتملاً لفظه وجه العموم، مع علمه بأنَّ العراد به أصنامهم لا غير، وجد للحيلة مساغاً، فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكلّ معبود غير الله، على طريق فرط الجدال وحبّ المكابرة والمغالبة، وتوقّح (6) في ذلك، فتوقر رسول

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ١٠١.

<sup>(</sup>٢) مريم: ٩٧.

<sup>(</sup>٣) الأنساء: ٩٨.

<sup>(</sup>٤) الدِخْلَةُ: باطن الأمر.

<sup>(</sup>٥) أي: قلّ حياؤه وأظهر الوقاحة.

الله ﷺ حتى أجاب عنه ربّه: ﴿إِنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى ﴾ (١). فدلّ به على أنّ الآية خاصّة في الأصنام. على أنّ ظاهر قوله: «وما تعبدون» لغير العقلاء.

وقيل: لمّا سمعوا قوله: ﴿إِنَّ مَثْلَ عِيسَى عِنْدُ اللهِ كَمَثَلِ آنَمَ﴾ (١) قالوا: نحن أهدى من النصارى، لأنّهم عبدوا آدميًا ونحن نعبد الملائكة، فنزلت. وقوله: «ءَآلهتنا خير أم هو» على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى، لأنّ المراد بهم الملائكة.

وقيل: لمّا نزلت: «إنّ مثل عيسى عند الله» قالوا: ما يريد محمّد بهذا إلّا أن نعبده، وأنّه يستأهل أن يعبد وإن كان بشراً، كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر. فالضمير في «أم هو» لمحمد 我赞 . وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخريّة به والاستهزاء.

وروى سادة أهل البيت على على الله أنه قال: «جئت إلى النبي الله الله يوماً فوجدته في ملاً من قريش، فنظر إليّ ثمّ قال: يا عليّ مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم، أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم فأفرطوافي بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا. فعظم ذلك عليهم وضحكوا وقالوا: يشبّهه بالأنبياء والرسل. فنزلت الآية.

﴿إِنْ هُوَ﴾ وما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ﴾ كسائر المبيد ﴿انْفَعْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة وخلقه من غير أب ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أمراً عجيباً لهم، بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم، وصيّرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر. وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة.

ثمّ قال سبحانه دالاً على كمال قدرته، وعلى أنَّه لا يفعل إلَّا الأصلح: ﴿ وَلَوْ

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ١٠١.

<sup>(</sup>٢) آل عمران: ٥٩.

نَشَاءً لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾ لولدنا منكم يا رجال ﴿ مَلائِكَةُ ﴾ كما ولدنا عيسى من غير أب. لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر. أو لجعلنا بدلاً منكم ملائكة ﴿ فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ يخلفونكم في الأرض، بأن أهلكناكم وجعلنا الملائكة بدلكم سكّان الأرض يعمرونها ويعبدون الله.

والمعنى: أنّ حال عيسى وإن كانت عجيبة، فالله تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك. وأنّ الملائكة مثلكم، من حيث إنّها ذوات ممكنة وأجسام حادثة يحتمل خلقها توليداً كما جاز خلقها إبداعاً، وذات القديم متعالية عن الحدوث والإمكان، فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب إلى الله سبحانه؟

﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ وإنّ عيسى، أي: نزوله من السماء شرط من أشراطها، يعلم منه دنوها، فسمّى الشرط علماً لحصول العلم به. أو إحياؤه الموتى يدلّ على قدرة الله على النشر الّذي هو أوّل ساعات القيامة. والأوّل أكثر وأشهر.

وأورد مسلم في الصحيح قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ بنا. فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة من الله لهذه الأمّة»(١٠).

وفي الحديث أيضاً: «ينزل عيسى على ثنيّة بالأرض المقدّسة يقال لها: أفيق، وعليه ممصرتان، أي: حلّتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة، وبها يقتل الدجّال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤمّ بهم، فيتأخّر الإمام، فيقدّمه عيسى ويصلّي خلفه على شريعة محمد ﷺ: ثمّ يقتل الخنازير، ويكسر الصليب، ويخرب البيم والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به».

وعن الحسن: الضمير للقرآن، فإنّ فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها. وفي حديث آخر: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم».

<sup>(</sup>١) صحيح مسلم ١: ١٣٧ ح ١٥٦.

﴿ فَلَا تَمْتُرُنَّ بِهَا﴾ فلا تشكّن فيها. من المرية، وهي الشكّ. ﴿ وَاتَّبِعُونِ﴾ واتَّبعونِ ﴾ واتَّبعونِ ﴾ واتَّبعون السول، أمر أن يقول: واتّبعوني ﴿ هَذَا اللهِ أَي: هذا اللهِ أَي: هذا اللهِ أَي: هذا اللهِ أَن عمل الضمير في «وإنّه» للقرآن إن جعل الضمير في «وإنّه» للقرآن. ﴿ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ لا يضلّ سالكه. وقرأ أبو عمرو: فاتّبعوني.

﴿ وَلَا يَصُدَّنَكُمُ الشَّيْمَانَ ﴾ عن المتابعة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدَوً مُبِينٌ ﴾ بانت عداوتـه لكم، إذ أخرج أباكم من الجنّة، ونزع عنه اللباس، وعرّضكم للبليّة.

وَلَنَا جَآءَ عِيسَى بِالْبَيْنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمُ بِالْحِكُمَة وَلِأَبْنِنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْلَفُونَ فِيهَ فَاتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِي وَرَبْكُمْ فَاغُبُدُوهُ هَذَا صَرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٤﴾ فَاخْتَلْفَ الأَحْزَابُ مِن بَنِيهِمْ فَوْيلٌ لَلَّذِينَ ظَلْمُوا مِنْ عَذَاب يُومٍ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَة أَن تَأْتِيهُم بَغْنَةً وَهُمُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾

ثمّ أخبر سبحانه عن حال عيسى على حين بعثه الله نبيّاً، فقال: ﴿ وَلَمّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيْنَاتِ ﴾ بالمعجزات، أو بآيات الانجيل، أو بالشرائع الواضحات ﴿ قَالَ قَدْ جِنْتُكُمْ بِالْجِعْتِ ﴾ بالانجيل، أو بالشريعة ﴿ وَلِأَبْيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَحْتَلِقُونَ فِيهِ ﴾ جِنْتُكُمْ بِالْحِعْدِ ﴾ بالانجيل، أو بالشريعة ﴿ وَلِأَبْيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَحْتَلِقُونَ فِيهِ ﴾ وهو ما يكون من أمر الدين، لا ما يتعلق بأمر الدنيا، فإنَّ الأنبياء لم يبعثوا لبيانه، ولذلك قال المُنْظِيعُونِ ﴾ فيما أبلغه عنه. ثمَّ بين ما أمرهم بالطاعة فيه بقوله: ﴿ إِنَّ اللهُ هُو رَبِّي وَرَبُحُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ كأنّه قال: ما أمرهم بالطاعة فيه بقوله: ﴿ إِنَّ اللهُ هُو رَبِّي وَرَبُحُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ كأنّه على المرهم والتوحيد والتعبّد بالشرائع ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلى مجموع قال: ما أمركم هو اعتقاد التوحيد والتعبّد بالشرائع ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلى مجموع

٢٦٦ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

الأمرين ﴿ صِوَاطُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ يفضي بكم إلى الجنّة. وهذا من تتمّة كلام عيسى، أو استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك.

﴿ فَاخْتَنَفَ الْأَخْزَابُ ﴾ الفرق المتحزّبة بعد عيسى ﴿ مِنْ يَنْفِهِ ﴾ من بين النصارى، أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث هو إليهم ﴿ فَوَيْلٌ لِلنَّذِينَ فَلَكُوبُ مَنْ المتحرّبين ﴿ مِنْ غَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هل ينظر قريش، أو الّذين ظلموا ﴿ إِلَّا السَّاعَةَ انْ تَاتِيْهُمْ﴾ بدل من «الساعة». والمعنى: ما ينظرون إلّا إتيان الساعة ﴿ بَفْقَةُ ﴾ فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَضْعُرُونَ﴾ غافلون عنها. لاشتغالهم بأمور الدنيا، وإنكارهم لها.

الأَّخَلَاءُ عَوْمَنْدَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضِ عَدُو ۗ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ يَا عَبَادِ لاَ خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَّا أَشَمْ تَحْزَنُونَ ﴿٨٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسلّمِينَ ﴿١٦﴾ آدْحُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطافُ عَلَيْهِم بِصِحَاف مِن ذَهَبٍ وَأَكْرَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُ الأَعْيُنُ وَأَشُمْ فِيهَا خَالدُونَ ﴿٧٧﴾ وَتَلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُتُمُ تَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ لَكُمُ

﴿ الْأَخِلَاءُ﴾ الأحبّاء ﴿ يَوْمَلِنِهُ مَعلّق به عدرٌ » في قوله: ﴿ بَ غَضُهُمْ لِبَغَضِ عَدُوً ﴾ أي: يتعادون يومئذٍ. لآنه ينقطع فيه كلّ خلّه بين المتخالّين في غير ذات الله، وينقلب عداوة ومقتاً، لأنّه ظهر عليهم في ذلكِ اليوم أنّ ما كانوا يتخالّون له صار سورة الزخرف، آية ٦٧ ــ ٧٣ ــ .....

سبباً للمذاب ﴿إِلَّالمُمْتَّقِينَ﴾ إلّا خلّة المتصادقين في الله ، فإنّها لمّا كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد، بل تصير زائدة إذا رأوا ثواب التحابّ في الله والتباغض في الله. وقيل: «إلّا المتكين» إلّا المجتنبين أخلّاء السوء. وقيل نزلت: في أبيّ بـن خــلف وعقبة بن أبي معيط.

ثمّ حكى عمّا ينادى به المتقون المتحابّون في الله يومئذٍ بقوله: ﴿ يَا عِبَادِ﴾ أي: يقال لهم: يا عبادي ﴿ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْمَيْوَمَ وَلاَ انْـتُمْ تَـخَزَنُونَ﴾ من فوات الثواب. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بحذف الياء من: عباد.

ثمّ وصف المنادَوْن بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ صدّقوا بدلائلنا وحججنا واتّبعوها. وهو منصوب المحلّ، لانّه صفة منادى مضاف. ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حال من الواو، أي: اللّذين آمنوا مخلصين وجوههم لنا، جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا. غير أنّ هذه العبارة آكد وأبلغ.

قيل: إذا بعث الله الناس فزع كلَّ أحد، فينادي منادٍ: يا عبادي، فيرجـوها الناس كلّهم. ثمَّ يتبعها: الذين آمنوا، فيياًس الناس منها غير المسلمين.

﴿الخَلُوا الْجَنَّةُ انْتُمْ وَازْوَاجُمُهُ نساؤكم المؤمنات ﴿تُحْبَرُونَ ﴾ تسرّون سروراً بحيث يظهر حباره -أي: أثره -على وجوهكم، كقوله: ﴿تَسغِوفُ فِي وَجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (١). أو تزيّنون، من الحبر، وهو حسن الهيئة. قال الزجّاج: تكرمون إكراماً يبالغ فيه. والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل.

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافِ ﴾ بقصاع \_ جمع صحفة \_ مأخوذة ﴿ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ فيها ألوان الأطعمة ﴿ وَأَكُوابِ ﴾ كيزان لا عرى لها. جمع كوب. وهو كوز لا عروة له. ﴿ وَفِيهًا ﴾ وفي الجنّة ﴿ مَا تَشْعَهِي النّفُسُ ﴾ من أنواع النعم المشروبة

<sup>(</sup>١) المطفّفين: ٢٤.

٢٦٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

والمطعومة والمشمومة والملبوسة وغيرها. وقرأ نافع وابن عامر وحفص: تشتهيه على الأصل.

﴿ وَتَنَذَّ الْأَعْيَنُ ﴾ ما تلذّه العيون بالنظر إليه. وإنّما أضاف الالتذاذ إلى الأعين، وإنّما المتلذّذ في العقيقة هو الإنسان، لأنّ المناظر الحسنة سبب من أسباب اللذّة، فإضافة اللذة إلى الموضع الذي يلتذ الإنسان به أحسن، لما في ذلك من البيان مع الايجاز. وقد جمع الله تعالى بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلائق كلّهم على أن يصفوا ما في الجنّة من أنواع النعم لم يزيدوا على ما انتظمتاه.

﴿ وَٱنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فإنّ كلّ نعيمَ زائل موجب لكلفة الحفظ وخـوف الزوال. ومستعقب للتحسّر في ثاني الحال.

﴿ وَبِتَكَ ﴾ الإشارة إلى الجنّة المذكورة وقعت مبتداً ، خبره ﴿ الْجَنّةُ ﴾ . وقوله : ﴿ النّبِي أُورِيْتُ عُمْوهَا ﴾ صفتها . أو «الجنّة» صفة «تلك» و «النّبي» خبرها . أو صفة «الجنّة» والخبر ﴿ يِسْمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . وعلى هذا تتعلّق الباء بسمحذوف لا به أور تتموها » كما في الظروف الّتي تقع أخباراً ، تقديره : حاصلة بما كنتم . وعلى الوجه الأوّل تتعلّق بدأور تتموها » . وشبّهت الجنّة في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة . وعن ابن عباس : الكافر يرث نار المؤمن ، والمؤمن يرث جنّة الكافر . وهذا كقوله : ﴿ أَوْلَقِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (١) .

﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاتِهَةً تَثِيرَةً مِنْهَا﴾ بعضها ﴿ تَأْكُلُونَ ﴾ لكثرتها ودوام نوعها. ولعلَّ تخصيص التنقم بالمطاعم والملابس، وتكريره في القرآن، وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعائم الجنّة، لما كان بهم من الشدّة والفاقة في الدنيا. وعن النبيّ ﷺ: «لا ينزع رجل في الجنّة من ثمرها إلّا نبت مكانها مثلاها».

<sup>(</sup>١) المؤمنون: ١٠.

إِنَّ الْمُخْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالدُونَ ﴿ ٤٧﴾ لَا يُفَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبُلِسُونَ ﴿ ٧٠﴾ لَا يُفَتْرُ عَنْهُمْ وَهُمْ الظَّالِمِينَ ﴿ ٢٧﴾ وَنَادَوًا يَا مَالَكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُكَ قَالَ إِنِّكُم مَّاكِثُونَ ﴿ ٧٧﴾ لَقَدْ جَنْنَاكُم بِالْحَقِ وَلَكِنَ أَكْثُرَكُمُ لِلْحَقِ كَلَيْنَا رَبُكَ قَالَ إِنِّكُم مَّاكِثُونَ ﴿ ٧٧﴾ لَقَدْ عَنْنَاكُم بِالْحَقِ وَلَكِنَ أَكْثَرَكُمُ لِلْحَقِ كَارِهُونَ ﴿ ٧٧﴾ أَمْ أَبْرُمُولَ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿ ٧٧﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَلْمَا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿ ٧٨﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَلْكَ لَدْهِمْ يَكُنُبُونَ ﴿ ٨٨﴾

ثمّ أخبر سبحانه عن أحوال أهل النار، فقال: ﴿إِنَّ الْمُجْوِمِينَ﴾ الكاملين في الإجرام. وهم الكفّار، لأنّه جعل قسيم المؤمنين بالآيات، وحكى عنهم ما يخصّ بالكفّار، وهو قوله: ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. خبر «إنّ». أو «خالدون» خبر، والظرف متعلّق به.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفّف. من: فترت عنه الحمتى إذا سكنت قليلاً. والتركيب للضعف. ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من النجاة. وعن الضحّاك: يجعل المجرم في تابوت من نار، ثمّ يردم عليه، فيبقى فيه خالداً لا يرى ولا يُرى.

ولمّا بيّن سبحانه ما يفعله بالمجرمين، بيّن أنّه لم يظلمهم بذلك، فقال: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُواهُمُ الطَّالِمِينَ ﴾ على أنفسهم بما جنوا عليها من العذاب. مرّ مثله غير مرّة. و «هم» فصل عند البصريّين، عماد عند الكوفيّين.

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ هو خازن جهنّم ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكُ ۗ أَي: سل ربّك أَن يقضي علينا. أي: يميتنا حتّى نتخلّص من هذا العذاب. مأخوذ من: قضى عليه إذا ۲۷۰ ..... زیدة التفاسیر ـ ج ٦

أماته. ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَكَزُهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (١). وهو لا ينافي إبلاسهم، لانهم معذّبون أزمنة متطاولة وأحقاباً ممتدّة، فتختلف بهم الأحوال، فيسكتون أوقاتاً لفلبة اليأس عليهم، وعلمهم أنّه لا فرج لهم، ويغوّثون (٣) أوقاتاً لشدّة ما بهم، وعن النبيّ ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع حتّى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيقولون: ادعوا مالكاً. فيدعون: يا مالك ليقض علينا ربّك». ﴿قَالَ﴾ أي: قال الله، أو مالك ﴿إِنْكُمْ مَاكِثُونَ﴾ لا خلاص لكم بموت ولا غيره.

﴿ لَقَدْ جِنْفَاكُمْ فِالْحَقِّ ﴾ بالإرسال والإنزال. وهو تتمة الجواب إن كان في «قال» ضمير الله، وإلا فجواب منه. فكأنّه تعالى تولّى جوابهم بعد جواب مالك. ﴿ وَلَكِنَّ الْخَتْرَكُمْ ﴾ معاشر الخلق ﴿ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ لما في اتباعه من إتعاب النفس وإدآب (٣) الجوارح، ولألفتكم بالباطل فكرهتم مفارقته. عن ابن عبّاس: إنّما يجيبهم بهذا الجواب بعد ألف سنة.

﴿ أَمْ أَبْزَهُوا﴾ إضراب عن الكلام السابق، أي: ما سمعوا هذا القول بسمع القبول، بل أحكموا ﴿ أَمْرا﴾ من كيدهم ومكرهم بالرسول، ولم يقتصروا على كراهة الحق ﴿ فَإِنَّا مُنْزِمُونَ ﴾ كيدنا بهم في مجازاة ما أبرموا من كيدهم، كقوله: ﴿ أَمْ يُدِيدُونَ كَيْداً فَالْمُؤِينُ وَاهُمُ الْمُكِيدُونَ ﴾ (٤٠).

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ ﴾ بل أيظن هؤلاء الكفّار ﴿ أَنَّا لاَ تَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ حديث أنفسهم بذلك، أو تحديثهم غيرهم في مكان خالٍ ﴿ وَتَجْوَاهُم ﴾ وتناجيهم، أي: ما تكلّموا به فيما بينهم ﴿ بَلَىٰ ﴾ نسمهما ونطّلع عليهما ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾ والحفظة مع ذلك

<sup>(</sup>١) القصص: ١٥.

<sup>(</sup>٢) أي: يقولون: واغوثاه.

<sup>(</sup>٣) أَدْأَبَ إِدْآباً: أتعب.

<sup>(</sup>٤) الطور: ٤٢.

وعن يحيى بن معاذ الرازي: من ستر من الناس ذنوبه، وأبـداهــا للّــذي لا يخفى عليه شيء في السماوات، فقد جعله أهون الناظرين إليه، وهو من علامات النفاق.

قُلُ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ ﴿ ١٨﴾ سَبُحَانَ رَبّ السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ رَبّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِغُونَ ﴿ ١٨﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيُلْعَبُوا حَمَّى يُلِاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿ ١٨﴾ وَهُو الَّذِي فِي السَّمَا الله وَفِي السَّمَاوَاتِ الأَرْضِ إِلله وَهُو الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿ ١٨﴾ وَتَبَارِكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَة وَإِلَيه تُرْجَعُونَ ﴿ ١٨﴾ وَلاَ يَمُلكُ النَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَة وَإِلَيه تُرْجَعُونَ ﴿ ١٨﴾ وَلاَ يَمُلكُ النَّمَاوَاتِ الذِينَ يَدْعُونَ ﴿ ١٨﴾ وَلاَ يَمُلكُ السَّمَاوَاتِ وَاللهِ مَنْ مَنْ يَعْلَمُونَ ﴿ ١٨٨﴾ وَلَلْ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ١٨٨﴾ وَلَيْ اللّهُ فَأَى يُؤْفَكُونَ ﴿ ١٨٨﴾ وقيله يَارَبْ إِنَّ

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْفَٰنِ وَلَـدُ﴾ أي: صحّ ذلك وثبت ببرهان صحيح تـوردونه.
وحجّة واضحة تدلون بها ﴿ قَانَا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾ أي: أنا أوّل من يعظّم ذلك الولد،
وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظّم الرجل ولد الملك، فإنّ النبيّ يكون أعلم
مالله.

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفي الولد على أبلغ الوجوه. وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها. فهو في صورة إثبات كينونة الولد والعبادة، وفي معنى نفيهما، على أبلغ الوجوه وأقواها. ونظيره أن يقول العدليّ للمجبّر: إن كان الله خالقاً للكفر في القلوب، ومعذّباً عليه عذاباً سرمداً، فأنا أوّل من يقول: هو شيطان وليس بإله.

فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه: نفي أن يكون الله خالقاً للكفر، وتنزيهه عن ذلك وتقديسه، على طريق العبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا. مع الدلالة على سماجة المذهب وضلاله الذاهب إليه، والشهادة القاطعة بإحالته، والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه، وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه.

وقد تمحّل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف، المليء بالنكت والفوائد المستقلّة بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه. فقيل: إن كان للرحمن ولد في زعمكم، فأنا أوّل الآنفين من أن يكون له ولد. من: عَبِدَ يَعْبَدُ إذا اشتد أَنْفُه، فهو عبد وعابد.

وقيل: «إن» نافية. أي: ما كان للرحمن ولد. فأنا أوّل من قال بذلك وعبد ووحّد.

وقرأ حمزة والكسائي: وُلْد، بالضمّ وسكون اللام.

ثمّ نزّه سبحانه نفسه عن ذلك فقال: ﴿ سُنِحَانَ رَبُّ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ عن كونه ذا ولد، فإنّ هذه الأجسام لكونها أصولاً ذات استمرار تبرّأت عمّا يتصف به سائر الأجسام من توليد المثل، فما ظنّك بمبدعها وخالقها؟!

ثمّ خاطب نبيّه على وجه التهديد للكفّار، فقال: ﴿فَذَرْهُمْ يَـخُوضُوا﴾ فـي

باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ وهو دلالة على أنَّ قولهم هذا جهل واتباع هوى، وأنهم مطبوع على قلوبهم خذلاناً وتخلية، كقوله: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِبْتُتُهُ ( ١٠). وإيعاد بالشقاء الأبدي في العاقبة.

ولمّا بيّن سبحانه وحدانيّته عقبه تأكيداً لها قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلْهُ﴾ أي: مستحقّ لأن يعبد فيهما. والظرف متعلّق بـه، لأنّـه بـمعنى المعبود، أو متضمّن معناه، كقولك: هو حاتم في البلد، على تضمين معنى الجواد الّذي شهر به، كأنّك قلت: هو جواد في البلد.

والراجع إلى الموصول مبتدأ محذوف، لطول الصلة بمتملّق الخبر والعطف عليه. ويجوز أن يكون «في السماء» صلة «الذي» و«إله» خبر مبتدأ محذوف، على أنّ الجملة بيان للصلة، وأنّ كونه في السماء على سبيل الإلهيّة والربوبيّة، لا على معنى الاستقرار. وفيه نفي الآلهة السماويّة والأرضيّة، واختصاصه باستحقاق الألوهيّة.

وكرّر لفظ «إله» لأمرين، أحدهما: التأكيد، ليتمكّن المعنى في النفس. والثاني: لأنّ المعنى: هو إله في السماء يجب على الملائكة عبادته، وإله في الأرض يجب على الإنس والجنّ عبادته.

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في جميع أفعاله ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بمصالح عباده. وهذا كالدليل على وحدائيته في الألوهيّة.

ثمّ نزَّه ذاته عن الشركة بقوله: ﴿ وَتَقِارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ كالهواء، أي: جلّ عن أن يكدون له ولد أو شبيه من له التصرّف في السماوات والأرض وفيما بينهما، بلا دافع ولا منازع. أو دامت بركته. ﴿ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها، لأنّه لا يعلم وقته على التعيين غيره

<sup>(</sup>١) فصّلت: ٤٠.

٢٧٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فيجازي كلاً على قدر عمله. وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم بالتاء، على الالتفات للتهديد.

﴿ وَلاَ يَمْكِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَة ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله. وهي مسألة الطالب العفو عن غيره وإسقاط العقاب عنه. ﴿ إِلاَ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ وهو توحيد الله ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإخلاص. وتوحيد الله عني ثمّ جمعه باعتبار اللفظ والمعنى. والاستثناء متصل إن أريد بالموصول كلّ ما عبد من دون الله، لاندراج الملائكة والمسيح فيه. ومنفصل إن خصّ بالأصنام.

روي: أنّ النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا: إن كان ما يقوله محمد حقّاً فنحن نتولّى الملائكة، وهم أحقّ بالشفاعة لنا منه. فنزلت الآية. فالمعنى: أنّهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله. وفيه دلالة على أنّ حقيقة الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والمعرفة.

﴿ وَلَئِنْ سَالْتَهُمْ ﴾ سألت العابدين ، أو المعبودين ﴿ مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾ من أخرجهم من العدم إلى الوجود ﴿ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ لتمذّر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿ فَالَّمَى يُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟!

﴿ وَقِيلِهِ ﴾ وقول الرسول. عن الأخفش: أنّ نصبه للعطف على ﴿ سرّهم ﴾ (١) أي: أم يحسبون أنّا لا نسمع قوله. وعنه أيضاً: أنّه منصوب بإضمار فعله، أي: وقال قيله. وعن الزجّاج: أنّه معطوف على محلّ ﴿ السَّاعة ﴾ (٢) كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمراً. وجرّه عاصم وحمزة عطفاً على لفظ «الساعة». ﴿ يَا رَبُّ إِنْ ضَوْعَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال صاحب الكشَّاف بعد نقل هذه الأقوال: «والَّذي قالوه ليس بقويَّ في

<sup>(</sup>۱ و ۲) الزخرف: ۸۰ و ۸۵.

سورة الزخرف، آية ٨١ ـ ٨٩...... ٢٧٥

المعنى، مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً، ومع تنافر النظم. وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجرّ والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه. ويكون قوله: «إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون» جواب القسم. كأنّه قيل: وأقسم بقيله يا ربّ إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون وإقسام الله بقيله رفع منه، وتعظيم لدعائه والتجائه إليه»(١٠).

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم، وودّعهم (٢) وتاركهم ﴿ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ تسلّم به من شرّهم وأذاهم. ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيد من الله لهم، وتسلية للرسول. وقرأ نافع وابن عامر بالتاء، على أنّه من المأبور بقوله.

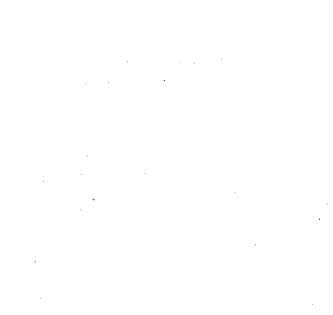
وهذه الآية منسوخة بآية السيف<sup>(٤)</sup>. وقيل: معناه: فاصفح عن سفههم، ولا تقابلهم بمثله. فلا يكون منسوخاً.

<sup>(</sup>١) الكشَّافِ ٤: ٢٦٨.

<sup>(</sup>٢) ودّع فلاناً: هجره.

<sup>(</sup>٣) تسلّم منه: تبرّأ.

<sup>(</sup>٤) التوبة: ٥ و ٢٩.





## سورة الدخان

مكِّيّة. وهي تسع وخمسون آية.

أبيٌ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة غفر له».

أبو هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ حم الدخان في ليلة، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

وعنه عن النبيَّ ﷺ قال: «من قرأها في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له».

أبو أمامة عن النبيَّ ﷺ قال: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة ويوم الجمعة. بني الله له بيتاً في الجنّة».

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ﷺ قال: «من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله، بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وأُظلّه تحت ظلّ عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً. وأعطي كتابه بيمينه».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة مُبَارِكَة إِنَّا كُمَّا مُنذرِبِنَ ﴿٣﴾ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَة مُبَارِكَة إِنَّا كُمَّا مُنذرِبِنَ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِنْ عِندِنا ۖ إِنَّا كُمَّا

مُرْسَلِينَ ﴿ ٥ ﴾ رَحْمَةً مِن رَّبِكَ أَيْهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلَيمُ ﴿ ٦ ﴾ رَبّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَشِهُمَا آبِن كُتُم مُوقِتِينَ ﴿ ٧ ﴾ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ يُوشِي ويُمِيتُ رَبّكُمُ وَرَبُّ آبَانِكُمُ الْأَوْلِينَ ﴿ ٨ ﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكَ يُلْعَبُونَ ﴿ ٩ ﴾ فَارْتَقَبُ يُومَ تَأْتِي السَّمَا أَ بِدُخَانِ مُبِينٍ ﴿ ١٠ ﴾ يَفْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ١١ ﴾ رَبّنَا السَّمَا أَ بِدُخَانٍ مُبَينٍ ﴿ ١٠ ﴾ يَفْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ١٠ ﴾ رَبّنا السَّمَا عَنَا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿ ١٧ ﴾ أَنى لَهُمُ الذَّكُرَى وَقَدْ جَاءَهُمُ رَسُولٌ مُبينٌ ﴿ ١٣ ﴾ ثُمَّ تَوَلُوا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجُنُونٌ ﴿ ١٢ ﴾ إِنَّا كُنشَفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمُ عَانِدُونَ ﴿ ١٩ ﴾ يَوْمَ بُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُذُرَى آياً مُنتَقِمُونَ ﴿ ١٩ ﴾ قَلِيلًا إِنَّكُمُ عَانِدُونَ ﴿ ١٩ ﴾ يَوْمَ بُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُذُرَى آياً مُنتَقِمُونَ ﴿ ١٩ ﴾

ولمًا ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد والتهديد. افتتح هذه الســورة أيضاً بمثل ذلك في الانذار بالعذاب الشديد. فقال:

﴿ بِسَمِ اللهِ الرَّحْفَٰنِ الرَّحِيمِ حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ القرآن. والواو للقسم إن جعلت «حم» تعديداً للحروف، أو اسماً للسورة، مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف. وللعطف إن كانت «حم» مقسماً بها. والجواب قوله: ﴿ إِنَّا الْفَرْلَفَاهُ فِي لَئِلَةٍ مُبْارَكَةٍ ﴾ أي: في ليلة القدر. وقيل: هي ليلة النصف من شعبان. ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة الرحمة. وقيل: في تسميتها بها: إنّ البندار \_ أي: من في يده الخراج \_ إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة، كذك الله تلك يكتب لهماده المؤمنين البراءة في هذه الليلة.

ومعنى إنزال القرآن فيها: أنَّ الله سبحانه ابتدأ فيها إنزاله، أو أنزل فيها جملة

سورة الدخان، آية ١٦-١٦ .....

إلى السماء الدنيا من اللوح الّذي يكون في السماء السابعة. ثمّ أنزله على رسول الله نجوماً نجوماً.

ومعنى المباركة: الكثيرة الخير. ومن بركتها إنزال القرآن فيها، فبإنّ نزوله سبب للمنافع الدينيّة والدنيويّة. ولو لم يوجد فيها إلّا إنزاله لكفى به بركة. قيل: بدأ في استنساخ القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة، ووقع الفراغ في ليلة القدر. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ استئناف يبيّن المقتضي للإنزال. وكذا قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ الهٰ حَكِيمٍ﴾ فإنَّ كونها مفرّق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة، يستدعي أن ينزّل فيها القرآن الذي هو من عظائمها. ويجوز أن يكون صفة «ليلة مباركة» وما

وقيل: في ليلة القدر تدفع نسخة الأرزاق إلى ميكاثيل، ونسخة الحروب إلى جبرائيل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب الدنيا، وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت.

وقيل: يعطى كلَّ عامل بركات أعماله، فيلقى على ألسنة الخـلق مـدحه. وعلى القلوب هيبته.

وقيل: بركة هذه الليلة في أنَّها مختصَّة بخمس خصال:

تفريق كلّ أمر حكيم.

بينهما اعتراض.

وفضيلة العبادة فيها. قال رسول الله عليه الله الله عليه عنه الليلة مائة المحلة أرسل الله إليه مائة ملك: ثلاثون يبشرونه بالجنة ، وثلاثون يبؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان».

ونزول الرحمة. قال ﷺ: «إنّ الله يرحم أمّتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب». وحصول المغفرة. قال ﷺ: «إنّ الله يغفر لجميع المسلمين في هذه الليلة، إلاّ لكاهن، أو ساحر، أو مشاحن (١)، أو مدمن خمر، أو عاتى للوالدين، أو مصرّ على الزنا».

وما أعطي فيها رسول الله عليه الله عن تمام الشفاعة. وذلك أنّه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمّته، فأعطي الثلث منها. ثمّ سأل ليلة الرابع عشر، فأعطي العليين. ثمّ سأل ليلة الخامس عشر، فأعطي الجميع، إلّا من شرد عن الله شراد البعير. ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد ماء زمزم زيادة ظاهرة.

والقول الأكثر أنّ المراد بالليلة المباركة ليلة القدر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُؤْلُفَاهُ فِي نَنِيّةِ الْقَدْرِ﴾ (٢٠). ولمطابقة قوله: ﴿فَهَا يَفْرَقُ كُلّ أَمْرٍ حكيم» لقوله: ﴿فَمُزُلُ الْمُكَرِّبُكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ (٣٠). وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الّذِي أَلْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنَ﴾ (٤٠). وليلة القدر في أكثر الأقوال في شهر رمضان.

وهذا أصحّ القولين. لأنّه منقول عن ابن عبّاس وقتادة وابن زيد. ومرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله ﷺ .

﴿ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا. وهو مزيد تفخيم للأمر. ويجوز أن يكون حالاً من «كلّ»، أو «أمر»، أو من ضميره المستكن في «حكيم»، لأنّه موصوف. أو حالاً من أحد ضميري «أنزلناه»، يعني: آمرين أو مأموراً. وأن يراد به ما يقابل النهي، وقع مصدراً لايفرق»، لأنّ الأمر والفرقان واحد، من حيث إنّه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه. أو مصدر لفعله مضمراً، من حيث إنّ الفرق به، أي: أمرنا أمراً

<sup>(</sup>١) المشاحن: المباغض الشديد العداوة.

<sup>(</sup>٢ و ٣) القدر: ١ و ٤.

<sup>(</sup>٤) البقرة: ١٨٥.

﴿إِنَّا كُنَّا مُوْسِلِينَ﴾ بدل من «إنَّا كنّا منذرين» أي: إنّا أنزلنا القرآن لأنّ من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا.

﴿ رَحْمَةُ مِنْ رَبِّكَ ﴾ لأجل الرحمة عليهم. ووضع الربّ موضع الضمير، إشعاراً بأنّ الربوبيّة تقتضي الرحمة على المربوبين، فيأنّه أعظم أنواع التربية. أو علّة لايفرق» أو «أمراً». و«رحمة» مفعول به. ﴿إِنّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ يسمع أقوال العباد ﴿الْفَلِيمُ ﴾ ويعلم أحوالهم. وهو بما بعده تحقيق لربوبيّته، وإيذان بأنّها لا تحق إلّا لمن، هذه صفاته.

﴿ زَبُّ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خبر آخر، أو استثناف. وقرأ الكوفيّون بالجرّ بدلاً من «ربّك». ﴿ إِنْ كُفْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ أي: إن كنتم من أهل الايقان في العلوم. أو كنتم موقنين في إقراركم إذا سئلتم من خلقها ؟ فقلتم: الله، علمتم أنّ الأمر كما قلنا، كما تقول: إنّ هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهر وإسخاؤه، إن بلغك حديثه وحدّثت بقصّته. وفائدة الشرطيّة التنبيه للمخاطب بأنّ من حـقك أن تكون عالماً به، ولا تكون غافلاً عن مثله، أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك.

﴿ لَا إِنَّهُ إِلَّا هُوَ﴾ لا يستحق العبادة غيره، إذ لا خالق سواه ﴿ يُحْدِي وَيُمِيتُ ﴾ كما تشاهدون ﴿ رَبُّحُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوْلِينَ ﴾ .

ثمّ ردّ أن يكونوا موقنين بقوله: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكَّ يَلْعَبُونَ﴾ أي: إقرارهم غير صادر عن علم وتيقّن، ولا عن جدّ وحقيقة، بل قول مخلوط بهزء ولعب.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ﴾ فانتظرهم في هذا اليوم. ويجوز أنّه منصوب بأنّه مفعول به. يقال: رقبته وارتقبته، نحو: نظرته وانتظرته، أي: انتظر يوم تأتي السماء ﴿بِدُخَانٍ مُبِدِنٍ﴾ أي: يوم شدّة ومجاعة، فإنّ الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره. أو لأنّ الهواء يظلم عام القحط، لقلّة الأمطار وكثرة

۲۸۲ ..... زیدة التفاسیر ـج ٦

الغبار. أو لأنّ العرب تسمّي الشرّ الغالب دخاناً. وقد قحطوا حـتّى أكـلوا جـيف الكلاب وعظامها.

ويروى أنّه قبل لابن مسعود: إنّ قاصاً عند أبواب كندة يقول: إنّه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق. فقال: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنّ من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه: الله أعلم، ثمّ قال: ألا وسأحد ثكم أنّ قريشاً لمّا استعصت على رسول الله اللهجي دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف. فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز (١). وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان يحدّث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان، فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه، وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا، فلمّا كشف عنهم رجعوا إلى شركهم.

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين ﷺ: «أنّه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة، يدخل في أسماع الكفرة، حتّى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(</sup>١) العِلْهِز : طعام كانوا يتّخذونه من الدم ووبر البعير في زمن المجاعة .

<sup>(</sup>٢) الحَنِيد: المشويّ.

ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام. وتكون الأرض كلّها كبيت أو قد فيه خصاص»(١١).

﴿ يَفْشَى النَّاسَ ﴾ يحيط بهم. في محل الجرّ على أنّه صفة للدخان. وقوله: ﴿ هَذَا عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ أي: قائلين ذلك ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ ﴾ منصوب المحلّ بفعل مضمر، وهو: يقولون. و «يقولون» منصوب على الحال. ﴿ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم.

﴿ انَّىٰ لَهُمُ الذَّكْرَى﴾ من أين لهم وكيف يتذكّرون بهذه الحالة ﴿ وَقَدْ جَـآءَهُمْ رَسُولُ مُبِينٌ﴾ بين لهم ما هو أعظم من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة.

﴿ ثُمُّ تَوَلُّوا عَنْهُ﴾ فلم يذَّكَروا ﴿ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ فقال بعضهم: يـعلَّمه عداس، غلام أعجميّ لبعض ثقيف. وقال آخرون: إنَّه مجنون.

﴿إِنَّا كَاشِهُوا الْعَدَابِ﴾ بدعاء النبي ﷺ، فإنّه لمّا دعا رفع القحط ﴿قَبِيلاً﴾ كشفاً قليلاً، أو زماناً قليلاً، وهو ما بقي من أعمارهم ﴿إِنْكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى الكفر غبّ الكشف. ومن فسّر الدخان بما هو من الأشراط قال: إذا جاء الدخان غوّث (٢) الكفّار بالدعاء، فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوماً، فريشما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون. ومن فسّره بما في يوم القيامة أوّله بالشرط. والتقدير: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ النّبَطْشَةَ النّبُرْيَى﴾ يوم القيامة، أو يوم بدر. ظرف لفعل دلّ عليه ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ لا لامنتقمون، فإنّ «إِنّ» تحجزه عنه، أو بدل من «يوم تأتي». والبطش هو شدّة الألم.

وَلَقَدْ فَنَنَا قَبْلُهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَنْ أَدُوٓا ٓ إِلَيَّ عِبَادَ اللّهِ آ إِنِي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لاَ تَعْلُوا عَلَى اللّهِ آ إِنِيٓ آتِيكُم

<sup>(</sup>١) الخَصَاص: الفُرج في البناء وما شاكله.

<sup>(</sup>٢) أي: قالوا: واغوثاه.

سِسُلطَانِ مَّبِينِ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرِّبِي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَوُلاً ۚ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأْسُرٍ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّنَبَعُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرُقُونَ ﴿٢٤﴾

ثمّ شبّه حالهم بحال المعاندين الذين كانوا من قبلهم، فقال: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَا فَبْلَهُمْ فَوْعُوْنَ﴾ امتحنّاهم بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم، ليشكروا على ما أنعمنا عليهم ويطيعونا، فبدّلوا الشكر بالكفران، وعصوا أصرنا بالثبات على الكفر ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَوِيمٌ ﴾ على الله، أو على المؤمنين، أو في نفسه، لشرف نسبه وفضل حسبه، لأنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا من سراة قومه وكرامهم.

﴿ أَنْ أَذُوا إِلَيْ عِبَادَ اللهِ ﴾ بأن أدّوهم إليّ، وأرسلوهم معي. وهم بنو إسرائيل، كقوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْ مَعْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٠. ولا تعذّبهم. أو بأن أدّوا إليّ حقّ الله، من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله. ويجوز أن تكون «أن» مخفّفة، أي: وجاءهم بأنّ الشأن أدّوا إليّ. أو مفسّرة، لأنّ مجيء الرسول متضمّن لمعنى القول، لأنّه لا يجيئهم إلّا مبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله. ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ غير متّهم، لدلالة المعجزات على صدقه، أو لائتمان الله إيّاه على وحيه. وهو علّة الأمر.

﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ ﴾ ولا تتكبّروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله. و«أن» كالأولى في وجهيها. ﴿إنّي آتِيكُمْ بِسُفْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ بحجّة واضحة يظهر الحقّ معها. وهذا علّة للنهى. ولذكر الأمين مع الأداء، والسلطان العبين مع العلاء،

<sup>(</sup>١) الشعراء: ١٧.

فلمّا قال ذلك توعّدوه بالقتل والرجم، فقال: ﴿ وَإِنِّي عُـذَتُ مِرَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ التجأت إليه توكّلاً عليه ﴿ أَنْ شَرْجُمُونِ﴾ أن تؤذوني ضرباً أو شتماً، أو تـقتلوني. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: عُتُّ بالإدغام(١١).

﴿ وَإِنْ لَمْ تَوْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ﴾ فكونوا بمعزل منّي، واقطعوا أسباب الوصلة عنّي. أو فخلّوني واتركوني لا عليّ ولالي، ولا تتعرّضوا لي بسوء، فإنّه ليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم.

﴿فَدَعَا رَبُّهُ بعدما كذَّبوه ويئس من أن يؤمنوا به ﴿أَنَّ هَوُّلاَءِ ﴾ بأنَّ هؤلاء ﴿فَوَمُ مُجْرِمُونَ ﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به، ولذلك سمّاه دعاة.

قيل: كان دعاؤه: اللّهمّ عجّل لهم ما يستحقّونه بإجرامهم.وقيل. هو قـوله: ﴿ رَبُّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِقْتُمّ لِلقَّوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣). وما دعا عليهم إلّا بعد أن أذن له في ذلك.

﴿ فَاسْدِ بِعِبَادِي لَيْلاً ﴾ أي: فقال: أسر. أو قال: إن كان الأمر كذلك فأسر ببني إسرائيل. وقرأ ابن كثير ونافع بوصل الهمزة، من: سىرى. ﴿ إِنْكُمْ مُتَبَّعُونَ ﴾ يتّبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم.

﴿ وَالْمَرُكِ الْبَحْرَ رَهُوا﴾ مفتوحاً ذا فجوة واسعة. أو ساكناً على هيئته، قارًا على حاله، من انتصاب الماء، وكون الطريق يبساً بعدما جاوزته، ولا تضربه بعصاك، ولا تغيّر منه شيئاً ليدخله القبط، ويطمع فرعون في دخوله. فقد روي: أنّ موسى على لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصا فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال سبحانه: اتركه يا موسى. ﴿ إِنَّهُمْ جُنْدُ مُغْرَقُونَ ﴾ أي: سيغرقهم الله.

<sup>(</sup>١) أي: بإدغام الذال في التاء.

<sup>(</sup>۲) يونس: ۸۵.

كُمْ تَرَكُوا مِن جَنَّات وَعُيُونِ ﴿ ٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿ ٢٦﴾ وَتَعْمَة كَانُوا فِيهَا فَاكِهِنَ ﴿ ٢٧﴾ كَذَلكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿ ٢٨﴾ فَمَا بَكَتُ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿ ٢٩﴾

ثمّ أخبر سبحانه عن حالهم بعد إهلاكهم، فقال: ﴿ تَمْ فَرَكُوا﴾ كثيراً تـركوا ﴿ مِنْ جَنَّاتٍ وَغُيُونٍ وَرُرُوعٍ وَمَقَامٍ تَدِيمٍ﴾ محافل مزيّنة ومنازل حسنة. وعن ابـن عبّاس: منابر الخطباء. ﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ أي: تنمّم ﴿ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ مـتنمّمين كـما يتنمّم الآكل بأنواع الفواكه.

﴿ كَلَلِكَ ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها. أو الأمر كذلك. ﴿ وَاوْرَثْنَاهَا ﴾ عطف على الفعل المقدّر، أو على «تركوا». وإيراث النعمة تصييرها إلى الثاني بعد الأول بغير مشقّة، كما يصير الميراث إلى أهله على تلك الصفة. فلمّا كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم، كان ذلك إيراثاً من الله لهم. ﴿ قَوْماً آخُوِينَ ﴾ لبسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء. وهم بنو إسرائيل، كانوا متسخّرين مستعبدين في أيديهم، فأهلكهم الله على أيديهم، وأورثهم ملكهم وديارهم. وقيل: غيرهم، لاتهم لم يعودوا إلى مصر.

﴿ فَمَا بَكُتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ مجاز عن عدم المبالاة بهلاكهم، وعدم الاعتداد بوجودهم، كما قالت العرب على سبيل التمثيل والتخييل، مبالغة في وجوب البكاء والجزع على موت رجل خطير وتعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح وأظلمت له الشمس، في نقيض ذلك. ومنه ما روي عن رسول الشن ﷺ؛ «ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه، إلّا بكت عليه

سورة الدخان، آية ٣٠ ـ ٤٢ ...... ٢٨٧

السماء والأرض». وكذلك يروى عن ابن عبّاس: أنّ المؤمن ليبكي عليه مصلّاه. وموضع عبادته، ومصعد عمله، ومهبط رزقه.

وعن السدّي: لمّا قتل الحسين بن عليّ ﷺ بكت السماء عـليه، وبكـاؤها حمرة أطرافها.

وروى زرارة بن أعين عن أبي عبدالله الله أنّه قال: «بكت السماء على يحيى بن زكريًا وعلى الحسين بن عليّ الله أربعين صباحاً، ولم تبك إلّا عليهما. قلت: فما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء».

وقيل: تقديره: فما بكت عليهم أهل السماء والأرض، بل كـانوا بـهلاكـهم مسرورين.

﴿ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ ممهلين إلى وقت آخر، بل عوجلوا بالعقوبة.

وَلَقَدُ نَجَّيْنَا بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْنَهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فَرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَد آخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عَلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَٰئِنَاهُم مِّنَ الآياتِ مَا فِيهِ بَلَا ۚ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَوْلاً لَيْقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ مُؤْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٣﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُتُمُ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تَبْعٍ وَالّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكُنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٨٨٨ ...... زيدة التفاسير \_ ج ٦

الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلَى عَن مَّوْلَى شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

﴿ وَلَقَدْ نَجَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَدَابِ الْمُهِينِ ﴾ من استعباد فرعون وقتله أبناءهم ﴿ مِنْ فِزِعَوْنَ ﴾ بدل من «العذاب، لإفراطه في التعذيب. أو حال من فرعون نفس العذاب، لإفراطه في التعذيب. أو حال من «المهين» يعني: واقعاً من جهته. ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيا ﴾ متكبّراً متغلباً ﴿ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ المجاوزين الحدّ في العتوّ والشرارة. وهو خبر ثانٍ، أي: كان متكبّراً مسرفاً. أو حال من الضمير في «عالياً» أي: كان رفيع الطبقة في الإسراف حال كونه من بينهم. ﴿ وَلَقَو الْحَدَانَ ابني إسرائيل بالنجاة عن الغرق، وإعطاء التوراة، وكثرة الأنبياء منهم ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ عالمين بأنّهم أحقّاء بذلك. أو مع علم منّا بأنّهم وكثرة الأنبياء منهم ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ عالمين بأنّهم أحقّاء بذلك. أو مع علم منّا بأنّهم يزيغون في بعض الأحوال. ﴿ عَلَى الْعَامِينَ ﴾ على عالمي زمانهم ﴿ وَآفَيْنَاهُمْ مِنَ يَنْعِونَ في بعض الأحوال. ﴿ عَلَى الْعَامِ، وإنزال المنّ والسلوى ﴿ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينً ﴾ نعمة جليّة، أو اختبار ظاهر.

﴿إِنَّ هَـؤُلَامِ﴾ يعني: كفّار قريش، لأنّ الكلام فيهم. وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالةعلى أنّهم مثلهم في الإصرار على الضلالة، والإنذار عن مثل ما حلّ بهم، ﴿لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلّا مَوْتَتُنَا الْأُولَينِ﴾ أي: إذا قيل لهم: إنّكم تموتون موتة يتعقبها حياة، كما تقدّمتكم موتة قد تعقبتها حياة، قالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى، أي: ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى للحياة الدنيويّة دون الموتة الثانية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَوِينَ﴾ بمبعوثين. يقال: أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم.

﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين، أي:

سورة الدخان، آية ٣٠ ـ ٤٢ ـ .....

فمجّلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربّكم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في وعدكم، ليكون دليلاً على أنّ ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حقّ.

وقيل: كانوا يطلبون من المؤمنين أن يدعوا الله فينشر لهم قصيّ بن كــلاب ليشاوروه. فإنّه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤن.

ولمّا تركوا الحجّة، وعدلوا إلى الشبهة جهلاً، عدل سبحانه في إجابتهم إلى الوعيد والوعظ، فقال:

﴿ اَهُمْ خَيْرٌ﴾ أمشركو قريش خير في القوّة والمنعة والعدد والعُدد ﴿ أَمْ قَوْمُ

تَبُعٍ﴾ هو تبّع الحميري. وكان مؤمناً وقومه كافرين. ولذلك ذمّهم دونه. وعنه ﷺ :

«ما أدري أكان تبّع نبيّاً أو غير نبيّ». وعنه ﷺ : «لا تسبّوا تبّعاً، فإنّه كـان قـد
أسلم».

وعن ابن عبّاس: كان نبيّاً. وقيل: نظر ابن عبّاس إلى قبرين بناحية حمير فقال: هذا قبر رضوى، وقبر حبى بنت تبّع، ولا تشركان بالله شيئاً. وقيل: هو الذي كسا البيت.

وعن الصادق ﷺ : «إنَّ تتِع قال للأوس والخزرج، كونوا هاهنا حتَّى يخرج هذا النبيِّ . أما أنا فلو أدركته لخدمته وخرجت معه».

وهو الذي سار بالجيوش، وحيّر الخيرة، وبنى سمرقند. وقيل: هدمها ثمّ بناها. وكان إذا كتب قال: بسم الله الذي ملك برّاً وبحراً، وضحّاً <sup>(()</sup> وربحاً. وسمّي تبّماً لكثرة أتباعه من الناس. وقيل: لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن. واسمه أسعد أبو كرب. وقيل لملوك اليمن: التبابعة، كما قيل: الأقيال، لأنّهم يتقيّلون، أي: يتبع الشمسي

﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبِلِهِمْ ﴾ كعاد وثمود ﴿ الْمُلْكَنَّا مُمْ ﴾ استئناف بمآل قوم تبّع

<sup>(</sup>١) الضِّحُّ: الشمس.

۲۹۰ ..... زیدة التفاسیر ـج ۲

والذين من قبلهم، هدّد به كفّار قريش. أو حال بإضمار «قد». أو خبر من الموصول إن استؤنف به. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ كافرين. فليحذر هؤلاء أن ينالهم مثل ما نال أولئك. وهذا بيان للجامع المقتضي للإهلاك.

﴿ وَمَا خَلَقْتَا السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وما بين الجنسين ﴿ لاَعِبِينَ﴾ لاهين، بل خلقناهما لفرض حكمي، وهو أن ننفع المكلِّفين بذلك ونعرضهم للتواب. وهو دليل على صحّة الحشر، كما مرّ في سورة الأنبياء(١) وغيرها.

 إِنَّا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقَّ ﴾ إلا بسبب الحق الذي اقتضاء الدليل. من الإيمان والطاعة، أو البعث والجزاء. أو بالأمر والنهي، والتمييز بين المحسن والمسيء. .

 (وَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَطْلُمُونَ ﴾ صحّة ما قلناه، لعدولهم عن النظر فيه والاستدلال على صحّة ما

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ فصل الحقّ عن الباطل. أو المحقّ عن العبطل بالجزاء. أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبّائه. ﴿ مِيقَاتُهُمْ﴾ وقت موعدهم ﴿ اجْمَعِينَ ﴾ وهو يوم القيامة.

ولمّا ذكر سبحانه أنّ يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه، بيّن أيّ يوم هو. فقال:

﴿ يَوْمَ لَا يَغْنِي ﴾ بدل من «يوم الفصل» أو صفة لد «ميقاتهم». أو ظرف لما دلّ عليه «الفصل» لا له، للفصل. تقديره: يفصل الحقّ من الباطل يوم لا يدفع عذاب الله. ﴿ مَوْلِيّ ﴾ هو الصاحب الذي من شأنه أن يتولّى معونة صاحبه على أموره. من قريب وحليف وغيرهما متن هذه صفته ﴿ عَنْ مَوْلِيّ ﴾ أيّ مولى كان ﴿ شَيْئا ﴾ من الإغناء، أي: قليلاً منه ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ الضمير لد مولى » الأوّل باعتبار المعنى، لأنّه في المعنى كثير، لتناول اللفظ على الإيهام والشياع كلّ مولى.

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ١٦.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ الله ﴾ رحمة بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه، من فسّاق أهـل الإيمان. وشفعاؤهم الأنبياء والأوصياء وصلحاء المؤمنين. ومحلّه الرفع على البدل من الواو، أي: لا يمنع من العذاب إلّا من رحمه الله. أو النصب على الاستثناء. ﴿إِنّهُ هُوَ الْغَرِيزُ ﴾ لا ينصر منه من أراد تعذيبه ﴿الرَّحِيمُ ﴾ لمن أراد أن يرحمه.

إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ﴿ ٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿ ٤٤﴾ كَالْمُهُلِ يَعْلِي فِي الْبَطُونِ ﴿ ٤٥﴾ كَثْلَي الْحَدِيمِ ﴿ ٤٧﴾ ثُمَّ صُبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَدِيمِ ﴿ ٤٨﴾ ذُقُ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿ ٤٨﴾ ذُقُ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿ ٤٨﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُتُم بِهُ تَشْرُونَ ﴿ ٥٠﴾

ثمّ وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين، فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ ﴾ قد سبق تفسيره في سورة الصّافّات (١). وقد مرّ فيها أيضاً أنّ ابن الزبعرى قال: إنّ أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزمّم، فدعا أبو جهل بتمر وزبد وقال: تزمّوا، فإنّ هذا هو الّذي يخرّفكم به محمّد. فنزلت: «إنّ شـجرة الزمّوم». ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ الفاجر الكثير الآثام. والمراد به الكافر، لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ وهو ما يمهل في النارحتى يذوب، من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضّة. وقيل: درديّ (٢) الزيت. ﴿ يَعْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ إذا حصلت في أجواف أهل النار. وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء، على أنّ الضمير للطعام أو الزقوم لا للمهل، إذ الأظهر أنّ الجملة حال من أحدهما، لأنّ المهل إنّما ذكر للتشبيه

<sup>(</sup>١) راجع ج ٥ ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥، ذيل الآية: ٦٢ من سورة الصافّات.

<sup>(</sup>٢) الدُرْديُّ من الزيت ونحوه: الكدر الراسب في أسفله.

به في الذوب ﴿كَفَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ غلياناً مثل غلي الحميم. وهو الماء الحارّ الّذي انتهى غليانه.

ثمّ يقال للزبانية: ﴿ خُذُوهُ فَاغَتِلُوهُ ﴾ فجرّوه. والعتل: الأخذ بمجامع الشيء وجرّه بقهر. وعن مجاهد: جرّوه على وجهه. وقرأ الحجازيّان وابن عامر ويعقوب بالضمّ. وهما لغتان. ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الْمُجِيمِ ﴾ وسطه. سمّي وسط الشيء سواءً. لاستواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به. والسواء العدل.

﴿ ذُمُّ صُبُّوا قَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ كان أصله: يصبٌ من فوق رؤوسهم الحميم، لأنّ الحميم حقيقة هو المصبوب لا عذابه. فقيل استعارة: يصبٌ من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة. ثمّ أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف. وزيد «من» للدلالة على أنّ المصبوب بعض هذا النوع، فيكون أهول وأهيب.

وعن مقاتل: إنّ خازن النار يمرّ به على رأسه، فيذهب رأسه عن دماغه، ويقول له استهزاءً وتقريعاً على ما كان عليه من التعزّز والتكرّم على قومه: ﴿ ذُقَ ﴾ أي: ذق هذا المذاب الشديد ﴿ إِنَّكَ الْفَدَالِينُ الْعَزِينُ الْعَرِيبُ ﴾ على قومك، أو على زعمك.

وروي: أنّ أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها \_ يعني: جبلي أبي قبيس وثور \_ أعزّ ولا أكرم منّي، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربّك أن تفعلا بي شيئاً. وقيل: إنّك أنت الذليل المهين، إلّا أنّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به.

وقرأ الكسائي: أنّك بالفتح، أي: ذق لأنّك، أو عذاب أنّك. وعن الحسن بن على ﷺ: أنّه قرأ بفتح «أنّك» على المنبر.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينِ ﴿٥١﴾ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونِ ﴿٢٥﴾ يُلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبُرَقٍ مُّتَقَالِلِينَ ﴿٣٣﴾ كَذَلَكَ وَزَوَجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٤١﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةِ آمَنِينَ﴿٥٠﴾ لاَ يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمُ﴿٦٥﴾ فَضْلاً مِن رَّبِكَ ذَلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمَظٰيمُ﴿٧٥﴾ فَإِنَّمَا يَسَرُنَاهُ لِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهِم شُرَقَتُبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إنّ هذا العذاب ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَعْتَرُونَ﴾ تشكّون وتمارون فيه.

وبعد ذكر وعيد الكافرين المعاندين، وعد المؤمنين المطيعين، فقال: ﴿إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ في موضع القيام. والمراد المكان. وهو من الخاصّ الذي وقع
مستعملاً في معنى العموم، أي: في جميع الأمكنة وإن لم يكن ثئة قيام. وقرأ نافع
وابن عامر بضمّ الميم. وهو موضع الإقامة. ﴿أمينِ ﴾ يأمن صاحبه عن الآفة
والانتقال. من قولك: أمن الرجل أمانة فهو أمين. وهو ضدّ الخائن. فوصف بــه
المكان استعارة، لأنّ المكان المخيف كأنّما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره.
﴿فِي جَنْاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من «مقام» جيء به للدلالة على نزاهته، واشتماله

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ بدل من «مقام» جيء به للدلالة على نزاهته، واشتماله على ما يستلذّ به من المآكل والمشارب.

﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسِ وَإِسْ قَبْرَقٍ ﴾ خبر ثانٍ. أو حال من الضمير في الجارّ والمجرور. أو استثناف. والسندس ما رقّ من الحرير. والاستيرق ما غلظ منه. وهو تعريب استبر. وإذا عرّب خرج من أن يكون عجميّاً، لأنّ معنى التعريب أن يجعل عربيًا بالتصرّف فيه، وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على أوجه الإعراب، فلا يلزم أن يقع في القرآن العربيّ المبين لفظ أعجميّ. وقيل: هو مشتق من البراقة. فعربيً محض. ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ في مجالسهم، ليستأنس بعضهم ببعض. وقيل: متقابلين بالمعجبة، لا متدابرين بالبغضة.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ الأمر كذلك. أو آتيناهم مثل ذلك. ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾

٢٩٤ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

قرنّاهم بهنّ. ولذلك عدّي بالباء. والحور جمع الحوراء، بمعنى البيضاء. والعين جمع العيناء، بمعنى عظيمة العينين. واختلف في أنّهنّ نساء الدنيا أو غيرهنّ.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلُّ فَاكِهَةٍ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه. لا يتخصّص شيء منها بمكان ولا زمان ﴿آمِنِينَ﴾ من نفادها ومضرّتها.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأَوْلَىٰ ﴾ بل يحيون فيها دائماً. والاستثناء منقطع أو متصل. والضمير للآخرة. والموت أوّل أحوالها. أو الجنّة، والموت، يشاهدها عنده، فكأنّه فيها. أو الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت، فكأنّه قال: لا يذوقون فيها الموت إلّا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل. فهو من باب التعليق بالمحال. وشبّه الموت بالطعام الذي يذاق ويتكرّه عند المذاق، ثمّ نفى أن يكون ذلك في الجنّة.

وإنّما خصّهم بأنّهم لا يذوقون الموت. مع أنّ جميع أهل الآخرة لا يذوقون الموت، لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنّة، فأمّا من يكون فيما هو كالموت في الشدّة، فإنّه لا يطلق له هذه الصفة، لأنّه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة.

﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ وصرف عنهم عذاب النار. وهذه الآية مختصة بمن لا يستحق النار فلا يدخلها، أو بمن استحق النار فتضل الله عليه بالعفو فلم يدخلها، ويجوز أن يكون المراد: ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد، أو على الوجه الذي يعذّب عليه الكفّار. وعلى أحد هذه الوجوه؛ ليس للمعتزلة أن يتمسّكوا بها على أنّ الفاسق الملّي لا يخرج من النار، لأنّه يكون قد وقي النار.

 ﴿ فَإِنْمَا يَشُوْنَاهُ بِلِسَائِكَ ﴾ سهلناه حيث أنزلناه بلغتك. وهو فذلكة للسورة. ومعناها: ذكّرهم بالكتاب المبين. ﴿ لَمَعَلَهُمْ يَتَذَكّرُونَ ﴾ إرادة أن يمفهمه قومك، فيتذكّروا ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد. فلمّا لم يتذكّروا به ﴿ فَازِنَقِبْ ﴾ فانتظر ما يحلّ بهم من عذاب الله ﴿ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ منتظرون ما يحلّ بك، متربّصون بك الدوائر.

And the second of the second o exist and the second second second second second the state of the s



## سورة الجاثية

وتسمّى أيضاً سورة الشريعة، لقوله فيها: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَمَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْوِ﴾(١).

وهي مكّيّة. وآيها سبع وثلاثون آية، كوفي.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ حم الجاثية سـتر الله عــورته. وسكّن روعته عند الحساب».

وروى أبو بصير. عن أبي عبدالله على قال: «من قرأ سورة الجائية كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً. ولا يسمع زفير جهنّم ولا شهيقها. وهو مع محمّد ﷺ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكَابِ مِنَ اللّهِ الْمَزيِزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خُلْفَكُمُ وَمَا يُبِثُ مِن دَآبَةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوثِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتَالَافِ اللَّيلِ وَالنَهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رَزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِفِ الرِّياحِ آيَاتٌ لِمَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

<sup>(</sup>١) الجاثية: ١٨.

ولمّا ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن، افتتح هذه السورة أيـضاً بذكره، فقال:

﴿ بِسَمِ اللهِ الدُّحَفِ الرَّحِيمِ حَمّ ﴾ إن جعلتها اسماً مبتدأ، وخمبرها ﴿ تَعنزِيلُ الْحَبَابِ ﴾ احتجت إلى إضمار مثل: تنزيل حم. وإن جعلتها تعديداً للحروف، كان «تنزيل» مبتدأ خبره ﴿ مِنَ اللهِ القَالِمِ اللهِ يَا اللهُ لِلْ يَعْالَب ﴿ الْمَحْكِيمِ ﴾ العالم الذي أفعاله كلّها حكمة وصواب، وعلى الأول الجارّ صلة للتنزيل.

وقيل: «حم» مقسم به، و«تنزيل الكتاب» صفته، وجواب القسم ﴿إِنَّ فِي السَّمْوَاتِ﴾ وهو يحتمل أن يكون على ظاهره الذوات. وأن يكون المعنى: إنَّ في خلق السماوات ﴿وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ لدلالات واضحات على أنَّ لهما مدبّراً صانعاً قادراً عالماً ﴿لِلْمُوْمِنِينَ﴾ المنتفين بالآيات.

ويؤيّد الاحتمال الثاني قوله: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَئِثُ مِنْ دَائِهِ ﴾ عطف على «خلقكم». ولا يحسن عطفه على الضمير المجرور، لأنّهم استقبحوا أن يقال: مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو.

ولا شبهة أنَّ في بتَّ الدوابِّ وتنوَّعها ومنافعها، والمقاصد المطلوبة منها في المعاش ﴿آيَاتُ﴾ دلائل على وجود الصانع المختار ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون علم اليقين بالتفكر والتدبر. ورفعه محمول على محلِّ «إنّ» واسمها.

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملاً على الاسم، كقولك: إنَّ زيداً في الدار وعمراً في السوق، أو عمرو في السوق.

﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّهِلِ وَالنَّهَارِ﴾ وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئهما على وتبيرة واحدة. أو في اختلاف حالهما من الطول والقصر. أو في اختلافهما في أنّ أحدهما نور والآخر ظلمة.

﴿ وَمَا أَنزُلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ رِزْقٍ ﴾ من مطر. وستّاه رزقاً لآنه سببه. ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مُوْتِهَا ﴾ يبسها.

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها. وقرأ حمزة والكسائي:

وتصريف الريح. ﴿ آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فيه القراءتان. ويلزمهما العطف على عاملين مختلفين، وهما: «في » والابتداء، أو «إنّ». وهذا على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه. وقد أباه سيبويه. فتوجيه الآية عنده أن يكون على إضمار: في، أو ينصب «آيات» على الاختصاص، أو يرفع بإضمار: هي.

ولعل اختلاف الفواصل لاختلاف الآيات في الدقية والظهور، فبإنّ معنى الآيات الثلاث أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السماوات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة، وأنّه لا بدّ لها من صانع، فآمنوا بالله وأقرّوا. فبإذا نظروا في خلق أنفسهم، وتنقّلها من حال إلى حال، وهيئة إلى هيئة، وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان، ازدادوا إيماناً وأيقنوا، وانتفى عنهم اللبس. فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدّد في كلّ وقت، كاختلاف الليل والنهار، ونزول الأمطار، وحياة الأرض بها بعد موتها، وتصريف الرياح جنوباً وشمالاً، وقبولاً ودبوراً، عقلوا واستحكم علمهم، وخلص يقينهم.

تُلك آيَاتُ اللّه تُتُلُوهَا عَلَيْك بِالْحَقِّ فَبَأَيِّ حَدِيث بَعْدَ اللّه وَآيَاتِه يُؤْمِنُونَ ﴿ ٢ ﴾ وَبِيلٌ لَكُلِّ أَفَاكِ أَشِمٍ ﴿ ٧ ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللّه تُتَلَى عَلَيْه ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكُبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعُهَا فَبَشَرُهُ بِعَذَاب أَلِيمٍ ﴿ ٨ ﴾ وَإِذَا عَلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا تَخَذَهَا هُزُونًا أُولِيَكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿ ٩ ﴾ مِن وَرَآهِمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يُغْنِي عَنْهُم مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلاَ مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ اللّه أُولِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ ١٠ ﴾ هَذَا هُدًى وَالّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِن رَجْزٍ أَلِيمٌ ﴿ ١٠ ﴾

٣٠٠ ..... زيدة التفاسير ــ ج ٦

ولمّا قدّم سبحانه ذكر الأدلّة ، عقّب ذلكِ بالوعيد لمن أعرض عنها ولم يتفكّر فيها، فقال:

﴿ بَلْكُ آيَـاتُ اللهِ ﴾ أي: تلك الآيات دلائله الّتي نصبها للـ مكلّفين ﴿ مَتَلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ حال، وعاملها معنى الإشارة ﴿ بِالْحَقّ ﴾ ملتبسين به، أو ملتبسة به ﴿ فَبِائِي مَنْدِيثِ بَعْدَاللهِ وَآيَاتِهِ يُوْمِنُونَ ﴾ أي: بعد آياته. وتقديم اسم «الله » للمبالغة والتعظيم، كما في قولك: أعجبني زيد وكرمه، تريد: أعجبني كرم زيد، أو بعد حديث الله، وهو القرآن، كقوله: ﴿ اللهُ نُزُلُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ﴾ (١٠). وآياته دلائله المتلوّة، أو القرآن، والعطف لتغاير الوصفين، فإنّ الحديث قصص يستخرج منه عبر تبيّن الحق من الباطل، والآيات هي الأدلّة الفاصلة بين الصحيح والفاسد. وقرأ الحجازيّان وحفص وأبو عمر و وروح: يؤمنون بالياء، ليوافق ما قبله.

﴿ وَيْلَ ﴾ كلمة وعيد يتلقّى بها الكفّار ومستحقّوا العذاب. وقيل: هو وادٍ سائل من صديد جهنّم. ﴿ لِكُلُّ أَفَّالُ ﴾ كذّاب. ويطلق ذلك على من يكثر كذبه، أو يعظم كذبه، وإن كان في خبر واحد، ككذب مسيلمة في ادْعاء النبوة ﴿ أَثِيم ﴾ كثير الآثام.

﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ ﴾ آيات القرآن الّتي فيها الحجّة ﴿ تُتُلَّنَى عَلَيْهِ ثُمُ يُصِرُ ﴾ يقيم على كفره ﴿ مُسْتَكْبِوا ﴾ عن الإيمان بالآيات، مزدرياً لها، معجباً بما عنده، و«ثم» للاستبعاد والاصرار بعد سماع الآيات، كقوله: يرى غمرات الموت ثمّ يزورها(١٧). وذلك أنّ غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها، وأمّا

<sup>(</sup>١) الزمر: ٢٣.

<sup>(</sup>٢) لجعفر بن علبة الحارثي. وصدره:

لا يكشف الغمَّاءَ إلَّا ابن حرَّة يرى غمرات .....

وابن حرّة كناية عن الكريم. والفّعاء: الداهية. وغمرات الموت: شدانده، كأحوال المعركة الشديدة. وعطف ب«ثمّ» لما في لقاء الأهوال والفمرات وزيارتها بعد رؤيتها من الاستنماد.

زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد. فمعنى «ثمّ» الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع. وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحقّ، من تليت عليه وسمعها، كان مستبعداً في العقول إصراره على الضلالة عندها، واستكباره عن الإيمان بها.

﴿ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: كأنّه، فخفّفت وحذف ضمير الشأن. والجملة في موضع الحال، أي: يصرّ مثل غير السامع. ﴿ فَبَشِّرُهُ بِعَذَابِ البِيمِ﴾ على إصراره. والبشارة للتهكّم، أو على الأصل، فإنّها ما يظهر أثره على البشرة مهما كان، وإن غلب استعماله في السرور.

قيل: نزلت في النضر بن الحارث. وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم. ويشغل الناس بها عن استماع القرآن. والآية عامّة في كلّ من كان مضارًاً لدين الله.

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْنَا﴾ وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنّه منها ﴿ اتَّخَذَهَا هُرُوا﴾ لذلك العلم، من غير أن يرى فيها ما يناسب الهزء، وليري العوام أنّه لا حقيقة لها، كما فعله أبو جهل حين سمع قوله: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ (١). أو كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس. والضمير الاآياتنا». ولم يقل: اتّخذه راجعاً إلى «شيئاً» \_كما هو مقتضى الظاهر \_ إشعاراً بأنّه إذا سمع كلاماً وعلم أنّه من الآيات، بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلّها، ولم يقتصر على ما سمعه، لفرط العناد والتوغّل في اللجاج. أو الضمير راجع إلى «شيئاً» وتأنيثه لأنّه بمعنى الآية.

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ من قدّامهم، لأنّهم متوجّهون إليها. أو من خلفهم، لأنّها بعد آجالهم، فإنّ الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدّام. ﴿ وَلاَ يَشْفِينَ ﴾ ولا يدفع ﴿ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ﴾ من الأموال والأولاد

<sup>(</sup>١) الدخان: ٤٣ \_ ٤٤.

٣٠٢ ..... زيدة التفاسير \_ج ٦

﴿ شَيْئا﴾ من عذاب الله ﴿ وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: الأصنام ﴿ وَلَـ هُمْ عَذَابٌ عَلِيمٌ ﴾ لا يتحمّلونه.

﴿ هَذَا هُدى ﴾ الإشارة إلى القرآن، أي: هذا القرآن كامل في الهداية. كما تقول: زيد رجل، تريد: كامل في الرجوليّة. ويدلّ عليه قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفُرُوا بِآيَاتِ وَرُبِّهِمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ الِيمُ ﴾. وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع «أَلِيمٌ». والرجز أشدّ العذاب.

اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبَنُّوا مِن فَضُلِهِ وَلَعَلَّكُمُ تَشْكُرُونَ ﴿٢٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾

ثمّ نبّه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده، فقال:

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ ﴾ بأن جعله أملس السطح ، يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ، ولا يمنع الغوص فيه ﴿لِبَحْدِي الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها ﴿ وَلِتَبْتِغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ولتطلبوا بركوبها في أسفاركم من الأرباح ، بالتجارة وغوص اللآلىء والجواهر وصيد اللحم الطريّ ، وغير ذلك من المنافع ﴿ وَلَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم.

﴿ وَسَخْرَ لَكُمْ مَا فِي الشَّمْوَاتِ ﴾ من الشمس؛ والقسر، والنجوم، والسطر، والسلح، والباتات، والنباتات، والباتات، والحيوانات ﴿ جَمِيعاً ﴾ خلقها جميعاً لانتفاعنا بها، فهي مسخّرة لنا من حيث إنّا ننتف بها على الوجه الذي نريد، ﴿ مِنْهُ ﴾ حال من «ما» أي: كائنة منه، حاصلة من

سورة الجاثية. آية ١٤ ــ ١٥ ..........٣٠٣

عنده. يعني: أنّه مكوّنها وموجدها بقدرته وحكمته، ثمّ مسخّرها لخلقه. ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هي جميعاً منه. أو خبر لـ«مـا فـي السـموات». و«سخّر لكم» تكرير للتأكيد. ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَقَعُّرُونَ﴾ في صنائعه.

قُل لَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَامَ اللَّه لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِكُمُ تُرْجِعُونَ ﴿١٥﴾

ولمّا بيّن وحدانيّته وعلمه وحكمته، خاطب نبيّه ﷺ، فقال:

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَفْقِرُوا﴾ حذف المقول لدلالة الجواب عليه. والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا، أي: يصفحوا. ﴿ لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ الشِّ﴾ لا يتوقّعون وقائمه بأعدائه. من قولهم: أيّام العرب لوقائمهم. أو لا يأملون الأوقات الّي وقّتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها. قيل: إنّها منسوخة بآية القتال(١٠). ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَضْبِبُونَ ﴾ علّة للأمر. والقوم هم المؤمنون، أو الكافرون، أو كلاهما. فيكون التنكير للتعظيم، أو التحقير، أو الشيوع. والكسب: المغفرة، أو الإساءة، أوما يعمّهما. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: لنجزي بالنون.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً﴾ طاعة وبراً ﴿ فَلِنَفْسِهِ ﴾ إذ ثواب ذلك العمل عائد إليه ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ إذ وبال إساءته وعقابه عليه ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم التيامة إلى حيث لا يملك أحد النفع والضرّ والنهي والأمر غيره سبحانه، فيجازيكم على قدر أعمالكم.

<sup>(</sup>١) التوبة: ٥ و ٢٩.

وَلَقَدُ أَثَيْنَا بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ الْكَتَابَ وَالْحُكُمُ وَالْنَبُوَّةُ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَیْنَاهُم بَیْنَات مِنَ الأَسْرِ فَمَا الطَّیْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ بَیْنَا بَیْنَهُمْ اِنَّ رَبَّكَ یَشْضِی بَیْنَهُمْ یُومَ الْعَیْامَة فِیمَا كَانُوا فَیه یَخْلَفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِیعَة مِنَ الْأَسْ الْقَیَامَة فِیمَا كَانُوا فَیه یَخْلَفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِیعَة مِنَ الْأَسْ فَاتَبِهُهَا وَلاَ تَنْبِعُ أَهْوَا عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَیئًا واِنَ الظَّالِمِینَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیَا مِعْضِ وَاللّهُ وَلِیُ الْمُتَّقِینَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَآئُولُ لِنَاسٍ وَهُدَدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ مُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

ولمّا تقدّم ذكر النعم ومقابلتهم إيّاها بالكفران والطغيان. بيّن عقيب ذلك ذكر ماكان من بني إسرائيل أيضاً في مقابلة النعم بالكفران. فقال:

﴿ ولَقَذْ آقَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعِتَابَ ﴾ التوراة ﴿ وَالْحُكُمْ ﴾ والحكمة النظرية والعملية في الدين. أو فصل الخصومات. ﴿ وَالنَّبُووَةَ ﴾ إذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثروا في غيرهم. وقد روي أنّه كان فيهم ألف نبيّ. ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطّيّبَاتِ ﴾ مثا أحل ألله لهم من أنواع الأرزاق ﴿ وَقَضّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ على عالمي زمانهم، حيث آتيناهم ما لم نوت غيرهم.

وقيل: فضّلناهم في كثرة الأنبياء منهم عملى سائر الأمم. وإن كمان أمّة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيفين المخبتين الأخيار مـن آله، وكـثرة المطيعين لله والمجتهدين العلماء فيهم. وهذا كما يقال: هذا أفضل في علم النحو، سورة الجاثية، آية ١٦ ــ ٢٠ ...............

وذاك في علم الفقه. والفضل الخير الزائد على غيره. فأمَّة محمَّد ﷺ أفضل بفضل محمَّد وآله، وكثرة العلماء الراسخين منهم.

﴿ وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتِ مِنَ الْأَمْرِ ﴾ أَدلَة في أمر الدين. ويندرج فيها المعجزات. وقيل: آيات من أمر النبي الله الأمر ﴿ إِلّا مِنْ أَيْنَا مِنْ أَمُ النبي الله الأمر ﴿ إِلّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ ما هو موجب لزوال الخلاف. وهو العلم بحقيقة الحال. ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ عداوة وحسداً، وطلباً للرئاسة، وأنفة من الإذعان للحق ﴿ إِنْ رَبُّكَ يَقْضِي بِنْنَهُمْ فِيْمُ الْفِيمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَفْتَهُونَ ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة له.

﴿ فَمُ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَوِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ﴾ على طريقة ومنهاج من أمر الدين بعد موسى وقومه، فإنّ الشريعة السنّة التي من سلك طريقها أدّته إلى البغية، كالشريعة التي هي طريق إلى الماء. فهي علامة منصوبة على الطريق \_ من الأمر والنهي \_ يؤدّي إلى الجنّة، كما يؤدّي ذلك إلى الوصول إلى الماء.

﴿ فَاتَّبِعْهَا﴾ فاتّبع شريعتك الثابتة بالحجج، واعمل بها ﴿ وَلَا تَتَبِعْ أَهْوَآءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ آراء الجهّال التابعة للشهوات، من أهل الكتاب الذين غير وا السوراة اتّباعاً لهواهم، وحبّاً للرئاسة، واستتباعاً للعوام.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا﴾ لن يدفعوا ﴿عَنْكَ مِنَ اللهِ من عذابه ﴿شَيْنَا﴾ ممّا أراد بك إن اتبّعت أهواءهم ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ إذ الجنسية علّة الضمّ، فلا توالهم باتّباع أهوائهم ﴿ وَاللهُ وَلِئُي المُتَّقِينَ ﴾ ناصرهم وحافظهم. فلا تشغل قالبك بتناصرهم وتعاديهم عليك، فإنّ الله ينصرك ويحفظك. فواله بالتقى واتّباع الشريعة.

﴿ هَذَا﴾ أي: القرآن، أو اتباع الشريعة ﴿ بَصَائِنُ لِلنَّاسِ ﴾ بيتات تبصرهم أمور دينهم. جعل سبحانه ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعله روحاً وحياة ﴿ وَهُدى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَة ﴾ ونعمة من الله ﴿ فَوَرَحْمَة ﴾ ونعمة من الله ﴿ فَوَرَحْمَة ﴾

أُمْ حَسبَ الَّذِينَ آجْتَرَحُوا السَّتِيَّاتِ أَن تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَملُوا السَّيَاتِ أَن تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَملُوا السَّمَاوَاتِ سَوَاَءٌ مَّحْيَاهُم وَمَمَا ثُهُمْ سَاءً مَا يَحْكُنُونَ ﴿٢١﴾ وَحَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأُتِ مَنِ النَّحَدَ إَلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى علْمٍ وَحَتَم عَلَى سَمْعِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ فَهَن يَهْدِيْهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾

ثمّ قال سبحانه للكفّار على سبيل التوبيخ لهم: ﴿ أَمْ حَسِبُ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيْفَاتِ ﴾ «أَم » منقطعة، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان، والاجتراح: الاكتساب، ومنه: الجوارح، وفلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، ﴿ أَن تَجْعَلَهُمْ ﴾ أن نصيرهم ﴿ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي: مثلهم، وهو ثاني مفعولي «نجعل». والجملة التي هي قوله: ﴿ سَوَاءَ مَثْيَاهُمْ وَمَقَاتُهُمْ ﴾ بدل من الكاف، لأنّ الجملة تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حكم المفرد، ألا ترى لو قلت: أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم، كان سديداً، كما تقول: ظننت زيداً أبوه منطلق.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: سواءً بالنصب \_ بمعنى: مستوياً \_ على البدل. ومحياهم ومماتهم على العال من المدل. وعلى الحال من الضاحية. والكاف حال.

والمعنى: إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محياً، وأن يستووا مماتاً، الافتراق أحوالهم أحياءً، حسيث يسنصر الله المؤمنين في الدنسيا، ويسمكنهم مسن المشركين، ولا ينصر الكافرين، ولا يمكّنهم من المسلمين، وينزّل الملائكة عسند الموت على المؤمنين بالبشرى، وعلى الكافرين بضرب وجوههم وأدبارهم. أو حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات، وأولئك على ركوب المعاصي، ومات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه، وأولئك على البأس من رحمة الله والوصول إلى أعدّ لهم.

وقيل: معناه إنكار أن يستووا في الصمات كما استووا في الحياة. لأنّ المسيئين والمحسنين مستوٍ محياهم في الرزق والصحّة. وإنّما يفترقون في الممات.

وقيل: سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف، على معنى: أنَّ محيا المسيئين ومماتهم سواء، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم، فإنَّ كلاً يموت على حسب ما عاش عليه، فلا يكون حال هؤلاء مساوية لهؤلاء.

وقيل: الضمير للكفّار. والمعنى: أنّهم يتساوون محياً ومماتاً، لأنّ الحيّ متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميّت.

﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ساء حكمهم هذا. أو بئس شيئاً حكموا به ذلك.

وعن تميم الداري: أنَّه كان يصلِّي ذات ليلة عند المقام، فبلغ هـذه الآيـة، فجعل يبكي ويردّدها إلى الصباح.

وعن الفضيل: أنّه بلغها فجعل يردّدها ويبكي ويقول: يا فضيل، ليت شعري من أيّ الفريقين أنت.

﴿ وَخَلَقَ اللهُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ مِالْحَقِّ ﴾ أي: لم يخلقهما عبثاً، وإنّما خلقهما لنفع خلقه، بأن يكلّفهم ويعرّضهم للثواب الجزيل. وهذا كالدليل عملى الحكم السابق، من حيث إنّ خلق ذلك بالحقّ المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم، والتفاوت بين المسيء والمحسن في المحيا وبعد الممات.

﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عطف على «بالحقّ» لأنّه في معنى الملّة. أو على علّة محذوفة، مثل: ليدلّ بها على قدرته، أو ليعدل ولتحزى. ﴿ وَهُمْ لَا يُطْلُمُونَ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب. ٣٠٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ أَفَرَائِتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَـوَاهُ ﴾ بأن يكون مطواعاً لهوى النفس، يتبع كلّ ما تدعوه إليه، فيترك متابعة الهدى رأساً إلى مطاوعة الهوى، فلا يهوى شيئاً إلاّ ركبه، فكأنّه يعبده كما يعبد الرجل إلهه ﴿ وَاضْلَهُ اللهُ ﴾ وخذله وخلاه ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ عالماً بأنّ اللطف لا يجديه، ويستحق التخلية والخذلان. أو مع علمه بوجوه الهداية. وإحاطته بأنواع الألطاف المحصّلة والمقرّبة.

﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ خذلاناً. فلا يبالي بالمواعظ، ولا يتفكّر في الآيات. ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْاوَةً ﴾ تخلية. فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار. ومرّ تفسير (١) الطبع والختم والإضلال والغشاوة غير مرّة. وقرأ حمزة والكسائي: غشوة.

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ من بعد إضلاله ومنع ألطافه. ﴿أَفَلَا تَذَكُّرُونَ﴾ أفلا تتّعظون بهذه المواعظ؟ وهذا استبطاء بالتذكّر منهم.

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَمَعْيَا وَمَا يُهْلِكُمَّآ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنَّ هَمْ إِلاَّ يَطْتُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا تُنْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيْنَات مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا يَطْتُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا تُنْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيْنَات مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَا يَقُوا بِآئِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قُلِ اللّهُ يُحْمِيكُمْ ثُمَّ يُعِجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمٍ الْفَيَامَةِ لاَ رَبِبَ فَيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النّاسِ لاَ مُمْلُكُونَ ﴿٢٤﴾

<sup>(</sup>١) راجع ج ١ ص ٦٠، ذيل الآية ٧ من سورة البقرة، وغيرها.

ثم أخبر سبحانه عن منكري البعث فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ ﴾ ما الحياة أو الحال ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا اللَّهْيَا ﴾ أي: نكون أمواتاً نطفاً وما قبلها، ونحيا بعد ذلك. أو نموت بأنفسنا، ونحيا ببقاء أولادنا. أو يموت بعضنا، ويحيا بعضنا. أو يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة. ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ، فإنّه عقيدة أكثر عبدة الأوثان.

﴿ وَمَا يُهْلَكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ إلَّا مرور الزمان. وهو في الأصل مدَّة بقاء العــالم. من: دهره إذا غلبه.

والمعنى: أنّهم قالوا: المؤثّر في هلاك أنفسنا ليس إلا مرور الزمان، وكرور الليالي والأيام. فينكرون ملك الموت، وقبضه الأرواح بأمر الله. وكانوا يضيفون كلّ حادثة تحدث إلى الدهر والزمان. وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان. ومنه قوله ﷺ: «لا تسبّوا الدهر، فإنّ الدهر هو الله». أي: فإنّ الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر.

﴿ وَمَا لَهُمْ مِدَلِكَ ﴾ بنسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلّق بها ﴿ مِنْ عِلْمِ ﴾ أي: ما يقولون ذلك عن علم، ولكن عن ظنّ وتخمين ﴿ إِنْ هُمْ إِلا يَتَطُنُونَ ﴾ إذ لا دليل لهم عليه، وإنّما قالوه بناءً على التقليد.

﴿ وَإِذَا تُثَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم. أو مبيّنات له. ﴿ مَا كَانَ حُجْتَهُمْ ﴾ ما كان لهم ما يتمسّك به في مقابلتها ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا انْتُوا بِآبَائِنَا ﴾ أي: أحيوهم حتّى نعلم أنّ الله قادر على بعثنا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وإنّما سمّاه حجّة وليس بحجّة، لأنّه في حسبانهم حجّة، فساقه مساقها. أو لأنّه في أسلوب قوله: تحيّة بينهم ضرب وجيم(١١) كأنّه قيل: إلّا ما ليس بحجّة.

<sup>(</sup>١) لعمرو بن معديكرب. وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل.

وتقدَّم شرحه في ج ٢ ص ٢٨٨.

٣١ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

والمراد نفي أن يكون لهم حجَّة ألبتَّة. فسمّيت حجَّة على سبيل التهكُّم.

وإنّما لم يجبهم الله إلى ذلك، لأنّهم إنّما قالوا ذلك متعنّين مقترحين، لا طالبين الرشد. ولهذا خاطب سبحانه نبيّه ﷺ رادًا عليهم قولهم بقوله: ﴿قُلِ اللهُ يُخْبِيعُهُ ﴾ في دار الدنيا، لأنّه لا يقدر على الإحياء أحد سواه ﴿ثُمُ يُبِيتُكُمُ ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمُ يَجِمْعُكُمُ إِلَى يَوْمِ القَيَامَةِ ﴾ بأن يبعثكم ويعيدكم أحياء ﴿لاَرْنِبَ فِيهِ ﴾ لقيام الحجّة على أنّ من قدر على فعل الحياة في وقت، قدر على فعلها في كلّ وقت، فلمّا كان يقدر على الإبداء، فلا ريب أنّه يقدر على الإعادة، بل كانت أهون عليه من الإبداء. وأيضاً الحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما مرّ مراراً، والوعد المصدّق بالآيات دلّ على وقوعها، وإذا كان كذلك أمكن الإتيان بآبائهم، لكنّ الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء.

﴿ وَلَكِنَّ الْخُقُولَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلّة تفكّرهم، وقبصور نظرهم على ما يحسّونه.

لاَ رثيبَ فيهَا قُلْتُم مَّا نَدُرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُ إِلاَّ ظَنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقَنِنَ ﴿ ٣٢ ﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيَنَاتُ مَا عَملُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ٣٣ ﴾ وَقِيلَ الْيُومُ نَسَاكُمْ كَنَا نَسيتُمْ لِقَاءً يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَاْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن نَاصِرِينَ ﴿ ٣٤ ﴾ ذَلَكُم بِأَنكُمُ اتَّخَذُتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَغَزَّنكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لاَ يُحْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَغْتُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ فَلله الْحَمْدُ رَبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ وَرَبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُو الْخَرِيرُ الْحَكِيمُ ﴿ ٣٧ ﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُو الْخَرِيرُ الْحَكِيمُ ﴿ ٣٧ ﴾

﴿ وَيشِهُ مُلْكُ السَّمُوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعميم المقدرة بعد تخصيصها ﴿ وَيَوْمَ تَـقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المَّالَةِ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المَّادُونَ عن الحقّ الفاعلون للباطل يوم تقوم الساعة. و «يومئني» بدل منه.

﴿ وَتَزَىٰ كُلُّ اللهِ جَالِيَةُ ﴾ مجتمعة. من الجثوة، وهي الجماعة. وجمعها: جُئيّ. وفي الحديث: «من جُئّى جهنّم» (١١). أو باركة مستوفزة (١٦) على الركب. ﴿ كُلُّ المّهٍ تَدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ﴾ صحائف أعمالها. فاكتفى باسم الجنس، كقوله: ﴿ وَوَضِعَ الْحِتَابُ

 <sup>(</sup>١) هذه قطعة من حديث الحرث بن الحرث الأشعري قال: «قال رسول الله ﷺ: من دعا بدعوى الجاهليّة فإنّه من جُنّى جهنّم ...»: وجُنّى جمع الجَنْوَة، وهي: الحجارة المجموعة.
 انظر مسند أحمد ٤: ١٣٠.

<sup>(</sup>٢) استوفز في قعدته: قعد غير مطمئنٌ ، كأنَّه يتهيَّأ للوثوب.

فَتَرَى الْمُخْدِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ (١٠. وقرأ يعقوب: كُلَّ، على أنَّه بدل الأولى. و«تُدُعىٰ» صفة، أو مفعول ثانٍ. ﴿ النَّفِرَهُ تُخْزَقِنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سحمول على القول، تقديره: يقال لهم هذا القول. وإضافة الكتاب إليهم للملابسة، فإنَّ أعمالهم مثبتة فيه. وقيل: العراد كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عمَّا عملوا به.

﴿ هَذَا كِتَابُنَا﴾ أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه، لأنّه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم ﴿ يَنْظِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان ﴿ إِنَّا كُنّا نَسْتَنسِيعُ﴾ نستكتب الملائكة ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْنَلُونَ﴾ أعمالكم.

وعن ابن عبّاس: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، يشهد بما قضي فيه من خير وشرّ. وعلى هذا: فيكون معنى «نستنسخ»: أنّ الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوّن عنده من أحوال العباد، من الكافرين والمؤمنين.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ في جنته ﴿ ذَلِكَ هُوَ القُوزُ الْمُهِينُ ﴾ الفلاح الظاهر ، لخلوصه عن الشوائب.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفُرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ أي: فيقال لهم: ألم يأتكم رسلي، فلم تكن آياتي ﴿ تُتَلَى عَلَيْكُمْ ﴾ فحذف القول والمعطوف عليه، اكتفاءً بالمقصود، واستغناءً بالقرينة ﴿ فَاسْتَغْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان بها، وتعظّمتم عن قبولها ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ ﴾ أي: كافرين، كما قال: ﴿ أَفَتُجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٧).

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ ﴾ يحتمل الموعود به، أي: ما وعد الله به من الثواب والمقاب. أو المصدر. ﴿ حَقَّ ﴾ كائن هو أو متعلّقه لا محالة ﴿ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا ﴾ في حصولها. إفراد للمقصود، عطفاً على محلّ «إنّ» واسمها. وقرأ حمزة بالنصب، عطفاً على اسمها.

<sup>(</sup>١) الكهف: ٤٩.

<sup>(</sup>٢) القلم: ٣٥.

﴿ قُلْتُمْ مَا نَدُوي مَا السَّاعَةُ ﴾ أيّ شيء الساعة ؟ استغراباً لها ﴿ إِن نَظَنُ إِلّا طَنَا ﴾ أصله: نظن ظناً، فأدخل حرفا النفي والاستثناء لإثبات الظنّ ونفي ما عداه، كأنّه قال: ما نحن إلّا نظن ظنّاً. أو لنفي ظنّهم فيما سوى ذلك مبالغة. ثمّ أكّده بقوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَنِقِتِينَ ﴾ أي: لإمكانه.

﴿ وَبَدَا لَهُمَ ﴾ ظهر لهم ﴿ سَيِّنَاتُ مَا عَبِلُوا ﴾ على ماكانت عليه، بأن عـرفوا قبحها، وعاينوا وخامة عاقبتها. أو جزاؤها. وتسميته بها من قبيل ﴿ وَجَزَآءُ سَـيْنَةٍ سَيْنَةُ مِثْلُهَا ﴾ (١٠) ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَعُونَ ﴾ أي: جزاء استهزائهم.

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ ﴾ نترككم في العذاب ترك ما ينسى ﴿ كَمَا نَسْيِتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ كما تركتم مقتضى عدته، ولم تبالوا به، وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه، كمعنى إضافة المكر في قوله: ﴿ مَكْنُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (٣) أي: نسبتم لقاء جزاء الله في يومكم هذا. ﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ يخلصونكم منها، ويدفعونها عنكم.

﴿ ذَلِكُمْ بِانْتُكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُـزُوا﴾ استهزأتم بها، ولم تتفكّروا فيها ﴿ وَعَمَّرْتُكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيَا﴾ بحسنها وزينتها، فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿ فَالْيَوْمُ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضمّ الراء. ﴿ وَلا هُمْ يُسْتَغْتُبُونَ ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربّهم \_أي: يرضوه \_لفوات أوانه. يقال: أعتبني فلان، إذا عاد إلى مسرّتي راجعاً عن الإساءة.

﴿ فَيْشِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمْوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إذ الكلّ نعمة منه، ودالً على كمال قدرته، فاحمدوه، فإنّ مثل هذه الربوبيّة العامّة يوجب الحمد والثناء على كلّ مربوب.

<sup>(</sup>١) الشورى: ٤٠.

<sup>(</sup>۲) سبأ: ۳۳.

٣١٤ ...... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ وَلَهُ الْبَيْرِيَاةَ فِي السَّمْوَاتِ وَالْرَضِ ﴾ إذ ظهر فيها آثار كبريائه وعظمته. فكبروه، فإنّ حقّ مثله أن يكبّر ويعظّم، وفي الحديث: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في جهنّم». ﴿ وَهُـو الْمُويِدُ ﴾ المُفْرِيزُ ﴾ الله إلذي لا يغلب ﴿ الْمُحَيِمُ ﴾ فيما قدّر وقضى. فاحمدوه، وكبّروه، وأطبعوا له.



مكّيّة. قال ابن عبّاس وقتادة: إلّا آية منها نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ أَزَائِتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ (١) في عبدالله بن سلام.

وهي ځمس وثلاثون آية.

أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الأحقاف، أعطي من الأجر بعدد كلّ رمل في الدنيا عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيّتات، ورفع له عشر درجات».

وعن عبدالله بن أبني يعفور . عن أبي عبدالله على قال : «من قرأ كلّ ليلة أو كلّ جمعة سورة الأحقاف . لم يصبه الله بروعة في الدنيا . وآمنه من فزعه يوم القيامة».

## بِسُمِ اللَّهِ الرَّحْعَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تُنزيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَئِنَهُمَا ٓ اللّا إِلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمَّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا ۗ أَنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيُّم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا

<sup>(</sup>١) الأحقاف: ١٠.

مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شُرُكَ فِي السَّمَاوَاتِ أَتُّونِي بِكَتَابِ مِن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مَنْ عَلَمٍ إِن كُمْتُمْ صَادَقِينَ ﴿ ٤ ﴾ وَمَنْ أَضَلُ مِثَن يَدُعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقَيَامَة وَهُمْ عَن دُعَاتَهُمْ غَافلُونَ ﴿ ٥ ﴾ وَإِذَا حُشرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ ٦ ﴾ وَإِذَا تُتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ ٦ ﴾ وَإِذَا تُتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيْنَاتِ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا اللَّحَقِّ لَمَا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّينِنْ ﴿ ٧ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ بَنِيتَ قَلْ إِن آفَتُرْاتُهُ فَلَا تَمْلُكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ آتَوَاهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ ٨ ﴾

ولمّا ختم الله سورة الجاثية بذكر التوحيد. وذمّ أهل الشرك والوعيد. افتتح هذه السورة أيضاً بالتوحيد. ثمّ بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد، فقال:

﴿ بِسْمٍ اللهِ الرُّحْمٰنِ الرُّحِيمِ حَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْحَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ قد مر (١) تفسير ، ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا مِالْحَقَ ﴾ إلّا خلقاً ملتبساً بالحق. وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة. وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم، والبعث للمجازاة، على ما قررناه مراراً. ﴿ وَأَجَلِ مُسمَى ﴾ وبتقدير أجل مستى ينتهي إليه الكلّ . وهو يوم القيامة. أو أجل كلّ واحد. وهو آخر مدة بقائه المقدّرة له.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنذِرُوا﴾ أنذروه من هول ذلك اليوم الَّذي لابدٌ لكلَّ خلق من انتهائه إليه. ويجوز أن تكون «ما» مضدريّة. أي: عـن إنـذارهـم ذلك اليـوم.

<sup>(</sup>١) راجع ص ٢٩٨. ذيل الآية ٢ من سورة الجاثية.

﴿ مُغرِضُونَ﴾ عادلون عن أن يتفكّروا فيه، ويستعدّوا لحلوله.

﴿ فَلَ ﴾ لهؤلاء الكفرة ﴿ أَرْأَيْتُمْ مَا تَذْعُونَ مِن دُونِ اللهِ ﴾ من الأصنام ﴿ أَرُونِي مَا الْحَمَامِ ﴿ أَرُونِي مَا الْحَمَامِ اللهِ مَا الْحَمَامِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى السَّمْوَاتِ ﴾ أي: أخبروني عن حال آلهتكم بعد التأمّل فيها، هل يعقل أن يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم، فتستحق به العبادة ؟ وتخصيص الشرك بالسماوات احتراز عمّا يتوهّم أنّ للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفليّة .

﴿انْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ من قبل هذا الكتاب، يعني: القرآن، فإنّه ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك، فإنّه ما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحّة ما أنتم عليه من عبادة غير الله.

﴿ أَوْ اَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أَو بقيّة من علم بقيت عليكم من علوم الأولين. هل فيها ما يدلّ على استحقاقهم للعبادة ؟ من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم، أي: على بقيّة شحم كانت بها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَالِقِينَ ﴾ في دعواكم، أي: هاتوا إحدى هذه الحجج الثلاث. أولاها: دليل العقل. والثانية: الكتاب، والثالثة: الخبر المتواتر، فإذا لم يمكنكم شيء من ذلك فقد وضح بطلان دعواكم.

﴿ وَمَنْ أَضْلُ مِثْنَ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ ﴿ مَن الْجَنَّ وَالْإِنْسُ وَالْأُوتَانُ. ومعنى الاستفهام فيه: إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين، حيث تركوا عبادة السميع المجيب الخبير، القادر على تحصيل كلّ بغية ومرام، إلى عبادة ﴿ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لله ﴾ دعاءه، فضلاً أن يعلم سرائره، ويراعي مصالحه ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ ﴾ أي: أبداً ما دامت الدنيا ﴿ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ لأنّهم إمّا جمادات، وإمّا عباد مشتغلون بأحوالهم.

﴿ وَإِذَا حُشِيرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَأَهُ ﴾ يضرّونهم ولا ينفعونهم، كقوله تـعالى:

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدَا ﴾ ( وَكَانُوا ﴾ وكانت آلهتهم ﴿ يِعِبَادَتِهِمْ ﴾ بعبادة عبدتهم ﴿ كَافِرِينَ ﴾ مكذّبين بلسان الحال أو المقال. وقيل: الضمير للعابدين. وهو كقوله: ﴿ وَاشْ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٣). وعلى الأزّل كنّي عن الآلهة بالواو والنون، لأنّمه أضيف إليها ما يكون للعقلاء، كقوله: ﴿ رَايْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٣).

﴿ وَإِذَا تَتُكُنَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ حجج وشواهد من القرآن، وسائر المعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ ﴿ بَيْنَاتٍ ﴾ واضحات، أو مبيّنات ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفُووا لِلَّذِينَ آمَنُوا لِلْحَقِّ ﴾ لأحقى الأجله وفي شأنه. فاللام فيه كما في قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفُووا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْوا ﴾ (أعا، والمراد بالحق الآيات، وبالذين كفروا المتلو عليهم، فوضع الظهران موضع الضميرين، للتسجيل عليها بالحق، وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة ﴿ لَمُنَا جَاءَهُمْ ﴾ أي: بادروه بالجحود ساعة أتاهم وأوّل ما سمعوه، من غير نظر وتأمّل، عناداً ولجاجاً ﴿ هَذَا سِحْوُ هُمِينٌ ﴾ ظاهر بطلانه.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَوَاهُ﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم إيّاه سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه، وهو إسناد الافتراء إلى محمد ﷺ. ومعنى الهمزة الإنكار والتعجيب. كأنّه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر الموجب للتمجّب. وذلك أنّ محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله، وذلك باطل، لأنّه قدر عليه دون أمّة العرب، فكانت قدرته عليه معجزة، لخرقها العادة، وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له، والحكيم لا يصدّق الكاذب، فلا يكون مفترياً.

﴿ قُلْ إِنِ افْقَرَيْتُهُ ﴾ على الفرض ﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيئاً ﴾ أي: إن

<sup>(</sup>۱) مریم: ۸۲.

<sup>(</sup>٢) الأنعام: ٧٣.

<sup>(</sup>٣) يوسف: ٤.

<sup>(</sup>٤) الأحقاف: ١١.

سورة الأحقاف، آية ٩.....٠٠٠ سورة الأحقاف، آية ٩....

عاجلني الله بعقوبة الافتراء، فلا تقدرون على دفع شيء منها، فكيف أجترىء عليه. وأعرض نفسي للعقاب، من غير توقّع نفع ولا دفع ضرّ من قبلكم؟!

﴿ هُوَ أَغْلَمُ بِمَا تَقْيضُونَ فِيهِ ﴾ تندفعون قيه من القدح في آياته، بتسميتها سحراً تارة وافتراء أخرى ﴿ كَفَى بِهِ شَمهِداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالكذب والإنكار. وهو وعيد بجزاء إفاضتهم. ﴿ وَهُ وَهُ وَ الْمَقُورُ اللّهُ عَلَم اللهُ عنهم مع عظم الرّحيمُ ﴾ وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن، وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرأتهم.

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مَنَ الرُّسُلِ وَمَا ۖ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ اِنْ أَتَبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلِيَّ وَمَا ٓ أَمَا إِلاَّ مَذِيرٌ شَبِينٌ ﴿١﴾

روي: أنّهم كانوا يقترحون عليه الآيات، ويسألونه عمّا لم يوح به إليه مسن الفيوب، فنزلت:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ البدع بمعنى البديع، كالخف بمعنى الخفيف. والمعنى: ماكنت بديعاً \_ أي: لست بأوّل رسول بعث \_ فاتيكم بكلّ ما تقترحونه، وأخبركم بكلّ ما تسألون عنه من المغيّبات، فإنّ الرسل لم يكونوا يأتون إلّا بما أوحى إليهم، ولم يقدروا على المقترحات إلّا بمشيئة الله، فكيف أقدر على مقترحاتكم؟!

﴿ وَمَا أَذْدِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِحُمْ﴾ ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا. فلا أدري أأموت أم أقتل؟ ولا أدري أيها المكذّبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم؟ أو غير ذلك من أنواع العقاب على الأمم المكذّبة في الدنيا، إذ لا علم لي بالغيب. وأمّا في الآخرة؛ فإنّه قد علم أنّه في الجنّة، وأنّ من كذّبه في النار. وهذا الوجه منقول عن الحسن والسدّى.

وعن الكلبي: قـال لرسـول الله ﷺ أصـحابه \_ وقـد ضـجروا مـن أذى المشركين \_ : حتّى متى نكون على هذا؟ فقال: «ما أدري ما يفعل بي ولا بكـم، أأترك بمكّة، أم أؤمر بالمهاجرة عنها إلى بلد آخر؟».

وعن ابن عبّاس معناه: لا أعلم ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة. ثمّ قال: هي منسوخة بقوله: ﴿لِيَغْفِرْ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ (١٠).

ويجوز أن يكون نفياً للدراية المفصّلة . أي: لا أدري ما يصنع بي وبكم على التفصيل ؟ لأنّه عالم بحاله وحالهم على الاجمال.

واعلم أنّ لفظة «لا» مزيدة لتأكيد النفي المشتمل على «ما يفعل بي». و«ما» إمّا موصولة منصوبة. أو استفهاميّة مرفوعة.

﴿إِن النَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيْ ﴾ لا أتجاوزه. وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عمّا لم يوح إليه من الغيوب، أو استعجال المسلمين أن يتخلّصوا من أذى المشركين. ﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ من عقاب الله ﴿ مُدِينٌ ﴾ بين الإنذار بالشواهد المبيّنة والمعجزات المصدّقة.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَعِيَ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَعِيَ السَّرَآثِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَامَّنَ وَآسُتُكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

روي: أنّ النبيّ ﷺ لمّا قدم من مكّة إلى المدينة، نظر ابن سلام إلى وجهه، فعلم أنّه ليس بوجه كذّاب. وتأمّله فتحقّق أنّه هو النبيّ المستظر. وقـال له: إنّـي سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلّا نبيّ. ما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنّة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه؟

<sup>(</sup>١) الفتح : ٢.

فقال ﷺ: أمّا أوّل أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد حوت. وأمّا الولد؛ فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته.

فقال: أشهد أنّك رسول الله حقّاً. ثمّ قال: يا رسول الله إنّ اليهود قوم بُهُت<sup>(۱)</sup>. فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنّي بهتوني عندك.

فجاءت اليهود، فقال لهم النبي الله الله على أله عبدالله فيكم ؟

قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا.

قال: أرأيتم إن أسلم عبدالله ؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج إليهم عبدالله فقال: أشبهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله.

فقالوا: شرّنا وابن شرّنا، وانتقصوه.

قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر.

قال سعد بن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: إنّه من أهل الجنّة، إلّا لعبد الله بن سلام. وفيه نزلت:

﴿ قُلُ أَوْ أَيْتُمُ ﴾ أخبروني، أي: ماذا تقولون ﴿ إِن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ وقدكفرتم به. ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط. وكذا الواو في قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَمَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إِلّا أَنّها تعطفه بما عطف عليه \_ وهـ و قوله: «قامن واستكبرتم » \_ على جملة ما قبله، وهو قوله: «كان من عند الله».

والشاهد عبدالله بن سلام. وعن مسروق: هو موسى. وشهادته: ما في التوراة من نعت الرسول.

<sup>(</sup>١) بُهُت جمع بَهَّات وبَهُوت، وهو الَّذي يبهت السامع بما يفتري عليه من الكذب.

٣٢٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ عَلَى مِثْبِهِ ﴾ مثل القرآن. وهو ما في التوراة من المعاني المصدّقة للـقرآن المطابقة له، من التوحيد والوعد والوعيد، وغير ذلك. ويدلّ عليه قبوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنُهِ اللَّهُ لَهُ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴾ (٣). ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إلَيْكَ وَإِلَىٰ اللَّهُ عَلَى السُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ (٣). ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إلَيْكَ وَإِلَىٰ النَّهُ إِنْ اللَّهُ عَلَى السُّحُفِ النَّهِ عَلَى السُّحُفِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

ويجوز أن يكون المعنى: إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد على نحو ذلك. يعني: كونه من عند الله. ﴿فَآمَنَ﴾ فآمن الشاهد بالقرآن لسّا رآه من جنس الوحي مطابقاً للحق ﴿وَاسْتَكَبْرَتُهُ ﴾ عن الإيمان. وجواب الشرط محذوف، تقديره: ألستم ظالمين؟ ويدلّ على حذفه قوله: ﴿إِنَّ اللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ﴾ فإنّه استئناف مشعر بأنّ كفرهم به لضلالهم المسبّب عن ظلمهم.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْكَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونا ٓ إِلَيهِ وَإِذْ لَمُ يُهَـّدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن فَبْله كِتَابُ مُوسَىَ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذاَ كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلْمُوا وَبُشُوى للْمُحْسنينَ ﴿١٢﴾

ثمَّ أخبر سبحانه عن الكفَّار الَّذين جحدوا وحدانيَّته، فقال:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ تَقُرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لأجلهم وفي حقّهم ﴿ لَـ فِ كَـانَ ﴾ الإيمان، أو ما أتى به محمد عليه ﴿ ﴿ خَيْرا ﴾ نعني:

<sup>(</sup>١) الشعراء: ١٩٦.

<sup>(</sup>٢) الأعلى: ١٨.

<sup>(</sup>٣) الشورى: ٣.

قالت كفّار مكّة في حقّ من يتّبع محمّداً من الفقراء والموالي والرعاة \_مثل : عمّار . وصهيب، وابن مسعود، وأمثالهم من السقّاط \_: لو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء الأذلّاء .

وقيل: لمّا أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار، قالت بنو عــامر وغــطفان وأسد وأشجع: لوكان خيراً ما سبقنا إليه رُعاء البّهَم(١١).

وقيل: هذا قول اليهود حين أسلم ابن سلام وأصحابه.

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتُدُوا بِهِ ﴾ بالقرآن حيث لم يتدبّروا فيه. والظرف متملّق بمحذوف تقديره: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم. وقوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكُ قَدِيمٌ ﴾ مسبّب عنه. وهذا كقولهم: أساطير الأولين.

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ ومن قبل القرآن. وهو خبر لقوله: ﴿ كِتَابُ مُـوسَىٰ ﴾ نــاصب لقوله: ﴿ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ على الحال، كقولك: في الدار زيد قائماً. والمعنى: قــدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه، كما يؤتم بالامام. ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ ﴾ لكتاب موسى، أو لما بين يديه ﴿ لِسَاناً عَرَبِيّاً ﴾ حال من ضمير «كتاب» في «مصدّق». أو «كتاب» لتخصّصه بالصفة. وعاملها معنى الإشارة. وذكر اللسان توكيد، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، فتذكر «رجلاً» توكيداً. وفائدة هذه الحال الإشمار بالدلالةعلى أنّه مع كونه مصدّقاً للتوراة، مفهوم المراد لكفّار قريش، لأنّه نزل بلغتهم على أفصح الكلام وأبلغ البيان.

وقيل: مفعول «مصدّق». والمعنى: يصدّق ذا لسان عربيّ بـإعجازه، وهـو الرسول.

﴿ لِيُنْذِرَ الَّذِينَ طَلَمُوا﴾ علَّة «مصدّق». وفيه ضمير الكتاب، أو الله. أو الرسول. ويؤيّد الأخير قراءة نافع وابن عامر والبزّي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء. ﴿ وَبُشْنَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ عطف على محلّ «لينذر » لأنّه مفعول له.

<sup>(</sup>١) رُعاء جمع راعي. والبَّهَم: أولاد البقر والمعز والضأن. والواحد: البُّهمة.

٣٢٤ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَّبُنَا اللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ أُوْلِيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَآءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمُّ السَّقَامُوا﴾ أيَّ: جمعوا بين التوحيد الَّذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في الأمور الَّتي هي منتهى العمل، و«ثمُّ» للدلالة على تأخّر رتبة العمل، وتوقّف اعتباره على التوحيد. ﴿فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمُ ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فوات محبوب. والفاء لتضمّن الموصول معنى الشرط.

﴿ أَوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ المنقمون فيها ﴿ خَالِدِينَ قِيهَا ﴾ حال من المستكن في «أصحاب» ﴿ جَزَآهَ ﴾ مصدر لفعل دلٌ عليه الكلام، أي: جوزوا جزاءً ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمُلُونَ ﴾ من اكتساب الفضائل العلميّة والعمليّة.

وَوَصَّيْنَا الإِسْنَانَ بِوَالدَّيْهِ إِحْسَانًا حَمَّلَتُهُ أَنَّهُ كُوْهًا وَوَضَعَنْهُ كُوْهًا وَوَصَعَنْهُ كُوْهًا وَحَمَّلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهُرًا حَتَّى إِذَا بَلغَ أَشُدَهُ وَبَلغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبّ أَوْرَعْنِي أَنْ أَشْكُو يَعْمَلُ الَّتِي أَنْعَشْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدَي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرَتِي إِنِي نُبْتُ إِلَيكَ وَإِنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ ١٠﴾ تَرْضَاهُ وَنَصَاهُ مِن الْمُسْلِمِينَ ﴿ ١٠﴾ أَوْلِكَ الذِينَ تَنْقَبُلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَجَاوَزُ عَن سَيّنَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنّةِ وَعُدَ الصَدْقِ الذِي كَانُها يُوعَدُونَ ﴿ ١٩﴾ وَالذِي قَالَ لَوَالدَيْهِ أَفْ لَكُمَا

أَتَمدَانِيَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَت الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيُلكَ آلَّذِينَ آَنُ إِنَّا وَعُدَ اللَّهِ حَقْ فَيَقُولُ مَا هَذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ الأَوَالِيَ ﴿١٧﴾ أُولَكِ الَّذِينَ حَقَ عَلَيْهِمُ الْقُولُ فِي أُمْمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِنَ الْجِنِ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسَرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَكُلِّ ذَرَجَاتٌ مِنَا عَملُوا وَلِيُوفِيْهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمُ لا يُظْلَمُونَ خَاسَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ ذَرَجَاتٌ مِنَا عَملُوا وَلِيُوفِيْهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمُ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيُومُ اللَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيَبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدَّنُيَا وَآسَنَمْ تَعْمَالُهُمْ وَمُمْ لا يُطْلَمُونَ إِمَا كُنَتُمْ تَسْتُكُرُونَ فِي النَّرِ أَنْهُونِ بِمَا كُنَتُمْ تَسْتُكُرُونَ فِي الأَرْضِ بَغَيْر الْحَقِّ وَبِمَا كُنُمُ مَنْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ وقرأ الكوفتون: إحساناً ﴿ حَمَلَتْهُ اللهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ أَمُهُ كُرُها وَوَضَعَتْهُ أَمُهُ انتصابهما على الحال أوعلى السصدر، أي: ذات كره، أو حملاً ووضعاً ذاكره. والكره هو المشقّة، فإنّ الحمل سوجب لشقل الولد عليها، والوضع موجب لشدّة الطلق، وقرأ الحجازيّان وأبو عمرو وهشام بالفتح، وهما لغتان، كالقُفِّر والفَفْر.

﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ أي: مدّتهما ﴿ فَلالْأُونَ شَسَهُوا﴾ وقرأ يسعقوب: وَفَصْلُهُ.
كالفِطَام والقَطْم، بناءً ومعنىً. والمراد بالفصال الرضاع، فإنّه لمّا كان الرضاع يسليه
الفصال ويلابسه، لأنّه ينتهي به ويتمّ، سمّي فصالاً. وفائدة تسمية الرضاع به الدلالة
على الرضاع التامّ المنتهي بالفصال، وكلّ ذلك بيان لما تكابده الأمّ في تربية الولد،
مبالغة في التوصية بها.

وفيه دليل على أنَّ أقلَّ مدَّة الحمل ستَّة أشهر، لأنَّه إذا حـطَّ مـنه للـفصال حولان ـ لقوله: ﴿حَوْلَنَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرْلَدُ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (١٠ ـ بقي ستَّة أشهر. وبه قال الأطبَّاء. ولعلَّ تخصيص أقلَّ الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما، وتحقَّق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشْدُهُ ﴾ إذا اكتهل (٣) واستوفى السنّ الّتي تستحكم فيها قوّته وعقله وتمييزه، وذلك إذا أناف (٣) على الثلاثين وناطح الأربعين. وعن ابن عبّاس وقتادة: ثلاث وثلاثون سنة. ووجهه: أن يكون ذلك أوّل الأشدّ. وغايته الأربعين. ولهذا عطف عليه عطفاً تفسيرياً فقال: ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَقَ ﴾ فإنّه بيان لزمان كمال الأشدّ. وقيل: لم يبعث نبيّ إلاّ بعد الأربعين.

﴿ قَالَ رَبُّ اوْزِعْنِي﴾ ألهمني، وأصله: أولعني، من: أوزعته بكذا. ﴿ أَنْ الشَّكُورُ نِغْمَتُكَ الَّذِي انْفَعَثَ عَلَيْ وَعَلَىٰ وَالِدَيُّ﴾ يعني: نعمة الاسلام، أو ما يعمّها وغيرها. وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه، لأنّ النعمة عليهما نعمة عليه.

﴿ وَأَنْ أَغْمَلُ صَالِحاً تَتْرَضَاهُ ﴾ نكره للتعظيم، أو لأنّه أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضا الله ﷺ. وقيل: هو الصلوات الخمس.

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ واجعل لي الصلاح واقعاً سارياً في ذرِّيتي راسخاً فيهم ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عمّا لا ترضاه، أو يشخل عنك ﴿ وَإِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ المنقادين لأمرك، المخلصين لك.

﴿ أُولَٰذِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ يعني: طاعاتهم الواجبة والمندوبة بإيجاب الثواب لهم، فإنّ المباح حسن ولا يثاب عليه ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَنْ

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢٣٣.

<sup>(</sup>٢) أي: صار كهلاً. والكَهْل: من كانت سنوٌ عمره بين الثلاثين والخمسين تقريباً.

<sup>(</sup>٣) أي: زاد. وناطح كناية عن الوصول، من: نطح الثور إذا أصاب بقرنه.

سَيِّنَاتِهِمْ لَتوبتهم، أو تفضّلاً عليهم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما. ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ في محلّ النصب على الحال، أي: كائنين في عدادهم، أو 
مثابين، أو معدودين فيهم ﴿وَعَدَ الصَّدقِ ﴾ مصدر مؤكّد لنفسه، فإنّ قوله: «نتقبل» 
و«نتجاوز» وعد من الله لهم بالتقبّل والتجاوز ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا، 
بأن يتقبّل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم إذا تابوا، أو إذا شاء أن يتفضّل عليهم.

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفَّ لَكُمّا ﴾ مبتداً خبره «أولئك» الآتي، فإنّ المراد بالموصول الجنس. والأفّ صوت إذا صوّت به الانسان علم أنّه متضجّر. فهي كلمة تبرّم يقصد بها إظهار التسخّط، واللام للبيان. ومعناه: بعداً لكما. وقيل: معناه: نتناً وقدراً لكما، كما يقال عند شمّ الرائحة الكريهة، ووجوه قراءاته قد مرّت في سورة بني إسرائيل (۱). ﴿ اتَعِدَانِنِي أَنْ أَخْرَجَ ﴾ أبعث حيّاً. وقرأ هشام: أتعدائسي، بنون واحدة مشدّة. ﴿ وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ فما أخرجوا، ولم يرجع أحدمنهم.

﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ الله ﴿ عَلَبان منه الغوث ويقولان: الغياث بالله منك. أو يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للإيمان. ﴿ وَيَلْكَ آمِنْ ﴾ أي: يقولان له: ويلك. وهو دعاء عليه بالثبور. والمراد به الحثّ على ما يخاف على تركه من الايمان، لا حقيقة الهلاك. ﴿ إِنْ وَهُدَ الله ﴾ بالبعث والنشور والثواب والمقاب ﴿ مَقَى البت واقع.

﴿فَيَقُولُ﴾ هو في جوابهما ﴿مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوْلِينَ﴾ أباطيلهم الَّتي سطّروها، وليس لها حقيقة.

وقيل: إنّ الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، قال له أبواه: أسلم، وألحًا عليه. فقال: أحيوا لي عبدالله بن جدعان ومشايخ قريش حتّى أسألهم عمّا تقولون. وروي: أنّ معاوية حين كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليريد، قال عبدالرحمن: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيّها الناس

<sup>(</sup>١) راجع ج ٤ ص ٢٣، ذيل الآية ٢٣ من سورة بني إسرائيل.

٣٢٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

هو الذي قال الله فيه: «والذي قال لوالديه أفّ لكما». فسمعت عائشة فخضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسمّيه لسمّيته، ولكنّ الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض<sup>(۱)</sup> من لعنة الله.

والأصحّ: أنَّ الآية عامّة في كلّ كافر عاق لوالديه، كما يمدلٌ عليه قوله: ﴿ اَوْلَائِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب بأنّهم أهل النار ﴿ فِي أَمْمِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كقوله: «في أصحاب الجنّة» ﴿ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ بيان للأمم، والمعنى: حالهم على مثل حال أولئك، واعتقادهم كاعتقادهم، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ لأنفسهم، تعليل للحكم على الاستئناف.

﴿ وَلِكُ لِ ﴾ من الفريقين، أعني: المؤمنين البررة، والكافرين الفجرة ﴿ دَرَجَاتُ ﴾ مراتب عالية ﴿ مِنْ عَبْلُوا ﴾ من جزاء ماعملوا من الخير والشرّ. أو من أجل ما عملوا منهما، والدرجات غالبة في المثوبة، وهاهنا جاءت على التغليب. وحقيقة المعنى: قدّر جزاءهم على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات، والمقاب دركات. ﴿ وَلِيُووَقِيّهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لاَ يُشْلَنُونَ ﴾ بعقاب لا يستحقونه، أو بعنم ثواب يستحقونه، وقرأ نافع وحعزة والكسائي وابن ذكوان بالنون.

﴿ وَيَوْمَ يُشْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ يعذّبون بها، كما يقال: عرض بمنو فلان على السيف، إذا قتلوا به. ومنه قوله: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ (٢). أو يكون المعنى: عرضت النار عليهم قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها.

﴿ أَذْهَبْتُمْ ﴾ أي: يقال لهم: أذهبتم. وهو ناصب اليوم. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام، غير أنّ ابن كثير يقرأ بهجزة ممدودة، وهما يـقرآن بـها وبـهمزتين محقّقتين. ﴿ طَيْبُاتِكُمْ ﴾ لذائـذكم ﴿ فِـي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ بـاستيفائها

<sup>(</sup>١) الْفَضَض: كلِّ متفرِّق ومنتشر. أي: أنت حصيلة تلك اللعنة، فضضت وتفرَّقت منها.

<sup>(</sup>٢) غافر: ٤٦.

﴿ وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ انتفعتم بها، فما بقي لكم منها شيء.

والمعنى: ما كتب لكم حظً من الطيّبات إلّا ما قد أصبتموه في دنياكم، وقد ذهبتم به وأخذتموه، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظّكم شيء منها.

وقيل: معناه: أنفقتم طيّبات ما رزقتم في شهواتكم وفي مـلاذّ الدنـيا. ولم تنفقوها في مرضات الله ﷺ.

﴿ فَالْنَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِفَيْرِ الْحَقُّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ بسبب الاستكبار الباطل، والفسوق عن طاعة الله.

واعلم أنّ الله سبحانه لمّا ويّخ الكفّار بالتمتّع بالطيّبات واللذّات في هذه الدار، آثر النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين الله الزهد والتعفّف، واجتناب الترفّه والنعمة. وقد ورد في الحديث أنّ عمر بن الخطّاب قال: استأذنت على رسول الله ﷺ، فدخلت على مشربة أمّ إبراهيم، وإنّه لمضطجع على خَصَفة (١)، وإنّ بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشوّة ليفاً. فسلّمت ثمّ جلست فقلت: يا رسول الله أنت نبيّ الله وصفوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير. فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم عجّلت طيباتهم، وهي وشيكة والتعلياء، وإنّما أخّرت لنا طيباتنا».

وقال عليً بن أبي طالب ﷺ في بعض خطبه: «والله لقد رقعت مدرعتي<sup>(٢)</sup> هذه حتّى استحييت من راقعها. ولقد قال لي قائل: الا تنبذها؟ فـقلت: أعـزب<sup>(٣)</sup> عنّى، فعند الصباح يحمد القوم السرى».

وروى محمد بن قيس عن أبي جعفر الله الله قال: «والله كان عليّا الله ليأكل

<sup>(</sup>١) الخَصَفَة: الثوب الغليظ، أو جلَّة تعمل من الخوص.

<sup>(</sup>٢) المِدْرَعَة: جبّة مشقوقة المقدّم.

<sup>(</sup>٣) أي: ابتعد عنّي.

أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد. وإن كان ليشتري القميصين فيخيّر غلامه خيرهما. ثمّ يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه. ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرّة على آجرّة، ولا لبنة على لبنة، ولا أورث بيضاء ولا حمراء. وكان يطعم الناس خبز البرّ واللحم، وينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخلّ. وما ورد عليه أمران كلاهما لله على فيه رضا، إلّا أخذ بأشدّهما على بدنه. ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يمينه، تربت منه يداه، وعرق فيه وجهه. وما أطاق عمله أحد من الناس بعده.

ثمّ إنّه قد اشتهر في الرواية أنّه ﷺ لمّا دخل على العلاء بن زيــاد بــالبصرة يعوده قال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، لبس العباءة وتخلّى من الدنيا.

فقال ﷺ : عليّ به. فلمّا جاء به قال : يا عديّ (١) نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك . أترى الله أحلّ لك الطيّبات وهو يكره أن تأخذها ؟! أنت أهون على الله من ذلك .

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة(٢) مأكلك!

قال: ويحك! إنِّي لست كأنت. إنَّ الله تعالى فرض على أثمَّة الحقّ أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيّغ<sup>(٣)</sup> بالفقير فقره.

روي: أنَّ النبيِّ ﷺ دخل على أهل الصفَّة (٤) وهم يرقّعون ثيابهم

 <sup>(</sup>١) أي: مبغض نفسه. من: عَدِي لفلان: أبغضه. فهو على زنة: وفيّ. واستهام بك الخبيث أي:
 وسوس فيك الشيطان، فذهب فؤادك، وسلب عقلك. من: اُستُهيم فؤاده أي: ذهب فؤاده
 وسلب عقله من الحبّ أو غيره.

<sup>(</sup>٢) جَشَبَ الطعامُ: غلظ. فهو جَشِب.

<sup>(</sup>٣) أي: يهيج ويثور. من: باغ الدم أي: هاج وثاز.

 <sup>(</sup>٤) أهل الصُفة: فقراء كانوا يجلسون في صفّة مسجد النبيّ 震震。 وصُفّة المسجد: مقعد بالقرب منه مظلّل.

بالأدم (١). ما يجدون لها رقاعاً، فقال: «أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحــدكم فــي حلّة (٢) ويروح فـي أخرى، ويغدى عليه بجفنة (٢) ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة؟ قالوا: نحن يومئذٍ خير. قال: بل أنتم اليوم خير».

وَٱذْكُرُ أَخَا عَاد إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَت النَّذَرُ مِن بَئِن يَدَيْهِ وَمِنْ خُلْفِهِ أَلاَ تَعْبُدُوآ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ عَذَابَ يَوْم عَظيم ﴿ ٢١ ﴾ قَالُوآ أَجِئْنَا لِتَأْفِكُنَا عَنْ آلِهَيْنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَاۤ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَآ الْعُلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأَبْلِفُكُم مَّآ أَرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِثْنِي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّعْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْنَعْجَلْتُم بِهِ رَبِّحْ فَيْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمَّرُ كُلُّ شَيُّ ۖ بأَمْر رَّبُهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُوَى إلاَّ مَسَاكَتُهُمْ كَذَلكَ نَجْزِي الْقُوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فيمَا ٓ إِن مَّكَّنَاكُمْ فيه وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبِصَارًا وَأَفْدَةَ فَمَا ٓ أُغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبِصَارُهُمْ وَلاَ أَفْدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَبْحَدُونَ

<sup>(</sup>١) الأدَّم جمع الأديم. وهو: الجلد المدبوغ.

<sup>(</sup>٢) الحُلَّة: كلِّ ثوب جديد، أو الثوب الساتر الجميع البدن.

<sup>(</sup>٣) الجَفْنَة : القصعة الكبيرة ، أي : آنية الطعام .

٣٣٢ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتُهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدُ أَهْلَكُمُّنَا مَا حَوْلَكُمُ مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآياتِ لَسَّلُهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ فَلُوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرِّبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِثْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَشْرُونَ ﴿٢٨﴾

ثمّ خوّف سبحانه كفّار مكّة بما وقع على قوم هود لعنادهم، فقال:

﴿ وَاذْكُوٰ﴾ يا محمد لأهل مكّة ﴿ لَخَاعَادِ ﴾ يعني: هـوداً ﴿ إِذْ النَّذَرَ قَـوْمَهُ ﴾ خوّفهم بالله تعالى ﴿ إِذْ النَّذَرَ قَـوْمَهُ ﴾ خوّفهم بالله تعالى ﴿ إِذْ النَّحْقَافِ ﴾ جمع حقف. وهو رمل مستطيل مرتفع، فيه انحناء. من: احقوقف الشيء إذا اعوجٌ. وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشحر، من بلاد اليمن. وقيل: بين عمان ومهرة.

﴿ وَقَدْ خَلْتِهِ اللَّهُ وَ مِن عَذَير بِمعنى المنذر ، أي: الرسل المنذرون ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْدِ وَمِنْ خَلْفِ وَمِنْ خَلْفِ وَمِنْ خَلْفِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قبل هود والذين بعثوا بعده . والجملة حال ، أو اعتراض بين قوله: «أنذر قومه» و ﴿ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلَّا الله ﴾ «أن» مفسّرة للإنذار . والمعنى : أنّ هوداً الله قد أنذرهم فقال لهم : لا تعبدوا إلّا الله ، فإنّ النهي عن الشيء إنذار من مضرّته ﴿ إِنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هائل بسبب شركم .

﴿ قَالُوا أَجِنْتَنَا لِتَآفِكَنَا﴾ لتصرفنا ﴿ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ عن عبادته. يقال: أفكه عن رأيه إذا صرفه عنه ﴿ فَاتِنَا بِعَا تَعِدُنَا﴾ من معاجلة العذاب على الشرك ﴿ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في وعدك.

﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ﴾ لا علم لي بوقت عذابكم، ولا مدخل لي فيه فأستمجل به، وإنّما علمه عند الله، فيأتيكم به في وقته المقدّر له ﴿ وَالْمِلْفُكُمْ مَا أرْسِلْتُ بِهِ ﴾ وما على الرسول إلّا البلاغ ﴿ وَالْكِذْيِ أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾ لا تعلمون أنَّ الرسل بعثوا مبلَّغين منذرين، لا معذِّبين مقترحين غير ما أذن لهم فيه.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ رأوا ما يوعدون. والهاء تعود إلى «ما تعدنا». ﴿ عَارِضا ﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿ مُسْتَقْبِلُ أَوْبِينَتِهِمْ ﴾ متوجّه أوديتهم. والإضافة فيه لفظية. وكذا في قوله: ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضُ مُعْطِرُنا ﴾ أي: يأتينا بالمطر.

روي: كانت عاد قد حبس عنهم المطر أيّاماً، فساق الله إليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فلمّا رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا: هذا سحاب عارض ممطرنا. فقال هود: ليس الأمر كما زعمتم في لمّ هُو مَا الشَعْفَيْلَتُمْ بِهِ من العذاب ﴿ رِيحٌ ﴾ هي ريح. ويجوز أن يكون بدل «ما » ﴿ فِيهَا عَذَابُ البِيمٌ ﴾ صنتها. وكذا قوله: ﴿ تُدَمَّرُ ﴾ تهلك ﴿ كُلُ شَمْعِ ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿ فِإِفْرِ رَبِّهَا ﴾ . وإضافة الربّ إلى الربح دلالة على أنّ الربح وتصريف أعنتها ممّا يشهد لعظم قدرته، لأنّها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده.

﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُزَى إِلَّا مَسَاكِخُهُمْ ﴾ أي: فجاءتهم الريح فدترتهم، فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لما ترى إلّا مساكنهم. وقرأ عاصم وحمزة: لَا يُزَىٰ إلّا مَسَاكِنُهُمْ، بالياء المضمومة، ورفع مساكنهم.

روي: أنّ الريح كانت تحمل الفسطاط والظمينة(١) فترفعها في الجــوّ حــتّى ترى كأنّها جرادة.

وقيل: أوّل من أبصر العذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار. وروي: أوّل ما عرفوا به أنّه عذاب: رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وغلّقوا أبوابهم. فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمال الله عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبم ليال

<sup>(</sup>١) الظَّعِينَةُ: الهودج.

٣٣٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وثمانية أيّام لهم أنين، ثمّ كشفت الريح عنهم، فاحتملتهم فطرحتهم في البحر.

وروي: أنّ هوداً لمّا أحسّ بالربح خطّ على نفسه وعلى المؤمنين خطّاً إلى جنب عين تنبع.

وعن ابن عبّاس: اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلّا ما يلين على الجلود وتلذّه الأنفس، وإنّها لتمرّ من عاد بالظعن بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة.

وعن النبي ﷺ أنّه كان إذا رأى الربح فزع وقال: اللّهم إنّي أسألك خيرها وخيرما أرسلت به. وإذا رأى مخيلة (١) قام وقعر، وجاء وذهب، وتغيّر لونه. فيقال له: يا رسول الله ما تخاف؟ فيقول: إنّي أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا: «هذا عارض معطرنا».

﴿ كَذَلِكَ﴾ مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف، وجازيناهم بالعذاب ﴿ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين الّذين يسلكون مسالكهم.

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ قِيمَا إِن مَكَنَّاكُمْ قِيهِ ﴾ «إن» نافية. وهي أحسن من «ما» في اللفظ، لما في مجامعة «ما» مثلها من التكرير المستبشع، ومثله مجتنب. ألا ترى أنّ الأصل في «مهما»: ماما، فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاءً. أو شرطيّة محذوفة الجواب. والتقدير: ولقد مكنّاهم في الذي أو في شيء إن مكنّاكم فيه كان بغيكم أكثر.

وقيل: زائدة، مثلها فيما أنشده الأخفش:

يرجّي المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب

والمعنى: مكّناهم من الطاعات، وجعلناهم قادرين متمكّنين بنصب الأدلّـة على التوحيد، والتمكين من النظر فيها، والترغيب والترهيب. وإزاحة العـلل فـي

<sup>(</sup>١) المُخِيلةُ: السحابة الّتي تحسبها ماطرة.

جميع ذلك، كما مكّنّاكم بها.

والأوّل أظهر وأوفق، لقوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاناً وَرِنْمياً﴾ (١٠). ﴿ كَانُوا أَكْنَرَ مِنْهُمْ وَاشَدَّ قُوْةً وَآثَاراً﴾ (٢٠). وهو أبلغ في التوبيخ، وأدخل في الحثّ على الاعتبار.

فمعنى الآية: ولقد مكنّاهم في الشيء الّذي لم نمكّنكم فيه، من قوّة الأبدان. وبسطة الأجسام، وطول العمر، وكثرة المال.

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَابْصَاراً وَافْذِدَهُ لِيعرفوا بذلك النعم، ويستدلوا بها على واهبها، ويواظبوا على شكرها ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْنِدَتُهُمْ مِنْ شَيْعٍ ﴾ من الإغناء. وهو القليل منه، إذ لم يستعملوا هذه القوى في النظر والتفكر فيما يدلهم على التوحيد، فلم ينفعهم جميع ذلك.

﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ ﴾ صلة لدها أغنى». وهو ظرف جرى مجرى التعليل. وكذلك «حيث». وذلك لاستواء التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذا أساء، لاتك إذا ضربته في وقت إساءته، فيأنا ضربته فيه لوجود إساءته فيه، إلا أنّ «إذ» و«حيث» غلبتا \_ دون سائر الظروف \_ في ذلك. ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا ﴿ بِهِ يَسْتَهْذِعُونَ ﴾ من العذاب.

﴿ وَ لَقَدُ الْهَكُنَا مَا حَوْلَكُمْ ﴾ يا أهل مكّة ﴿ مِنَ الْقُرْئ ﴾ أي: من أهل القرى. وهم: قوم هود كانوا باليمن، وقوم صالح بالحجر، وقوم لوط على طريقهم إلى الشام. ﴿ وَصَرُ فَفَا الْآيَاتِ ﴾ أي: نكرها تارة في الإعجاز، وتارة في الإهلاك، وتارة في التذكير بالنعم، وتارة في التذكير بالنقم، وتارة في وصف الأبرار ليقتدى بهم، وتارة في وصف الفجّار ليجتنب مثل فعلهم ﴿ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ لكي يرجعوا عن كفرهم.

<sup>(</sup>١) مريم: ٧٤.

<sup>(</sup>٢) غافر: ٨٢.

٣٣٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ النِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَاناً آلِهَهُ ﴾ فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقرّبون بهم إلى الله، حيث قالوا: ﴿ هَـوْلَا عِ شُـفَعَاقُنَا عِنْدَ اللهُ ﴾ (١٠. والقربان ما يتقرّب به إلى الله. وأول مفعولي «اتّخذوا» الراجع إلى الموصول محذوف. وثانيهما «قرباناً». و«آلهة» بدل، أو عطف بيان، أو المفعول الثاني «آلهة» و«قرباناً» حال، أو مفعول له، على أنّه بمعنى التقرّب.

﴿ بَلْ ضَلُوا عَنْهُمْ﴾ غابوا عن نصرهم، فلم تنفعهم عند نزول العـذاب بـهم.
وامتنع أن يستمدّوا بهم امتناع الاستمداد بالضال ﴿ وَذَلِكَ ﴾ الاتّخاذ الّذي هذا أثر.
﴿ إِفْكُهُمْ﴾ صرفهم عن الحقّ ﴿ وَمَا كَانُوا يَـفْتَزُونَ ﴾ وافتراؤهم على الله الكذب من
كونه ذا شركاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا آلِيكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضُرُوهُ قَالُوا الْفَرْآنَ فَلَمَّا حَضُرُوهُ قَالُوا الْصَعُنَا أَنْوِلَ مِن بَعُد مُوسَى مُصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيْهِ يَهْدِي ٓ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ كَتَابًا أُنْوِلَ مِن بَعُد مُوسَى مُصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيْهِ يَهْدِي ٓ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَنْيَمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَفْغِرُ لَكُم مِن ذَنُوبِكُمْ مَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ومَن لا يُجِبُ دَاعِيَ اللّه فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي وَيُجِرِّكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ومَن لا يُجِبُ دَاعِيَ اللّه فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي اللّهَ وَلَيْسَ مِنْ ذَوبِهُ أَولِيَآءُ أُولِيَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾

ثمّ بيّن سبحانه أنّ في الجنّ مؤمنين وكافرين كما في الإنس. فقال: ﴿ وَإِنَّا

<sup>(</sup>۱) يونس: ۱۸.

صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْحِنَّ ﴾ أملناهم إليك، وأقبلنا بهم نحوك. والنفر دون العشرة. وجمعه أنفار. ﴿ يَسْتَعِفُونَ الْقُرْآنَ ﴾ حال محمولة على المعنى ﴿ فَلَمَّا حَضْرُوهُ ﴾ أي: القرآن، أي: فلمّا كان بمسمع منهم. أو الرسول. ﴿ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾ قال بعضهم لبعض: اسكتوا لنسمعه ﴿ فَلَمَّا تُضِينَ ﴾ أتمّ وفرغ من قراءته، على بناء الفاعل، وهو ضمير الرسول ﴿ وَقُوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ أي، منذرين إيّاهم بما يسمعوا.

عن سعيد بن جبير والزهري وجماعة: أنّه لمّا توقّي أبو طالب اشتدّ البلاء على رسول الله ﷺ ، فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يؤووه، فوجد ثلاثة نفر منهم، هم سادة، وهم إخوة: عبدياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو. فعرض عليهم نفسه. فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قطّ.

وقال الآخر: أعجز على الله أن يرسل غيرك.

وقال الآخر: والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً. فلئن كنت رسولاً كسما تقول. فأنت أعظم خطراً من أن يردّ عليك الكلام. وإن كنت تكذب على الله، فما ينبغى لى أن أكلّمك بعد.

وتهزّؤا به، وأفشوا في قومه ما راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله عليه الله عليه عليه ولا يضعهما إلّا رضخوهما بالحجارة، حتّى أدموا رجليه، فخلص منهم وهما تسيلان دماً.

فعمد إلى حائط من حوائطهم، واستظلٌ في ظلٌ نخلة منه، وهمو مكروب موجع، تسيل رجلاه دماً، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلمّا رآهما كره مكانهما، لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله. فلمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس، معه عنب، وهو نصرانيّ من أهل نينوى. فلمّا جاءه قال له رسول الله ﷺ؛ من أيّ أرض أنت؟

قال: من أهل نينوي.

٣٣٨ ..... زيدة التفاسير \_ ج ٦

قال على الله عن مدينة العبد الصالح يونس بن متّى ؟ فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متّى ؟

قال: أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى. فلمّا أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس، خرّ عداس ساجداً لله ولرسوله ﷺ، وجعل يقبّل قدميد، وهما يسيلان الدم.

فلمّا أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا. فلمّا أتاهما قالا: ما شأنك سجدت لمحمّد، وقبّلت قدميه، ولم نرك فعلت ذلك بأحدٍ منّا.

قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إليــنا. يدعى: يونس بن متّى.

فضحكا وقالا: لا يفتننُّك عن نصرانيُّتك، فإنَّه رجل خدّاع.

وروي: أنَّ الجنَّ كانت تسترق السمع، فلمّا حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا لنبأ حدث. فنهض سبعة أو تسعة من أشراف جنَّ نصيبين أو نينوى \_ منهم زوبعة \_ فضربوا حتَّى بلغوا تهامة، ثمّ اندفعوا إلى وادي نخلة، فوافوا رسول الله وهو قائم في جوف الليل يصلَّى، أو في صلاة الفجر، فاستمعوا لقراءته.

وقال آخرون: أمر رسول الله أن ينذر الجنّ ويدعوهم إلى الله، ويقرأ عليهم القرآن. فصرف الله إليه نفراً من الجنّ من نينوى. فقال ﷺ : إنّي أمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة، فأيكم يتبعنى؟ قالها ثلاثاً. فأطرقوا إلّا عبدالله بن مسعود.

قال: ولم يحضر معه أحد غيري. فانطلقنا حتّى إذا كنّا بأعلى مكّة. ودخل نبيّ الله شعباً يقال له شعب الحجون. فخطّ لي خطّاً ثمّ أمرني أن أجلس فيه. وقال: لا تخرج منه حتّى أعود إليك. ثمّ انطلق حتّى قام، فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتّى لم أسمع صوته. ثمّ انطلقوا وطفقوا يتقطّعون مثل قطع السحاب ذاهبين.

فقال لي رسول الله: هل رأيت شيئاً؟

فقلت: نعم، رأيت رجالاً سوداً مستثفري<sup>(١)</sup> ثياب بيض.

قال: أولئك جنّ نصيبين. وكانوا اثني عشر ألفاً. والسورة الّتي قرأها عليهم «اقرأ باسم ربّك».

وروى علقمة عن عبدالله قال: لم أكن مع النبيَّ ﷺ ليلة الجنّ ، ووددت أنّي كنت معه.

وروي عن ابن عبّاس: أنّهم كانوا سبعة نفر من جنّ نصيبين. فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم.

وقال زرّ بن حبيش: كانوا تسعة نفر، منهم زوبعة.

وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال: لمّا قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا، فلم يقولوا شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: «الجنّ كانوا أحسن جواباً منكم، لمّا قرأت عليهم: ﴿فَبِايٌ آلاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا ولا بشيء من آلائك ربّنا نكذّب».

ثمّ بين سبحانه تمام خبر الجنّ، فقال حاكياً عنهم: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَغِر مُوسَىٰ﴾ يعنون القرآن، عن عطاء: إنّما قالوا ذلك لأنّهم كانوا يهوداً، وعن ابن عبّاس: لأنّهم ما سمعوا بأمر عيسى ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدّمه من الكتب ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ من أصول العقائد الحقّة ﴿ وَإِلَى طَوِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ من فروع الشرائع.

<sup>(</sup>١) الاستثفار: أن يدخل إزاره بين فخذيه ملوياً، كما يفعل الكلب بذنبه.

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا مَاعِيَ اللهِ ﴾ يعنون محمداً ﷺ . إذ دعماهم إلى توحيده وخلع الأنداد دونه ﴿ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ بالله ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ ﴾ بعض ذنوبكم ، وهو ما يكون في خالص حق الله ، فإنّ المظالم لا تغفر بالإيمان . ونحوه قوله تعالى : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهُ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ (١٠) ﴿ وَيُجِرْكُمْ ﴾ ويخلصكم ﴿ مِنْ عَدُلُ اللهِ هِ معد للكفّار .

﴿ وَمَن لَا يُجِبُ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ فلا يعجز الله، إذ لا ينجى منه مهرب، ولا يسبق قضاءه سابق، ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَانْنا طَلَقَنّا أَن لَنْ نُعْجِزَ الله فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُعْجِزَهُ هَرَبا﴾ (\*). ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِينَاءٌ ﴾ أنصار يمنعونه من الله، ويدفعون عنه العذاب ﴿ أُولَئِنَكَ ﴾ يعني: الّذين لا يجيبون داعي الله ﴿ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه.

واعلم أنّه اختلف في أنّه هل للجنّ ثواب كالإنس؟ فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم إلّا النجاة من النار، لقوله: ﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ البِيمِ﴾ (٣). والصحيح: أنّهم في حكم بني آدم، لأنّهم مكلّفون مثلهم.

وعن عليّ بن إبراهيم قال: «فجاوًا إلى رسول الله ﷺ وآمنوا به، وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الاسلام، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلُ أُوحِيّ إِلَيْ النّهُ اسْتَمَعَ نَفُرٌ مِنَ الْجَالِي اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ المِلم

وفي هذا دلالة على أنَّه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجنِّ، كما كان سبعوثاً إلى

<sup>(</sup>١) نوح: ٣ ـ ٤.

<sup>(</sup>٢) الجنّ : ١٢.

<sup>(</sup>٣) الأحقاف: ٣١.

<sup>(</sup>٤) الجنّ: ١.

<sup>(</sup>٥) تفسير عليّ بن إبراهيم ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

أُولَمُ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ مِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخِييَ الْمُؤْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيُوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْيسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ اللَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْيسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنُّهُمْ يَوْمَ يَوْوَلَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَنُواۤ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ قَالٍ بَلاَحْ فَهَلْ يَعْلَى الْفَارِ بَلاَحْ فَهَلْ اللَّهُ الْفَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

ولمّا صدّر السورة بتحقيق المبدأ، أراد ختمها بإثبات المعاد، فقال:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوَا﴾ أُولَم يعلموا ﴿ أَنَّ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَـمْ يَـعْنِي بِخُلْقِهِنَّ﴾ أي: لم يصبه في خلق ذلك إعياء ولا تعب، ولم يعجز عنه. يقال: فلان عيِّ بأمره، إذا لم يهتد له ولم يقدر عليه، أي: قدرته التامّة ثابتة على حالها بعد خلق السماوات والأرض، ولا تنقص ولا تنقطع بإيجادهما.

﴿ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْمِينَ الْمَوْتَىٰ ﴾ في محل الرفع على أنّه خبر «أنّ». ويدلّ عليه قراءة يعقوب: يقدر. وإنّما دخلت الباء المزيدة عليه، لاشتمال النفي في أوّل الآية على «أنّ» وما في حيّزها، كأنّه قال: أليس الله بقادر. ولذلك أجاب عنه بقوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾ هو قادر عليه ﴿ إِنّه عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تقريراً للقدرة على وجه عامّ يكون كالبرهان على المقصود، وهو قدرته على البعث.

٣٤٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَقَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ منصوب بقول مضمر مقوله ﴿ الْنِسَ هَذَا بِالْحَقُّ ﴾ والإشارة إلى العذاب، بدليل قوله: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبُنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ بكفركم في الدنيا. ومعنى الأمر هو الإهانة بهم، والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، وقولهم: ﴿ وَمَا نَجْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (١).

﴿ فَاصْبِرَ ﴾ يا محمد على أذى هؤلاء الكفّار، وعلى ترك إجابتهم لك ﴿ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْحَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ أولوا النبات والجدّ منهم، فإنّك من جملتهم، و«من» للتبيين، وقيل: للتبعيض، وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على تحمّل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها. ومشاهيرهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله الله ومروى أيضاً عن ابن عبّاس وقتادة.

وقبل: الصابرون على بلاء الله، كنوح صبر على أذى قومه، كانوا يضربونه حتى يغشى عليه. وإبراهيم على النار، وذبح ولده. والذبيح على الذبح. ويعقوب على فقد الولد، وذهاب بصره. ويوسف على الجبّ والسجن. وأيّوب على الضرّ. وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كُلّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١٦). وداود بكى على ترك ندبه أربعين سنة. وعيسى لم يضع لبنة على لبنة. قال: إنّها معبر، فاعبروها ولا تعمروها. وقال الله تعالى في آدم: ﴿وَلَهُمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (١٦). وفي يونس ﴿ وَلاَ تَمَكُونُ مَصَاحِبِ النُحُوبِ﴾ (١٤).

﴿ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ لكفّار قريش بالعذاب، أي: لا تدع عليهم بتعجيله، فإنّه

<sup>(</sup>١) الصافّات: ٥٩.

<sup>(</sup>٢) الشعراء: ٦١ \_ ٦٢.

<sup>(</sup>٣) طّه: ١١٥.

<sup>(</sup>٤) القلم: ٤٨.

سورة الأحقاف، آية ٣٣ ـ ٣٥ .....

نازل بهم لا محالة وإن تأخّر ﴿ كَالنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿ لَمْ يَلْبَدُوا ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ أي: إذا عاينوا العذاب استقصروا من هوله مدّة لبثهم في الدنيا والبرزخ، حتّى يحسبوها ساعة من نهار.

و بَلَاغُ﴾ هذا الذي وعظتم به أو هذه السورة بلاغ، أي: كفاية. أو هذا تبليغ من الرسول. وقيل: مبتدأ خبره «لهم»، وما بينهما اعتراض، أي: لهم وقت يبلغون إليه كأنهم إذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدّة عمرهم. ﴿فَهَلْ يُهَلَكُ ﴾ أي: لا يهلك ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الخارجون من أمر الله، المتمرّدون في الفسق والمعاصي. وعن الزجّاج: ما جاء في رجاء رحمة الله شيء أبلغ من هذه الآية.





## سورة محمد ﷺ

وهي ثمان وثلاثون آية.

أبيّ بن كعب قال: «قال النبيّ ﷺ؛ من قرأ سورة محمّد ﷺ كان حقّاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنّد».

وروى أبو بصير عن أبي عبدالله الله قال: «من قرأها لم يدخله شكّ في دينه أبداً، ولم يزل محفوظاً من الشرك والكفر أبداً حتّى يموت، فإذا مات وكّل الله به في قبره ألف ملك يصلّون في قبره، ويكون ثواب صلواتهم له، ويشيّعونه حتّى يوقفوه موقف الأمن عند الله، ويكون في أمان الله وأمان محمد ﷺ.

وقال 樂: «من أراد أن يعرف حالنا وحال أعدائنا فليقرأ سورة محمّد ﷺ، فإنّه يراها آية فينا وآية فيهم».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِلَ عَلَى مُحَمَّد وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّنَاتِهِمْ وَأَصُلُحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا انَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا انَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلتَاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾

واعلم أنّ الله سبحانه لمّا ختم تلك السورة بوعيد الكفّار، افتتح هذه السورة بمثلها، فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه، أو منعوا الناس عنه. وهم المطعمون يوم بدر. وكانوا عشرة أنفس، أطعم كلَّ واحد منهم الجند يوماً. وعن مقاتل: كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك، يصدون الناس عن الاسلام، ويأمرونهم بالكفر. أو شياطين قريش. أو المصرون من أهل الكتاب، صدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام، أو عام في جميع من كفر وصد.

﴿ اضَلَّ اعْمَالُهُمْ﴾ أي: جعل مكارمهم \_كصلة الرحم، وفك الأسارى، وحفظ الجوار \_ضالّة، أي: ضائعة محبطة بالكفر. أو جعلها ضالّة في كفرهم ومعاصيهم، كالضالّة من الإبل الّتي هي مضيّعة لاربّ لها يحفظها ويعتني بأمرها. أو مغلوبة مغمورة في الكفر، كما يضلّ الماء في اللبن. أو ضلالاً، حيث لم يقصدوا به وجه الله. أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصدّ عن سبيله، بنصر رسوله، وإظهار دينه على الدين كلّه.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يعمّ المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم ﴿ وَآمَنُوا بِهَا نُزِّل عَلَى مُحَدِّهِ تخصيص للمنزل عليه ممّا يجب الإيمان به تعظيماً له، وإشعاراً بأنّ الإيمان لا يتمّ بدونه، وأنّه الأصل فيه. ولذلك أكّده بالجملة الاعتراضيّة التي هي قوله: ﴿وَهُو﴾ أي: وما نزل على محدد اللّي ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِم ﴾ وحقيقته بكونه ناسخاً لا ينسخ ﴿ عَفْر عَنْهُمْ سَيئناتهِم ﴾ سترها، وغفر لهم بالإيمان وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي، لرجوعهم عنها وتوبتهم ﴿ وَأَصْلَحَ بَاللّهُم ﴾ شأنهم وحالهم في الدين والدنيا، بالتوفيق واللطف في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما مرّ من إضلال أعمال أحد الفريقين، وتكفير سيبّات الثاني، والإصلاح. وهو مبتدأ خبره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَقَنُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا الْتَبَعُوا الْبَاطِل وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا الْتَبَعُوا الْبَاطل، واتّباع هولاء التَّبَعُوا الْحَقِّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أي: ذلك كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل، واتباع هؤلاء الحق . وهذا تصريح بما أشعر به ما قبلها، ولذلك ستي تفسيراً.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الضرب ﴿ يَضْبُوبُ اللهُ لِلدَّاسِ ﴾ يبيّن لهم ﴿ أَشْفَالَهُمْ ﴾ أُحوال الفريقين، أو أحوال الناس. أو يضرب أمثالهم، بأن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفّار، والإضلال مثلاً لخيبتهم، واتباع الحقّ مثلاً للمؤمنين، وتكفير السيّئات مثلاً لفوزهم، لرجوعهم عنها وتوبتهم.

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَاۤ أَلْمُخَنتُمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَلَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشِآءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَبُلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِبِهِمْ ويُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدُخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ٣٤٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿٦﴾ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَّنُوآ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرُكُمْ وُيُشِّتُ أَقْدَامَكُمُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَمَالُهُمْ ﴿٨﴾ وَلِكَ بِأَنْهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَأَخْبَطَ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ وَلِكَ بِأَنْهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَأَخْبَطَ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾

ثمّ أمر سبحانه بقتال الكفّار، فقال: ﴿ فَإِذَا نَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفُرُوا ﴾ في المحاربة ﴿ فَضَرْبَ الرُّقَابِ ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل، وقدّم المصدر، وأنيب منابه، مضافاً إلى المفعول، ففيه اختصار، مع معنى التوكيد. والتعبير به عن القتل إشعار بأنّه ينبغي أن يكون بضرب الرقبة حيث أمكن، إن اختاره الإمام عندنا. وتصوير له بأشنع صورة، لأنّ في هذه العبارة من الفلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل، وهو حزّ العنق، وإطارة المضو اللّذي هو رأس البدن وعلوه (١١) وأوجه أعضائه. ولقد زاد في هذه الفلظة في قوله تعالى: ﴿ فَاضْوِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا أَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَفْخَنْتُمُوهُمْ ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه. من التخين، وهو الغليظ. أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض. ﴿ فَشُدُوا الْمؤثاقَ ﴾ فأسروهم واحفظوهم. والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به. ﴿ فَإِمَّا مَنْاً بَعْدُ ﴾ فإمّا تمدون فداءً.

والمراد التخيير بعد الأسر بين المنّ والإطلاق، وبين أخذ الفداء. وهو ثابت عند الشافعيّة، فإنّ الذكر الحرّ المكلّف إذا أسر تخيّر الامام بين القتل والمنّ والفداء

<sup>(</sup>١) عَلْوُ الشيء: نقيض سفله وسفالته.

<sup>(</sup>٢) الأنفال: ١٢.

والاسترقاق. وعند الحنفيّة يتخيّر بين القـتل والاسـترقاق. فـعلى قـولهم الآيـة منسوخة، أو مخصوصة بحرب بدر. وظاهر الآية قريب من مذهب الشافعيّة.

وفي التحقيق الآية تمنع القتل بعد الإثخان والأسر، لتقييد المنّ والفداء بكونه بعد الأسر، ولم يذكر معهما القتل. وعلى التقادير ؛ فالاسترقاق علم بالسنّة. هذا، وقد قيل: إنّ الأسر كان محرّماً بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِتَدِينُ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ﴾ (١١. حتى نسخ بهذه الآية.

﴿ حَتَّىٰ تَضَعُ الْحَرْبُ الْوَزَارَهَا﴾ أي: يضع أهل الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الحرب إلا بها، كالسلاح والخيل والركاب، أي: تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم. وسمّيت أوزارها، لانّه لمّا لم يكن لها بدّ من جرّها فكأنّها تحملها وتستقلّ بها، فإذا انقضت فكأنّها وضعتها. وقيل: آثامها. والمعنى: حتّى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم. وهو غاية للضرب، أو الشدّ، أو للمنّ والفداء، أو للمحدوع، يعني: أنّ هذه الأحكام جارية فيهم حتّى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم. وقيل: بنزول عيسى.

وقال الحسن: إنّ الامام مخيّر بين المنّ والفداء والاسترقاق، وليس له القتل بعد الأسر. فكأنّه جعل في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: فضرب الرقاب حتّى تضع الحرب أوزارها. ثمّ قال: حتّى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإمّا منّاً وإمّا فذاءً.

وقيل: حكم الآية منسوخ بآية السيف<sup>(٣)</sup>. وليس بشيء، لأصالة عدم النسخ. والتخصيص خير منه.

والمنقول عن أهل البيت ﷺ: أنّ الأسير إن أخذ والحرب قائمة، كان الإمام

<sup>(</sup>١) الأنفال: ٧٧.

<sup>(</sup>٢) التوبة: ٥ و ٢٩.

مخيراً بين أن يقتله، أو يقطع يده ورجله من خلاف، ويتركه حتّى ينزف ويموت. وإن أخذ بعد انقضاء الحرب تخيّر الامام بين المنّ والفداء والاسترقاق، ولا يجوز القتل. ولو حصل منه الاسلام في الحالين منع القتل خاصّة. فعلى هذا يكون قول الحسن موافقاً لمذهبنا. ويقوى القول بالتقديم والتأخير، ولا حرج في ذلك.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: الأمر ذلك، أو افعلوا بهم ذلك ﴿ وَلَوْ يَشَاءَ اللهُ لاَنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة، من خسف، أو رجفة، أو حاصب، أو غرق، أو موت مستأصل ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْلُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين، بأن يجاهدوهم فيستوجبوا التواب العظيم، والكافرين بالمؤمنين، بأن يعاهدوهم عبد عليه كي يرتدع بعضهم عن الكفر.

﴿ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا﴾ جاهدوا ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ قرأ البصريّان وحفص: قتلوا، أو أي: استشهدوا ﴿ فَلَنْ يُضِلَّ اعْمَالَهُمْ ﴾ فلن يضيّعها ﴿ سَيهْدِيهِمْ ﴾ إلى الشواب، أو سيثبت هدايتهم ﴿ وَيُصْلِحُ بَالهُمْ ﴾ بالرسوخ على العقيدة الحقّة ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنّة عَرْفَهَا لَهُمْ ﴾ وقد عرّفها لهم في الدنيا حتّى اشتاقوا إليها، فعملوا ما استحقّوها به، أو بيّنها لهم بحيث يعلم كلّ واحد منزله ويهتدى إليه.

قال مجاهد: يهتدي أهل الجنّة إلى مساكنهم منها لا يخطؤن، كأنّهم كـانوا سكّانها منذ خلقوا.

وعن مقاتل: إنّ الملك الّذي وكّل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بـين يـديه. فيعرّفه كلّ شيء أعطاه الله.

أو طيّبها لهم، من العرف وهو طيب الرائحة. أو حدّدها لهم بحيث يكون لكلً جنّة مفرزة عن غيرها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا الله الله أي: إِن تنصروا دينه ورسوله ﴿ يَنْصُرُكُم الله على عدو كم ﴿ وَيُثَبِّنُ أَقَدَامَكُم الله في مواطن الحرب، بالتشجيع وتقوية القلوب وتنبيتها. أو على محجّة الاسلام، والقيام بحقوقه. ﴿ وَالَّذِينَ تَغَثُرُوا فَتَغْسَا لَهُمْ ﴾ فعثوراً وانحطاطاً وهلاكاً. ونقيضه: لما له. أي: نجاة. وتقول للعائر: لها لك، إذا دعوت بالانتعاش والثبات. وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً، تقديره: فقال: تعساً لهم، أو فقضى تعساً لهم، أو أتعسهم الله فتعسوا تعساً. والجملة خبر «اللذين كفروا». ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ عطف عليه. وعن ابن عباس: يريد: في الدنيا القتل، وفي الآخرة الترذي في النار.

﴿ ذَلِكَ﴾ التعس والإضلال ﴿ بِانَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ القرآن، لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم، من الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ، فشق ذلك عليهم وتعاظمهم. وهذا تصريح بسببيّة الكفر بالقرآن للتعس والإضلال. ﴿ فَالْحَبُطُ أَعْمَالُهُمْ ﴾ كرّره إشعاراً بأنّ إحباط الأعمال يلزم الكفر، ولا ينفكّ عنه بحال.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَينظُرُوا كَلِفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن فَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلْيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْنَالُهَا ﴿ ١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴿ ١١﴾

ثمّ نبّههم سبحانه على الاستدلال على صحّة ما دعاهم إليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله ، فقال:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم ﴿ وَلِلْكَافِدِينَ ﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير ﴿ أَمْثَالُهُا ﴾ أمثال تلك العاقبة المذكورة. أو العقوبة. أو الهلكة، لأنّ التدمير يدلّ عليها. أو السنّة، لقوله: ﴿ سُنتَ اللهِ التِّي قَدْ خَلَتَ ﴾ (١١). ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ (١).

﴿ ذَلِكَ﴾ أي: الَّذِي فعلناه في الفريقين ﴿ فِإِنَّ اللهُ مَوْلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولِتُهم وناصرهم على أعدائهم وحافظهم ﴿ وَانَّ الْمَاقِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ينصرهم، فيدفع العذاب عنهم عاجلاً أو آجـلاً. وهـو لا يـخالف قـوله: ﴿ وَرُدُوا إِنّـى اللهِ مَـوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾ (\*) فإنَّ المولى فيه بمعنى المالك.

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتَهَا الْأَبْهَارُ وَالَّذِينَ كَلَوُوا يَتَمَنَّعُونَ وَيَأْكُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَبْعَامُ وَالنَّالُ مَثْوَى لَهُمْ ﴿ ١٧﴾ وَكَأْيِن مِن قَرِّية هِي أَشَدُ قُوَةً مِن قَرْيَكَ الَّتِي أَخْرَجَتُكَ أَهْلَكُمُاهُمْ فَلا نَاصِرَ وَكَانِ مِن قَرْيَة هِي أَشَدُ قُوَةً مِن قَرْيَكَ الَّتِي أَخْرَجَتُكَ أَهْلَكُمُاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿ ١٣﴾ أَفْمَن كَان عَلَى بَنِيتَة مِن رَبِه كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمله وَاتَبْعُوا أَهُمْ ﴿ ١٤﴾ أَفْمَن كَان عَلَى بَنِيتَة مِن رَبِه كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمله وَاتَبْعُوا أَهُمْ وَيَها أَنْهَارُ مِن مَا أَنْهَارُ مِن مَا عَمْدُ وَأَنْهَارُ مِن مَا عَمْدُ وَمُغْوَرٌ مِن لَيْنِ مِن لَبَنِ مَنْ مُ الشَّورِينَ وَأَنْهَارُ مِن لَيْ مِن مَا عَمْدُ وَمُغُورٌ مِن رَبِهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَمَغْفَرَةٌ مِن رَبِهِمُ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَمَغْفَرَةٌ مِن رَبِهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَا عَ حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿ ١٥٠﴾

<sup>(</sup>١) الأحزاب: ٣٨.

<sup>(</sup>٢) يونس: ٣٠.

ثمّ ذكر مآل حال الفريقين بقوله: ﴿إِنَّ الثَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِخَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ من تحت أسجارها وأبنيتها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَمَتَّعُونَ ﴾ ينتفعون بمتاع الدنيا أيّاماً قلائل ﴿ وَيَاكُلُونَ كَمَا تَاكُلُ الْأَنْفَامُ ﴾ في
مسارحها ومعالفها، غافلة عمّا هي بصدده من النحر والذبح. فهم أيضاً يكونون
حريصين غافلين عن وخامة العاقبة، غير مفكّرين فيها، ﴿ وَالفَّالُ مَثُوى لَهُمْ ﴾ منزل
ومقام لهم.

﴿ وَكَائِنَ مِنْ قَزَيَةٍ هِيَ الشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَزَيَتِكَ التِّي الْحَرَجَتَكَ ﴾ على حذف المضاف وإجراء أحكامه على المضاف إليه. كانّه قال: وكم من قرية هم أشدٌ قوّة من قومك الذين أخرجوك، أي: كانوا سبب خروجك. ﴿ الْهَلْكَتَاهُمْ ﴾ بأنواع السذاب ﴿ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ يدفع عنهم المذاب. وهو كالحال المحكيّة، كقولك: أهلكناهم فهم لا ينصرون.

ثمَّ قال سبحانه على وجه التهجين والتوبيخ للكفَّار والمنافقين:

﴿ أَفَعَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ حجّة واضحة من عنده. وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات. أو ما يعته من الحجج العقليّة للمؤمنين. ﴿ كَفَن زُيِّنَ لَـهُ سُـقَءُ عَمْلِهِ ﴾ من الشرك والمعاصي. وهم أهل مكّة الذين زيّس لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله. ﴿ وَالنَّبَعُوا أَهْوَآمَهُمْ ﴾ شهواتهم في ذلك، لا شبهة لهم عليه فضلاً عن حجّة. وتوحيد الضمير أوّلاً وجمعه ثانياً على اللفظ والمعنى.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّذِي وُعِدَ الْمُتَقُونَ﴾ صفة الجنّة العجيبة الشأن فيما قـصصنا عليك. وقيل: هو مبتدأ خبره «كمن هو خالد في النار» الآتي بعد.

وهذا كلام صورته الإثبات، ومعناه النفي والإنكار، لانطوائه تبحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار، ودخوله في حيّزه، وانخراطه في سلكه. فهو كقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْنَةِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ رَبِّن له سوء عمله ﴾ . فكأنّه قيل: أمثل أهل الجنّة ٣٥٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

كمثل من هو خالد؟ أو أمثل الجنّة كمثل جزاء من هو خالد؟ وحذف ما حــذف استغناءً بجري مثله.

وفي تعريته من حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسّك بالبيّنة والتابع لهواه، وأنّه بمنزلة من يسوّي بين الجنّة الّتي تجري فيها تلك الأنهار، وبين النار الّتي يسقى أهلها الحميم. ونظيره: قول القائل:

أَفْ رَحُ أَنْ أَرِزاً الكسرام وأَنَ ﴿ أُورِثَ ذُوداً ١٠ شَصَائُكا لَـ بَلاًّ

فإنّه كلام منكر للفرح برزيّة الكرام ووراثة الذود، مع تعرّيه عمن حـرف الإنكار، لانطوائه تحت قول من قال: أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبـله؟ والّـذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصوّر قبح ما انّهم به. فكأنّه قال: نعم، مثلي يفرح بمرزأة الكرام، وبأن يستبدل منهم ذوداً يقلّ طائله. وهو من التسليم الّـذي تحته كلّ انكار.

وعلى الأوّل قوله: «كمن هو خالد» خبر محذوف، تقديره: أفمن هو خالد في هذه الجنّة كمن هو خالد في هذه الجنّة كمن هو خالد في النار؟ أو بدل من قوله: «كمن زيّن له سوء عمله». وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بيّنة في الآخرة، تقريراً لإنكار المساواة.

﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَامٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ استئناف لشرح المثل، كأنَّ قائلاً قال: وما مثلها؟ فقيل: فيها أنهار. ويجوز أن يكون في موضع الحال، أي: مستقرّة فيها أنهار. أو خبر لامثل». و«آسن» من: أسَنَ الماء بالفتح إذا تغيّر طعمه وريحه، أو بالكسر على معنى الحدوث. وقرأ ابن كثير: أسن بغير مدّ.

 <sup>(</sup>١) الذَّوْد: الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين ولا يقلّ عن الثلاث. والشَصائص جمع الشَصُوص:
 الناقة أو الشاة القليلة اللبن. والنّبَل: الكبار من الإبل، والصفار منها، فهو من الأضداد.

﴿ وَانْهَارٌ مِنْ لَنَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ لم يصر قارصاً ١١ ولا حازراً، كما يكون في ألبان الدنيا.

﴿ وَانْهَارُ مِنْ خَمْرٍ لَذَةِ لِلشَّاوِبِينَ ﴾ لذيذة لا يكون فيها غائلة مرارة وسكر وخمار وريح وصداع. وهي تأنيث لذ، وهو اللذيذ. أو مصدر نعت به بإضمار ذات، أي: ذات لذّة. أو تجوّز. والمعنى: ما هو إلّا التلذّذ الخالص، ليس معه ذهاب عقل ولا خمار، ولا آفة من آفات الخمار.

﴿ وَأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفِّى ﴾ لم يخالطه الشمع والرغوة، وسائر فضلات النحل وغيرها، كما في عسل الدنيا. والمعنى: فيها أنواع الأشربة الّتي تكون في الدنيا. مجرّدة عمّا ينقصها وينفّصها، موصوفة بغاية الالتذاذ. وفي الأنهار دلالة على غزارة أنواع الأشربة واستمرارها.

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلُّ الشَّمْرَاتِ ﴾ أي: لهم فيها صنف من الشمرات لا يعرفون اسمها، وصنف منها يعرفون لشمرات الدنيا وَمَثْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ عطف على الصنف المحذوف. أو مبتدأ خبره محذوف. أي: لهم مغفرة. ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيماً ﴾ شديد الحرارة، مكان تلك الأشربة ﴿ فَقَطْعُ أَمْعَامُهُمْ ﴾ من فرط الحرارة.

وَمِنْهُم مَّن يَسْشَمُعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا حَرَجُوا مِنْ عِندكَ قَالُوا للَّذِينَ أُوتُوا الْعَلْمَ مَاذَا قَالَ آيَّفًا أُوْلِيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوآ أَهُوَآءَهُمُ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْـتَدَوْا زَادَهُمُ هُدَى وَآتَاهُمْ تَقُواهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَة

<sup>(</sup>١) القارص من الطعام: الحديد المنغَّص والحازر: الحامض.

أَن تَأْتِيُهُم بَغْنَةً فَقَدْ جَآءً أَشْرَاطُهَا فَأَنَى لَهُمْ إِذَا جَآءَثُهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبُكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

ثمّ بيّن سبحانه حال المنافقين، فقال: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ يسمعون كلامك ﴿ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ﴾ من مجلسك. وتوحيد الضمير وجمعه ثانياً نظراً إلى لفظ «من» ومعناه. ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمُ ﴾ أي: لعلماء الأصحاب. وقيل: قالوه لعبدالله بن مسعود. وعن ابن عبّاس: أنا منهم.

و «آنفاً» من قولهم: أنف الشيء لما تقدّم منه. مستعار من الجارحة. ومنه: استأنفت الشيء إذا ابتدأته. ونصبه على الظرف، بمعنى: في أوّل وقت يقرب منّا. أو حال من الضمير في «قال». وقرأ ابن كثير: أيْفاً.

﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِ ﴾ تخلية بينهم وبين اختيارهم وخذلاناً. أو وسماً عليها بسمة الكفر، لتكون دالَّة عليه، فلعنتهم الملائكة لذلك. ﴿ وَالْمَبْعُوا أَهْوَآءَهُمْ ﴾ شهوات نفوسهم، وما مالت إليه طباعهم. فلذلك استهزؤا بكلام الله، وتهاونوا به.

ثم وصف سبحانه المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدَى﴾ أي: زادهم الله بالتوفيق والإلهام. وقيل: الضمير لقول الرسول، أو لاستهزاء المنافقين. ﴿وَآتَاهُمْ

سورة محمد ﷺ، آية ٢٠ \_ ٢٤ \_ . . . . . . . ٢٥٧

تَقْوَاهُمْ﴾ بيّن لهم ما يتّقون، أو أعانهم على تقواهم، أو أعطاهم جزاءها.

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ فليسوا ينتظرون إلّا القيامة ﴿ أَن تَاتِيَهُمْ بَـ فَتَهُ ﴾ بدل اشتمال من الساعة، نحو: ﴿ أَن تَطَوُّهُمْ » في قوله: ﴿ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءَ مُؤْمِنُاتُ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَعَلُّوهُمْ ﴾ (أ. ﴿ فَقَدْ جَآءَ الشّرَاطُهَا ﴾ علاماتها، كمبعث خاتم الأنبياء، وانشقاق القمر. وهو متصل بإتيان الساعة اتصال العلّة بالمعلول. ﴿ فَالنّي لَهُمْ ﴾ هذا جواب الشرط، وهو قوله: ﴿ إِنّا جَآءَتُهُمْ لِخُواهُمْ ﴾ . والمعنى: فكيف لهم ذكراهم .. أي: تذكّرهم .. إذا جاءتهم الساعة، وحينئل لا تنفعهم الذكرى ؟

﴿ فَاعْلَمْ اللّهُ لا إِللّهُ إِلاَ اللهُ ﴾ أي: إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدائية ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِدَنْدِكَ ﴾ لترك ندبك، بالإقدام على ما هو أولى فعله، والثبات على الذي هو موجب لكمال النفس، وعلى إصلاح أحوالها، وهضمها وتواضعها وانقطاعها إلى الله، فإنّ تكميل النفس لا يكون إلا بذلك. ولا يجوز إطلاق الكلام على ظاهره، لأنّ استغفار الأنبياء لا يجوز أن يكون للذنوب، لأنهم معصومون عنها صغيرها وكبيرها.

﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ واستغفر لذنوبهم بالدعاء لهم، والتحريض على ما يستدعي غفرانهم. وفي إعادة الجاز، وحذف المضاف، إشعار بالفرق بين استغفاره له واستغفاره للمؤمنين والمؤمنات.

﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ﴾ في الدنيا، فإنّ للعبد مراتب ومراحل، ينقلب فيها من أوّل خلقه إلى آخر عمره ﴿ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ في العقبي، فإنّها دار إقامتكم.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلتُ سُورٌةٌ فَإِذَاۤ أُنْزِلتُ سُورٌةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِ عَلَيْهِ مِن

<sup>(</sup>١) الفتح : ٢٥.

الْمُوْتِ فَأُوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلُوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوْلَيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتَقَطِّعُواۤ أَرْحَامَكُمُ ﴿٢٢﴾ أُولِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٓ أَبِصَارَهُمُ ﴿٣٢﴾ أَفَلاَ يَدَثَرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾

روي: أنّ ضعفاء المؤمنين أو المنافقين كانوا يدّعون الحرص على الجهاد. ويتمنّونه بألسنتهم، فلمّا نزلت سورة في الأمر بالجهاد شقّ عليهم وكـرهوا مـنه. فنزلت:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا ﴾ هلا ﴿ نُزَّلَتْ سُورَةً ﴾ في أمر الجهاد ﴿ فَإِذَا الزِلَتْ سُورَةُ مُحْكَمَةً ﴾ مبيّنة لا تشابه فيها ﴿ وَتُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ أي: الأمر به. وعن قتادة: كلَّ سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة غير منسوخة، وهـي أشـد القرآن عـلى المنافقين.

﴿ زَائِتَ الذِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ضعف في الدين، غير ثابتي الأقدام. وقيل: نفاق. ووضع الظاهر في موضع الضمير لبيان علّة التقاعد عن الحرب والكراهة منه. ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلّص الثابتين، وأنّهم يتشوّقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم، فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد تضجّر المنافقون منها. ﴿ يَنْظَرُونَ إلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي: تشخص أبصارهم جبناً ومخالفة، كما ينظر من أصابته الغشية عند العوت.

﴿ فَاوْنَىٰ نَهُمْ﴾ فويل لهم. أفعل من الولي، وهــو القـرب. ومـعناه: الدعــاء عليهم، أي: أقرب لهم المكروه. أو فعلى، من: آل، أي: يؤول المكروه إليهم. ﴿ طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفَ﴾ استئناف، أي: أمرهم طاعة وقول معروف. أو طاعة وقول معروف. أو طاعة وقول معروف. وقول معروف. وقول معروف. وقيل: «أولى» مبتدأ، وهذا خبره، أي: أولى وأحرى لهم طاعة لله ورسوله وقول معروف بالإجابة، أي: لو أطاعوا وأجابوا كانت الطاعة والإجابة أولى لهم. وهذا قول ابن عبّاس في رواية عطاء، واختيار الكسائي.

﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ أي: جدّ ولزم أمر القتال. والعزم والجدّ حقيقة لأصحاب الأمر، وإسناده إليه مجاز. ومنه قوله: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ ﴾ (١٠) وقولهم: إنّ الأمر معزوم لا عازم. وعامل الظرف محذوف، وهو: أذكر. وجواب «إذا» محذوف تقديره: فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من أنفسهم. ويدل على حذفه قوله: ﴿ فَلَوْ صَدَفُوا الله ﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الايمان. أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم ﴿ لَكَانَ ﴾ الصدق ﴿ خَيْراً لَهُمْ ﴾ في دينهم ودنياهم من نفاقهم.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ فهل يتوقع منكم؟ وقرأ نافع بكسر السين. وهو غريب. ﴿إِنْ
تَوَلَّيْتُهُ﴾ أمور الناس وتأمّرتم عليهم، أو أعرضتم وتولّيتم عن الاسلام ﴿أنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَتُهُ﴾ تناحراً على الولاية وتجاذباً لها، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهليّة من التغاور ومقاتلة الأقارب.

والمعنى: أنّهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا، أحقًاء بأن يتوقّع ذلك منهم من عرف حالهم في ضعف الإيمان ومرض النفاق، ويـقول لهـم: هـل عسيتم. فنقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات، ليكون أبلغ في التوبيخ.

وإلحاق الضمير ب«عسى» على لغة الحجاز. وأمّا بنو تميم فـ لا يـ لحقون

<sup>(</sup>۱) الشورى: ٤٣.

الضمائر، ويقولون: عسى أن تفعل، وعسى أن تفعلوا. وخبره «أن تفسدوا»، و«إن تولّيتم» اعتراض. وعن يعقوب: تُولِّليَّتُمْ، وتَقْطَعُوا من القطع، أي: إن تولاّكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد وقطيعة الرحم.

﴿أَوْلَٰذِكَ﴾ إِشَارة إلى المذكورين ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ لَافِسادهم، وقطعهم الأرحام ﴿فَاصَمْهُمُ أَي: فمنعهم ألطافه، الأرحام ﴿فَاصَمْهُمُ أَي: فمنعهم ألطافه، وخذلهم حتّى صمّوا عن استماع الموعظة، وعموا عن إيصار طريق الهدى، فلا يهتدون سبيله.

﴿ أَفَلَا يَتَذَبُّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ يتصفّحونه وها فيه من المواعظ والزواجر، حتى لا يجسروا على المعاصي. وعن قتادة: والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبّروه، ولكنّهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا. ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ لا يصل إليها ذكر، ولا ينكشف لها أمر. وقيل: «أم» منقطعة. ومعنى الهمزة فيها التقرير. وتنكير القلوب لأنّ المراد قلوب بعض منهم. أو للإشعار بأنّها لإبهام أمرها في القساوة، أو لفرط جهالتها ونكرها، كأنّها مبهمة منكورة. وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصّة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة. وهي أقفال الكفر التي استغلقت، فلا تنفته.

إِنَّ الَّذِينَ آرُنَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِن بَعْد مَا تَبَيْنَ لَهُمُ الْهَدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٥٧﴾ ذَلَكَ بِأَلَهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوْفَئْهُمُ الْمَلَآثِكَةُ يُضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٧٧﴾ ذَلِكَ بِأَلْهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخُطَ اللّهَ وَكُوهُوا رَضُوَانَهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالُهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن نَن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَالَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرْنِيَاكُهُمْ فَلَمَرَفْتُهم بسيمَاهُمُ وَلَتُعْرِفَتَهُمْ فِي لَحْن الْقَوْل وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُونَّكُمْ حَنَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهدينَ منكُمُ وَالصَّابِرِينَ وَيُبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيل اللَّه وَشَكَأَقُوا الرَّسُولَ من بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓا أَطْيِعُوا اللَّهَ وَأَطْيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوآ أَعْمَالَكُمُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبيل اللَّه ثُمَّ مَاتُوا وَهُمُ كُنَّارٌ فَلَن يَغْفَرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلاَ تَهْنُوا وَتَدْعُوٓاَ إِلَى السَّلْم وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿ ٣٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ النَّنُوا عَلَى الْنَبَارِهِمْ﴾ آي: رجعوا عن الإيمان إلى ما كانوا عليه من الكفر ﴿مِنْ بَغْدِ مَا تَبَيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ بالدلائل الواضحة، والمعجزات الظاهرة. وهم المنافقون.

وعن ابن عبّاس والسدّي والضحّاك: كـانوا يــؤمنون عـند النــبيّ ﷺ ثــمّ يظهرون الكفر فيما بينهم، فتلك ردّة منهم.

وعن قتادة: هم كفَّار أهل الكتاب كفروا بمحمَّد ﷺ، وقد عرفوه ووجدوا

وليس في هذا دلالة على أنّ المؤمن قد يكفر ، لأنّه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع في باطنه عن الإيمان بعد أن أظهره وقامت الحجّة عنده بصحّته.

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سهّل لهم اقتراف الكبائر وركوب العظائم. من السول، وهو التمنّي. وفيه: إن وهو الاسترخاء. وقيل: جملهم على الشهوات. من السول، وهو التمنّي. وفيه: إن السول مهموز، قلبت همزته واواً لضمّ ما قبلها. ويمكن ردّه بقولهم: هما يتساولان. ﴿ وَالْمَانِي لَهُمْ ﴾ ومدّ لهم في الآمال والأماني.

وقرأ أبو عمرو: أمْلِيَ لَهُمْ. على البناء للمفعول. وهو ضمير الشيطان أولهم، أي: أمهلوا ومدّ في عمرهم. وقرأ يعقوب: أمْلِيْ لَهُمْ. والمعنى: أنّ الشيطان يغويهم وأنا أملي لهم وأنظرهم وأمهلهم، ولم أعاجلهم بالعقوبة. فتكون الواو للمحال، أو الاستئناف.

ثمّ بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم، فقال: ﴿ ذَلِكَ بِالنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا فَزَّلَ اللهُ أَي: قال اليهود الذين كفروا بالنبيّ بعدما تبيّن لهم نعته في التوراة للمنافقين. أو المنافقون لقريظة والنضير، حيث قالوا لهم: لثن أخرجتم لنخرجسنّ معكم. أو أحد الفريقين للمشركين. والمرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله هيك أنهم بنو أميّة، كرهوا ما نزّل الله في ولاية علىّ بن أبي طالب على الله الله .

﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ في بعض الأمر الذي يهمَكم. وهو التكذيب برسول الله، أو بلا إله إلا الله. أو في بعض ما تأمرون به، كالقمود عن الجهاد، والموافقة في الخروج معهم، والتظافر على عداوة الرسول. ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمُ ﴾ ما أسرّه بعضهم إلى بعض من القول، وما أسرّوه في أنفسهم من الاعتقاد.

﴿ فَكَيْفَ ﴾ يعملون وما حيلتهم ﴿إِذَا تَوَقَّتُهُمُ الْمَانِكَةُ ﴾ إذا قبضت السلائكة أرواحهم ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَادْبَارَهُمْ ﴾ تصوير لتوقيهم بما يخافون سنه ويجتنبون عن القتال له. وعن ابن عبّاس: لا يتوفّى أحد على معصية الله إلّا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره.

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى التوقي الموصوف ﴿ بِالنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا السَّخَطَ الله ﴾ من الكفر، وكتمان نعت الرسول، وعصيان الأمر ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ ما يرضاه، من الإيمان برسول الله، والجهاد، وغيرهما من الطاعات ﴿ فَاحْبَطَ أَغْمَالُهُمْ ﴾ ولم يتقبّل لذلك.

﴿أَمْ هَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضُ أَنْ نَنْ يُخْرِجَ اللهُ ﴾ لن يـظهر الله لرسـوله والمؤمنين ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾ أحقادهم على المؤمنين، ولا يبدي خفاياهم للنبيّ ﷺ.

﴿ وَلَوْ نَشَاءَ لَأَرْيَنَاكَهُمْ ﴾ لعرّفناكهم بدلائل حتّى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك ﴿ فَلَكَوْ فَتُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلاماتهم الّتي يسمهم الله بها .

وعن أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شيء من المنافقين، بل كان يعرفهم بسيماهم. ولقد كنًا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس، فناموا ذات ليلة، وأصبحوا وعلى جبهة كلً واحد منهم مكتوب: هذا منافق.

واللام لام جواب «لو» كرّرت في المعطوف.

﴿ وَلَقَطْدِفَنَّهُمْ فِي لَخْنِ الْقَوْلِ﴾ جواب قسم محذوف. ولحن القول: أسلوبه. وعن ابن عبّاس: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب، ولا يقولون: ما عـلينا إن عصينا من العقاب.

وقيل: اللحن أن تلحن بكلامك، أي: تميله إلى نحو من الأنحاء ليـفطن له صاحبك. ومنه قيل للمخطىء: لاحن، لأنّه يعدل بالكلام عن الصواب.

وعن أبي سعيد الخدري قال: لحن القول بغضهم عليّ بن أبـي طـالبـﷺ. قال: وكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم عليّ بن أبي طالب ﷺ. وروي مثل ذلك عن جابر بن عبدالله الأنصاري، وعن عبادة بـن الصـامت قال: كنّا نبور (١٦) أو لادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب ﷺ، فإذا رأينا أحدهم لا يـحبّه علمنا أنّه لغير رشدة (٢٦).

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالُكُمْ ﴾ فيجازيكم على حسب قصدكم، إذ الأعمال بالنيّات.

﴿ وَلَنَئِلُونَكُمُ ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر، بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة ﴿ حَتَّى نَعْلَمُ الْمُحَاهِدِينَ مِنْكُمُ ﴾ حتّى نميّزهم عن غيرهم ﴿ وَالصَّابِدِينَ ﴾ على مشاق المجاهدة عن غيرهم. أو حتّى نعلم جهادكم موجوداً، لأنّ الغرض أن تفعلوا الجهاد فنثيبكم على ذلك. أو يعلم أولياؤنا. والإضافة إلى ذاته تعظيماً لهم. ﴿ وَنَبْلُوا الْحَبْارَكُمُ ﴾ فنختبر ما يخبر به عن أعمالكم، فيظهر به حسنها وقبحها، لأنّ الخبر على حسب المخبر عنه، إن حسناً فحسن، وإن قبيحاً فقبيح. أو أخبارهم عن إيمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها.

وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء لتوافق ما قـبلها. وعـن يـعقوب: وَنَـبْلُو بسكون الواو، على تقدير: ونحن نبلو.

وعن الفضيل: أنّه كان إذا قرأها بكى، وقال: اللّهمّ لا تبلنا. فإنّك إن تبلونا فضحتنا، وهتكت أستارنا، وعذّبتنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ المتنعوا عن اتباع دين الله، ومنعوا غيرهم عن اتباعه بالقهر والإغواء ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ ﴾ عاندوه وعادوه ﴿ مِنْ بَغدِ مَا تَبَيْنَ لَهُمُ النَّهُدَىٰ ﴾ من بعد ما ظهر لهم أن محمداً رسول الله. وهم قريظة والنضير، أو المطعمون يوم بدر. ﴿ لَنْ يَضُرُوا اللهُ شَيْئا ﴾ بكفرهم وصدهم، أو لن يضرّوا رسول الله بمشاقّته. ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الله بمشاقّته. ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾

<sup>(</sup>١) بار الرجل يبوره: جرّبه واختبره.

<sup>(</sup>٢) الرَّشْدة والرشْدة: ضدَّ الزنية. يقال: ولد لرشدة، أي: شرعيَّ وليس من زنا.

وسيبطل ثواب حسنات أعمالهم الّتي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب، لكفرهم برسول الله. أو مكايدهم الّتي نصبوها في مشافّته، فلا يصلون بها إلى مقاصدهم. ولا تئمر لهم إلّا القتل والجلاء عن أوطانهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله بتوحيده ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ بتصديقه ﴿ وَلَا تَبْطِلُوا أَعْمَالُكُمُ ﴾ بما أبطل به هؤلاء، كالكفر والنفاق والشك والمجب والرياء والدن والأذى ونحوها، وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر، كما قال أبو حنفة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كَفَّارٌ ﴾ أي: أصرّوا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم ﴿فَلَنْ يَفْقِرُ اللهُ لَهُمْ ﴾ أبداً، لأنَّ «لن» للتأبيد. وهذا عامّ في كلَّ من مات على كفره، وإن صحّ نزوله في قتلى القليب، وهو بثر في بدر.

﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ فلا تضعفوا، ولا تذلّوا للعدو ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ ولا تدعوا إلى السلم تذلّلاً وضعفاً، ويجوز نصبه بإضمار «أن». وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين. ﴿ وَانْتُمُ الْأَعْلُونَ ﴾ الأغلبون، ونحوه قبوله تبعالى: ﴿ إِنَّكَ اثْنَ الْأَعْلَى ﴾ (١١). ﴿ وَاللهُ مَعْكُمُ ﴾ بالنصرة على عدو كم ﴿ وَلَنْ يَبْرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ ﴾ ولن يضيع أعمالكم، بل يشبكم عليها، من: وترت الرجل إذا قتلت له قبيلاً، من ولد وأخ أو حسيم. وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوتر، وهو الفرد، فشبّه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام، ومنه قوله ﷺ: «من فاتته صلاة المصر فكأنّا وتر أهله وماله»، أي: أفرد عنهما قتلاً ونهاأ.

إِنْمَا الحَيَاهُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوْ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَثَقُوا يُؤْتِكُمُ أَجُورَكُمُ وَلاَ يَسْأَلُكُمُ أَمْوَالَكُمُ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلُكُمُوهَا فَيُحْفَكُمُ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجُ أَضْغَانَكُمُ ﴿٣٧﴾ هَأَأْتُمْ هَوُلَآء تُدْعَوْنَ لَتُنفقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يُبِخُلُ وَمَن يُبْخُلُ فَإِنَّمَا يُبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُ وَأَنتُمُ الْفَقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوا يَسْتَبدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوآ أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾

ثمّ حض سبحانه على طلب الآخرة بقوله: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبُ وَلَهُوَ ﴾ لا ثبات لها ﴿ وَإِنَّمَا الْحَيْهُ اللهُ اللهُ اللهُ ﴿ وَتَنْقُوا ﴾ معاصبه ﴿ يُوْتِكُمْ الْجُورُكُمْ ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿ وَلَا يَسْالُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ جميع أموالكم، بل يقتصر على جزء يسير \_ كربع المسر والعشر \_ في الزكاة الواجبة في بعض أموالكم.

﴿إِنْ يَسْالْكُمُوهَا فَيُحْقِكُمْ ﴾ فيجهدكم بطلب الكلّ. والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية. يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح. وأحفى شاربه إذا استأصله. ﴿ تَنْخَلُوا ﴾ فلا تعطوا ﴿ وَيُخْرِجُ اضْفَانَكُمْ ﴾ ويظهر بغضكم وعداوتكم، فتضطغنوا على رسول الله ﷺ. والضمير في «يخرج» لله تعالى، أو البخل، لأنّه سبب الاضطغان.

﴿ هَا أَنْتُمْ هَوُلَاهِ ﴾ أي: أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون. ثم استأنف وصفهم. كأنهم قالوا: وما وصفنا؟ فقيل: ﴿ فَدْعَوْنَ لِبَنْفِقُوا فِي سَمِيلِ اللهِ ﴾ ويجوز أن يكون صلة الاهتُولاء»، على أنّه بمعنى: اللّذين. وهو يعمّ نفقة الفزو والزكاة وغيرهما. ﴿ فَهِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴾ بالصدقة وغيرهما. ﴿ فَهِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة ﴿ فَهَنْ يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ فلا يتعدّاه ضرر بخله، بل إنّما هو راجع إلى نفسه، لأنّه يحرّمها مثوبة جسيمة، ويلزمها عقوبة عظيمة. يقال: بخلت عليه وعنه. وكذلك: ضننت عليه وعنه. وفيه إشارة إلى أنّ معطى المال أحوج إليه من الفقير الآخذ.

ثمّ أخبر أنّه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه لحاجته إليه، فقال: ﴿ وَاللهُ الْفَنِيُ ﴾ الله الله عليه الحاجات ﴿ وَاللهُ الْفَقْرَاءُ ﴾ إلى ما عند الله من الخير. فيما يأمركم به فهو لاحتياجكم وفقركم إلى الثواب. فإن استثلتم فلكم، وإن توليتم فعليكم.

﴿ وَإِن تَتَوَلُوْا ﴾ وإن تعرضوا عن طاعته. وهو عطف على «وإن تـوْمنوا». ﴿ يَسْتَنْبِلُ قَوْماً غَيْزَكُمْ ﴾ يخلق قوماً سواكم على خلاف صفتكم فيقوموا مكانكم، كقوله: ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَبِيدٍ ﴾ (١٠. ﴿ فُمْ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ في التولّي عن الإيمان، والزهد في التقوى. وهم الفرس، لانه ﷺ سئل عنه، وكان سلمان إلى جـنبه، فضرب فخذه وقال: «هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريًا لتناوله رجال من فارس». أو الأنصار، أو السلائكة.

وروى أبو بصير عن أبي جعفر ﷺ قال: «إن تتولُّوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم». يعنى: العوالي.

وعن أبي عبدالله ﷺ قال: «قد والله أبدل بهم خيراً منهم». يعني: الموالي.

<sup>(</sup>۱) إبراهيم: ۱۹.

. • • • • •



مدنيّة. وهي تسع وعشرون آية.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأها فكانّما شهد مع مـحمّد ﷺ فتح مكّة». وفي رواية أخرى: «فكانّما كان مع من بايع محمّداً تحت الشجرة».

وأورد البخاري في الصحيح عن عمر بن الخطّاب قال: «كـنّا مـع رسـول الله ﷺ في سفر، فقال: نزلت عليّ البارحة سورة عظيمة هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها: ﴿ إِنَّا فَتَخْنَا ـ إِلى قوله ـ وَمَا تأخّر ﴾ «١٠).

عن عبدالله بن مسعود قال: «أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية فجعلت ناقته تثقل، فتقدّمنا فأنزل عليه ﴿إِنّا فقصا لك فقصاً مبيناً﴾، فأدركنا رسول الله وبه من السرور ما شاء الله، فأخبر أنّها أنزلت عليه».

عبدالله بن بكير، عن أبيه قال: قال أبو عبدالله الله : «حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة ﴿إِنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾. فإنّه إذا كان ممّن يدمن قراءتها ناداه منادٍ يوم القيامة حتّى يسمع الخلائق: أنت من عبادي المخلصين، ألحقوه بالصالحين من عبادي، فأسكنوه جنّات النعيم، واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور».

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري ٦: ١٦٨ \_ ١٦٩.

٣٧٠ ..... زيدة التفاسير \_ ج ٦

## بِسُمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لَيغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا نَقَدَّمَ من ذَنبكَ وَمَا تَأْخَرَ وُيِتَمَّ نَعْمَنُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدَيِكَ صَرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿ ٢﴾ وَيَنصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ لَيَزْدَادُوٓآ اِيمَانًا مَّعَ إِيَانِهُمْ وَلَلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَكَانَ اللَّهُ عَليمًا حَكيمًا ﴿٤﴾ لَيَدْخلَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِنَات جَنَّات تَجْري من تَحْتَهَا الأَثْهَارُ خَالدينَ فيهَا وُيُكُفِّرَ عَنْهُمُ سَيِّنَاتُهُمْ وَكَانَ ذَلَكَ عندَ اللَّه فَوْزًا عَظيمًا ﴿ ٥ ﴾ وَيُعَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَات وَالْمُشْرِكَينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّأَنِّينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السَّوُّء عَلَيْهِمْ دَآثَوْهُ السَّوْء وَغَضبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتُ مَصيرًا ﴿٦﴾ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكيمًا ﴿٧﴾

ولمّا ختم الله سبحانه سورة محمّد ﷺ بقوله: ﴿ وَاللهُ للفنيّ) ، افتتح هذه السورة بأنّه فتح لنبيّه ﷺ ما احتاج إليه في دينه ودنياه، ليشعر على غناه المطلق. وكمال جبروته وغالبيّته، وافتقار العباد إليه، فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْفٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ وعد بفتح مكّة. والتعبير عنه بالماضي لتحقّقه وتيقّنه بمنزلة الكائنة الموجودة. وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علوّ شأن المخبر ما لا يخفى. وقيل: هذا إخبار عن صلح الحديبية. وإنّما سمّاه فتحاً، لأنّه كان بعد ظهوره على المشركين حتّى سألوا الصلح، وتسبّب لفتح مكّة، وأدخل في الاسلام خلقاً عظيماً. وظهر له في الحديبية آية عظيمة، وهي أنّه نزح ماؤها حتّى لم يبق فيها قطرة. فتمضمض رسول الله ﷺ تمّ مجّه فيها، فدرّت بالماء حتّى شرب جميع من كان معه. وقيل: فجاش الماء حتّى امتلات، ولم ينفد ماؤها بعد.

وروى سالم بن أبي المجعد قال: فلت لجابر: كم كنتم يوم الشجرة؟ قال: كنّا أَلْفاً وخمسمائة، وذكر عطشاً أصابهم، قال: فأتي رسول الله ﷺ بماء في تور<sup>(۱۲)</sup>، فوضع يده فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنّه العيون، فشربنا ووسعنا وكفانا.

وعن موسى بن عقبة: أقبل رسول الله عليه من الحديبية راجعاً، فقال رجل من أصحابه: «ما هذا بفتح، لقد صدّونا عن البيت، وصدّ هدينا. فبلغ النبي الله فقال: «بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتوح، وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح "، ويسألوكم القضيّة \_ أي: رجوعكم عنهم \_ ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا».

<sup>(</sup>١) بَلْدح: وادٍ قِبَل مكَّة من جهة المغرب.

<sup>(</sup>٢) التَّوْر: إناء يشرب فيه.

 <sup>(</sup>٣) الراح: الخمر. والراح جمع راحة، وهي: الكفّ. والراح: الارتياح والنشاط. ولعلّ الظاهر
 هنا المعنى الثالث.

وعن الشعبي: نزلت هذه السورة بالحديبية، وأصاب رسول الله المَهِيَّ في تلك الفزوة ما لم يصب في غزوة. أصاب: أن بويع بيعة الرضوان، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدي محلّه بعد الصلح، وأطعموا نخل خيبر.

وعن جابر: ما كنّا نعلم فتح مكّة إلّا يوم الحديبية.

وقيل: المراد فتح خيبر. وقيل: فتح الروم. وقيل: الفتح القضاء. من الفتاحة. وهي الحكومة، أي: قضينا لك أن تدخل مكّة من قابل.

﴿ لِيَفْفِرَ لَكَ اللهُ عَلَم للفتح من حيث إنّه مسبّب عن جهاد الكفّار، والسعي في إزالة الشرك، وإعلاء الدين، وتكميل النفوس الناقصة قهراً، ليصير ذلك التكميل بالتدريج اختياراً، وتخليص الضعفة عن أيدى الظلمة ﴿ مَا تَقَمَّمُ مِنْ ذَسَيِكَ وَمَا تَقَمَّمُ مِنْ ذَسَيِكَ وَمَا تَقَمَّمُ مِنْ ذَسَيِكَ وَمَا تَقَمَّمُ مِنْ ذَسَيكَ وَمَا تَقَمَّمُ مِنْ ذَسَيكَ وَمَا تَقَمَّمُ مِنْ ذَسَيكَ وَمَا مَعْمومون من الذنوب كلّها عبر موافق لما يذهب إليه أصحابنا أنّ الأنبياء معصومون من الذنوب كلّها، صغيرها وكبيرها، قبل النبوّة وبعدها.

فمنها: أنّهم قالوا: معناه: ما تقدّم من معاصيك قبل النبوّة، وما تأخّر عنها. ومنها: قولهم: ما تقدّم الفتح، وما تأخّر عنه.

مها: قولهم: ما تقدم الشح، وما ناحر عمد.

ذنو ب أمتك بدعوتك.

ومنها: قولهم: ما وقع وما لم يقع، على الوعد بأنّه يغفر له إذا وقع. ومنها: قولهم ما تقدّم من ذنب أبويك آدم وحوّاء ببركتك، وما تأخّـر مـن

والكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبيتنا الشي ومن حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطة عندهم، فالذي يبطل قولهم أنّ الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفّرة، فكيف يجوز أن يمنّ الله سبحانه على نبيّه بأن يغفرها له؟ وإنّما يصحّ الامتنان والتفضّل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به، لابما لو عاقب به لكان ظالماً عندهم، فوضح فساد قولهم.

ولأصحابنا فيه وجهان من التأويل: أحدهما: أنّ المراد: ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنب أمّنك وما تأخّر بشفاعتك. وأراد بذكر التقدّم والتأخّر ما تقدّم زمانه وما تأخّر، كما يقول القائل لفيره: صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك. وحسنت إضافة ذنوب أمّنه إليه، للاتّصال والسبب بينه وبين أمّنه.

ويؤيّد هذا الجواب ما رواه المفضّل بن عمر عن الصادق ﷺ قـال: «سأله

رجل عن هذه الآية، فقال: والله ما كان له ذنب، ولكنّ الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة عليّ بن أبي طالب 懸، ما تقدّم من ذنبهم وما تأخّر».

وروى عمر بن يزيد قال: «قلت لأبي عبدالله على الله سبحانه: ﴿ ليغفو لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر﴾ . قال: ما كان له ذنب ولا همّ بذنب، ولكنّ الله حمّله ذنوب شيعته ثمّ غفرها له».

والثاني: ما ذكره المرتضى ﴿ أَنَّ الذَّنبِ مصدر، والمصدر يسجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً، فيكون هنا مضافاً إلى المفعول. والمراد: ما تقدّم من ذنبهم إليك في منعهم إيّاك عن مكّة، وصدّهم لك عن المسجد الحرام. ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل: الإزالة والنسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه، أي: يزيل الله تعالى ذلك عنك، ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح الله لك من مكّة، فستدخلها فيما بعد. ولذلك جعله جزاء على جهاده، وغرضاً في الفتح، ووجهاً له.

قال: ولو أنّه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله: «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله» معنى معقول، لأنّ المغفرة للذنوب لا تعلّق لها بالفتح. فلا يكون غرضاً فيه. وأمّا قوله: «ما تقدّم وما تأخّر» فلا يمتنع أن يريد به ما تقدّم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك.

وقيل أيضاً في ذلك وجوه أخر:

منها: أنَّ معناه: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك.

ومنها: أنّ المراد بالذنب هنا ترك المندوب. وحسن ذلك لأنّ من المعلوم أنه هي من لا يخالف الأوامر الواجبة، فجاز أن يستى ذنباً منه ما لو وقع مس غيره لم يسمّ ذنباً. لعلوّ قدره ورفعة شأنه.

ومنها: أنَّ القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب، كما قيل في قوله:

وهذا ضعيف، لأنَّ العادة جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء.

﴿ وَيُبَتِمْ بِغَمْتَهُ عَلَيْكَ ﴾ بإعلاء دينك على سائر الأديان . وبقاء شرعك . وضمّ الملك إلى النبوة . وقيل بفتح خيبر ومكّة والطائف . ﴿ وَيَهْدِيْكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرئاسة . أو تثبيتك على صراط يمؤدّي بسالكه إلى الجنّة .

﴿ وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْواً عَزِيزاً﴾ أي: نصراً فيه عزّ ومنعة. أو يعزّ به المنصور. فهو وصف بصفة المنصور مبالغة إسناداً مجازيّاً. أو عزيزاً صاحبه. وقد فعل ذلك بنبيّه ﷺ ، إذ صيّر دينه أعزّ الأديان، وسلطانه أعظم السلطان.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ هي اسم السكون، كالبهيتة للبهتان، أي : أنزل الثبات والطمأنينة ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يفعل بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده، من البصيرة بالحق ما تسكن إليه نفوسهم. وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدلّة الهادية إليه، ومن جملتها هاهنا أن يقع الصلح بينهم وبين المعاندين، ويأمنوا منهم لذلك، بعد أن قلقت نفوسهم، ودحضت أقدامهم، لفرط الدهشة والخوف، ويروا من الفتوح وعلو كلمة الاسلام على وفق ما وعدوا.

﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ يقيناً مع يتقينهم، بمزيّة رسوخ السقيدة واطمئنان النفس عليها، لمشاهدتهم وعرفانهم. أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول من الشرائع، ليزدادوا بها إيماناً مقروناً إلى إيمانهم بالله واليوم الآخر.

وعن ابن عبّاس: إنّ أوّل ما أتاهم به النبيّ ﷺ التوحيد، فلمّا آمنوا بــالله وحده أنزل الصلاة والزكاة. ثمّ الحجّ، ثمّ الجهاد. فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله، ليزدادوا بـاعتقاد ذلك إيـماناً إلى

<sup>(</sup>١) التوبة: ٤٣.

إيمانهم. يعني: يزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم.

وقيل: أنزل فيها الرحمة ليتراحموا، فيزداد إيمانهم.

﴿ وَيَهِ جُنُودُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبّر أمرها، فيسلَّط بعضها على بعض تارة. ويوقع فيما بينهم السَّلم أخرى، كما تقتضيه حكمته.

وقيل: معناه: أنّ الله تعالى لو شاء لأعانكم بجنوده الّذين هم الملائكة والجنّ والإنس.

وفيه بيان أنّه لو شاء لأهلك المشركين، لكنّه عالم بهم وبما يخرج من أصلابهم، فأمهلهم لعلمه وحكمته، ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج، ولكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب.

﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً ﴾ بالمصالح ﴿ حَكِيماً ﴾ فيما يقدّر ويدبّر ، فدبّر ما دبّر من تسليط المؤمنين .

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَخْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ فهذا مع ما بعده علّة لما دل عليه قوله: «ولله جنود السموات والأرض» من معنى التدبير. فكأنّه قال: سلّط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها، فيدخل المؤمنين الجنّة، ويعذّب الكفّار والمنافقين لما غاضهم من ذلك، وقيل: علّة لقوله: فتحنا، أو أنزل، أو جميع ذلك، أو ليزدادوا. وقيل: إنّه بدل منه بدل الاشتمال.

﴿ وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَلِفَاتِهِمْ ﴾ يغطّبها ولا يظهرها. والسعنى: لم يعذّبهم بها. ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ أي: الإدخال والتكفير ﴿ عِنْدُ اللهِ فَقَرْأَ عَظِيماً ﴾ لأنّه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرر. و«عند» حال من الفوز.

﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُتَافِقِينَ وَالْمُتَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ عطف على «يدخل»، إلا إذا جعلته بدلاً، فيكون عطفاً على المبدل منه، لا البدل، لفساد المعنى

﴿ الظَّانَيْنَ بِاللهِ طَنَّ السُّوءِ﴾ ظنّ الأمر السوء، وهو أن لا ينصر رسوله والسؤمنين ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِزَةُ السُّوءِ﴾ ما يظنّونه ويتربّصونه بالمؤمنين، من الذلّ والهلاك وغنيمة الأموال.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: دَائِرَةُ السُّوءِ. وهما لغتان، غير أنّ المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمّه، ولذلك أضيف الظنّ إليه، لكونه مذموماً. والمضموم جرى مجرى الشرّ، وهو مطلق المكروه والشدّة. وكلاهما في الأصل مصدر، من: ساء، كالكُره والكرّه، والضُعف والضّعف.

﴿ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدُ لَهُمْ جَهَدُمْ ﴾ عطف لما استحقّوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا. والواو في الأخيرين، والموضع موضع الفاء \_ إذ اللعن سبب للإعداد، والغضب سبب له \_ لاستقلال الكلّ في الوعيد بلا اعتبار السببيّة. ﴿ وَسَاتَقَتْ مَصِيراً ﴾ جهنّم.

﴿ وَبِلِهِ جُنُودُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً ﴾ في قهره وانتقامه من أعدائه ﴿ حَكِيما ﴾ في فعله وقضائه. كرّره للتأكيد. أو الأوّل متّصل بذكر المؤمنين، أي: فله الجنود الّتي الجنود الّتي يقدر أن يعينكم بها. والثاني متّصل بذكر الكافرين، أي: فله الجنود الّتي يقدر على الانتقام منهم بها.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَدِيرًا ﴿ ٨ ﴾ لِتُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَّوِّهُ وَتُسْبَحُوهُ لِكُرَّةٌ وَأَصِيلاً ﴿ ٩ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لِيَايِعُونَكَ إِنِّمَا
يُهَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أُوفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسُيُوْتِيهَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ ١٠ ﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ تشهد على ما عملت أمَّتك، كقوله: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْحُمْ شَهِداً﴾ (١). ﴿ وَمُبَضِّراً وَنَذِيراً﴾ على الطاعة والمعصية.

﴿لِتُوْمِنُوا فِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الخطاب للنبيّ والأمّة ﴿ وَتُعَزُّرُوهُ ﴾ وتقرّه بتقوية دينه ورسوله ﴿ وَقَوْهُ وَتَعَلَّمُ وَ وَقَسَبُحُوهُ ﴾ وتنزّهوه ، أو تصلّوا له ﴿ بُكْرَةُ وَاصِيلاً ﴾ غدوة وعشياً ، أو دائماً . وقرأ ابس كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة بالياء ، والضمير للناس .

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر أنّ الله يريد من الكفّار الكفر. لائّه صرّح هنا أنّه يريد من جميع المكلّفين الإيمان والطاعة.

وقيل: معناه: قوّة الله في نصرة نبيّه فوق نصرتهم إيّاه، أي: ثق بنصرة الله لك. لا بنصرتهم وإن بايعوك.

وقيل: نعمة الله عليهم بنبيَّه فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة.

﴿ فَمَنْ نَكَنَ ﴾ نقض اللهد ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ فلا يعود ضرر نكنه إلّا عليه ﴿ وَمَنْ أَوْقَىٰ ﴾ ومن ثبت على الوفاء ﴿ بِمَا عَامَدَ عَلَيْهُ الله ﴾ أي: أوفى بمبايعته . يقال: وفيت باللهد وأوفيت به. وهي لغة تهامة. ومنها: ﴿ أَوْقُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٣) ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَقْدِهِ ﴾ (٤) . ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَقْدِهِ ﴾ (٤) . ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَقْدِهِ ﴾ (٤) . ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَقْدِهِ ﴾ (٤) .

<sup>(</sup>١) القرة: ١٤٣.

<sup>(</sup>۲) النساء: ۸۰.

<sup>(</sup>٣) المائدة: ١.

<sup>(</sup>٤) البقرة: ١٧٧.

٣٧٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وقرأ حفص: عَلَيْهُ بضمّ الهاء. وابن كثير ونافع وابن عامر وروح: فَسَــنُؤْتِيهِ بالنون.

والآية نزلت في بيعة الحديبية. وهي بيعة الرضوان. ستيت بها لأنّهم باعوا أنفسهم بالجنّة، بسبب اتّفاقهم على محاربة أعداء الله ونصرة دينه، ورضي لهم تلك البيعة.

قال جابر بن عبدالله: بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت، وعلى أن لا نفرّ، فما نكث أحد منّا البيعة إلّا جد بن قيس، وكان منافقاً اختبأ تـحت إبـط بعيره، ولم يسر مع القوم.

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَّنَاۤ أَمُوالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرُ لَنَا
يَقُولُونَ بِأَلسَنَتِهِم مَّا كَيسَ فِي قَلُوهِمْ قُلْ فَعَن يَمْلكُ لَكُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ ضَرَّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ
أَن نَّن يَنقَلَبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى آهْلِهِمْ أَبْدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ
وَطَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١١﴾ وَمَن لَمْ يُؤْمِن بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلّهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لَمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لِمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لَمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لَمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لَمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لَمَن يَشَاءً وَيُعَذِّلُ لَكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءً وَيُعَدِّلُ مَن يَشَاءً وَيَعْنَ لِمَا اللّهُ عَفُورًا رَحْمِيمًا ﴿١٤٤﴾

روي: أنّه ﷺ حين أراد المسير إلى مكّة عام الحديبية معتمراً. وكان فــي ذي القعدة من سنة ستّ من الهجرة، استنفر من حول المدينة من أســـلم وجــهينة ومزينة وأشجع وغفار، ليخرجوا معه، حذراً من قريش أن يعرضوا له بــحرب أو يصدّوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ، وساق معه الهدي، ليعلم أنّه لا يريد حرباً. فتناقل كثير من الأعراب وقالوا: يذهب محمّد إلى قوم قد غزوه في عقر داره \_أي: أصلها \_بالمدينة وقتلوا أصحابه، فيقاتلهم. وظنّوا أنّه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة. واعتلّوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم، وأنّه ليس لهم من يقوم بأشغالهم. فأخبر الله عن تخلّفهم قبل وقوع ذلك، فقال:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلِّقُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَفَلَتْنَا أَمْوَالْنَا وَاهْلُونَا﴾ عن الخروج معك، إذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالنا. والأهلون جمع أهل. ويقال: أهلات على تقدير تاء التأنيث، فإنّه قد جاء أهلة، كأرض وأرضين وأرضة وأرضات. وأمّا أهال فاسم جمع. ﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ من الله على التخلّف.

فكذَّبهم الله في الاعتذار والاستغفار بقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِالْسِنَدِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: الذي خلّفهم ليس بما يقولون، وإنَّما هو الشكّ في الله والنفاق. وطلبهم الاستغفار أيضاً ليس بصادر عن حقيقة.

﴿ قُلْ فَمَنْ يَطْكُ لَكُمْ مِنَ الشِ شَيْئا﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ﴿إِنْ أَوَادَ بِكُمْ ضَرَا﴾ ما يضرّكم، كقتل أو هزيمة أو خلل في المال والأهل، عقوبة على التخلّف. وقرأ حمزة والكسائي بالضمّ. ﴿ أَوْ أَوَادَ بِكُمْ نَفْعا﴾ ما يضادّ ذلك من ظفر وغنيمة. وهذا تعريض برد قولهم. ﴿ بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ فيعلم تخلّفكم وقصدكم فيه.

﴿ بَلَ طَنَنَتُمُ أَنْ مَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾ لا يرجعون إلى من خلّفوا بالمدينة من الأهل والمال، لظنّكم أن المشركين يستأصلونهم ﴿ وَرُئِينَ ذَكِ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: زيّن الشيطان ذلك الظنّ المتمكّن في قلوبكم ﴿ وَطَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْمِ﴾ الظنّ المذكور، وهو التسجيل عليه بالسوء. أو هو وسائر ما يظنّون بالله ورسوله من الأمور الزائفة. ﴿ وَكَنْتُمْ قَوْما بُوراً﴾ هالكين مستوجبين لسخطه وعقابه ورسوله من الأمور الزائفة.

عند الله، لفساد عقيدتكم، وسوء نيّتكم. من: بار، كالهَلَك من: هَلَك، بناءً ومعنىً. ولذلك وصف به الواحد والجمع، والمذكّر والمؤنّث. ويجوز أن يكون جمع بـائر. كمّائذ وعُوذ.

وقيل: معناه: فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونيّاتكم، لا خير فيكم. وكمان ذلك من الفيب الّذي لا يطّلع عليه أحد إلّا الله. وصار معجزاً لنبيّنا ﷺ.

﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَغَنْذَنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾ وضع «الكافرين» موضع الضمير إيذاناً بأنّ من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فــهو كــافر، وأنّــه مستوجب للسعير بكفره. وتنكير «سعيراً» للتهويل، أو لأنّها نار مخصوصة.

﴿ وَبِلَهِ مُلْكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يدبّره كيف يشاء ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَامَ وَيُعَذَّبُ مَنْ يَشَامَ وَيُعَذَّبُ مَنْ يَشَامَ ﴾ مشيئته تابعة لحكمته، وحكمته المغفرة للتائب، وتعذيب المصرّ ﴿ وَكَانَ اللهُ عَقُوراً رَحِيماً ﴾ رحمته سابقة لغضبه، حيث يكفّر السيّثات باجتناب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة. وقد جاء في الحديث الألهي: «سبقت رحمتي غضبي».

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا آنطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانَمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا تَبَعْكُمْ وَلِهِ لَوْ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ يُودُونَ أَن يُبَدُونَا بَلْ مُنَاسَقُولُونَ بَلْ يَعْمُونَا لَا يَفْقُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿ ١٥ ﴾ قُل اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ عَرَابِ سَدُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسِ شَدِيد تَقَاتُوهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ فَإِن تَطبَعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجُوا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلُّوا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ يُعَذَّبُكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ ١٩ ﴾ اللَّهُ أَجُوا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلُّوا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ يُعَذَّبُكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ ١٩ ﴾ أَيْسَ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرْضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرْضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرْضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرْضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرْضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرْضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَوْضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَوْضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمُعْرَبِ وَلَا عَلَى الْمُؤْمِ

يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولُهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَهَارُ وَمَن يَوَلَّ يُعَذَّبُهُ عَذَاًبًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلِّقُونَ﴾ أي الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إِذَا المَطْلَقْتُمُ﴾ أيّها المؤمنون ﴿إِلَى مَفَائِمَ لِتَأْخُدُوهَا﴾ يعني: مغانم خيبر، فإنّه ﷺ رجع من الحديبية في ذي الحجّة من سنة ستّ، وأقام بالمدينة بقيّتها وأوائل المحرّم، ثمّ غزا خيبر بمن شهد الحديبية، ففتحها وغنم أموالاً كثيرة، فخصّها بهم. وسيجيء تفصيل قصّتها عن قريب إن شاء الله.

﴿ ذَرُونَا﴾ أتسركونا ﴿ نَستَبِعْتُمْ يُسوِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامُ اللهِ ﴾ يغيّروه. وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر، ولا يشركهم فيها غيرهم. وهذا قبول ابن عبّاس ومجاهد وابين إسسحاق وغيرهم من المفسّرين.

وقال الجبائي: أراد بقوله: «يريدون أن يبدّلوا كلام الله» قـوله: ﴿فَـقُل لَـنْ تَخْرُجُوا مَعِي اَبْداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ (١٠.

وقال صاحب المجمع: «وهذا غلط، لأنّ هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ستّ من الهجرة، وتلك الآية نزلت في الّذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، وهذه الغزوة بعد فتح مكّة، وبعد غزوة حنين والطائف، ورجوع النبيّ ﷺ منها إلى المدينة، ومقامه ما بين ذي الحجّة إلى رجب، ثمّ تهياً في رجب للخروج إلى تبوك، وكان منصرفه من تبوك في بقيّة رمضان من سنة تسع من الهجرة، ولم يخرج ﷺ بعد ذلك لقتال ولا غزو إلى أن قبضه الله، فكيف تكون هذه الآية مرادة

<sup>(</sup>١) التوبة: ٨٣.

۳۸۲ ...... زیدة التفاسیر ـج ٦. هاهنا ۱۶ اس (۱)

والكلام اسم للتكليم، غلّب في الجملة المفيدة. وقرأ حمزة والكسائي: كُلِمَ الله. وهو جمع كلمة.

﴿ قُلُ لَنْ تَتَبِعُونَا ﴾ نفي في معنى النهي ﴿ عَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ ﴿ في الحديبية ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قبل تهيهم للخروج إلى خيبر ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أن نشارككم في الفنائم ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يفهمون ﴿ إِلّا قَلِيلاً ﴾ إِلّا فهماً قليلاً، وهو فطنتهم لأمور الدنيا. ومعنى الإضراب الأوّل ردّ منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم، وإثبات للحسد. والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أجل منه، وهو جهلهم بأمور الدين، كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ قَلَاهِراً وَمَنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمُنْ الْمُنْ اللّه اللّه اللّه اللّه اللّه الله و أَجلُ منه، وهو جهلهم بأمور الدين، كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ قَلَاهِراً وَاللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ ال

﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّقِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ كرّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذمّ، وإشعاراً بشناعة التخلّف ﴿ سَتُدَعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَوِيدٍ ﴾ بني حنيفة ، أو قوم مسيلمة ، أو غيرهم ممّن ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ في زمن أبي بكر ، فإنّه قال: ﴿ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ وفي زمانه لا يقبل منهم إلاّ الاسلام أو السيف. وقيل: فارس والروم. ومعنى «يسلمون»: ينقادون، لأنّ الروم نصارى، وفارس مجوس، يقبل منهم إعطاء الحزية. وعن قتادة: أنّهم ثقيف وهوازن، وكان ذلك في عهد رسول الله ﷺ.

وقال صاحب المجمع: «الصحيح: أنّ المراد بالداعي في قوله: «ستدعون» هو النبيّ ﷺ، لأنّه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة، وقتال أقوام ذوي نجدة وشدّة، مثل أهل حنين والطائف ومؤتة وتبوك وغيرها، فلا معنى لحمل ذلك على ما

<sup>(</sup>١) مجمع البيان ٩: ١١٥.

<sup>(</sup>٢) الروم : ٧.

سورة الفتح، آية ١٨ ـ ٢١..........٣٨٣ بعد وفاته»<sup>(۱)</sup>.

﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ الشَّاجْراً حَسَنا﴾ هو الغنيمة في الدنيا، والجنَّة في الآخرة ﴿ وَإِن تَتَوَلُوْ إِلَى عَن القتال ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ عن الحديبية ﴿ يُحَدَّبُكُمْ عَذَابِاً الِيما ﴾ لتضاعف جرمكم.

ولمّا أوعد على التخلّف نفي الحرج عن المعذورين، فقال:

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ ضيق في ترك الخروج مع المؤمنين في الجسهاد ﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فبهذه الآية عذّر الله أهل الزمسانة والآفات الّذين تخلّفوا عن المسير إلى الحديبية، ورخّصهم في التخلّف عن الغزو.

ثمّ فصّل الوعد والوعيد بعد الإجمال مبالغة فيهما، لسبق رحمته للمطيعين. وفرط عقابه على المتمرّدين، فقال على سبيل التعميم:

﴿ وَمَنْ يُعِلِعِ اللهُ وَرَسُولَهُ ﴾ في الأمر بالقتال وغيره ﴿ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَخْدِي مِنْ تَخْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن أمر الله وأمر رسوله، فيقعد عن الجهاد وغيره مسن أوامره ﴿ يُعَذَّبُهُ عَذَابًا أليما ﴾ . وقرأ نافع وابن عامر: نُدْخِلْهُ بالنون.

لَقَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِمُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلَمَ مَا فِي قُلُوهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابُهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَفَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلَيْكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُهْدِيكُمْ

<sup>(</sup>١) مجمع البيان ٩: ١١٥ ـ ١١٦.

٣٨٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

صِرَاطًا تُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا فَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرًا ﴿٢١﴾

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ خرج يريد مكّة، فلمّا بلغ الحديبية وقفت ناقته، فزجرها فلم تنزجر وبركت. فقال أصحابه: خلأت (١١ الناقة. فقال ﷺ: ما هذا لها عادة، ولكن حبسها حابس الفيل. ودعا عمر بن الخطّاب ليرسله إلى أهل مكّة، ليأذنوا له بأن يدخل مكّة، ويحلّ من عمرته، وينحر هديه.

فقال: يا رسول الله مالي بها حميم، وإنّي أخاف قريشاً لشدّة عداوتي إيّاها، ولكن أدلّك على رجل هو أعزّ بها تمنّى: عثمان بن عفّان.

فقال: صدقت. فدعا رسول الله عنهان فأرسله إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وإنّما جاء زائراً لهذا البيت، معظّماً لحرمته. فاحتبسته قريش عندها. فبلغ رسول الله والمسلمين أنّ عنمان قد قتل، فقال الله الا نبرح حتى نناجز القوم. ودعا الناس إلى البيعة، فقام رسول الله عليه إلى الشجرة دوكانت سَمُرة (٢) \_ فاستند إليها، وبايع الناس على أن يقاتلوا المشركين، ولا يفرّوا عنهم.

قال جابر بن عبدالله: لو كنت أبصر لأريتكم مكانها.

وقيل: كان رسول الله ﷺ جالساً في أصل الشجرة، وعلى ظهره غصن من أغصانها.

قال عبدالله بن المغفل: وكنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم،

<sup>(</sup>١) أي: وقفت ولزمت مكانها ولم تنقد.

 <sup>(</sup>٢) السُمُرة: شجرة من العضاه، وليس في العضاه أجود خشباً منها. والعِضاه: كل شجر يعظم وله شوك.

وبيدي غصن من الشجرة أذبّ عنه، فرفعت الغصن عن ظهره، فبايعوه على الموت دونه، وعلى أن لا يفرّوا. فقال لهم رسول الله الله التمالية أنتم اليوم خير أهل الأرض. ولا شبهة أنّ هذا مشروط بعدم النكث والارتداد. وكمان عدد المبايعين ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين. وقيل: ألفاً وأربعمائة. وقيل: ألفاً وثلاثمائة.

وروى الزهري وعروة بن الزبير والمسور بن مخزمة قالوا: خبرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلّد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بغدير(١) الأشطاط قريباً من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال: إنّي تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي وغيرهما قد جمعوا لك الأحابيش(٢) وجمعوا جموعاً، وهم قاتلوك وصادّوك عن البيت.

فقال ﷺ : روحوا. فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إنَّ خالد بن الوليد بالغميم (٣) في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين. وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنيّة (٤) بركت راحلته، فقال ﷺ : ما خيلات القصواء (٥)، ولكن حبسها حابس الفيل، فزجرها فوثبت به، قال: فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية

<sup>(</sup>١) غدير الأشطاط: قريب من عُسفان. وعُسفان: منهلة من مناهل الطريق، وهي من مكة على مرحلتين.

<sup>(</sup>٢) الأحابيش: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة .

<sup>(</sup>٣) الغميم: موضع بين مكّة والمدينة.

<sup>(</sup>٤) الثَيْية: طريق العقبة. والعَقبة: المرقى الصعب من الجبال، أو الطريق في أعلى الجبال.

 <sup>(</sup>٥) القَصْواء: الناقة التي قطع طرف أذنها. وفي نهاية ابن الأثير (٤: ٧٥): «ولم تكن ناقة النبئ تَلَيَّتُكُ قصواء، وإنَّما كان هذا لقباً لها. وقيل: كانت مقطوعة الأذن».

٣٨٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

على ثمد (١) قليل الماء. إنّما يتبرّضه (٢) الناس تبرّضاً، فشكوا إليه العطش، فانتزع سهماً من كنانته فركزه (٢) فيه، فوالله ما زال يجيش (٤) لهم بالريّ حتّى صدروا عنه.

وبعث قريش حويطب بن عبدالعزَّى، وبديل بن ورقاء الخزاعي، وعروة بن مسعود الثقفي، مع جماعة، وابتدر عروة وجعل يكلم النبي ﷺ وكلَّما كلَّمه أخذ بلحيته، والعغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ وسعه السيف وعليه العفرة (٥)، فكلّما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل (١٦) السيف وقال: أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا ترجع إليك. فقال: من الحية رسول الله ﷺ قبل أن لا ترجع إليك. فقال: من

فجعل عروة يرمق صحابة النبئ ﷺ : إذا أمرهم رسول الله ﷺ استدروا أمره، وإذا توضّاً كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له.

فرجع إلى قريش، فقال لهم: والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر

<sup>(</sup>١) الثَّمْدُ: الحفرة يجتمع فيها ماء المطر.

<sup>(</sup>٢) تبرّض الماء: ترشّفه، أي: مصّه بشفتيه.

<sup>(</sup>٣) رَكَز الرمح ونحوه: غرزه في الأرض وأثبته.

<sup>(</sup>٤) أي: يفيض. والريّ والرّيّ: أن يشرب الماء حتّى يشبع.

<sup>(</sup>٥) المِغْفَرة: زَرَد \_أيُّ: درع \_ يلبسه المحارب تحت القلنسوة.

<sup>(</sup>٦) نعل السيف: ما يكون في أسفل غمده من حديد أو فضّة.

<sup>(</sup>٧) السالفة : صفحة العنق. أراد ﷺ: حتّى يفرّق بين رأسي وجسدي.

وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمداً. إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّاً كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده. وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له. وإنّه قد عـرض عـليكم خطّة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته.

فقالوا: ائته. فلمّا أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا فـــلان. وهو من قوم يعظّمون البدن<sup>(۱)</sup>. فابعثوها. فبعثت له. واستقبله القوم يــلبّون، فــلمّا رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته.

فقالوا: اثنه. فلمّا أشرف عليهم قال النبيّ ﷺ: هـذا مكـرز، وهـو رجـل فاجر. فجعل يكلّم النبيّ ﷺ، فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال ﷺ قد سهل عليكم أمركم.

فقال: اكتب بيننا وبينك كتاباً.

فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام فـقال له: اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم.

فقال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو. فهمّ المسلمون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم. فأنزل الله سكينته عليهم فحلموا.

فقال النبيَّ ﷺ: من محمّد رسول الله .

فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. ولكن اكتب: محدّد بن عبدالله.

فقال النبيّ: إنَّى لرسول الله وإن كذَّبتموني.

<sup>(</sup>١) البُدْن جمع البَدَنة: الناقة أو البقرة المسمّنة.

ثمَّ قال لعليَّ ﷺ : امح: رسول الله .

فقال له: يا رسول الله إنّ يدى لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة.

فأخذه رسول الله فمحاه. ثم قال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض. وعلى أنّه من قدم مكّة من أصحاب محمّد حاجًا أو معتمراً، أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل

فتواثبت بنو خزاعة فقالوا: يُحن في عقد محمّد وعهده. وتواثبت بنو بكـر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

فقال اللَّهُ اللَّهُ : على أن تخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف.

فقال سهيل: ذلك من العام المقبل.

ثمّ قال سهيل: على أنّه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا. ومن جاءنا متّن معك لم نردّه عليك.

فقال المسلمون: سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!

فقال ﷺ: من جاءهم منّا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فسلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجاً.

فقال سهيل: وعلى أنّك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكّة. فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك، فدخلتها بأصحابك، فأقـمت بها ثـلاثاً. ولا تـدخلها بالسلاح، إلّا السيوف في القراب(١) وسلاح الراكب. وعلى أنّ هذا الهدي حيث ما حسناه محلّه، لا تقدّمه علينا.

<sup>(</sup>١) القِراب: الغِمْد، أي: جفن السيف.

فقال ﷺ: نحن نسوق، وأنتم تردّون.

قال عمر بن الخطَّاب: ما شككت مذ أسلمت إلَّا يومئذٍ، فأتيت النبيِّ ﷺ فقلت: ألست نبيًّ الله؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذا؟

قال: إنّي رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري.

قلت: أولست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى. أفأخبرتك أنّك تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنَّك تأتيه وتطوف به. فنحر رسول الله بدنة، ودعــا بــحالقه، فــحلق شعره، ثمّ رجع مع أصحابه.

وأخبر سبحانه مجملاً عمّا ذكرنا مفصّلاً، فقال: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ شجرة السمرة ﴿ فَعَلِمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا ﴿ فَانزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ على قلوبهم، والعراد بإنزالها اللطف المقوي لها. ﴿ وَٱشْابَهُمْ فَتْحا قُوبِيبا ﴾ فتح خيبر غبّ انصرافهم من مكّة. وقيل: مكّة. وعن الحسن: فتح حجر. وهو أجلٌ فتح أسعوا بشعرها زماناً. والأول أصح وأشهر.

﴿ وَمَفَائِمَ كَلِيرَةً يَلْشُدُونَهَا﴾ يعني: مغانم خميبر وكمانت أرضاً ذات عـقار وأموال، فقسّمها رسول الله عليهم. ﴿ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً﴾ غالباً قاهراً ﴿ حَكِيماً﴾ مراعياً مقتضى الحكمة. ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَقَانِمَ كَلِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم التيامة ﴿ وَعَضَّلُ لَكُمْ مَذِهِ﴾ يعني: مغانم خيبر ﴿ وَكَفُّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم، فقذف في قلوبهم الرعب فنكصوا. أو أيدي قريش بالصلح.

﴿ وَلِتَكُونَ ﴾ هذه الكفّة، أو الغنيمة ﴿ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أمارة يعرفون بها أنّهم من الله بمكان، وأنّه ضامن نصرهم والفتح عليهم. أو صدق الرسول في وعدهم بفتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية، أو وعد المغانم.

قيل: رأى رسول الله ﷺ فتح مكّة في منامه \_ورؤيا الأنبياء وحي \_فتأخّر ذلك إلى السنة القابلة، فجعل فتح خيبر علامة وعنواناً لفتح مكّة.

وهو علّة الكفّ. أو «عجّل». معطوف على مـحذوف. مـثل: لتســلموا. أو لتأخذوا. أو العلّة لمحذوف تقديره: وليكون آية للمؤمنين فعل ذلك.

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ ويزيدكم بصيرة ويقيناً وثقة بفضل الله والتوكّل عليه، من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة.

﴿ وَٱخْرَى ﴾ ومَغانم أخرى. معطوفة على «هذه». أو منصوبة بغمل يفسّره «قد أحاط الله بها» مثل: قضى. ويحتمل رفعها بالابتداء، لأنّها موصوفة. وجرّها بإضمار «ربّ» أي: ربّ مغانم أخرى. ﴿ لَمْ تَقْيرُوا عَلَيْهَا ﴾ لما كان فيها من الشدّة العظيمة والصعوبة التامّة ﴿ قَدْ أَخَاطَ اللهُ بِهَا ﴾ قد علم بها وقدر عليها واستولى، فأظفركم بها وغنّمكموها. وهو مغانم هوازن في غزوة حنين، ومغانم فارس. ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلُ شَيْءَ وقِبِهِ إِلَى لائن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء.

وبيان قصّة وقعة خيبر على ما روى كبراء المفسّرين وعظّماء المؤرّخين: أنّ النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة، ثمّ خرج منها قاصداً إلى خيبر. ورووا عن ابن إسحاق بإسناده، عن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن جدّه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، حتّى إذا أشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ: قفوا. فوقف الناس. فقال: اللّهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، وربّ الأرضين السبع وما أقللن، وربّ الشياطين وما أضللن، إنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّ هذه القرية وشرّ أهلها وشرّ ما فيها. أقدموا بسم الله.

وعن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فلمّا جدّ الحرب وتصافّ القوم خرج يهوديّ وهو يقول:

قد علمت خيبر أنَّـي مـرحب شاكي السـلاح بـطل مـجرّب إذا الحروب أقبلت تلهّب

فبرز إليه عامر بن الأكوع وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّي عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهوديّ في ترس عامر، وكان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق اليهوديّ ليضربه، فرجع ذباب(١) سيفه فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه.

قال سلمة: فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بطل عمل عـــامر قتل نفسه.

قال: فأتيت النبيِّ ﷺ وأنا أبكي، فقلت: قالوا: إنَّ عامراً بطل عمله.

فقال: من قال ذلك؟

قلت: نفر من أصحابك.

فقال: كذب أولئك، بل أوتى من الأجر مرّتين.

<sup>(</sup>١) ذُباب السيف: طرفه الَّذي يضرب به.

قال: فحاصر ناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة. ثم إن الله فتحها علينا. وذلك أنّ النبي الله أعطى اللواء عمر بن الخطّاب، ونهض ممن نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله الله الشها أحدته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، أصحابه ويجبّنهم. وكان رسول الله الله أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فقال حين أفاق من وجعه: ما فعل الناس بخيبر؟ فأخبر. فقال: الأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن قتيبة بن سعيد قال: حدّثنا يعقوب بن عبدالرحمن الاسكندراني، عن أبي حازم، قال: أخبرني سهل بن سعد: «أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يمفتح الله عملى يديد، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله.

قال: فبات الناس يدوكون<sup>(١)</sup> بجملتهم أيّهم يعطاها. فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول اللهﷺ كلّهم يرجون أن يعطاها.

فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟

فقالوا: يا رسول الله يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عمينيه، ودعما له. فبرىء حتّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال عليّ ﷺ: يا رسول الله أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ قال: أنفذ على رِسْلك(٢) حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الاسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون حمر النعم.

<sup>(</sup>١) داك القومُ: خاضوا واضطربوا وماجوا.

<sup>(</sup>٢) الرسلة: التمهّل والتُؤدة والرفق. يقال: على رسلك، أي: على مهلك وتأنَّ.

قال سلمة: فبرز مرحب وهو يقول: قــد عــلمت خــيبر أنّــي مــرحـب...(١) الأبيات. فبرز له عليّ ﷺ وهو يقول:

أنا الذي ستتني أمّي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة أوفيهم بالصاع كيل السندرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح على يده».

وروى أبو عبدالله الحافظ بإسناده عن أبي رافع مولى رسول الله كلي قال: خرجنا مع علي على طحن بعثه رسول الله كلي قال: خرجنا مع علي على حض بعثه رسول الله كلي قلم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي باب الحصن فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر مع سبعة \_ أنا ثامنهم \_ نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلب.

وبإسناده عن ليث بن أبي سليم، عن أبي جعفر محمّد بن عمليّ ﷺ قمال: «حدّثني جابر بن عبد الله أنّ عليّاً ﷺ حمل الباب يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه فافتتحوها، وأنّه حرّك بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً».

قال: وروي من وجه آخر عن جابر: ثمّ اجتمع عليه سبعون رجـلاً فكـان جهدهم أن أعادوا الباب.

وبإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي على يلبس في الحرّ والشتاء القباء المحشرة التخين، وما يبالي الحرّ. فأتاني أصحابي فقالوا: إنّا رأينا من

 <sup>(</sup>١) ورد صدر الحديث في صحيح البخاري ٥: ١٧١، وذيله من قوله: «قال سلمة ...» في صحيح مسلم ٣: ١٤٤١.

<sup>(</sup>٢) المُنذَرة: ضرب من الكيل ضخم. يقال: أكيلكم بالسيف كيلَ السَنْدرة، يعني: أقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً.

٣٩٤ ...... زيدة التفاسير ـج ٦ أمير المؤمنين ﷺ شبئاً، فهل رأيت؟

فقلت: وما هو ؟

قالوا: رأيناه يخرج علينا في الحرّ الشديد في القباء المحشرّ الشخين، وما يبالي المرد. يبالي الحرّ، ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين، وما يبالي البرد. فهل سمعت في ذلك شيئاً؟

فقلت: لا.

فقالوا: فسل لنا أباك عن ذلك.

فسألته. فقال: ما سمعت في ذلك شيئاً. فدخل على علي ﷺ، فسمر معه، ثمّ سأله عن ذلك. فقال: أو ما شهدت معنا خيبر؟

فقلت: بلي.

قال: أوما رأيت رسول الله حين دعا أبا بكر، فعقد له وبعثه إلى القوم، فانطلق فلقي القوم، ثمّ جاء بالناس وقد هزموا؟

فقال: بلي.

قال: ثمّ بعث إلى عمر فعقد له، ثمّ بعثه إلى القوم، فانطلق فلقي القوم فقاتلهم، ثمّ رجع وقد هزم. فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويعتبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، كرّاراً غير فرّاد. فدعاني فأعطاني الراية، ثمّ قال: اللّهمّ اكفه الحرّ والبرد. فما وجدت بعد ذلك برداً ولا حرّاً.

وهذا كلَّه أيضاً منقول من كتاب دلائل(١) النبوَّة للامام أبي بكر البيهقي.

ثمّ لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصناً حصناً، ويحوز الأموال. حتّى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلالم، وكمان آخر حصون خيبر، افتتح، وحاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة.

<sup>(</sup>١) دلائل النبوّة ٤: ٢١٢ ـ ٢١٣.

قال ابن إسحاق: ولمّا افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق، أتي رسول الله ﷺ بنت حييّ بن أخطب وبأخرى معها. فمرّ بهما بلال \_ وهو الّذي جاء بهما \_ على قتلى من قتلى يهود، فلمّا رأتهم الّتي معها صفيّة صاحت وصكّت وجهها، وحثت التراب على رأسها. فلمّا رآها رسول الله ﷺ قال: اغربوا(١) عني هذه الشيطانة. وأمر بصفيّة فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه. فعرف المسلمون أنّه قد اصطفاها لنفسه.

وقال ﷺ لبلال لمّا رأى من تلك اليهوديّة ما رأى: أنزعت منك الرحمة يا بلال، حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟

وكانت صفيّة قد رأت في المنام، وهي عروس بكنانة بن الربيع بـن أبـي الحقيق، أنَّ قمراً وقع في حجرها، فمرضت رؤياها على زوجها. فقال: ما هذا إلا أنّك تتمنّين ملك العجاز محمّداً، ولطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها. فأتي بها رسول الله عليه الله عنها أنه منها. فسألها رسول الله عليه ما هو؟ فأخبرته.

وقال رسول الله 我 ؛ فبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله إن كتمتموني شيئاً. فصالحوه على ذلك.

<sup>(</sup>١) اغْرُبْ عنِّي، أي: تباعَدْ.

<sup>(</sup>٢) الكُرَاع: اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير. والحَلْقة: الدِرْع.

<sup>(</sup>٣) البَرِّ: الثياب.

٣٩٦ ..... زيدة التفاسير \_ ج ٦

فلمّا سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ماصنعوا، بعنوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم، ويحقن دماءهم، ويخلّون بينه وبين الأموال. ففعل. وكان ممّن مشي بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة بن مسعود، أحد بني حارثة.

فلتا نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف. وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها. فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. وصالحه أهل فدك على مثل ذلك. فكانت أموال خيبر فيناً بين المسلمين. وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنّهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب.

ولمّا اطمأنّ رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم \_ وهي ابنة أخي مرحب \_ شاة مصليّة (١٠)، وقد سألت: أيّ عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السمّ، وسمّت سائر الشاة، ثمّ جاءت بها، فلمّا وضعتها بين يديه تناول الذراع، فأخذها فلاك منها مضغة، وانتهش منها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، فتناول عظماً، فانتهش منه.

فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا أيديكم. فإنّ كتف هذه الشياة تخبرني أنّـها مسمومة. ثمّ دعاها فاعترفت.

فقال: ما حملك على ذلك؟

فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان نبيّاً فسيخبر، وإن كان ملكاً استرحت منه.

فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من أكلته الَّتي أكل.

قال: ودخلت أمّ بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تعوده في مرضه الّذي توفّى فيه، فقال ﷺ : كلت بخيبر مع ابـنك

<sup>(</sup>١) صَلَّى اللحمّ: شواه، فاللحمُّ مَصَّلِيّ.

تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري<sup>(١)</sup>. وكان المسلمون يسرون أنَّ رســول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوّة.

وَلَوْ قَاتَلُكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلُوا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴿٢٧﴾ سُنَّةَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّه تُبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كُفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدٍ أَنْ أَظْفَرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

ثمّ ذكر نصرة أهل الإيمان على المشركين، فقال: ﴿ وَتَوْ فَاتَلْتُمُ الَّذِينَ قَفْرُوا﴾ من أهل مكّة يوم الحديبية، ولم يصالحوا. وقيل: من حلفاء أهل خيبر. ﴿ لَــوَتُؤُوا التَّذْبَارَ﴾ لانهزموا وغلبوا ﴿ فُمُ لاَ يَجِدُونَ وَلِيَّا﴾ يحرسهم ﴿ وَلاَ نَصِيراً ﴾ ينصرهم.

وفي الآية دلالة على أنّه يعلم ما لم يكن أن لو كان كيف يكون، وإشارة إلى أنّ المعدوم معلوم عنده.

﴿ سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلَ﴾ أي: سنّ غلبة أنبيائه سنّةً قديمة فيمن مضى من الأمم، كما قال: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (٣) ﴿ وَاَنْ تَجِدَ لِسُنَّةٍ تَلْدِيلاً﴾ في نصرة الله تغييراً.

﴿ وَهُوَ الَّذِي تَفُّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ أيدي كفّار مكّة بالرعب ﴿ وَأَيْدِينَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

 <sup>(</sup>١) الأبَهْر: وريد المُنتَى، إذا انقطع لم يبق صاحبه. يقال: ما زال يراجعه الألم حتّى قطع أبهره،
 أى: أهلكه.

<sup>(</sup>٢) المجادلة: ٢١.

٣٩٨ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

بالنهي ﴿بِبَطْنِ مَكَة﴾ يوم الحديبية، فإن بعضها من الحرم، وروي أنَّ مضارب(١) رسول الله الله الله الله الله عليه الحلّ، ومصلاه في الحرم، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ الْطَفْرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أظهركم عليهم، وذلك أنَّ عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية، فبعث رسول الله الله خالد بن الوليد على جند، فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكّة ثمّ عاد.

وعن ابن عبّاس: أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتّى أدخلوهم البيوت.

وعن عبدالله بن المغفل: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلَّ شجرة، وبـين يديه عليٍّ ﷺ يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شابًا عليهم|السلاح، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله تعالى بأبصارهم، فقمنا فأخذناهم. فخلّى ﷺ سبيلهم.

وقيل: كان ذلك يوم الفتح.

﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من مقاتلتهم أوّلاً طاعةً لرسوله، وكفّهم ثانياً لتعظيم بيته. وقرأ أبو عمرو بالياء. ﴿ بَصِيوا﴾ فيجازيهم عليه.

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يُلِئُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلاً رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَسِمَا ۚ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَعَلَّوُهُمْ فَتُصِيبَكُم مِنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتُهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَّبُلُوا لَهَذَّبَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاتًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

<sup>(</sup>١) أي: مواضع خيامه.

الْحَمَيَّةَ حَمَيَّةَ الْجَاهِلَيَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِيَنَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقُوَى وَكَانُوآ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام دخول مكّة، فقال:

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمُسْجِدِ الْسَرَامِ ﴾ أن تـطوفوا وتـحلّوا مـن
عمر تكم ﴿ وَالْهَدَيَ ﴾ ما يهدى إلى مكّة. وهي البدن الّتي ساقها رسول الله ﷺ معه،
وكانت سبعين بدنة. عطف على الضمير المنصوب في «صدّوكم» أي: صدّوا الهدي.
﴿ مَعْكُوفاً ﴾ محبوساً ﴿ إِنْ يَبِلُغُ مَحِلُهُ ﴾ أي: مكانه الّذي يـحلّ فـيه نـحره \_ أي:
يجب \_ يعني: مكّة، لأنّ هدي العمرة لا يذبح إلّا بمكّة، كما أنّ هدي الحجّ لا يذبح
إلّا بمنى.

﴿ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتُ ﴾ يعني: المستضعفين الذين كانوا بمكّة بين الكفّار من أهل الإيمان، غير مستطيعين للمهاجرة عنهم ﴿ ثَمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ صفة للرجال والنساء جميعاً. والتذكير للتغليب، أي: لم تعرفوا المؤمنين والمؤمنات بأعيانهم، لاختلاطهم بالمشركين. ﴿ أن تَطَوُهُمْ ﴾ أن توقعوا بهم وتبيدوهم، في الوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة، وهو بدل اشتمال من «رجال ونساء». أو من ضمير «هم» في «تعلموهم».

﴿ فَتُصِيبَكُم مِنْهُمْ مَعَرُّهُ ﴾ من جهتهم مكروه، كوجوب الدية والكفّارة بقتلهم، والتأسّف عليهم، وتعيير الكفّار بأنّهم فعلوا بأهل ذينهم ما فعلوا بنا، والإثم بالتقصير في البحث عنهم. مفعلة من: عرّه إذا أغراه، أي: أصابه ما يكرهه.

﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ متعلَّق بـ «أن تطوُّهم» أي: تطوُّهم غير عالمين بهم.

وجواب «لولا» محذوف. لدلالة الكلام عليه. والسعنى: لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين اظهر المشركين، جاهلين بهم، لاختلاطهم بالكافرين، غير متميّزين منهم، ولا معروفي الأماكن، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقّة، لما كفّ أيديكم عنهم.

وقوله: ﴿لِيُكْفِلُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ علّة لما دلّ عليه كفّ الأيدي عن أهل مكّة صوناً لمن فيها من المؤمنين، أي: كان الكفّ ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته \_ أي: في توفيقه للسلامة من القتل، ولزيادة الخير والطاعة \_﴿مَنْ يَشَاءَ﴾ من مؤمنيهم.

﴿ نَوْ تَزَيْلُوا﴾ لو تفرّقوا، وتبيّر بعضهم من بعض. من: زاله يزيله. ﴿ نَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً البِما﴾ بالقتل والسبي. فلحرمة اختلاط المؤمنين بالمشركين لم يعذّب الله المشركين.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقدّر ب: اذكر. أو ظرف الالعلّبنا» أو «صدّوكم». ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيْةَ﴾ الخصلة التي تحمي الانسان، أي: حميت قلوبهم بالغضب. والمراد: أنفتهم واستنكافهم من الإقرار بالرسالة، والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم.

ثمّ فسر تلك الحميّة بقوله: ﴿ حَمِيَّة الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أي: عادة آبائهم في الجاهليّة أن لا يذعنوا لأحد، ولا ينقادوا له، ويمتنعوا عن اتباعه وإن كان في الحقّ.

﴿ قَانِزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ ﴾ الثبات والوقار ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك حين قال النبي ﷺ والمحمن الرحمن الرحيم. فقال سهيل: ما نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللّهمّ.

ثمّ قال: اكتب: هذا ما صالح عليه رسول الله عليه أهل مكّة.

فقالوا: لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولاقاتلناك، ولكن

سورة الفتح. آية ٢٧ ـ ٢٩ اكتب: هذا ما صالح عليه محمّد بن عبدالله أهل مكّة.

فهمّ المسلمون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم كما مـرّ. فأنــزل الله السكــينة

عليهم، فتوقّروا وتحلّموا.

ولمّا ذمّ الكفّار بالحميّة، ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة، بيّن علمه ببواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم، فقال:

﴿ وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ بالتوفيق وإعطاء اللطف. وهي كلمة: بسم الله الرحمن الرحيم ومحمّد رسول الله، فاختارها لهم. أو كلمة الشهادة. وعن الحسن: هي الوفاء بالعهد، والثبات عليه. وإضافة الكلمة إلى التقوى، لأنَّها سببها وأساسها. أو كلمة أهلها. ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا ﴾ من غيرها، وأولى بالهداية من غيرهم ﴿ وَأَهْلَهَا ﴾ ومستأهلها ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلُّ شَنَّ عَلِيماً ﴾ فيعلم أهل كلُّ شيء ويبسّره

لَقَدُ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَلَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمَنينَ مُحَلَّقينَ رُؤُوسَكُمُ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلَمَ مَا لَمْ تُعْلَمُوا فَجَعَلَ من دُون ذَلكَ فَنْحًا قَرِيبًا ﴿٧٧﴾ هُوَ الَّذيِّ أَرْسَلَ رَسُولُهُ بِالْهَدَى وَدينِ الْحَقّ لْيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلَّه وَكُفَّى بِاللَّه شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ تُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه وَالَّذينَ مَعَهُ أَشدًآ ۚ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآ ۖ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّمًا سُجَّدًا يُبْتَعُونَ فَضُلَّا مَنَ اللَّهِ وَرِضُوانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَّلُهُمْ فِي الْتُورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَرْزِعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَازَرُهُ فَاسْتَغَلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الْكَفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّفُومٌ وَأَجْرًا عَظيمًا ﴿٢٩﴾

روي: أنّ رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية، كأنّه وأصحابه قد دخلوا مكّة آمنين وقد حلقوا وقصّروا، فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا أنّهم داخلوها في عامهم. وقالوا: إنّ رؤيا رسول الله حقّ. فلمّا تأخّر ذلك قال عبدالله بن أبيّ وعبدالله بن نفيل ورفاعة بن الحارث: والله ما حلقنا، ولا قصّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام. فنزلت:

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّوْقِيَا﴾ أي: صدّقه في رؤياه، ولم يكذّبه. فحذف الجارّ وأوصل الفعل، كقوله تعالى: ﴿ مَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ ﴾ ( أ ﴿ وَالْحَقّ ﴾ ملتبساً به، فإنّ ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدّر، وهو العام القابل. وهو إمّا متعلّق برصدق» أي: صدّقة فيما رأى، وفي كونه وحصوله صدقاً ملتبساً بالحقّ، أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة. وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمنين المخلصين، وبين من في قلبه مرض نفاق.

ويجوز أن يتعلّق بالرؤيا حالاً منها، أي: صدّقه الرؤيا ملتبسة بالحقّ، على معنى أنّها لم تكن من أضفاث الأحلام.

ويجوز أن يكون «بالحقّ» قسماً. إمّا بالحقّ الّذي هـو نـقيض البــاطل. أو بالحقّ الّذي هو من أسمائه تعالى.

<sup>(</sup>١) الأحزاب: ٢٣.

﴿ لَتَذَخُلُنُ الْمُسْجِدَ الْحَرَامُ ﴾ يعني: العام المقبل. وهو جواب القسم. وعلى الأوّل جواب قسم محذوف. ﴿ إِن شَاءَ اللهِ للعباد أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك، متأدّبين بأدب الله، ومقتدين بسنته. أو إنسعاراً بأنّ بعضهم لا يدخل، لموت أو غيبة. والمعنى: لتدخلنّ جميعاً إن شاء الله، ولم يمت منكم أحداً. أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبي الله العصابه.

﴿ آمِنِينَ﴾ حال من الواو، والشرط معترض ﴿ مُطَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصَّرِينَ﴾ أي: محلّقاً بعضكم، ومقصّراً آخرون ﴿ لاَ تَخَافُونَ﴾ حال مؤكّدة، أو استثناف، أي: لا تخافون بعد ذلك.

﴿ فَعَلِمَ مَا لَمُ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ من دون دخولكم المسجد الحرام، أو فتح مكّة ﴿ فَقُحاً قَرِيباً ﴾ وهو فتح خيبر، ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسّر الموعود.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ فِالْهُدَى ﴾ ملتبساً بالدليل الواضح والحجّة الساطعة. وقيل: بالقرآن، أو بسببه، أو لأجله. ﴿ ودِينِ الْحَقِّ ﴾ وبدين الاسلام ﴿ لِيُعْلَهِهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ليغلبه على جنس الدين كلّه. يريد الأديان المختلفة، من المشركين والمحاحدين وأهل الكتاب. وذلك بنسخ ما كان حقّاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، أو بتسليط المؤمنين على أهله، إذ ما من أهل دين إلّا وقد قهرهم المسلمون، وفيه تأكيد لما وعده من الفتح. قيل: إنّ تمام ذلك عند خروج المهدي ﷺ فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الاسلام. ﴿ وَكَفَّىٰ فِاشِ شَهِداً ﴾ على أنّ ما وعده كائن لا محالة. أو على نبوته بإظهار المعجزات.

﴿ مُحَدُّدُ رَسُولُ اللهِ ﴾ جملة مييّنة للمشهود به. ويجوز أن يكون «رسول الله» صفة و«محمّد» خبر محذوف. أو مبتدأ ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ معطوف عليه، وخبرهما ﴿ السِّدَّامُ ﴾ جمع شديد ﴿ عَلَى الْتَقَارِ رُحَمَامً ﴾ جمع رحيم ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ . والمعنى : أنّهم ٤٠٤ ..... زيدة التفاسير ــج ٦

يغلظون على من خالف دينهم، ويتراحمون فيما بينهم، كقوله: ﴿ أَذِلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أُعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١).

وعن الحسن: بلغ من تشدّدهم على الكفّار أنّهم كانوا يتحرّزون من ثمياب المشركين أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمسّ أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنّه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلّا صافحه وعانقه. ومن حقّ المؤمنين في كلّ زمان أن يراعوا هذا التشدّد وهذا التعطّف، فيتشدّدوا على من ليس على ملّتهم ودينهم ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإيمان، متعطّفين بالبرّ والصلة، وكفّ الأذي، والمعونة، والأخلاق الكريمة.

﴿ تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجُدا ﴾ لأنهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم ﴿ يَنْتِتَغُونَ فَضَلاً مِنَ اللهِ وَرِضَوَانا ﴾ يلتمسون بذلك زيادة نعمة من الله ، ويطلبون مرضاته ﴿ سِيمَاهُمْ ﴾ علامتهم ﴿ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَقْرِ السَّجُود ﴾ يريد السمة التي تحدث في جبهة السجّاد من كثرة السجود . فِعْلَى ، من : سامه إذا أعلمه . و«من أثر السجود» بيانها . أو حال من المستكن في الجارّ . وكان عليّ بن الحسين يقال له : ذو الثفنات ، لأنّ كثرة سجوده أحدثت في مواقعه منه أشباه ثفنات ، المعير .

وقيل: السيماء هو صفرة الوجه من خشية الله.

وعن الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وماهم بمرضى.

وعن سعيد بن المسيّب: ندى الطهور، وتراب الأرض.

وعن عكرمة وسعيد بن جبير وأبي العالية: هو التراب على الجباه. لأنَّمهم يسجدون على التراب لا على الأنواب.

<sup>(</sup>١) المائدة: ٥٤.

 <sup>(</sup>٢) ثَفِنات جمع ثَفِنَة. وهي من البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ.
 كالركبتين.

وعن عطاء: استنارت وجوههم من طول ما صلّوا بالليل. كقوله ﷺ: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار».

روي عن ابن عبّاس وعطيّة معناه: علامتهم يوم القيامة أن تكون مــواضــع سجودهم أشدّ بياضاً.

وقال شهر بن حوشب: يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر.

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى الوصف المذكور، أو إنسارة مبهمة ينفسرها «كزرع» ﴿ مَثْلُهُمْ فِي النَّوْدِلَةِ ﴾ صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها ﴿ وَمَثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ عطف عليه، أي: ذلك مثلهم في الكتابين. وقوله: ﴿ كَزَرْعٍ ﴾ تحثيل مستأنف، أو تفسير ﴿ الحَرْجُ شَطْأَهُ ﴾ فراخه. يقال: أشطأ الزرع إذا فرّخ (١١). وقرأ ابن كثير وابسن عامر برواية ابن ذكوان: شَطأة بفتحات. وهو لفة. ﴿ فَاَرْدَهُ ﴾ فقوّاه. من المؤازرة، وهي المعاونة. أو من الإيزار، وهي الإعانة. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان: فَازَرُهُ كَأْجُرَ في: آجر.

﴿ فَاسْتَفْلَقُ ﴾ فصار من الدقّة إلى الفلظة ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ فاستقام على قصبه. جمع ساق. وعن ابن كثير: سُوقِهِ بالهمزة. وقيل: مكتوب في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

﴿ يُغْجِبُ الزُّرَاعَ﴾ بغلظه وكثافته وقرّته وحسن منظره. وهو مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام، وترقّيه في الزيادة يوماً فيوماً إلى أن قوي واستحكم، لأنّ النبي ﷺ قام وحده، ثمّ قوّاه الله بمن آمن معه، كما يقوّي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتفّ بها ممّا يتولّد منها. فكثر المؤمنون، واستحكم دين الاسلام، فترقّى أمرهم بحيث أعجب الناس.

<sup>(</sup>١) الشّطُّ والشّطَأُ: ورق الزرع. وفرّخ الشجرُ: نبتت فراخه. والفِراخ جمع الفَرْخ: ما يخرج في أصول الشجر من صغار الورق.

قال الواحدي: «الزرع محمّد ﷺ، والشطء أصحابه، والمــوّمنون حــوله. وكانوا في ضعف وقلّة، كما يكون أوّل الزرع دقيقاً ثمّ غلظ وقوي وتلاحق، كذلك المؤمنون في بدء الاسلام قليلون، ثمّ بعضهم عاون بعضاً في نصرة دين الله، حتّى استغلظوا واستووا على أمرهم» (١٠).

﴿ لِيَغِيظُ بِهِمُ ﴾ بتوافرهم وتظاهرهم واتفاقهم على إطاعة الله ﴿ التَخْفَارَ ﴾ وهذا علَّه التشبيههم بالزرع في نمائهم وترقيهم في الزيادة والقرّة. أو لقوله: ﴿ وَهَذَا اللهُ النّهِ اللّهِ إِنْ الكفّار لمّا سمعوا بما النّينَ آمَنُوا وَعَبُلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ فإنّ الكفّار لمّا سمعوا بما أعدّ لهم في الآخرة، من مغفرة الذنوب والثواب العظيم والنعيم المقيم، مع ما يعزّهم به في الدنيا، غاظهم ذلك، و «بينهم» للبيان، كقوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرُّجْسَ مِنَ الْدُونُ (٤٠).

<sup>(</sup>١) تفسير الوسيط ٤: ١٤٧.

<sup>(</sup>٢) الحج: ٣٠.



## سورة المجرات

مدنيّة. وعن ابن عبّاس: إلّا آية قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ (١). وهي ثماني عشرة آية بالاجماع.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الحجرات، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه».

الحسين بن أبي العلاء. عن أبي عبدالله ﷺ قال: «من قرأ سورة الحجرات في كلّ ليلة أو في كلّ يوم. كان من زوّار محمّدﷺ».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي ِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّه

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

ولمّا ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيّه ﷺ. افتتح هذه السورة أيضاً بذكره، وما يختصّ به من الإجلال والإعظام. فقال:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْفِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا ﴾ أي: لا تقدّموا أمراً.

<sup>(</sup>١) الحجرات: ١٣.

فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كلّ ما يمكن. أو ترك ليقصد توجّه النهي إلى نفس التقدمة، فيكون المقصود نفي التقدّم رأساً، كأنّه قيل: لا تقدّموا على التلبّس بهذا التقدّم، ولا تجعلوه منكم بسبيل. ويجوز أن يكون من: قدّم بمعنى: تقدّم، كوجّه وبيّن بمعنى: توجّه وبيّن، كأنّه قيل: لا تتقدّموا. ومنه: مقدّمة الجيش لمتقدّميهم.

﴿ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أمامهما. مستعار لما بين الجهتين المسامتتين ليمين الانسان وشماله قريباً منه. فستيت الجهتان يدين لكونهما على سمت البدين مع القرب منهما توسّعاً، كما يستى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه. فهو من باب تسمية الشيء باسم ما يجاوره، وفي ضمن هذه الاستعارة فائدة جليلة ليست في الكلام الحقيقي. وهي: تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء (١) على أمثلة الكتاب والسنّة. والمعنى: لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به ويأذنا فيه.

وقيل: المراد بين يدي رسول الله ﷺ. وذكر الله تعظيم له، وإشعار بأنّه من الله بمكان ومزيد تقرّب يوجب إجلاله. فهذا يجري مسجرى قىولك: سـرّني زيـد وحسن حاله، وأعجبنى عمرو وكرمه.

﴿ وَاشَّقُوا اللهُ ﴾ في التقديم، أو مخالفة الحكم ﴿ إِنَّ اللهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقــوالكــم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأفمالكم، وحتّى مثله أن يتّقى عنّا نهاه.

عن ابن عبّاس: نهوا بهذه الآية أن يتكلّموا قبل كلامه، أي: إذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله ﷺ فسئل عن هسألة، فلا تسبقوه بالجواب حتّى يحبيب النبي ﷺ أوّلاً.

وعن السدِّي معناه: لا تسبقوه بقول ولا فعل حتَّى يأمركم به.

<sup>(</sup>١) احتذى مثال فلان وعلى مثاله: اقتدى وتشبّه به.

وقال الحسن: نزل في قوم ذبحوا الأضحية قبل صلاة العيد. فأمرهم رسول الله ﷺ بالإعادة.

وقيل: معناه: لا تقدّموا أعمال الطاعة قبل الوقت الّذي أمر الله ورسوله به. حتّى إنّه قيل: لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها.

وقيل: معناه: لا تمكّنوا أحداً يمشي أمام رســول الله، بــل كــونوا تــبعاً له. وأخّروا أقوالكم وأفعالكم عن قوله وفعله.

والأولى حمل الآية على الجميع، فإنّ كلّ شيء كان خلافاً لله ورســوله إذا فعل فهو تقديم بين يدي الله ورسوله، وذلك ممنوع منه.

يَآ أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَوْقُعُوآ أَصْوَاتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِي وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقُولِ كَجَهْرِ بَعْضَكُمْ لَبَعْضِ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عَندَ رَسُولِ اللّهِ أُوْلَئِكَ الذِينَ آمْنَحَنَ اللّهُ قُلْرَبُهُمُ النَّقُوى لَهُم مَّغْفَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءَ الْحُجُرَاتِ أَكْثُرُهُمُ لاَ يَعْفُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنْهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

ولمّاكان رسول الله ﷺ عند الله من المكان الّذي لا يخفى. ومن أحظاه الله بهذه الأثرة، واختصّه بهذا الاختصاص القويّ. كان أدنى مـايجب له مـن التـهيّب والاجلال أن يخفض بين يديه الصوت. ويخافت له بالكلام، نهى عباده أن يرفعوا ٤١ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

أصواتهم فوق صوت نبيّه المكرّم لديه نهاية القصوى، ورسوله المقرّب بين يــديه غاية الزلفي. فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَضُوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ أي: إذا كلَّمتمو، وكلَّمكم فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته عند المكالمة، لأنَّ فيه أحد شيئين: إمّا نوع استخفاف به، فهو الكفر، وإمّا سوء الأدب، فهو خلاف التعظيم المأمور به. وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار، أو تجديده عند كلَّ خطاب وارد. والمبالغة في الاتّعاظ، لئلًا يفتروا ويغفلوا عن تأمّلهم. والدلالة على استقلال المنادى له، وهو النهى عن رفع الصوت، وزيادة الاهتمام به.

﴿ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ كَجَهْرِ بَعْضِيكُمْ ﴾ أي: جهراً مثل جهر بعضكم ﴿ لِبَعْضٍ ﴾ أي: إذا كلّمتموه وهو صامت فلا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، بل اجعلوا أصواتكم أخفض، بحيث يكون كلامه عالياً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم، حتى تكون مزيّته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، محاماة على التعظيم، ومراعاة للأدب. فالصوت الذي لا يستلزم سوء الأدب وتأذّي النبيّ لا يكون منهياً عنه، كرفعه منهم في حرب، أو مجادلة معاند، أو إرهاب عدو، وما أشبه ذلك. ففي الحديث أنه ﷺ قال للعبّاس بن عبد المطلب لمّا انهزم الناس يوم حنين: «اصرخ بالناس»، وكان العبّاس أجهر الناس صوتاً. يروى أنّ غارة أتتهم يوماً فصاح العبّاس: يا صباحاه، فأسقطت الحوامل لشدة صوته.

وقيل: معناه: ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بمعضاً، وخاطبوه بالنبيّ والرسول، لما روي عن أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أنّ الآية نزلت في نفر من بني العنبر كان النبيّ ﷺ أصاب من ذراريهم، فأقبلوا في فدائهم، فقدموا المدينة ودخلوا المسجد، وعجلوا أن يخرج إليهم النبي ﷺ، فجعلوا يقولون: يا محمّد اخرج إلينا.

وقال محمد بن إسحاق: نزلت في وفد تميم. وهم: عطارد بن حاجب بن زرارة، في أشراف من بني تميم، منهم: الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمر و بن الأهثم، وقيس بن عاصم، في وفد عظيم. فلمّا دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء الحجرات: أن اخرج إلينا يا محمّد. فآذى ذلك رسول الله عليه فخرج إليهم. فقالوا: جئناك لنفاخرك، فائذن لشاعرنا وخطيبنا.

فقال: قد أذنت.

فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً. الذي له الفضل علينا، والذي وهب لنا أموالاً عظاماً نفعل بها المعروف، وجعلنا أعرّ أهل المشرق، وأكثر عدداً وعدّة. فمن مثلنا في الناس؟ فمن فاخرنا فليعدّ مثل ما عددنا. ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكنّا نستحى من الإكثار، ثمّ جلس.

فقال رسول الله الله الله المنابقة الثابت بن قيس بن شماس: قم فأجبه.

فقام فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قبضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من فضله. ثم كان من فضله أن جملنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً. فأنزل عليه كتاباً، وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله على العالمين. ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله، فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس أحساباً، وأحسنهم وجوهاً. فكان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله نحن. فنحن أنصار رسول الله وردوه(١)، نقاتل الناس حتى يؤمنوا. فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن نكث جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

ثمّ قام الزبرقان بن بدر ينشد. وأجابه حسّان بن ثابت.

<sup>(</sup>١) الرِدْءُ: الناصر والعون.

٤١٢ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

فلمّا فرغ حسّان من قوله قال الأقرع: إنّ هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا.

فلمًا فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوانزهم، وأسلموا. فنهاهم الله سبحانه عن أن ينادوا النبئ ﷺ باسمه.

﴿أَن تَخْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ كراهة أن تحبط، فيكون علّة للنهي، أو لأن تحبط، على أنّ النهي عن الفعل المعلّل باعتبار التأدية والعاقبة، لأنّه لمّا كان بصدد الأداء إلى الحبوط كأنّه فعل لأجله، وكأنّه العلّة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل، كقوله تعالى: ﴿لِيكُونَ لَهُمْ عَدُونً ﴾ (١). فإنّ في الجهر ورفع الصوت عنده أو ندائه باسمه استخفافاً، وقد يودي إلى الكفر المحبط، وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة. ﴿وَانتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ أنّها محبطة.

والحبوط من: حبطت الإبل إذا أكلت الخضر، فنفخ بطونها، وربّما هلكت. والمفعول له \_ أعني: «أن تحبط» \_ متعلّق بالفعل الشاني عند البصريّين، مقدّر إضماره عند الفعل الأوّل، كقوله تعالى: ﴿آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ (٣). وعند الكوفيّين بالعكس. وأيّهما كان؛ فمرجع المعنى إلى أنّ الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط العمل.

واعلم أنّ العراد بحبوط العمل حبوط ثواب ذلك العمل، لا للأعمال الصالحة السابقة على هذا العمل، إذا لم يستلزم الكفر لقصد الاستخفاف والإهانة. والمعنى: أنّهم لو أوقعوا العمل على وجه تعظيم النبيّ وتوقيره لاستحقّوا الثواب، فلمّا فعلوه على خلاف ذلك الوجه استحقّوا العقاب.

<sup>(</sup>١) القصص: ٨.

<sup>(</sup>٢) الكهف: ٩٦.

روي عن أنس: أنّ ثابت بن قيس كان في أذنه وقر (١)، وكان جهوريّاً. فلمّا نزلت تخلّف عن رسول الله كليّي ، فتفقّده ودعاه فسأله. فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية، وإنّي رجل جهير الصوت، فأخاف أن يكون عملي قد حبط. فقال الليّي : «لست هناك، إنّك تعيش بخير وتموت بخير، وإنّك من أهل الجنّة».

ثمّ مدح سبحانه من يعظّم رسوله ويوقّره، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَـغُضُونَ﴾ يخفضون ﴿أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ مراعاة للأدب إجلالاً له، أو مخافة عن مخالفة النهي ﴿أَوْنَئِكَ النَّوْينَ المُتَحَنَّ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ جرّبها ﴿لِلتَّقْوَى﴾ ومرّنها عليها. من قولك: امتحن فلان لأمر كذا، وجرّب له، ودرّب للنهوض به، فهو مضطلع به، غير وازٍ (٢) عنه. والمعنى: أنّهم صابرون على التقوى، أقوياء على احتمال مشاقها.

عير وان عنه، والمعنى: انهم صابرون على التفوى، افوياء على احتمال مشاهها.
وقيل: وضع الامتحان موضع المعرفة، لأنّ تحقّق الشيء باختباره، كما
يوضع الخبر موضعها. وحينئذٍ تكون اللام متعلّقة بمحذوف. فكأنّه قيل: عرفها
كائنة للتقوى، خالصة لها. ويجوز أن تكون متعلّقة بمالفعل باعتبار الأصل، إذ
المعنى: ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقّة لأجل التقوى، لأنّ حقيقة
التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد، والاصطبار على التقوى،أو أخلصها
للتقوى، من قولهم: امتحن الذهب، إذا أذابه وميّز إبريزه (٣) من خبثه ونقّاه.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرُ عَظِيمٌ﴾ لفضّهم وسائر طاعاتهم.

واعلم أنَّ هذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه، من إيقاع الغاضين أصواتهم السما الران المؤكّدة، وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معاً، والمبتدأ السم الإشارة، ثمّ استثناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم، وإيراد

<sup>(</sup>١) وَقَرَتُ أَذنه وَقُراً: ثقلت أو ذهب سمعه.

<sup>(</sup>٢) وَنَى يَنِي: فتر وضعف وكلِّ وأعيا، فهو: وانٍ.

<sup>(</sup>٣) الإبريز : الذهب الخالص . وهي كلمة يونانيّة .

٤١٤ ..... زيدة التفاسير ـ ج٦

الجزاء نكرة مبهماً أمره، ناظرة (١) في الدلالة على غاية الإحماد والاعتداد والاعتداد والاعتداد والاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض أصواتهم، وفي الإعلام بمبلغ عزّة رسول الله وقدر شرف منزلته. وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم، واستيجابهم ضدّ ما استوجب هؤلاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ ﴾ وهم الجفاة من بني تميم وأجلافهم ﴿مِنْ وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ من خارجها، خلفها أو قدّامها، فإنَّ الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلّه من خلف أو قدّام. و«من» ابتدائيّة، فإنَّ المناداة من جهة الوراء. وفائدتها الدلالة على أنَّ المنادى داخل الحجرة، إذ لا بدّ وأن يختلف المبتدأ والمنتهى.

والحجرات جمع حجرة. وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها. ولذلك يقال لحظيرة الإبل: حجرة. وهي فعلة بمعنى مفعول، كالغرفة والقبضة. والمراد حجرات نساء النبي الله وكانت لكل منهن حجرة. ومناداتهم من ورائها بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها. أو بأنهم تفرّقوا على الحجرات متطلبين له، فأسند فعل الأبعاض إلى الكلّ.

وقيل: إنّ الّذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وفدا على رسول الله ﷺ . في سبعين رجلاً من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد، فقالا: يا محمد اخرج إلينا. وإنّما أسند إلى جميعهم، لأنّهم رضوا بذلك، أو أمروا به، أو لأنّه وجد فيما بينهم.

﴿ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة. سيّما لمن كان بهذا المنصب. والإخبار عن أكثرهم بأنّهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم

<sup>(</sup>١) خبر «أنّ هذه الآية ...» في بداية الفقرة .

من قصد المحاشاة (١) المفهومة من قوله: «وأكثرهم». وأن يكون الحكم بقلّة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل، فإنّ القلّة تقع موقع النفي في كلامهم.

وورود الآية على النمط آلذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر. من بيّنات إكبار محلّ رسول الله ﷺ وإجلاله.

منها: مجيئها على النظم المسجّل على الصائحين بــه بــالسفه والجــهل لمــا أقدموا عليه.

ومنها: لفظ الحجرات، وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله<sup>(٣)</sup> مع بعض نسائه.

ومنها: المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الّذي تبيّن بــه مــا اســتنكر عليهم. يعني: لم يصف الحجرات بأنّها مـوضع خــلوة ومـقيل، بــل اقــتصر عــلى الحجرات.

ومنها: التعريف باللام دون الإضافة.

ومنها: أن شفع ذمّهم في خاتمة الآية باستجفائهم، واستركاك عقولهم، وقلّة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات، تهويناً للخطب عـلى رسـول الله ﷺ. وتسلية له، وإماطة لما تداخله من إيحاش سوء أدبهم.

وهلم جرّاً من أوّل السورة إلى آخر هذه الآية. فتأمّل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور الّني تنتمي إلى الله ورسوله متقدّمة على الأمور كلّها، من غير حصر ولا تقييد. ثمّ أردف ذلك النهي عمّا هو من جنس التقديم، من رفع الصوت والجهر، كأنّ الأوّل بساط للثاني ووطاء لذكره. ثمّ ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضّوا أصواتهم. دلالة على عظيم موقعه عند الله. ثمّ جيء على عقب ذلك بما هو

<sup>(</sup>١) أي: التنزُّه والابتعاد عن سوء الأدب.

<sup>(</sup>٢) المقيل: موضع القيلولة، أو النوم والاستراحة في الظهيرة.

٤١٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

أطم (١) وهجنته أتمّ، من الصياح برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر، كما يصاح بأهون الناس قدراً، لينبّه على فظاعة ما أجروا إليه وجسروا عليه، لأنّ من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول، حتّى خاطبه جلّة المهاجرين والأنصار بأخي السرار، كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغاً. ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب، وتقتبس محاسن الآداب.

ثمَّ أدّبهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَوْ النَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ في محل الرفع على الفاعليّة، لأنّ المعنى: ولو ثبت صبرهم، فإنّ «أنّ» وإن دلّت بما في حيّرها على المصدر، دلّت بنفسها على الثبوت، ولذلك وجب إضبار الفعل، والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها. قال الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكُ مَمَّ النّبِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ (٣). وهاهنا المفعول محذوف. والتقدير: ولو ثبت حبسهم أنفسهم عمّا تنازع إلى هواها من المناداة وراء الحجرات ﴿ حَتَّى نَخْرَجَ إِلْيَهُمْ ﴾ أي: الصبر مغيّاً بخروجه.

والمعنى: أنَّ خروج رسول الله عليه علية قد ضربت لصبرهم، فما كان لهم أن يقطعوا أمرهم دون الانتهاء إليها، فإنَّ «حتَّى» مختصّة بغاية الشيء في نفسه، ولذلك تقول: أكلت السمكة حتَّى رأسها، ولا تقول: حتَّى نصفها، بخلاف «إلى» فإنها عامّة. وفي «إليهم» إشعار بأنّه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتَّى يفاتحهم بالكلام، أو يتوجّه إليهم.

﴿لَكَانَ﴾ الصبر ﴿خَيْراً لَمُهُمَ﴾ من الاستعجال، لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب، والإسعاف بالمسؤول، إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر كما مرّ، فأطلق النصف وفادى النصف، فلو أنّه صبروا لأطلق كلّهم بغير فداء.

<sup>(</sup>١) أي: أعظم. والهُجْنَة: العيب والقبح.

<sup>(</sup>٢) الكهف: ٢٨.

﴿ وَاللهُ عَقُورٌ رَحِيمٌ ﴾ بليغ الففران والرحمة، حميث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للأدب، التاركين تعظيم الرسول ﷺ، فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا.

يَّ آَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْآ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَا فَنَبَيْوَآ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَة فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ فَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَآعَلُمُوۤ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرِ مِنَ الأَمْرِ لَعَنتُمْ وَكَرَّ اللّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمُ الإِيَّانَ وَزَيْنَهُ فِي يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرِ مِنَ الأَمْرِ لَعَنتُمْ وَكَرَّ اللّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمُ الإِيَّانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلْمِكُمُ وَكَرَّ إِلَيْكُمُ الْكُفُر وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَٰكِ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضُاذً مِنَ اللّهِ وَيَعْمَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

روي: أنّ رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمّه وهو الذي ولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقّاص، فصلّى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، ثمّ قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان مصدّقاً أي: آخذاً للصدقة مالي بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم في الجاهليّة إحنة (١١)، فلمّا شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فرحين بقدومه، فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله ﷺ تقدارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ اعتماداً على قول الوليد، فقال: «لتنتهن أو لأبعن إليكم رجالاً هو عندى كنفسى، يقاتل قول الوليد، فقال: «لتنتهن أو لأبعن إليكم رجالاً هو عندى كنفسى، يقاتل

<sup>(</sup>١) الإحنَّة: الحقد والعداوة.

٤١٨ ..... زيدة التفاسير ـج٦

مقاتلتكم، ويسبي ذراريكم». ثمّ ضرب بيده على كتف عليّ ﷺ. وقيل: بعثه إليهم بعد رجوع الوليد، فوجدهم منادين بالصلوات متهجّدين، فسلّموا إليه الصدقات، فرجع. فنزلت:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَامِيقٌ بِنَبَلٍ ﴾ بخبر. وتنكير الفاسق والنبأ للتميم، كأنّه قال: أيّ فاسق جاءكم بأيّ نبأ. ﴿ فَتَبَيّنُوا ﴾ فتطلّبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق، لأنّ من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الّذي هو نوع منه. والفسوق: الخروج من الشيء والانسلاخ منه. يقال: فسقت الرطبة عن قشرها. ومن مقلوبه: قفست البيضة، إذا كسرتها وأخرجت ما فيها. ومن مقلوبه أيضاً: قفست الشيء، إذا طُخرجته عن يد مالكه مغتصباً له عليه. ثمّ استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحقّ.

وقرأ حمزة والكسائي: فـتثبّتوا، أي: فـتوقّفوا إلى أن يـتبيّن لكــم الحــال. والتثبّت والتبيّن متقاربان. وهما: طلب الثبات والبيان والتعرّف.

ولمّا كان رسول الله والذين معه بالمنزلة الّتي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب، وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلّا في الندرة، قيل: إن جاءكم، بحرف الشكّ. وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة، لثلّا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور.

واستدلَّ بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلاً، من حيث إنّ الله أوجب التوقّف في خبر الفاسق، فدلَّ على أنّ خبر الصدل لا يسجب التوقّف فيه.

وهذا لا يصع، لأنَّ دليل الخطاب لا يعوّل عليه عندنا وعند أكثر المحقّين. ﴿ أَنْ تُسَمِيبُوا﴾ كسراهة إصابتكم ﴿ قَوْماً بِجَهَالَةٍ ﴾ جاهلين بحالهم ﴿ فَتُصْبِحُوا ﴾ فتصيروا ﴿ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ ﴾ من إصابتهم بالخطأ ﴿ نَابِمِينَ ﴾ مغتين غمًا لازماً، متمنّين أنّه لم يقع، ولا يمكنكم تداركه. وتركيب الحروف الثلاثة فسي «ندم» دائر مع اللزوم والدوام، فإنّه عبارة عن غمّ يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام، لانّه كلّما تذكّر المتندّم عليه راجعه الغمّ. من الندام (۱۱، وهمو لزام الشريب ودوام صحبته. ومن مقلوباته: أدمن الأمر، أدامه. ومدن بالمكان، أقام به. ومنه: المدينة.

﴿ وَاغْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ﴾ «أَنَّ» بما في حيَّزه سادٌ مسدٌ مفعولي «اعلموا». وفائدة تقديم خبر «أنَّ» على اسمها القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين، على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله ﷺ لآرائهم، فوجب تقديمه، لانصباب الفرض إليه.

وقوله: ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ لا يكون كلاماً مستأنفاً، لأنّه حينئذٍ لم يظهر للأمر فائدة. فلا بدّ أن يكون متصلاً بما قبله، حالاً من أحد ضميري «فيكم». وهو المستتر المرفوع، أو البارز المجرور. وكلاهما مذهب سديد.

والمعنى: أنَّ فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها. أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها. أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها. وهي: أنّكم تريدون أن يتبع رأيكم في الحوادث، ولو فعل ذلك لعنتم، أي: لوقعتم في الجهد والهلاك. من العنت. يقال: فلان يتعنّت فلاناً، أي: يطلب ما يؤدّيه إلى الهلاك.

وفائدة إيثار «يطيعكم» على: أطاعكم، الدلالة على أنّه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه، وأنّه كلما عنّ لهم رأي في أمر كان معمولاً عليه، بدليل قوله: ﴿فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ ﴾. كقوله: فلان يقري الضيف ويحمي الحريم، تريد: أنّه منا اعتاده ووجد منه مستمرّاً.

وفيه إشعار بأنّ بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المـصطلق وتـصديق قــول

<sup>(</sup>١) نادم نِدَاماً فلاناً على الشراب: جالسه عليه.

الوليد. وأنَّ بعضهم كانوا يتصوّنون، ويزعهم (١) جدَّهم في التقوى عن الجسارة على ذلك. وهم الذين استثناهم بقوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللهُ حَبَّبُ إِلَيْكُمُ اللهِيمَانَ ﴾ جمل الإيسان محبوباً إليكم، بأن أقام الأدلّة على صحّته، وبما وعد عليه من الثواب ﴿ وَرَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ بالألطاف الداعية إليه ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفُرَ وَالفَّسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ بوجوه الألطاف الصارفة عنه.

والحاصل: أنّ هذا استدراك بصفة من لم يفعل ذلك منهم، إحماداً لفعلهم، وتعريضاً بذمّ من فعل.

وقيل: استدراك ببيان عذرهم في استصواب الإيقاع ببني المصطلق. يعني: أنّهم من فرط حبّهم للإيمان وكراهِتهم للكفر حملهم على ذلك لمّـا سمعوا قـول الوليد.

ويؤيد الأوّل ﴿ أَوْلَقِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: أولئك المستثنون هم الّذين أصابوا الطريق السويّ من الرشد. وهو الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه. من الرشادة، وهي الصخرة.

وشريطة حرف الاستدراك \_ وهي: مخالفة ما بعدها لما قبلها نفياً وإثباتاً \_ وإن كانت منتفية لفظاً، لكن حاصلة معنى، لأنّ الذين حبّب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المقدّم ذكرهم، فوقعت «لكنّ» في حاقّ موقعها من الاستدراك.

ومعنى تحبيب الله وتكريهه: اللطف والإسداد بالتوفيق كما مرّ. فسبيله الكناية. وكلّ ذي لبّ وصاحب بصيرة لا يغبى (٢) عليه أنّ الرجل لا يمدح بغير فعلم. وحمل الآية على ظاهرها يؤدّي إلى أن يثنى عليهم بفعل الله، وقد نفى الله هذا

<sup>(</sup>١) أي: يمنعهم ويكفّهم.

<sup>(</sup>٢) أي: لا يخفى عليه ولا يجهل. من: غبا الشيءُ عليه: لم يفطن له أو جهله.

على الذين أنزل فيهم ﴿ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ (١١). والّذي سوّغ أنّ العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه - مع أنّ ذلك من فعل الله تعالى - أنّهم رأوا حسن الرواء (٢) ووسامة المنظر في الغالب مشعراً بأخلاق محمودة وخصال رضية. ومن ثمّ قالوا: أحسن ما في الدميم (٣) وجهه. فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته، ولكن لدلالته على غيره. على أنّ من المحقّقين من علماء المعاني من دفع صحّة ذلك، وخطأ المادح به، وقصّر المدح على النعت بأمّهات الخير، وهي: الفصاحة، والمدل، والعقة، وما يتشعّب منها ويرجع إليها. وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد، وغير ذلك ممّا ليس للانسان فيه عمل، غلطاً ومخالفة عن المعقول.

و «كره» يتعدّى بنفسه إلى مفعول واحد، فإذا شدد زاد له آخر. لكنّه لمّا تضمّن معنى التبغيض نزّل منزلة: بغّض، فعدّي إلى آخر به «إلى». والكفر: تغطية نعم الله بالجحود. والفسوق: الخروج عن القصد بحقيقة الايسان ومحجّته بركوب الكبائر. وعن ابن عبّاس: هو الكذب. وهذا مرويّ عن أبي جعفر على والعصيان: الامتناع عن الانقياد.

﴿ فَضَلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةَ ﴾ تعليل للرشد، فإنّه وإن كان فعل القوم والفضل فعل الله ، لكن لمّا كان الرشد لا يكون إلاّ عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه ، مسندة إلى اسمه تعالى ، صار الرشد كأنّه فعله ، فاتّحد الفاعل ، كما هو شرط نصب المفعول له ، فجاز أن ينتصب عنه . أو تعليل لد كرّه » و «حبّب» ، وما بينهما اعتراض ، أو تعليل للفعل المقدّر ، كأنّه قيل : جرى ذلك ، أو كان ذلك فضلاً من الله . ويجوز أن يكون

<sup>(</sup>١) آل عمران: ١٨٨.

<sup>(</sup>٢) الرُّواء: حسن المنظر . والوَسَامة: الحسن والجمال .

<sup>(</sup>٣) الدَّمِيم: القبيح المنظر.

٤٢٢ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

منصوباً على المصدر من غير فعله، فيوضع موضع: رشداً، لأنَّ رشدهم فضل من الله، لكونهم موفّقين فيه. والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام.

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل والتمايز ﴿ حَكِيمٌ ﴾ حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم.

وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر ، لائّه إذا حبّب في قلوبهم الإيمان وكرّه الكفر ، فمن المعلوم أنّه لا يحبّب ما لا يحبّه ولا يكرّه ما لا يكرهه. ولائّه إذ ألطف في تحبيب الإيمان بألطافه دلّ ذلك على ما نقوله.

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: وقف رسول الله ﷺ يوماً على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار، فبال الحمار، فأمسك عبدالله بن أبيّ بأنفه وقال: خلّ سبيل حمارك فقد آذانا نتنه (١٠). فقال عبد الله بن رواحة الخزرجي: والله إنّ بول حماره لأطيب من مسكك. وبرواية أخرى: حماره أفضل منك، وبول حماره أطيب من مسكك. ومنى رسول الله ﷺ، وطال الخوض بينهما حتّى استبًا وتجالدا، وجاء قوماهما \_ وهما: الأوس والخزرج \_ فتجالدوا بالعصيّ، وقيل: بالأيدي والنعال والسّعف. فرجع إليهم رسول الله ﷺ، وأصلح بينهم. ونزلت:

وَإِن طَآتَهَا َن مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آقَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي نَبْغِي حَتَّى تَفْيَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتُ فَأَصُلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَأَصْلُحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَآقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

<sup>(</sup>١) النَتْنُ: خبث الرائحة.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ تقاتلوا، والجمع باعتبار المعنى، فإنَ كُلُّ طائفة جمع. ﴿ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالنصح والدعاء إلى حكم الله ﴿ فَإِن بَـغَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ تملّت ﴿ عَلَى الأَخْرَى ﴾ أي: فمالت على الأخرى، ظالمة لها، متمدّية عليها ﴿ فَقَاتِلُوا اللّتِي تَبْغِي﴾ لآنها هي الظالمة المتعدّية دون الأخرى ﴿ حَتَّى تَفِيءَ الْهَاهُ الْوَاللهِ المتعدّية دون الأجرى ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى حكم اللهُ ، أو ما أمر به. من الفيء بمعنى الرجوع، وقد سمّي به الظلّ والغنيمة، لأنّ الظلّ يرجع بعد نسخ الشمس، والغنيمة ما يرجع من أموال المسلمين .

﴿ فَإِن فَآءَتُ ﴾ رجعت إلى طاعة الله ﴿ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ بالفصل بينهما على حكم الله حتى يكونوا سواء، لا يكون من إحداهما على الأخرى جور فيما يتعلق بالضمانات والأروش. وتقييد الاصلاح بالعدل هاهنا لأنّه مظنّة الحيف، من حيث إنّه بعد المقاتلة.

ثمّ أمر باستعمال القسط على طريق العموم، بعدما أمر به في إصلاح ذات البين، فقال:

﴿ وَالْفَسِطُوا﴾ واعدلوا في كلّ الأمور. من القسط بالفتح بمعنى الجور. ومنه: القَسَط، وهو اعوجاج في الرجلين، ف«أقسط» همزته للسلب، أي: أزال القسط، وأمّا القسط بالكسر بمعنى المدل. ﴿إنَّ اللهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ يحمد فعلهم بحسن الجزاء.

روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «يا بن أمّ عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمّة؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسّم فيئها».

والآية تدلَّ على أنَّ الباغي مؤمن. وأنَّه إذا قبض عن الحرب ترك، كما جاء في الحديث، لأنَّه فاء إلى أمر الله. وأنَّه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح 272 ...... زیدة التفاسیر ـج ٦

والسعي في المصالحة.

ثمّ علَّل الأمر بالصلاح وقرره بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةَ﴾ من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبديّة. ولذلك كرر الأمر بالصلاح مربّباً عليه بالفاء، فقال: ﴿قَاصَلِحُوا بَيْنَ الْخَوْيَكُمْ﴾ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافاً إلى المأمورين، للمبالغة في التقرير والتخصيص، وخصص الاثنين بالذكر، لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق، وللإشعار على أنّه إذا لزمت المصالحة بين الأكثر ألزم، لأنّ الفساد في شقاق الجميع أكثر من الفساد في شقاق الاثنين، وقيل: المراد بالأخوين الأوس والخزرج.

ومعنى الآية: ليس المؤمنون إلاّ إخوة، وأنّهم خلّص لذلك متمخّضون، قـد انزاحت عنهم شبهات الأجنبيّة، وأبى لطف حالهم في التمازج والاتّحاد أن يقدموا على ما يتولّد منه التقاطع.

﴿ وَاتَّقُوا اللهُ ﴾ في مخالفة حكمه في العدل والإصلاح والإهمال فيه ﴿ لَقَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴾ على تقواكم. أي: عند التواصل والائتلاف وترك الخلاف، فإنَّ وصول
رحمة الله واشتمال رأفته عليكم حقيق بأن تعقدوا به رجاءكم.

وعنه 歌響: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عـن مسلم كربة فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر عن مسلم يستره الله يوم القيامة».

<sup>(</sup>١) القُتار : الدخان من العطبوخ ، ورائحة اللحم والشواء .

وفي وصيّة النبي الشي المؤمنين المؤمنين الله على سر ميلاً عد مريضاً، سر ميلية عد مريضاً، سر ميلين شيّع جنازة، سر ثلاثه أميال أجب دعوة، سر أربعة أميال زر أخاً في الله، سر خمسة أميال أنصر المظلوم، وعليك بالاستغفار».

يَا آَنِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخُرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمُ وَلاَ نَلْمِرُوا أَنْفُسَكُمُ وَلاَ نَنَابُووا وَلاَ نَلْمِرُوا أَنْفُسَكُمُ وَلاَ نَنَابُووا وَلاَ نَلْمِرُوا أَنْفُسَكُمُ وَلاَ نَنَابُووا وَلاَ نَسْرَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ( اللَّهَ مَا الظَّالِمُونَ اللَّهَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَلاَ مَنَا الظَّنِ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِ إِنْ بَعْضَ الظَّنِ إِنْ بَعْضَ الظَّنِ إِنْمٌ وَلاَ تَجَسَسُوا وَلاَ يَعْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيْحِبُ أَحَدِكُمُ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُمْ نَنُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ قَابٌ رَحِيمٌ ﴿ ١٧﴾

ولتا أمر سبحانه بإصلاح ذات البين، ونهى عن التفرّق، عقّب ذلك بالنهي عن أسباب الفرقة، من السخريّة والازدراء بأهل الفقر والمسكنة ونحو ذلك، فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ أي: بعض السؤمنين من بعض. والقوم مختص بالرجال، لاَنَهم القوّام بأمور النساء، كما قال الله تعالى: ﴿ الرَّجَالُ قَوْامُونَ عَلَى النّسَاءَ ﴾ (١٠. وكقول زهير: أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساء (٢٠. وأمّا قولهم: قوم عاد وقوم فرعون، فإمّا على التغليب، أو الاكتفاء بذكر الرجال عن

<sup>(</sup>١) النساء: ٣٤.

<sup>(</sup>٢) صدره: وما أدري وسوف إخال أدري.

ذكرهنّ، لأنّهنّ توابع. وهو في الأصل جمع قائم، كصوم وزور في جمع صائم وزائر. أومصدر نعت به، فشاع في الجمع. واختيار الجمع لأنّ السخريّة تغلب في المجامع.

ثمّ استأنف بالملّة الموجبة للنهي، فقال: ﴿عَسَىٰ ان يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ ترك خبر «عسى» لإغناء الاسم عنه. وهذا كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلّة الموجبة لما جاء النهي عنه، وإلّا فقد كان حقّه أن يوصل بما قبله بالفاء.

والمعنى: وجوب أن يعتقد كلّ أحد أنّ المسخور منه ربّما يكون عند الله خيراً من الساخر، لأنّ الناس لا يطلّعون إلّا على ظواهر الأحوال، ولا علم لهم بالخفيّات. وإنّما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب، وعلمهم من ذلك بمعزل، فينبغي أن لا يجترىء أحد على الاستهزاء بمن تزدريه عينه، إذا رآه رتّ (۱) الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبيق (۱) في محادثته، فلعلّه أخلص ضعيراً وأتقى قلباً ممّن هو على ضدّ صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله. والاستهانة بمن عظّمه الله.

وقيل: نزلت هذه الآية في بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمّار وصهيب وأبي ذرّ وسالم مولى حذيفة.

وعن ابن عبّاس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، فإنّه كان في أذنيه وقر (٣)، وكان إذا دخل تفسّحوا له حتّى يقعد عند النبيّ ﷺ، فيسمع ما يقول. فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم، فجعل يتخطّى رقاب الناس ويقول: تفسّحوا تفسّحوا، حتّى انتهى إلى رجل فقال له: أصبت مجلساً فاجلس، فجلس خلفه مغضباً. فلمّا انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال

<sup>(</sup>١) أي: ضعيف الحال.

<sup>(</sup>٢) أي: حاذق.

<sup>(</sup>٣) أي: ثقل.

الرجل: أنا فلان. فقال ثابت: بل أنت ابن فلانة. ذكر أمّاً له كان يعير بها في الجاهليّة. فنكس الرجل رأسه حياءً.

وعن أنس: نساء النبي ﷺ سخرن من أمّ سلمة. وذلك أنّها ربطت حقوبها بسبيبة \_وهي: ثوب أبيض من الكتّان \_وسدلت طرفيها خلفها، فكانت تجرّه. فقالت عائشة لحفصة: انظري ماذا تجرّ خلفها، كأنّه لسان كلب. فهذا كانت سخريتهما.

وقيل: إنَّها عيَّرت زينب بنت خزيمة الهلاليَّة.

وعن أنس: عيّرت نساء رسول الله أمّ سلمة بالقصر. وأشرن بأيديهنّ أنّـها قصيرة. فنزل فيهنّ قوله:

﴿ وَلَا نِسَاءَ مِنْ نِسَامٍ ﴾ ولا تسخر بعض المؤمنات من بعض ﴿ عَسَىٰ أَن يَكُنُ غَيْراً مِنْهُنْ ﴾ كلام مستأنف كما مرّ آنفاً. وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين: أن يراد: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض ، كما فشرنا به . وأن يقصد إفادة الشياع ، وأن تصير كلّ جماعة منهم ومنهنّ منهيّة عن السخريّة .

وإنّما لم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة، على التوحيد. إعـلاماً بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخريّة، واستفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه. ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو مئن يتلهى ويستضحك على قوله، ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار، فيكون شريك الساخر في تحمّل الوزر. وكذلك كلّ من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به، فيؤدّي ذلك \_وإن أوجده واحد \_إلى تكثّر السخرة.

﴿ وَلَا تَلْفِزُوا انْفُسَكُمْ ﴾ ولا يغتب بعضكم بعضاً، فإنّ المؤمنين كنفس واحدة. والمعنى: خصّوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها، ولا عليكم أن تعببوا غيركم ممّن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم. ففي الحديث: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس».

وقيل: معناه: ولا تفعلوا ما تلمزون به. فإنّ من فعل ما استحقّ به اللمز فقد

لمز نفسه حقيقة. واللمز: الطعن باللسان. وقرأ يعقوب بالضمّ (١).

وعن ابن عبّاس: أنَّ صفيّة بنت حييّ أتت رسول الله ﷺ فقالت: إنّ النساء يعيّرنني ويقلن لي: يا يهوديّة بنت يهوديّين. فقال لها: «هلا قلت: إنّ أبي هارون. وعتي موسى، وزوجي محمّد».

وكان من شتائمهم لمن أسلم من اليهود: يا يهوديّ، يا فاسق، فنهوا عنه بقوله: ﴿وَلاَ تَغَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء، فإنّ النبز مختصّ بلقب السوء عرفاً ﴿ بِفَسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ الاسم هاهنا بمعنى الذكر، من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم، كما يقال: طار ثناؤه وصيته. وحقيقته: ما سما من ذكره وارتفع بين الناس. فالمعنى: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب السخريّة والتنابز، أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الإيمان واشتهارهم به. والمراد به إمّا تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين، أو استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره، كما تقول: بئس الشأن بعد الكبرة (١) الصبوة.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبُ ﴾ عمّا نهى عنه ﴿ قَاوَلَيْكَ هُمُ الطَّالِمُونَ ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة ، وتعريض النفس للعذاب .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا تَخِيراً مِنَ الطَّنَ ﴾ أي: كونوا على جانب. يقال: جنّبه الشرّ إذا أبعده عنه. وحقيقته: جعله منه في جانب. فيعدّى إلى مفعولين. قال الله تعالى: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٣). ثمّ يقال في مطاوعه: اجتنب الشرّ. فينقص المطاوعة مفعولاً.

وإبهام الكثير ليحتاط في كلِّ ظنَّ ويتأمّل حتَّى يعلم أنَّه من أيّ القبيل. فإنّ

<sup>(</sup>١) أي: وَلَا تَلْمُزُوا.

<sup>(</sup>٢) الكُبْرَة: الكبر في السنّ. والصبوة: الميل إلى جهلة الصبيان.

<sup>(</sup>٣) إبراهيم: ٣٥.

من الظنّ ما يجب اتّباعه، كالظنّ حيث لا قاطع فيه، من العمليّات وحسن الظنّ بالله. وما يحرم حيث يخالفه قاطع، كظنّ السوء بالمؤمنين. وما يباح، كالظنّ في الأمور المعاشيّة، وفيمن جاهر بين الناس بالخبائث.

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمَ﴾ تعليل مستأنف للأمر. والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقوبة عليه. والهمزة فيه بدل من الواو. كأنّه يثمّ<sup>(۱)</sup> الأعمال، أي: يكسر مرتبتها عند الله.

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ولا تبحثوا عن عورات المسلمين. تفعّل من الجسّ، باعتبار ما فيه من معنى الطّلب، كالتلمّس. والسراد: النهي عن تنتبّع عورات المسلمين ومعايبهم، والاستكشاف عمّا ستروه.

وعن النبي ﷺ أنه خطب فرقع صوته حتّى أسمع العواتق \_أي: الشوابّ \_ في خدورهنّ. قال: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يخلص الإيمان إلى قـلبه، لا تتّبعوا عورات المسلمين، فإنّ من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته حتّى يفضحه ولو في جوف بيته».

وعنه ﷺ: «إنّ الله حرّم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظنّ به ظنّ السوء». وعن الحسن: إنّ الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله، وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعلّه أن يتوب.

وقد روي: «من ألقى جلباب<sup>(٢)</sup> الحياء فلا غيبة له».

وعن مجاهد: خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستره الله.

وعن أبي قلابة: أنّ أبا محجن الثقفي كمان يشمرب الخمر فمي بميته هو وأصحابه. فانطلق عمر حتّى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل.

فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إنَّ هذا لا يحلُّ لك، قد نهاك الله تعالى عن

<sup>(</sup>١) من: وَثَمَ يَثِمُ الشيءَ: كسره ودقّه.

<sup>(</sup>٢) الجِلْبَاب: القميص أو الثوب الواسع.

٣٠٠ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

التجسّس.

فقال عمر: ما يقول هذا؟

قال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم: صدق يا أمير المؤمنين.

قال: فخرج عمر وتركه.

وروي: أنَّ عمر أيضاً خرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يعُسّان<sup>(١)</sup>. فتبيّنت لهما نار، فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا، فإذا رجل وامرأة تنغني، وعملى يمد الرجل قدح. فقال عمر من هذه منك؟

قال: امرأتي.

قال: وما في القدح؟

قال: ماء.

فقال للمرأة: ما الّذي تغنين به؟

قالت: أقول:

تطاول هذا الليلُ واشوَدَّ جانبه وأرَّقسني ألَّا حسبيب ألاعبُه فَـواللهِ لولا خشـية الله والتـقى لَرَّعْزَعَ من هذا السَّرير جوانبه ولكنَّ عـقلي والحـياءَ يكـفّني وأكرم بعلي أن تـنال مـراكـبه ثم قال الرجل: مـا بـهذا أمـرنا يـا أمـير السـؤمنين، قـال الله تـعالى: «ولا

تجسّسوا».

فقال عمر: صدقت، وانصرف.

وفي الحديث: «إيّاكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث. ولا تجسّسوا. ولا تقاطعوا. ولا تحاسدوا. ولا تدابروا. وكونوا عباد الله إخواناً».

وروي: أنَّ سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة، ويسوِّي لهما طعامهما.

<sup>(</sup>١) ءَسَّ يَعُسُّ عَسّاً: طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة.

فنام عن شأنه يوماً، فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يبغي لهما إداماً ـ وكان أسامة على طعام رسول الله ﷺ فقال: ما عندي شيء. فأخبرهما سلمان بذلك. فقالا: بخل أسامة. وقالا لسلمان: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها. فلما راحا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ فقالا: ما تناولنا يومنا هذا طعاماً. فقال: فللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة. فنزلت:

﴿ وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضا﴾ ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته. يقال: غابه واغتابه، كغاله واغتاله. والغيبة من الاغتياب، كالفيلة (١١) من الاغتيال. وهي: ذكر السوء في الغيبة. وسئل ﷺ عن الغيبة، فقال: «أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أشدٌ من الزنا».

وعن ابن عبّاس: الغيبة إدام كلاب النار.

﴿ أَيُحِبُ أَحَدُكُمُ أَن يَاكُلُ لَحْمُ أَخِيهِ مَيْتا﴾ تمثيل وتصوير لما يناله المعتاب من عرض المعتاب على أفحش وجه، مع مبالغات: الاستفهام المقرّر. وإسناد الفعل إلى «أحد» للتعميم المشعر بأنّ أحداً من الأحدين لا يحبّ ذلك. وتعليق المحبّة بما هو في غاية الكراهة. وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان. وجعل المأكول أخاً وميتاً. وتعقيب ذلك بقوله: ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تقريراً وتحقيقاً لذلك.

وانتصاب «ميتاً» على الحال من اللحم أو الأخ. وشدّه نافع. والفاء هي الفصيحة المظهرة لشرط مقدّر. والمعنى: إن صحّ ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته.

وعن قتادة: كما تكره إن وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها، كذلك فاكره لحم أخيك وهو حيّ.

<sup>(</sup>١) الغِيْلَة : الخديعة والاغتيال. يقال : قتله غيلة ، أي : خدعه فذهب به إلى موضع فقتله .

٤٣٢ ..... زيدة التفاسير ــج٦

ولهذا يقال للمغتاب: فلان يأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر: وليس الذئب يأكـــل لحـــم ذئب ويأكـــل بــعضنا بــعضاً عـــياناً وقال آخر:

فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وعن ميمون بن شاة قال: بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجيّ، وقائل يقول لي: كل يا
عبدالله. قلت: ولِمّ آكل؟ قال: بما اغتيب عندك فلان. قلت: والله ما ذكرت فيه خيراً
ولا شرّاً. قال: لكنّك استمعت فرضيت. فكان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يختاب
عنده أحد.

﴿ وَاتَقُوا اللهُ عَلَى ما أَمْرَتُم بَاجِتنابِه، والندم على ما وجد منكم منه ﴿ إِنَّ اللهُ تَوَّابُ رَحِيمُ ﴾ لمن اتّقى ما نهى عنه، وتاب منّا فرط منه. والمبالغة في التوّاب لأنّه بليغ في قبولُ التوبة، إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب، أو لكثرة المتوب عليهم، أو لكثرة ذنوبهم.

يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَفْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُشَى وَجَعَلْنَاكُمُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوۤا إِنَّ أُكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَثْقَاكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

<sup>(</sup>١) الذَّمَاء: بقيَّة الروح.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَا خَلَقَنَاكُمُ مِنْ ذَكِي وَأَنتَى ﴾ من آدم وحوّاء. أو خلقنا كـلّ واحد منكم من أب وأمَّ، فالكلَّ سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب.

وعن مقاتل: لمّا كان يوم فتح مكّة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة وأذّن. فقال عتاب بن أسيد: العمد لله الذي قبض أبي حتى لم يسر هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذّناً؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيّره لغيّره. وقال أبو سفيان: إنّي لا أقول شيئاً، أخاف أن يخبره به ربّ السبماء. فأتى جبرئيل رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا. فلاعاهم رسول الله وسألهم عمّا قالوا، فأقرّوا به. فنزلت هذه الآية. وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والأحساب، والازدراء بالفقراء، والتكاثر بالأموال.

وعن ابن عبّاس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس لمّا قال للرجل الذي لم يتفسّح له: ابن فلانة. فقال ﷺ: من الذاكر فلانة؟ فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله. فقال: انظر في وجوه القوم. فنظر إليهم. فقال: ما رأيت يا ثابت؟ قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود. قال: فإنّك لا تفضلهم إلا بالتقوى. وهو الذي نزل فيه قوله: «يا أيّها الّذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس» (١) الآية.

وعلى التقادير؛ يجوز أن تكون هذه الآية تقريراً للأخوّة.

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآلِلَ﴾ الشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الستّ الّتي عليها العرب. وهي: الشعب، والقبيلة تجمع العماثر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل. فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصيّ بطن، وهاشم فخذ، وعبّاس فصيلة. وقيل: الشعوب بطون العجم،

<sup>(</sup>١) المجادلة: ١١.

£٣٤ ...... زيدة التفاسير ــج ٦

والقبائل بطون العرب.

﴿لِتَفَارَقُوا﴾ أي: الحكمة الّتي من أجلها رتّبكم على شعوب وقبائل، هي أن يعرف بعضكم نسب بعض، فلا يعتزي<sup>(١)</sup> إلى غير آبائه، لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد، وتدّعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب والقبائل.

ثمّ بيّن الخصلة الّتي بها يفضل الانسان غيره، ويكتسب الشرف والكرم عند الله. فقال:

روي: أنّ رجلاً سأل عيسى بن مريم: أيّ الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من تراب ثمّ قال: أيّ هاتين أفضل؟ الناس خلقوا من تراب، فأكرمهم أتقاهم.

<sup>(</sup>١) أي: ينتسب. من: عَزَى يعزِي فلاتاً إلى فلان: نسبه إليه. واعتزى إليه: انتسب. ( ٧ , ٣) أشارة الى الآمات ٧٧ و ( ٤ و ٨ ـ ١٠ من سورة الواقعة.

عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١). فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذوب».

وعنه الله الله قال: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أمرتكم فضيّعتم مــا عــهدت البيكم فيه، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم. أين المتّقون؟ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم».

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بأعمالكم ﴿خَبِيرٌ ﴾ ببواطنكم.

قَالَتِ الأَغْرَابُ آمَنَا قُل لَمْ تُومِنُوا وَلَكِن قُولُواۤ أَسْلَمُنا وَلَمَا يَدْخُلِ الْإِيَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطَيِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِثُكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمَؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يُوتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمُوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولِئِكَ مُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلُ أَتْعَلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يُعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ يَنتُونَ عَلَيْكَ أَنُ أَسْلَمُوا قُلَ لاَ تَشْتُوا عَلَيَ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلَ لاَ تَشْتُوا عَلَيَ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلَ لاَ تَشْتُوا عَلَيَ إِسْلاَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَعْلَمُ وَاللَّهُ يَعْمُ وَاللَّهُ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ وَاللَّهُ يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَاللَّهُ بَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

<sup>(</sup>١) الأحزاب: ٣٣.

روي عن ابن عبّاس: أنّ نفراً من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة. فأظهروا الشهادتين، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسمارهم، وهم يغدون ويروحون على رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، يريدون الصدقة ويمنّون عليه، فنزلت:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَناً قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب، ولم يحصل لكم وإلا لما منتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فإن الاسلام \_ الذي هو انقياد \_ دخول في السلام وإظهار الشهادة، وترك المحاربة يشعر به.

وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا آمنًا ولكن قولوا أسلمنا، أولم تومنوا ولكن أسلمتم. فعدل منه إلى هذا النظم احترازاً من النهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم. فإنّه لو قيل: ولكن أسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم، وهو غير معتد به، لفقد شرط اعتباره شرعاً، وهـو التصديق القلبي. فأفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أوّلاً، ودفع ما انتحلوه، فقيل: «قـل لم تؤمنوا». وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرّح بلفظه، فلم يقل: كذبتم، ووضع «لم تومنوا» الذي هو نفي ما ادّعوا إثباته موضعه. ثمّ نبّه على ما فعل من وضعه موضع: كذبتم، في قوله بعد في صفة المخلصين: ﴿ أو لَـنْكِ هُمُ الطّعل من وضعه موضع: كذبتم، في قوله بعد في صفة المخلصين: ﴿ أو لَـنْكِ هُمُ الطّعل وَهُمَا المُخلصين المُعل من وضعه موضع: كذبتم، في قوله بعد في صفة المخلصين: ﴿ أو لَـنْكِ هُمُ

﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ توقيت الاقولوا»، فإنّه حال من ضميره، أي: ولكن قولوا: أسلمنا، ولم تواطىء قلوبكم ألسنتكم بعد. ولمّا كان فائدة قوله: «قل لم تؤمنوا» تكذيب دعواهم، وقوله: «ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم» توقيت

<sup>(</sup>١) الحجرات: ١٥.

لما أمروا به أن يقولوه، فلا يكون تكريراً من غير فائدة متجدّدة.

﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللهُ وَرَسُولَهُ ﴾ بالإخلاص القلبي وترك النفاق ﴿ لَا يَلِئَتُكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴾ لا ينقصكم من أجـورها ﴿ شَـيْئاً ﴾ من: لات ليـتاً إذا نـقص. وقـراً البصريّان: لا يألتكم، من الألّت. وهو لغة غطفان. وفي الصحاح: «اللّه حقّه يَألِئُه أَلَّالًا أَي: نقصه. وألتّه أيضاً: حبسه عن وجهه وصرفه. مثل: لاتّـه يَـلِيتُه. وهـما لغتان، حكاهما اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء»(١١).

﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بالتفضَّل عليهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكّوا - يعني: لم يقع في نفوسهم شكّ - فيما آمنوا به. من: ارتاب مطاوع: رابه ، إذا أوقعه في الشكّ مع التهمة. وفيه إشارة إلى ما أوجب نفي الإيمان عنهم. و«ثم» للإشعار بأنّ اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط، بل فيه وفيما يستقبل إلى آخر العمر. ف«ثمّ» هاهنا كما في قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (٢٠).

﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِدِلِ اللهِ ﴾ في طاعته. والمجاهدة بالأموال والأنفس تصلح للعبادات المالية والبدئية بأسرها. فتشمل مجاهدة العدو والمحارب، أو الشيطان، أو الهوى، وفي تحمّل أنواع الطاعات ومشاق صنوف العبادات.

﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين صدقوا في قولهم: آمنًا، ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد.

روي: أنّه لمّا نزلت الآيتان أتــوا رســول الله ﷺ فــحلفوا أنّــهم مــؤمنون صادقون في دعواهم الايمان، فأنزل الله سبحانه:

<sup>(</sup>١) الصحاح ١: ٢٤١.

<sup>(</sup>٢) فصّلت: ٣٠.

﴿ قُلُ الْتَعَلَمُونَ الله بِدِينِكُمْ ﴾ أتخبرون بقولكم: «آمنًا»؟ والهمزة للإنكار والتوبيخ، أي: كيف تعلّمون الله بدينكم؟ ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمْوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه خافية. وفيه تجهيل لهم، لأنّه العالم بالذات، فيعلم المعلومات كلّها بنفسه، فلا يحتاج إلى معلّم يعلّمه، كما أنّه كان قديماً موجوداً في الأزل بالذات، واستغنى عن موجد أوجده.

وكانوا يقولون: آمنًا بك من غير قتال، وقاتلك بنو فلان. فأجابهم الله سبحانه بقوله:

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ يعدون إسلامهم عليك منّة. وهي: النعمة الّتي لا يستثيب مسديها (١) مثن يزلها إليه. من المنّ بمعنى القطع، لاَّنه إنّما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير، من غير أن يعمد لطلب مثوبة. ثم يقال: منّ عليه صنعه، إذا اعتدّه عليه منّة وإنعاماً.

﴿ قُلُ لاَ تَمُنُّوا عَلَيْ إِسَلاَمَكُمْ ﴾ أي: بإسلامكم. فنصب بنزع الخافض، أو تضمين الفعل معنى الاعتداد. ﴿ قِلِ الله يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ بل الله يحتد عليكم أن أمدّكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم، وادّعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفّقتم له ﴿ إِن كُنتُمْ صَاوِقِينَ ﴾ في ادّعاء الإيمان، إلّا أنكم تزعمون وتدّعون ما الله عليم بخلافه. وجواب الشرط محذوف يدلّ عليه ما قبله، أي: فلله المنة عليكم.

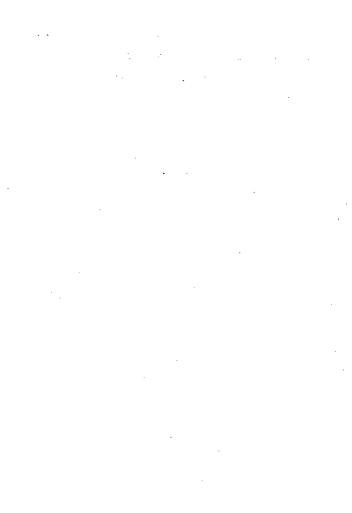
وفي سياق الآية لطف، وهو أنهم لمّا سمّوا ما صدر عنهم إيماناً ومنّوا بـه، فنفى أنّه إيمان، وسمّاه إسلاماً، فقال: يمنّون عليك بما هو في الحقيقة إسلام، وليس بجدير أن يمنّ به عليك، بل لو صحّ ادّعاؤهم للإيمان فللّه المنّة عليهم بالهداية له. لا لهم.

<sup>(</sup>١) من: أسْدَى إليه: أحسن. وأزلَّ إليه نعمة: أعطاها.

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غـاب فـيهما ﴿ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ في سرّ كم وعلانيتكم، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ؟

وفي هذه الآية بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم. وتـوضيح المـعنى: أنَه هَن يعلم كلّ مستتر في العالم، ويبصر كلّ عمل تعملونه في سرّكم وعلانيتكم، لا يخفى عليه منه شيء، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم، ولا يظهر على صدقكم وكذبكم؟ وذلك أنّ حاله مع كلّ معلوم واحدة لا تختلف.

وقرأ ابن كثير بالياء، لما في الآية من الغيبة.





## ورة ق

مكّيّة. وهي خمس وأربعون آية.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «ومن قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته».

أبو حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من أدمن في فرائضه ونوافله سورة قي وسّع الله في رزقه. وأعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً».

## بِسُمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ وَالْقُرُآنِ الْمَجِيدِ ﴿ ﴿ ﴾ بَلْ عَجْبُوا ۚ أَن جَآءُهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجْبِبٌ ﴿ ﴾ أَنْذَا مِنْنَا وَكُنَا تُواًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿ ﴾ قَدْ عَلَمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كَتَابٌ حَفِيظٌ ﴿ ﴾ بَلْ كَنْبُوا بِالْحَقِّ لَمَنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كَتَابٌ حَفِيظٌ ﴿ ﴾ بَلْ كَنْبُوا بِالْحَقِّ لَمَنَا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ ﴿ ۞ ﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إلَى السَمَاءَ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنْيُنَاهَا وَزَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوحٍ ﴿ ٣ ﴾ وَالأَرْضَ مَددُنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْحٍ بَهِيجٍ ﴿ ٧ ﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَبَيْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْحٍ بَهِيجٍ ﴿ ٧ ﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ

عَبْدِ مُنيبِ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءٌ مُبَارَكًا فَأَشُنَّنَا بِهِ جَنَات وَحَبَّ الْحَصِيدَ ﴿٩﴾ وَالنَّخُلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزُقًا لَلْعِبَادِ وَأَخْيُئِنَا بِهِ بِلْدَةً مَّيَّاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾

واعلم أنّه سبحانه لمّا ختم سورة الحجرات بذكر الإيمان وشرائطه للـعبيد. افتتح هذه السورة بذكر ما يجب الإيمان به، من القرآن المـجيد وأدلّـــة التــوحيد. فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْفَىٰ الرَّحِيمِ فَى وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ الكلام فيه وفي تركيبه كما مرّ في «ص والقرآن ذي الذكر». وعن ابن عبّاس: أنّه اسم من أسماء الله تعالى. وعن الضحّاك: هو اسم الجبل المحيط بالأرض، من زمرّدة خضراء، خضرة السماء منها. وقيل: معناه: قضي الأمر، أو قضي ما هو كاثن. والمجيد: ذو المجد والشرف على سائر الكتب. وقيل: وصف به، لأنّه كلام المجيد، فجاز اتصافه بصفته. أو لأنّ من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد عند الله وعند الناس.

﴿ بَلَ عَجِبُوا أَنْ جَآءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ إنكار لتعجّبهم ممّا ليس بعجب. وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم، قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته. ومن كان بصفته لم يكن إلا ناصحاً لقومه، مترفرفاً عليهم، خائفاً أن ينالهم سوم، ويحلّ بهم مكروه. وإذا علم أنّ مخوفاً أظلّهم لزمه أن ينذرهم ويحذّرهم، فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير ؟!

ثمّ حكى عن تعجّبهم بقوله: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ أي: اختيار الله محمداً للرسالة ﴿شَيءٌ عَجِيبٌ﴾ وإضمار ذكرهم ثمّ إظهاره للإشعار بتعنّهم بهذا المقال. ثمّ التسجيل على كفرهم بذلك. ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى إنكار تـعجّبهم مـمّا أنذرهم به من البعث والرجع، مع علمهم بقدرة الله تعالى عملى خملق السماوات والأرض وما بينهما، وعلى اختراع كلّ شيء وإبداعه، وإقرارهم بالنشأة الأولى، ومع شهادة العقل بأنّه لا بدّ من الجزاء.وللمبالغة في إنكارهم البعث وضع الظاهر موضع ضميرهم، للشهادة على أنّهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم، إذ الأوّل استبعاد لأن يفضل عليهم مثلهم، والتاني استقصار لقدرة الله عمّا هو أهون ممّا يشاهدون من صنعه، فالتمجّب هنا أدخل في الإنكار.

﴿أَءِذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرُابِا﴾ منصوب بعضمر معناه: أحين نموت وصرنا تراباً ونبلى نرجع؟ ويدلً على المحذوف قوله: ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ أي: بعيد عن الوهم، أو العادة، أو الإمكان، وقيل: ذلك جواب من الله استبعاداً لإنكارهم ما أنذروا به من البعث. والرجع بمعنى المرجوع، والمعنى: ذلك الإنكار مرجوع، أي: مردود بعيد عن العقل، وحينئذٍ ناصب الظرف ما دلً عليه المنذر من المنذر به، وهو البعث. وعلى هذا؛ الوقف قبله حسن.

ثمّ ردّ استبعادهم الرجع بقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَذْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكل من أجساد موتاهم. فمن لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم، كان قادراً على رجعهم أحياءً كما كانوا. وقيل: إنّه جواب القسم، واللام محذوف، لطول الكلام.

﴿ وَعِنْدُنَا كِتَابُ حَفِيظُ ﴾ حافظ لتخاصيل الأشياء كلّها. أو محفوظ عن التغيير، أو عن الشياطين، أو عن البلى والدروس. والمراد اللوح المحفوظ. وهذا الكتاب الذي كتب فيه جميع ما وقع ويقع إلى يوم القيامة. أو المراد صحائف أعمال المباد يكتبها الحفظة. ويجوز أن يكون المراد تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه.

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴾ إضراب أتبع الإضراب الأوّل، للدلالة على أنّهم جاءوا

بما هو أفظع من تعجّبهم، وهو التكذيب بالحقّ الذي هو النبوّة الثابتة بالمعجزات، أو القرآن، أو الإخبار بالفيب ﴿لَمُا جَآءَهُمْ قَهُمْ فِي أَفْرِ مَرِيجٍ ﴾ مضطرب. من: مرج الخاتم في إصبعه، ومنه الهرج والمرج. وذلك قولهم تأرة أنّه شاعر، وتارة أنّه ساحر، وتارة أنّه كاهن، لا يثبتون على شيء واحد.

ثمّ أقام سبحانه الدليل على كونه قادراً على البعث، فقال: ﴿ أَقَلَمْ يَنظُرُوا﴾ حين كفروا بالبعث ﴿ إِلَى السَّمَآءِ قَوْقَهُمْ ﴾ إلى آثار قدرة الله في خلق العالم العلوي، وحسن ترتيبه وانتظامه ﴿ تَنْفَ بَنَنْنَاهَا ﴾ رفعناها بلا عمد ﴿ وَزُينًاهَا ﴾ بالكواكب ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ فتوق وشقوق، بأن خلقها ملساء سليمة من العيوب، لافتق فيها ولا صدع ولا خلل، كقوله: ﴿ قَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴾ (١٠).

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ دحوناها وبسطناها ﴿ وَالْـ قَيْدَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبالاً ثوابت، ولولا هي لتقلّبت ﴿ وَالْمَئِتَنَا فِيهَا مِنْ كُلُّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ من كل صنف يبتهج ويسرّ به، لحسنه ونضارته. عن ابن زيد: البهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية، كالزهرة والأشجار النضرة والرياض الخضرة.

﴿ نَنِصِرَةٌ وَنِكْرَىٰ﴾ هما علّتان للأفمال السابقة. والمعنى: فعلنا ما فعلنا من الأفعال المذكورة لنبصر بها ونذكر. ﴿ لِكُلُّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ كلّ عبد راجع إلى ربّه، متفكّر في بدائع صنعه.

﴿ وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَعا ﴾ مطراً كثير المنافع ﴿ فَانْبَثْنَا بِهِ جَنَّاتٍ ﴾ بهذا الماء بساتين فيها أشجار تشتمل على أنواع الثمار المستلذة والفواكه الطبّبة ﴿ وَحَبُّ الْحَصِيدِ ﴾ وحبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد. وهو ما يقتات به، من نحو البرّ والشعير وغيرهما. والإضافة كإضافة حقّ البقين ومسجد الجامع.

﴿ وَالنَّذَلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ طوالاً. وقيل: حوامل، من: أبسقت الشاة إذا حملت.

<sup>(</sup>١) الملك : ٣.

وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها. ﴿لَهَا﴾ لهذه النخل الموصوفة بالعلق والارتفاع ﴿طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ منضود بعضه فوق بعض. والمراد: تراكم الطلع، أو كثرة ما فيه من الثمر.

﴿ وِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾ علّة لاأنبتنا» أي: أنبتناها لنرزقهم. أو مصدر، فإنّ الإنبات في معنى الرزق. ﴿ وَأَحْيَيْنَا مِهِ ﴾ بذلك الماء ﴿ بَلْدَةٌ مَيْتاً ﴾ أرضاً جدبة لا نماء فيها، فنمت به وأنبتت كلّ نبات ﴿ كَتَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ الكاف في محل الرفع على الابتداء، أي: مثل إحياء هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم، فإنّ من قدر على أحدهما قدر على الآخر. وإنّما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث إنّهم رأوا العادة مستمرة في إحياء الموات من الأرض بنزول المطر، ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر، ولو أعملوا الفكر وأمعنوا في النظر لعلموا أنّ من قدر على أحد الأمرين قدر على الحر على الخر.

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثُمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيكَةِ وَقَوْمُ نَيْمٍ كُلِّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

ثمّ ذكر سبحانه الأمم المكذّبة تسلية للنبيّ ﷺ، وتهديداً للكفّار، فقال: ﴿ وَتُصْحَابُ الرُّسُ ﴾ وَكُذَبْتُ قَبْلَهُمْ ﴾ من الأمم الماضية ﴿ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ فأغرقهم الله ﴿ وَأَصْحَابُ الرُّسُ ﴾ وهم أصحاب البئر الّتي رسوا(١٠ نبيّهم فيها بعد أن قتلوه، وبيان ذلك واختلاف الأقوال فيه قد مرّ سابقاً (٢)

<sup>(</sup>١) أي: دفنوا.

<sup>(</sup>٢) راجع ج ٤ ص ٥٦٩، ذيل الآية ٣٥ من سورة الفرقان.

٤٤٦ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

﴿ وَنَمُودُ﴾ وهم قوم صالح ﷺ. ﴿ وَعَادُ﴾ وهم قوم هود ﴿ وَفِيزَعُونُ﴾ أراد إيّاه وقومه، ليلائم ما قبله وما بعده، فإنّ المعطوف عليه قوم نــوح، والمــعطوفات جماعات ﴿ وَإِخْوَانُ لُوطِ﴾ فإنّهم كانوا أصهاره ومن نسبه.

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ وهم قوم شعيب. وقد مرّ في الحجر(١). ﴿ وَقَوْمُ تُبْعِ ﴾ 
تَتِع الحميري. وقد مرّ في(١) الدخان. ﴿ كُنَّ ﴾ كلّ واحد منهم، أو قوم منهم، أو 
جميعهم. وحينتُذِ إفراد الضمير في قوله: ﴿ كُنَّ لِأَسُلُ ﴾ لإفراد لفظة الكلّ ﴿ فَحَقْ 
وَعِيدٍ ﴾ فوجب وحلّ عليه وعيدي، وهو كلمة العذاب. فإذا كان مآل الأمم الخالية 
إذا كذبوا الرسل الهلاك، وإنكم معاشر الكفّار قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والإنكار، فعالكم كحالهم في التباب (١) والإنكار، فعالكم كحالهم في التباب (١) والخسار.

أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبَسِ مِّنْ خُلْقِ جَدِيدِ ﴿١٥﴾ وَلَقَدُّ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَتَعْلَمُ مَا تُوَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّيَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يُلْفِظُ مِن قَوْلِ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

وبعد تهديدهم بعواقب المكذّبين المنكرين، ذكر الأدلّة على إمكان البعث، فقال:

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوْلِ﴾ أفعجزنا عن الإبداء حتّى نعجز عن الإعادة؟ من: عبي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله. والهمزة فيه للإنكار. يعني: أنّا لم نعجز \_كما

<sup>(</sup>١) الحجر: ٧٨.

<sup>(</sup>٢) الدخان: ٣٧.

<sup>(</sup>٣) النَّمَاتُ: الهلاك.

علموا \_ عن الخلق الأوّل حتّى نعجز عن الثاني. ﴿ بَلْ هَمْ فِي نَبْسِ مِنْ خَلْقِ جَدِيدٍ ﴾ أي: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأوّل، واعترافهم بذلك في طيّه الاعــتراف بالقدرة على الإعادة، بل هم في خلط وشبهة قد لبّس عليهم الشيطان وحيّرهم.

وتنكير الخلق والجديد ليدلّ على أنّ له شأناً عظيماً وحالاً شديدة. حقّ من سمع به أن يهتمّ به ويخاف. ويبحث عنه، ولا يقعد على لبس في مثله. وللإشعار بأنّه على وجه غير متعارف ولا معتاد.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾ جنس البشر ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ ما تحدّثه به نفسه وما يخطر بالبال، فإنّ وسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان، ويهجس (١) في ضميره من حديث النفس، وأصل الوسوسة: الصوت الخفيّ، ومنها: وسواس الحليّ، والضمير لاما » إن جعلت موصولة، والباء مثلها في قولك: صوّت بكذا وهمس (٣) به، وإن جعلت مصدريّة فالضمير لاالانسان». وإلباء للتعدية.

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ إسناد القرب إلى الله مجاز. والمراد قرب علمه منه، كما يقال: الله في كلّ مكان، وقد جلّ عن الأمكنة، والمعنى: ونحن أعلم بحاله متن كان أقرب إليه ﴿ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ فتجوّز بقرب الذات لقرب العلم، لأنّ الذات موجبه. وحبل الوريد مثل في فرط القرب، كقولهم: هو منّى مقعد القابلة ومعقد الإزار. قال

<sup>(</sup>١) أي: يخطر.

<sup>(</sup>٢) هَمَسَ الصوتَ: أخفاه.

٤٤٨ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

ذو الرمّة: والموت أدنى لي من الوريد. والحبل: العرق، شبّه بـواحـد الحـبال. وإضافته للبيان، كقولهم: بعير سانية (١١، والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدّمها، متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه. وقيل: سمّي وريداً لأنّ الروح ترده.

ثمّ ذكر سبحانه أنّه مع علمه به وكّل به ملكين يحفظان عليه عمله إلزاماً للحجّة, فقال:

﴿إِذْ يَتَلَقّى الْمُثَلَقْيَانِ﴾ مقدّر براذكر» أو متعلّق براأقرب» أي: نحن أعلم بحاله من كلّ قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلقّظ به. والتلقي: التلقّن بالحفظ والكتبة. وفيه إيذان بأنّه غني عن استحفاظ الملكين، فإنّه أعلم منهما، ومطّلع على ما يخفى عليهما، وكيف لا يستغني عنه وهو مطّلع على أخفى الخفيّات؟ لكنّه لحكمة اقتضته، وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما، وعرض صحائف الأعمال يوم يقوم الأشهاد، وعلم العبد بذلك، مع علمه بإحاطة الله بعمله، من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيّئات والرغبة في الحسنات.

﴿ غَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ أي: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد من المتلقيين، أي: مقاعد، كالجليس بمعنى السجالس. فحذف الأوّل لدلالة الشاني عليه، كقوله: فإنّي وقيّار بها لغريب. وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدّد، كقوله: ﴿ وَالْمَادَثِكَةُ بَعْنَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (٣). والمراد بالقعيد الملازم اللّذي لايبرح، لا القاعد الذي هو ضدّ القائم، وعن الحسن: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار، وملكان بالليل.

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلِ ﴾ ما يرمي به من فيه ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ ملك يرقب عمله ﴿ عَتِيدٌ ﴾ معدّ حاضر. واختلف فيما يكتب الملكان، فقيل: يكتبان كلّ شيء حتّى

<sup>(</sup>١) السانية: الناقة يستقى عليها من البئر.

<sup>(</sup>٢) التحريم: ٤.

أنينه في مرضه . وقيل: لا يكتبان عليه إلا ما فيه ثواب وعقاب. ويؤيده ما روي عن النبي المسيمات على يسار النبي المسيمات السيمات على يسار الرجل، وكاتب السيمات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيمات، فإذا عمل حسنة كتبها لملك اليمين عشراً ، وإذا عمل سيمة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعم سبع ساعات لعله يسبم أو يستغفر».

وعن أبي أمامة عن النبئ ﷺ قال: «إنّ صاحب الشمال ليرفع القـلم ستّ ساعات عن العبد المسلم المخطىء أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلّا كتب واحدة».

وعن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله ﷺ؛ إنّ الله تعالى وكّل بعبده ملكين يكتبان عليه، فإذا مات قالا: يا ربّ قد قبضت عبدك فلاناً فإلى أين؟ قال: سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني، وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني، إذهبا إلى قبر عبدي فسبّحاني وكبّراني وهلّلاني، فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة».

وعنه ﷺ: «إنّ مقعد ملكيك عملي ثنيّتيك (١)، ولسانك قملمهما، وريمقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك، لا تستحي من الله ولا منهما».

ولمّا ذكر إنكارهم البعث، واحتجّ عليهم بوصف قدرته وعلمه، أعلمهم أنّ ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة، ونبّه عملى اقتراب ذلك بأن عبّر عنه بلفظ الماضى، فقال:

<sup>(</sup>١) الثَنِيَّة وجمعها ثنايا: وهي أسنان مقدَّم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل.

﴿ وَجَآءَتْ سَعَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ ﴾ غمرته وشدّته الذاهبة بالعقل. والباء للتعدية، كقولك: جاء زيد بعمرو. والمعنى: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الموعود الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله. أو حقيقة الأمر وجليّة الحال، من سعادة المرء وشقاوته. أو الحقّ الذي خلق له الانسان من أنّ كلّ نفس ذائقة الموت. أو الجزاء، فإنّ الانسان خلق له. أومثل الباء في ﴿ تَغَيّثُ فِالدَّهْنِ ﴾ (١١) ، أي: وجاءت ملتبسة بحقيقة الأمر، أو بالحكمة والفرض الصحيح، كقوله: ﴿ خَلَقُ السُّعْوَاتِ وَالْرَضَ فِالنَّرْضَ فِالْحَقّ ﴾ (١٢) .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: الموت ﴿ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ تميل وتنفر عنه. والخطاب اللإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقِتُنَا الْإِنْسَانَ ﴾ (٣) على طريق الالتفات. أو الإشارة إلى الحق، والخطاب للفاجر.

وَنُفِحَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتُ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاتَقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتُ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاتَقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدُ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيُومُ حَديدٌ ﴿٢٢﴾

ثمّ أخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث، فقال: ﴿ وَنَفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ يعني: نفخة البعث ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى مصدر «نفخ» بحذف المضاف، أي: وقت ذلك النفخ ﴿ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ يوم تحقّق الوعيد ووقوع المجازاة.

<sup>(</sup>١) المؤمنون: ٢٠.

<sup>(</sup>٢) الأُنعام: ٧٣.

<sup>(</sup>٣) ق: ٢١.

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَآئِقٌ وَسَمِيدٌ ﴾ ملكان أحدهما يسموقه، والآخر يشهد بعمله. أو ملك جامع للوصفين، كأنَّه قيل: معها ملك يسوقها ويشهد عليها. وقيل: السائق نفسه أو قرينه، والشهيد جوارحه أو أعماله، فلا يجد إلى الهرب ولا إلى البحود سبيلاً. ومحل «معها» النصب على الحال من «كلّ»، لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة، للاستغراق الذي يفيد التخصيص.

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ على إضمار القول. والخطاب لكلّ نفس، إذ ما من أحد إلا وله اشتغال من الآخرة. ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطْآءَكَ ﴾ حاجبك لأمور المعاد وخاسئك(١) عنها. وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات، والألف بها، وقصور النظر عليها. فإذا كان يوم القيامة تيقّظ وزالت عنه هذه الغفلة وغطاؤها، فيبصر ما لم يبصره من الحق، ويرجع بصره الكليل عن الإبصار \_ لغفلته \_ حديداً لتيقظه. كما قال: ﴿ فَبَصَرُكَ الْنَوْمَ حَدِيدً ﴾ حاد نافذ لا يدخل عليه شبهة، لزوال المانع للإبصار. ولا شبهة أنّ الأمور العقليّة والسمعيّة لا تكون كالمشاهد المحسوس، فشبّه الله تعالى الغفلة الموصوفة بغطاء غطّى الانسان جسده كلّه، أو بغشاء غطّى الانسان جسده كلّه، أو بغشاء غطّى بها عينيه، فهو لا يبصر شيئاً.

وقيل: الخطاب للنبي ﷺ. والمعنى: كنت في غفلة من أمر الديانة، فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن، فبصرك اليوم حديد، ترى ما لا يسرون، وتعلم ما لا يعلمون.

وعن ابن عبّاس: هو خاصّ بالكافر، أي: فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا.

ويؤيّد الأوّل سوق الكلام السابق، وقراءة من كسر التـاء والكـافات عـلى خطاب النفس.

<sup>(</sup>١) خَسِيء: بَعُدَ. وخَسَأ البصرُ: كلّ وأعيا.

وَقَالَ قَرِيْتُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَيدٌ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ أَلْقَيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كُلَّا عَيد ﴿ ﴿ ﴾ أَلْفَيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كُلَّا عَيد ﴿ ﴿ ﴾ فَنَاعٍ لِلْحَيْرِ مُعْتَد مُربِ ﴿ ﴿ ﴾ الذي جَعَلَ مَعَ اللّه إِلَهَا آخَرَ فَالْقَيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدَ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ فَالْ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْنُهُ وَلَكَنَ كَانَ فِي ضَلال بَعِيد ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ مَا بَعِيد ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ مَا لَيكُم بِالْوَعِيد ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ مَا لَيُحَلَّلُ الْقُولُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ فَيْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱلْمَالَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ ﴿ ﴿ ﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴾ وقال الملك الموكّل عليه ﴿ هَذَا مَا لَدَيْ عَتِيدُ ﴾ هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لديّ. أو قال الشيطان الذي تيّض له \_ في قوله: ﴿ نَقَيْضَ لَهُ شَيْطَانا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (١٠ \_ : إنّ هذا شيء لديّ وفي ملكتي (١٢ عتيد لجهنّم. وتلخيص المعنى على هذا التقدير : أنّ ملكاً يسوقه، وآخر شهيد عليه، وشيطاناً مقروناً به يقول: قد أعتدته لجهنّم، وهيّأته لها بإغوائي وإضلالي. والقول الأوّل مرويّ عن أبي جعفر وأبى عبدالله ﷺ، منقول عن جمع كثير من المفسّرين.

ثمّ خاطب الله سبحانه السائق والشهيد. أو ملكين من خزنة النار. بـقوله: ﴿ الْقِيْنَا فِي جَهْذُمُ ﴾ ويجوز أن يكون الخطاب لواحد على وجهين:

الأُوّل: قول المبرّد: إنّ تثنية الفاعل بمنزلة تثنية الفعل وتكريره، كأنّه قيل:

<sup>(</sup>١) الزخرف: ٣٦.

<sup>(</sup>٢) المَلَكة: المُلْك.

سورة ق. آية ٢٣ ـ ٣٠......

الق ألق، كقوله: فإن تزجراني يابن عفّان أنزجر (١٠).

والثاني: الألف بدل من نون التأكيد. على إجراء الوصــل مــجرى الوقــف. ويؤيّده أنّه قرىء في الشواذّ: ألّقِينَ بالنون الخفيفة. والأوّل أظهر.

﴿مَنَاعٍ لِلْفَيْرِ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة. وجعل ذلك عادة له، فلا يبذل منه شيئاً قطّ. وقيل: المراد بالخير الاسلام، لما روي أنّ الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لمّا منع بني أخيه عن الاسلام، وكان يقول: من دخل منكم فيه لم أتفعه بخير ما عشت. ﴿مُعْقَدُ ﴾ متعدًّ، ظالم، متخطًّ عن الحقّ ﴿مُرِيبٍ ﴾ شاكٌ في الله وفي دينه.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهَا آخَرَ ﴾ مبتدأ متضمّن معنى الشرط، وخبره ﴿فَالْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ أو بدل «كلّ كفّار». فيكون «فألقياه» تكريراً للتوكيد، أومفعو لاً لمضمر يفسّره: فألقياه.

﴿قَالَ قَدِينُهُ﴾ أي: الشيطان المقيّض له. وإنّما أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى، لأنّها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فسي حكماية التقاول، كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون.

وبيان التقاول هنا: أنَّه لمَّا قال قرينه: «هذا ما لديَّ عتيد». وتبعه قوله: «قال

<sup>(</sup>١) وعجزه: وإن تدعاني أحم عرضاً ممنّعاً.

<sup>(</sup>٢) شواهد التنزيل ٢: ٢٦١ ـ ٢٦٢ ح ٨٩٥.

قرينه ربّنا ما أطغيته». وتلاه «لا تختصموا لديّ» علم أنَّ ثم مقاولة بين الكافر والشيطان، لكنّها طرحت لما يدلِّ عليها ﴿ ربَّنَا مَا الْطَغَيْتُهُ ﴾. كأنَّ الكافر قال: ربّ هو أطغاني. فقال قرينه: ربّنا ما أطغيته. بخلاف الجملة الأولى، فإنّها واجبة العطف على ما قبلها، للدلالة على الجمع بين معناها وبين معنى ما قبلها. والمعنى: ما جعلته طاغباً، وما أوقعته في الطغيان ﴿ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ ولكن طغى واختار الضلالة على الهدى، فأعنته عليه، فإنّ إغواء الشيطان إنّما يؤثّر فيمن كان مائلاً إلى الفجور، كما قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلّا أن دَعَوْ تُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ

﴿قَالَ﴾ أي: الله تعالى ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَذَيُ ﴾ استئناف مثل قوله: «قال قرينه». كأنّ قائلاً قال: فماذا قال الله ؟ فقيل: قال لا تختصموا لديّ، أي: في موقف الحساب، فإنّه لا فائدة في اختصامكم ﴿ وَقَدْ قَدْمَتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ على الطفيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي، فما تركت لكم حجّة عليّ. والجملة حاليّة، فيها تعليل للنهي، أي: لا تختصموا عالمين بأنّي أوعدتكم، والباء مزيدة، مثلها في: ﴿ وَلا تَلْقُوا بِالْهِيهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٣). أو معدّية على أنّ «قدّم» بمعنى: تقدّم، ولمّا كان قوله: «لا تختصموا عندي وقد صحّ عندكم أنّي قدّمت إليكم بالوعيد، وصحّة ذلك عندهم يكون في الآخرة، فلا يقال: إنّ قوله: «وقد قدّمت» واقع موقع الحال من «لا تختصموا»، والتقديم بالوعيد في الدنيا، والخصومة في والآخرة، واجتماعهما في زمان واحد واجب.

﴿ مَا يُبَدُّلُ الْقَوْلُ لَدَيُّ ﴾ أي: بوقوع الخلف في أنّي أعاقب من جحدني وكذّب رسلى. فلا تطمعوا أن أبدّل وعيدي، فأعفيكم عمّا أوعدتكم به. ويجوز أن يقع

<sup>(</sup>١) إبراهيم: ٢٢.

<sup>(</sup>٢) البقرة: ١٩٥.

قوله: «وقد قدّمت إليكم» على قوله: «ما يبدّل القول لديّ... الخ». ويكون «بالوعيد» حالاً من المفعول أو الفاعل، أي: قدّمت إليكم هذا القول ونـثبت لكم مضمونه ملتبساً بالوعيد. أو قدّمته إليكم موعداً لكم به.

﴿ وَمَا أَنَا بِطَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأعذّب من ليس بمستوجب للعذاب. وفي إيراد نفي الظلم في صورة بناء المبالغة وجهان: أن يكون مثل قولك: هو ظالم لعبده، وظلّام لعبيده. وأن يراد: لو عذّبت من لا يستحقّ العقاب لكنت ظلّاماً مفرط الظلم، فنفى ذلك.

وقوله: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ الْفَتَلَاتِ ﴾ منصوب بدظلام» أو بمضمر نحو: اذكر وأنذر حين نقول لجهنّم هل امتلأت؟ من كثرة ما ألقي فيك من العصاة ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ . ويجوز أن ينتصب بدنفخ» كأنّه قيل: ونفخ في الصور يموم نقول لجهنّم. وعلى هذا دذلك يوم الوعيد» إشارة إلى «يوم نقول» فلا يفتقر إلى تقدير مضاف.

وسؤال جهنّم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته. والمعنى: أنّها مع اتّساعها تطرح فيها الجنّ والإنس فوجاً فوجاً حتّى تمتلىء، لقوله: ﴿ لأَهَلَانَ جَهَلْمُ ﴾ (١). أو أنّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها ونفيما بعد فراغ وموضع للمزيد. أو أنّها من شدّة زفيرها وحدّتها وتشبّتها بالعصاة وغيضها عليهم، كالمستكثرة لهم، والطالبة لزيادتهم.

وقيل: الجواب والسؤال على الحقيقة، لأنَّ الله سبحانه يخلق لجهنّم آلة الكلام فتتكلّم. وهذا غير منكر، لأنَّ من أنطق الأيدي والجوارح والجلود قادر على أن ينطق جهنّم.

وعن الحسن: هذا خطاب لخزنة جهنّم على وجه التقرير لهم. والمعنى: هل

<sup>(</sup>١) الأعراف: ١٨.

٢٥٦ ...... زيدة التفاسير ـ ج ٦

امتلاً جهنّم؟ فيقولون: بلى لم يبق موضع لمزيد، ليعلم الخلق صدق وعده. ومعنى «هل من مزيد» على هذا: ما من مزيد، أي: لا مزيد، كقوله: ﴿ هَلَ مِنْ خَالِقٍ غَــيْرُ اللهِ﴾ (۱).

وقرأ نافع وأبو بكر: يَوْمَ يَقُولُ بالياء. والمزيد إمّا مصدر كالمحيد. أو مفعول كالمبيع.

وَأَرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّعِبَنَ غَيْرَ بَعِيدِ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظَ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّخُمَنَ بِالْفَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبِ مُنيبٍ ﴿٣٣﴾ أَذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهًا وَلَدَيْنَا مُزيدٌ ﴿٣٥﴾

ولمّا أخبر سبحانه عمّا أعدّه للكافرين والعصاة. عقّبه بذكر ما أعدّه للمتّقين. فقال:

﴿ وَانْ لِفَتِ الْجَنَّةُ ﴾ أدنيت ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ حتى يروها قريبة لهم ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ نصب على الظرف، أي : مكاناً غير بعيد. ويجوز أن يكون حالاً. وتذكيره لأنه صفة محذوف، أي: شيئاً غير بعيد. أو على أنّه مصدر، كالزئير والصليل، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكّر والمؤنّث. وقيل: معناه: ليس ببعيد مجيء ذلك، لأنّ كلّ آتٍ قريب. أو لأنّ الجنّة بمعنى البستان اللذي يجمع كلّ لذّة، من الأنهار والأشجار وطيّب الثمار، ومن الأزواج الكرام والحور الحسان والخدم من الولدان،

<sup>(</sup>١) فاطر: ٣.

ومن الأبنية الفاخرة المزيّنة بالدرّ واليواقيت والزمرّد والعقيان(١١). وذكر «غير بعيد» بعد الإزلاف للتأكيد. كما تقول: هو قريب غير بعيد. وعزيز غير ذليل.

﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ على إضمار القول. والإشارة إلى الشواب، أو مصدر «أزلفت». وقرأ ابن كثير بالياء. ﴿ لِكُلُّ أَوَّابٍ ﴾ رجّاع إلى ذكر الله. بدل من «المتّقين» بإعادة الجاز، كقوله: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ (٢). ﴿ حَفِيظٍ ﴾ حافظ لحدود الله، متحفّظ من الخروج إلى ما لا يجوز، من سيّئة تدنّسه أو خطيئة تشينه.

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْفَنَ بِالْغَنْدِ وَجَآءَ بِقَلْدٍ مُنْدِدٍ ﴾ بدل بعد بدل. أو بدل من موصوف «أوّاب» أن يكون في حكم «أوّاب»، لأنّ «من» لا يوصف به، فإنّه لا يوصف من بين الموصولات إلّا ب«اللّذي» وحده. أو مبتدأ خبره ﴿ الْخُلُوهَا﴾ على تأويل: يقال لهم: ادخلوها، فإنّ «من» بمعنى الجمع. ويجوز أن يكون منادى، كقولهم: من لا يزال محسناً أحسن إليّ. وحذف حرف. النداء للتقريب.

و «بالغيب» حال من المفعول، أي: خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقباً إلابطريق الاستدلال. أو من الفاعل، أي: خشيه حال كونه لم يره. أو صفة لمصدر، أي: خشيه خشية ملتبسة بالغيب، حيث خشي عقابه وهو غائب. أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد.

وتخصيص «الرحمن» للثناء البليغ على الخاشي، وهو خشيته مع علمه أنّه الواسع الرحمة، كما أثنى عليه بأنّه خاشٍ مع أنّ المخشيّ منه غائب. ونحوه:
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةً﴾ (٣٠ فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات.

<sup>(</sup>١) العِقْيَان: الذهب الخالص.

<sup>(</sup>٢) الأعراف: ٧٥.

<sup>(</sup>٣) المؤمنون: ٦٠.

20٨ ..... زيدة التفاسير -- ج ٦

ووصف القلب بالإنابة. إذ الاعتبار بما ثبت منها في القـلب، مـن رجـوعه إلى الله.

﴿ بِسَلَامٍ ﴾ سالمين من العذاب وزوال النعم. أو مسلّماً عليكم من الله وملائكته. ﴿ وَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ يوم تقدير الخلود، كقوله: ﴿ فَالْخُلُومَا خَالِدِينَ ﴾ (١) أي: مقدّرين الخلود.

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو: ما لا يخطر ببالهم مـمّا لا عـين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقيل: إنّ السحاب تمرّ بأهل الجنّة فتمطرهم الحور، فتقول الحـور: نـحن المزيد الّذي قال اللهﷺ: «ولدينا مزيد».

وَكُمُ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنِ هُمْ أَشَدُ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَبُوا فِي الْبِلادِ هَلُ مِن مَّحيصِ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ مَن مَحيصٍ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَنَّة أَيَامٍ وَمَا مَسَنَا مِن لَغُوبٍ ﴿٣٦﴾ فَأَصْبِرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِحْ بِحَمُّد رَبِّكَ قَبَلَ طَلُوعِ مَسَنَا مِن لَغُوبٍ ﴿٣٦﴾ فَأَصْبِرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِحْ بِحَمُّد رَبِّكَ قَبَلَ طَلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ اللَيلِ فَسَبِحُهُ وَأَدْبَارَ السَّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَمَن اللَيلِ فَسَبِحُهُ وَأَدْبَارَ السَّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْتَعُمْ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَيْحَة بِالْحَقِ وَالسَّمْعُ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَيْحَة بِالْحَقِ وَلَكَ يَوْمَ الشَكِيرُ ﴿٤٠٤﴾ وَمَن الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ وَيُمْ الْمُعِيرُ وَهُوبَ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ وَيُمْ الْمُعِيرُ وَلَا يَوْمَ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ وَيُمْ الْمُعِينَ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ وَيُمْ الْمُعَلِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ فَيْمَ الْمُعَلِيرُ فَرَاهُ فَيْهُمْ الْمُومِ مِنْمَا الْمُعَلِيرُ وَلَمْ الْمُعَبِّلُونَ الْمَعْرِدُ وَلَا الْمُعِيرُ وَالْمَا الْمُعَلِّلُ وَلَوْنَ الْمَعْرَانَ الْمُعْلِمُ وَالْمَعُونَ الصَيْحَة بِالْحَقِ

<sup>(</sup>١) الزمر: ٧٣.

تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرٍ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٠﴾

ثمّ خوّف سبحانه كفّار مكّة فقال: ﴿ وَكَمْ الْهَكَتْنَا قَبْلَهُمْ ﴾ قبل قومك ﴿ مِنْ قَرْنِ هُمْ الشّدُ مِنْهُمْ بَعْلَشُا ﴾ قوّة ، كمادٍ وضرعون ﴿ فَنتَقْبُوا ﴾ فخرقوا (١) ﴿ فِي البِلَادِ ﴾ وتصرّفوا فيها . والفاء للتسبيب ، أي: شدّة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب . وقيل: معناه: جالوا في الأرض كلّ مجال حذر الموت . ﴿ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ أي: هل لهم من الله أو مِن الموت مهرب حتّى يتوقّعوا مثله لأنفسهم ؟

وقيل: الضمير لأهل مكّة. ومعناه: فنقّب أهل مكّة في أسفارهم ومسايرهم في البلاد والقرى، وحين نزول آجالهم أو عقوباتهم، فهل رأوا لهم مهرباً منها؟ والدليل على صحّته قراءة من قرأ: فَنَقّبوا على الأمر، كقوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾ (٧). وعلى الثانى والثالث؛ الفاء للتعقيب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكر في هذه السورة ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرة ﴿لِمَن كَانَ لَـهُ 
قَلْبُ﴾ أي: قلب واع يتفكّر في حقائقه، لأنَّ من لا يعي قلبه فكانَّه لا قلب له ﴿أَوْ
الْقَى السَّمْعَ﴾ أي: أُصغى لاستماعه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه، لأنَّ 
من لا يحضر ذهنه فكانَّه غائب. أو شاهد يصدَّقه بأنَّه وحي، فيتَعظ بظواهره، 
وينزجر بزواجره. وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيم وإشعار بأنَّ كلَّ قلب لا يتفكّر 
ولا يتدبّر كلا قلب.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةٍ أَيَّام ﴾ مرّ تفسيره (٣) مراراً

<sup>(</sup>١) خُرَق الأرضَ: جابها وقطعها حتّى بلغ أقصاها.

<sup>(</sup>٢) التوبة: ٢.

<sup>(</sup>٣) راجع تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف، يونس: ٣، هود: ٧، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤.

- ٢٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُقُوبٍ ﴾ من تعب وإعياء. وهو ردّ لما زعمت اليهود من أنّه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على العرش.

﴿ فَاصْعِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه. أو ما يقول المشركون من إنكارهم البعث، فإن من قدر على خلق العالم بلا إعياء، قدر على بعثهم والانتقام منهم. وقيل: هي منسوخة بآية السيف(١١). وقيل: الصبر مأمور به في كلّ حال.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ونزّهه عن العجز عمّا يمكن، والوصف بما يـوجب التشبيه، حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحقّ وغيرها ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْفُرُوبِ ﴾ .

روي عن أبي عبدالله ﷺ أنّه سئل عن هذا فقال: «تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرّات: لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كلّ شيء قدير».

والأكثر على أنّ المراد بالتسبيح قبل طلوع الشمس صلاة الصبح، وقبل الغروب صلاة الظهر والعصر. فيعبّر عن الصلاة بالتسبيح، كما يعبّر بالركوع والسجود عنها، تسمية للشيء باسم معظم أركانه.

﴿ وَمِنَ اللَّهِ فَسَبَّحْهُ ﴾ فسبّحه بعض الليل، يعني: العشاءين. وقيل: التهجّد. ﴿ وَأَذْبَارَ السُّجُودِ ﴾ يعني: التسبيح في أعقاب الصلوات. جمع دبر. وقيل: النوافل بعد المكتوبات.

وعن عليّ ﷺ: «الركعتان بعد المغرب». وروي عن النبيّ ﷺ: «من صــلّـى بعد المغرب قبل أن يتكلّم كتبت صلاته في علّيين».

<sup>(</sup>١) التوبة: ٥ و ٢٩.

وعن ابن عبّاس: الوتر بعد العشاء. وقيل:الوتر بعد التهجّد. وروي ذلك عن أبي عبدالله ﷺ .

وقرأ الحجازيّان بكسر الهمزة، من: أدبرت الصلاة إذا انقضت. يعني: وقت انقضاء السجود.

وقال في كنز العرفان بعد نقل الأقوال المذكورة: «وعندي أنَّ حمله على العموم أولى»(١).

﴿ وَاسْتَمِعَ ﴾ لما أخبرك به من أهوال يوم القيامة. وفيه تهويل وتعظيم لشأن المخبر به. ﴿ يُومَ يُكَادِ الْمُعْدَادِ ﴾ نصب بما دلّ عليه «ذلك يوم الخروج» أي: يوم يناد المنادي يخرجون من القبور. والمنادي هو إسرافيل. فيقول: أيّتها العظام البالية، والأوصال المنقطعة، واللحوم المتمزّقة، والشعور المتفرّقة، إنّ الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ، وجبرئيل ينادي بالحشر. ﴿ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكلّ على سواء. قيل: هوصخرة بيت المقدس. وهي قرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً. وهي وسط الأرض. وقيل: من تحت أقرب الأرض، وقيل: من منابت شعورهم. ولعلّ هذا في الإعادة نظير لفظة «كن» في الإبداء.

﴿ يَوْمُ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ بدل من «يوم يناد». والصيحة: النفخة الشانية. ﴿ بِالْحَقَّ ﴾ متعلَّق بالصيحة. والمراد به البعث للجزاء. ﴿ ذَلِكَ يَـوْمُ الْــُحُرُوجِ ﴾ من القبور إلى أرض الموقف. وهو من أسماء يوم القيامة. وقد يقال للعيد.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ للجزاء في الآخرة. ﴿ يَوْهَ نَشَقَّقُ﴾ تتشقّق. وقرأ الكوفيّون وأبو عـمرو بـالتخفيف ٢٠٠ ﴿ وَالْأَرْضُ

<sup>(</sup>١) كنزالعرفان ١: ٧٨.

<sup>(</sup>٢) أي: بتخفيف الشين.

۲٦٢ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

عَنْهُمْ سِنِاعاً﴾ حال من المجرور، أي: مسرعين إلى الداعي بــلا تأخــير ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ﴾ بعث وجمع بالسوق من كلّ جهة ﴿ عَلَيْنَا يَسِيرُ﴾ هيّن غير متعذّر، مع تباعد ديارهم وقبورهم. وتقديم الظرف للاختصاص، فإنّ ذلك الأمر العظيم لا يتيسّر إلّا على العالم القادر لذاته، الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال تعالى: ﴿ مَاخَلْقُكُمْ وَلا بَعْتُكُمْ إِلّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [1].

ثمّ سلّى نبيّه ﷺ، وهدّد قومه بقوله: ﴿ نَحْنُ اعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ
بِجَبُّادٍ ﴾ متسلّط قادر على قلوبهم، فتقسرهم على الإيمان، أو تفعل بهم ما تريد،
وإنّما أنت داعٍ. وقيل: أريد التحلّم عنهم، وترك الفلظة عليهم. ويجوز أن يكون من:
جبره على الأمر بمعنى: أجبره، أي: ما أنت بوالٍ عليهم تجبرهم على الإيمان.
و «على» بمنزلة قولك: هو عليهم، إذاكان واليهم ومالك أمرهم.

﴿فَذَكُرْ بِالقُرآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ فإنّه لا ينتفع به غيره. وهذا كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ (٢).

<sup>(</sup>١) لقمان: ٢٨.

<sup>(</sup>٢) النازعات: ٤٥.



مكِّيَّة. وهي ستُّون آية بالإجماع.

أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ: «من قرأ سورة الذاريات أعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد كلّ ريح هبّت وجرت في الدنيا».

وروى داود بن فرقد عن أبي عبدالله ﷺ قال: «من قرأ سورة والذاريات في يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته، وأتاه برزق واسع، ونؤر له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة».

## بسم الله الرَّحْمَن الرَّحيم

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوًا ﴿١﴾ فَالْحَاملاتِ وقُرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ بُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسَّمَاتَ أَمْرًا ﴿٤﴾ إَنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادَقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلِ مُخْتَلَف ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفكَ ﴿١﴾ قُتُلَ الْخَرَاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذينَ هُمْ في غَمْرَة سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيانَ يَوْمُ الدّين ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّار يُسْتُونَ ﴿١٣﴾ ذُوتُوا فَتُنَكُّمُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْنَعُجلُونَ ﴿١٤﴾ ولمًا ختم الله سبحانه سورة قى بالوعيد، افتتح هذه السورة بتحقيق الوعيد، فقال: ﴿ بِسْمِ اللهِ الدَّفِي تَذَرُوا اللهِ اللهِ فقال: ﴿ بِسْمِ اللهِ اللهِ تعالى: ﴿ تَذَرُوهُ الرَّيَاحُ ﴾ (١٠). أو النساء الولود، فإنهن يذرين الأولاد. أو الأسباب الَّتي تذري الخلائق، من الملائكة وغيرهم. وقرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال.

﴿ فَالْمَامِلَاتِ وَقُراً ﴾ فالسحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو السباب ذلك، والوقر: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن.

﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْوا﴾ فالسفن الجارية في البحر سهلاً. أو الرياح الجارية في مهابّها. أو الكواكب السبعة التي تجري في منازلها. وهي: الشمس، والقمر، وزحل، والمشتري، والمرّيخ، والزهرة، وعطارد. و«يسراً» صفة مصدر محذوف تقديره: جرياً ذا يسر، أى: ذا سهولة.

﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْواً﴾ الملائكة الَّتي تنقسم الأسور من الأسطار والأرزاق وغيرها، أو ما يعتهم وغيرهم من أسباب القسمة.

وعن مجاهد: تتولَّى الملائكة تقسيم أمر العباد: جبريل للغلظة، ومسيكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ.

وقيل: الرياح يقسّمن الأمطار بتصريف السحاب.

وعن علي ﷺ أنّه قال وهو على المنبر: «سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام ابن الكوّاء فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال: الرياح. قال: فالحاملات وقراً؟ قال: السحاب. قال: فالجاريات يسراً؟ قال: الفلك. قال: فالقسّمات أمراً؟ قال: الملائكة». وكذا عن ابن عبّاس.

واعلم أنَّ هذه الصفات إن حملت على ذوات مختلفة ، فالفاء لترتيب الأقسام

<sup>(</sup>١) الكهف: ٥٤.

بها. باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة، وإلّا فالفاء لترتيب الأفعال. إذ الريح مثلاً تذرو الأبخرة إلى الجوّ حتّى تنعقد سحاباً. فتحمله فتجري به باسطة له إلى حيث أمرت به. فتقسّم المطر.

وعن أبي جعفر وأبي عبدالله ﷺ أنّه «لا يجوز لأحد أن يقسم إلّا بالله، والله سبحانه يقسم بما شاء من خلقه».

ثمّ ذكر سبحانه المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّهَا تُوعَدُونَ لَصَادِقَ﴾ أي: الذي توعدون به ذو صدق، كقوله: ﴿ عِيشَةٍ رَاضِيقٍ ﴾ (١). أو فاعل وضع موضع المصدر. ويجوز أن يكون «ما» مصدريّة، أي: إنّ وعد الله لكم لذو صدق.

﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعَ﴾ وإنّ الجزاء حاصل ألبتّه. كأنّه استدلّ باقتداره على هذه الأشياء المجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة، على اقتداره على البعث للجزاء الموعود.

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ ذات الطرائق، مثل حبك الرمل والساء إذا ضربته الريح. ويقال: إن خلقة السماء الريح. ويقال: الدرع محبوكة، لأنّها مطرقة بطرائق مدوّرة. ويقال: إنّ خلقة السماء كذلك. أو المراد الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب، أو المعقولة الّتي يسلكها النظّار، ويتوصّل بها إلى المعارف. أو النجوم، فإنّ لها طرائق، أو أنّها تزيّنها كما تزيّن الموشى (۳) طرائق الوشي. وقيل: حبكها صفاقتها (۳) وإحكامها، من قولهم: فرس محبوك المعاقم (ع)، أي: محكمها. وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا: ما أحسن حبكه. وهو جمع حبيكة، كطريقة وطرق، أو حباك، كمثال ومثل.

وروى علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسـن

<sup>(</sup>١) الحاقّة: ٢١، القارعة: ٧.

<sup>(</sup>٢) وشي الثوب: حسّنه بالألوان ونمنمه ونقشه، فهو موشى. والوَشْي: نقش الثوب.

<sup>(</sup>٣) أي: كثافتها. من: صَفَّق الثوبُ صَفَاقة: كَثف نسجه.

<sup>(</sup>٤) المعاقم: المفاصل وملتقى أطراف العظام. والواحد: مَعْقِم.

٤٦٦ ..... زيدة التفاسير ـج٦

الرضا ﷺ قال: «قلت له: أخبرني عن قول الله ﷺ: «والسماء ذات الحبك».

فقال: محبوكة إلى الأرض. وشبّك بين أصابعه.

فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: ﴿ وَفَعَ السَّمْوَاتِ بِـ فَنْدٍ عَمْدِ﴾ (١١؟

فقال: سبحان الله أليس يقول: «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»؟

قلت: بلى.

قال: فثمّ عمد ولكن لا ترى؟

قلت: فكيف ذلك جعلني الله فداك؟

قال: فبسط كفّه اليسرى، ثمّ وضع المنى عليها، فقال: هذه أرض الدنيا، والسماء الثانية فوقها والسماء الثانية فوقها والسماء الثانية فوقها والأرض الثانية فوقها والأرض الثانية فوقها والأرض الثانية فوقها الثانية، والسماء الثانية فوقها وتبة. ثمّ هكذا إلى الأرض السابعة فوق السماء السابعة فوقها والسماء السابعة فوقها والسماء السابعة فوقها والسماء السابعة. وهو ووله: ﴿ خَلَقَ سَنْعَ سَمْوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْنُ بَيْنَا لَهُنَ مِنْ مِنْ السماء السابعة فوقها والمُم على وجه بَيْنَا فَيْنَ اللهُ مَنْ فوق، من بين السماوات والأرضين.

قلت: فما تحتنا إلَّا أرض واحدة؟

قال: ما تحتنا إلَّا أرض واحدة، وإنَّ السَّتِّ لفوقنا».

﴿إِنْكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُضْتَلِفٍ﴾ في الرسول ﷺ. وهو قولهم تارة إنّه شاعر، وتارة إنّه ساحر، وتارة إنّه مجنون. أو في القرآن، إنّه شعر وسحر وأساطير الأوّلين. أو في القيامة، أو أمر الديانة. ولعلّ النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها

<sup>(</sup>١) الرعد: ٢.

<sup>(</sup>٢) الطلاق: ١٢.

سورة الذاريات، آية ١ ـ ١٤........١٤

وتنافي أغراضها، بطرائق السماوات في تباعدها واختلاف غاياتها.

﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ ﴾ يصرف عن الرسول، أو القرآن، أو الإيمان ﴿ مَنْ أَفِكَ ﴾ من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم، فكأنّه لا صرف بالنسبة إليه، كقوله: لا يهلك على الله إلا هالك.

وقيل: يصرف عنه من صرف في سابق علم الله، أي: علم فيما لم يزل أنّه مأفوك عن الحقّ لا يرعوي.

ويجوز أن يكون الضمير للقول، على معنى: يصدر إفك من أفك عن القول المختلف وبسببه، كقوله: ينهون عن أكل وعن شرب(۱)، أي: يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب. وحقيقته: يصدر تناهيهم في السمن عنهما. أو لاهما توعدون». أو للدّين، بأن أقسم بالذاريات على أنّ وقوع أمر القيامة حقّ، ثمّ أقسم بالسماء على أنّهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاكّ ومنهم جاحد، ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك.

﴿ قُتِلَ الْفَرُّ اصْحَابِ الكَّذَابِونِ المقدِّرونِ ما لا يصحَ ، من أصحابِ القول المختلف. واللام إشارة إليهم ، كأنَّه قيل: قتل هؤلاء الخرّاصون. وأصله الدعاء عليهم بالقتل والهلاك ، أجرى مجرى اللعن ، كقوله: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ (٧٠.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ ﴾ غافلون عمّا أمروا به. قيل: إنَّ أوّل مراتب الجهل السهو، ثمّ الغفلة، ثمّ الغمرة. فتكون الغمرة عبارة عن

<sup>(</sup>١) وعجزه: مثل المها يرتعن في خصب.

والمها جمع مهاة، وهي البقرة الوحشيّة. وخَصَب المكانُ خِصْباً: كثر فيه العشب والخير. يصف الشاعر أضيافاً بتناهي سمنهم بسبب الأكل والشرب. وشبّههم بالمها اللّاتي يرتعن في الكلأ والمكان الخصب.

<sup>(</sup>٢) عيس: ١٧.

٤٦٨ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

المبالغة في الجهل، أي: إنَّهم في غاية الجهل ساهون عن الحقّ.

﴿يَسْلَلُونَ ائِيَانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: يقولون: متى يوم الجزاء؟ أي: وقـوعه. فوقع «أيّان» ظرفاً للوقوع لا اليوم، لأنّ الأحيان ظروف للحدث.

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يَسْفَتَنُونَ﴾ يحرقون. ومنه: الفتين. وهي: الحرّة (١٠، لأنّ حجارتها كأنّها محرقة. وهذا جواب سؤالهم، والمعنى: يقع يوم هم عملى النسار يفتنون. أو هو يوم هم على النار يفتنون.

﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ في محل الحال. والفتنة العذاب الشديد، أي: مقولاً لهم هذا القول ﴿ هَذَا اللَّذِي كُنتُمْ هِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾. أي: هذا العذاب هو اللّذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيباً به. ويجوز أن يكون «هذا» بدلاً من «فتنتكم» و «الذي صفته، أي: ذوقوا هذا العذاب.

إِنَّ الْمُتَّقِبَنَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونَ ﴿ ١٥ ﴾ آخِذِينَ مَا ٓ اَتَّاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسَنِينَ ﴿ ١٦ ﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ ١٧ ﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ ١٨ ﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ لِلسَّاتِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿ ١١ ﴾ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ للْمُوقِنِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ وَفِي أَنْفُسكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴿ ٢١ ﴾ وَفِي السَّمَآءَ رِزْفُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ فَوَرَبَ السَّمَآءَ وَالأَرْضِ إِنّهُ لَحَقٌ مِّلًا مَا ٓ أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿ ٢٢ ﴾

<sup>(</sup>١) الحَرَّة: أرض ذات حجارة سود، كأنَّها أحرقت بالنار.

ثمّ ذكر سبحانه ما أعدّه لأهل الجنّة فقال: ﴿إِنَّ الْمُقَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
آخِذِينَ مَا آتَاهُمُ رَبُّهُمُ ﴾ قابلين لما أعطاهم، راضين به. يعني:أنّه ليس فيما آتاهم إلّا
ما هو متلقى بالقبول، مرضيّ غير مسخوط، لأنّ جميعه حسن طيّب. ومنه قوله
تمالى: ﴿ وَيَاخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (١) أي: يقبلها ويرضاها.

ثمّ علّل استحقاقهم بالجملة المستأنفة، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُصْبِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم.

ثمّ فسر إحسانهم بقوله: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَسْهَجَعُونَ ﴾ «ما» مزيدة، أي: يهجعون في طائفة من الليل هجوعاً قليلاً. أو مصدريّة، أي: في قليل من الليل هجوعهم. أو موصولة، أي: ما يهجعون فيه. مرفوع المحلّ بأنّه فاعل «قليلاً». ولا يجوز أن تكون نافية، والمعنى: أنّهم لا يهجعون من الليل قليلاً ويحيونه كلّه، لأنّ ما بعدها لا يعمل فيما قبلها. تقول: زيداً لم أضرب، ولا تقول: زيداً ما ضربت. والمعنى: في أكثر الليل يصلّون ذاكرون.

وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم، من ذكر القليل، والليل الّذي هـ و وقت السبات<sup>(۲)</sup> والراحة، والهجوع الّذي هو الفرار من النوم، وزيادة «ما» المؤكّدة لذلك.

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي: إنّهم مع قلّة هجوعهم وكثرة تهجّدهم إذا أسحروا أخذوا في الاستغفار، كأنّهم أسلفوا في ليلهم الجراثم. وقال أبو عبدالله ﷺ: «كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرّة في السحر». وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنّهم أحقاء بالاستغفار، لوفور علمهم بالله، وخشيتهم منه.

وبعد ذكر عباداتهم البدنيّة بيّن عباداتهم الماليّة بقوله: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ ﴾

<sup>(</sup>١) التوبة: ١٠٤.

<sup>(</sup>٢) السُبَات: النوم، أو أوَّله.

نصيب يستوجبونه على أنفسهم، تقرّباً إلى الله، وإشفاقاً على الناس ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ للمستجدي والمتعقّف الذي ينظن غنيّاً، فيحرم الصدقة. وعن النبي الله الله السكين الذي تردّه الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان. قالوا: فما هو؟ قال: الذي لا يجد ولا يتصدّق عليه». وقيل: المحروم الذي لا ينمى له مال. وقيل: المحارف الذي لا يكاد يكسب.

ثمّ بيّن وحدانيّته وكمال علمه وقدرته. ومزيد إفضاله. وفيضان إحسانه على العباد. ترغيباً في الطاعات. وحثًا على العبادات. فقال:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتُ ﴾ دلائل بيتات وحجج نيرات على كمال علمه وقدرته وحكمته، وبديع صنعه، وعجب تدبيره، فإنّها مدحوّة كالبساط والمهاد لما فوقها، كما قال: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً ﴾ (١٠ وفيها مسالك فجاجاً للمتقلّبين فيها، والماشين في مناكبها، مجزّأة بالأجزاء المختلفة، من سهل وجبل وبرّ وبحر. وقطع متجاورات، من صلبة ورخوة، وطيّبة وسبخة. ثابتة فيها ألوان النباتات، وأنواع الأشجار المشرة بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح، مع أنّها تسقى بسماء واحد. كلّها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم، في صحتهم واعتلالهم، وما فيها من العيون المتفجّرة، والمعادن المفتنة (٢)، والدواب المنبعة في برها وبحرها، المختلفة الصور والأشكال والأفعال، من الوحشيّ والإنسيّ والهوام، وغيرها من المنافع العجيبة والمصالح الفريبة.

﴿ لِلْمُوقِدِينَ ﴾ الموحّدين الذين سلكوا الطريق السويّ البرهانيّ الموصل إلى المعرفة، نظارين بعيون باصرة وأفهام نافذة، كلّما رأوا آية تأمّلوا فيها، فازدادوا إيماناً مع إيمانهم، وإيقاناً إلى إيقانهم.

<sup>(</sup>١) طّه: ٥٣.

<sup>(</sup>٢) أي: المحرقة. بقال للحرّة: فتين، كأنّ حجارتها محرقة.

﴿ وَفِي انفُسِحُهُ ﴾ أي: وفي أنفسكم آيات في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، وفي بواطنها وظواهرها، من عجائب الفطر وبدائع الخلق، ما تتحيّر فيه الأذهان. وحسبك بالقلوب وماركز فيها من العقول، وخصّت به من أصناف المعاني، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وبالأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح. وما سوّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتنتّي، فإنه إذا جسا(۱) شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذلّ. وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الهيئات النافعة، والمناظر البهيّة، والتركيبات العجيبة، والتسمكن من الأفعال الغريبة، واستنباط الصنائع المختلفة، واستجماع الكمالات المتنوّعة. ومع الجمّة القاطعة على حكمة المدبّر العكيم، وصنعة القدير العليم، فتبارك الله أحسن الخالقين. ﴿ أَفَلَا تَبْعِرُونَ ﴾ تنظرون نظر من يعتبر.

﴿ وَفِي السَّمَآءِ رِزْقَكُمُ ﴾ المراد بالسماء السحاب، وبالرزق المطر، فإنّه سبب الأقوات. وعن الحسن: أنّه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم، ولكنّكم تحرمونه لخطاياكم. ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الثواب، لأنّ الجنّة فوق السماء السابعة تحت العرش. أو أراد: أنّ ما ترزقونه في الدنيا، وما توعدون به في العقبى، كلّه مقدّر مكتوب في أمّ الكتاب، أعنى: اللوح المحفوظ، وهو في السماء.

وقيل: إنّ قوله: «ما توعدون» مستأنف، خبره ﴿فَوَرَبُ السُّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنّهُ لَحَقَّ وَعَلَى الله ولما ذكر من لَحَقً وعلى هذا فالضمير لاها». وعلى الأوّل يحتمل أن يكون له، ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعد. ﴿مِثْلُ مَا انّتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ أي: مثل نطقكم. يعني:كما أنّه لا شكّ لكم في أنكم تنطقون، ينبغي أن لا تشكّوا في تحقّق ذلك. ونصبه على الحال من المستكن في «لحق»، أو الوصف لمصدر محذوف، أي: إنّه لحق حقاً مثل

<sup>(</sup>١) أي: صلب ويبس.

٤٧٢ ..... زيدة التفاسير ـج٦

نطقكم. وقيل: إنّه مبنيّ على الفتح، لإضافته إلى غير متمكّن، وهو لفظة «ما» إن كانت بمعنى: شيء، و«أنّ» بما في حيّرها إن جعلت زائدة، كما نصّ الخليل عليه. وهذا كقولك: إنّ هذا لحقّ كما أنّك ترى وتسمع. ومحلّه الرفع عــلى أنّـه صـفة «لحقّ». ويؤيّده قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر بالرفع.

وعن الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابيّ على قعود (١) له، فقال: من الرجل؟

قلت: من بني أصمع.

قال: من أين أقبلت؟

قلت: من موضع يتلي فيه كلام الرحمٰن.

قال: أتل عليّ.

فتلوت «والذاريات». فلمّا بلغت قوله: «وفي السماء رزقكم» قال: حسبك. فقام إلى ناقته فنحرها، ووزّعها على من أقبل وأدبر، وعـمد الى سيفه وقـوسه فكسرهما وولّى. فلمّا حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يـهتف بـي بصوت دقيق، فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابيّ قد نـحل واصـفرّ، فسـلّم عـليّ واسـتقرأ السورة، فلمّا بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً.

ثمّ قال: وهل غير هذا؟ فقرأت «فوربّ السماء والأرض إنّه لحقّ».

فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدّقوه بقوله حتّى ألجأوه إلى اليمين. قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه.

هَلْ أَنَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلِيَّ أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجُلِ

<sup>(</sup>١) القَعُود: البكر من الإبل إلى أن يُثنى.

سَمين ﴿٢٦﴾ فَقَرَّتُهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مَنْهُمْ خيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفُ وَبَشَرُوهُ بِغُلامِ عَلِيمِ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَت آمْرَأَتُهُ في صَرَّة فَصَكَّتُ وَجْهَهَا وَقَالَتُ عَجُوزٌ عَقيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلَكَ قَالَ رَّبُك إِنَّهُ هُوَ الْحَكيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوآ أِنَّاۤ أَرْسُلْنَاۤ إِلَى قَوْم مُّجُومِينَ ﴿٣٦﴾ لَنُوسُلَ عَلَيْهِمْ حجَارَةٌ مَّن طين ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عندَ رَّبِكَ للمُسْرُفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مَنَ الْمُؤْمِنينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكُنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَحَافُونَ الْعَذَابَ الأَليمَ ﴿٣٧﴾

ولمّا قدّم الوحد والوعيد. عقّب ذلك بذكر بشارة إبراهيم ومهلك قــوم لوط. تبشيراً لنبيّهﷺ، وتخويفاً للكفّار أن ينزل بهم مثل ما أنزل بأولئك. فقال:

﴿هَلْ اَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الانسان بخبر ماضٍ فيه شأن، فيقال: هل أتاك خبر كذا؟ وإن علم أنّه لم يأته. ففيه تفخيم لشأن الحديث، وتنبيه على أنّه ليس من علم رسول الله، وإنّما عرفه بالوحي.

والضيف في الأصل مصدر: ضافه، ولذلك يطلق عــلى الواحــد والمــتعدّد.

كالزور والصوم (١١) وكانوا اثني عشر ملكاً. وقيل: تسعة، وعاشرهم جبرئيل. وقيل: ثلاثة: جبرئيل، وميكائيل، وملك آخر قيل: هو إسرافيل. وسمّاهم ضيفاً، لأنّمهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم، أو لأنّهم كانوا في حسبانه كذلك.

﴿المُكْرَمِينَ﴾ عند الله ، أوعند إبراهيم ، إذ خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته . أو لاَنهم في أنفسهم مكرمون . ونظيره قوله : ﴿ بَلْ عِبَالُهُ مُكْرَمُونَ ﴾ (٢٠).

﴿إِذْ نَخُلُوا عَلَيْهِ﴾ نصب بالحديث، أو بما في «ضيف» من معنى الفعل، أو بالمكرمين، أو بإضمار: اذكر ﴿قَقَالُوا سَلَاماً﴾ أي: نسلّم عليك سلاماً ﴿قَالَ سَلَامَ﴾ أي: عليكم سلام. عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات، حتى تكون تحيّنه أحسن من تحيّنهم. وهذا أيضاً من إكرامه لهم. وقرأ حمزة والكسائي: قال سلم. ﴿قَوْمُ مُنكُرُونَ﴾ أي: أنتم قوم. وإنّما أنكرهم لأنّه ظنّ أنهم بنو آدم ولم يعرفهم، أو لأنّ السلام لم يكن تحيّنهم، فإنّه علم الاسلام. أو لأنّه رآى لهم حالاً وشكلاً خلاف حال الناس وشكلهم. وهو كالتعرّف عنهم، أي: أنتم قوم منكرون، فعرّفوني من حالة اثنه؟

﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيفه، فإنَّ من أدب المضيف أن يبادر بالقرى، حذراً من أن يكفّه الضيف أو يعذره أو يصير منتظراً ﴿ فَجَآةَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ لأنّه كان عامّة ماله البقر.

﴿ فَقَرْبَهُ إِنْفِهِمْ ﴾ بأن وضعه بين أيديهم ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: سنه. وهو مشعر بكونه حنيذاً " الهمزة فيه للعرض والحتّ على الأكل على طريقة الأدب، إن قاله المضيف أوّل ما وضعه عند الضيف، وللإنكار إن قاله حينما رأى إعراضهم.

<sup>(</sup>١) الزَّوْرِ: الزائر للمفرد والمثنَّى والجمع. والصوم: الصائم للمفرد والجمع.

<sup>(</sup>٢) الأنبياء: ٢٦.

<sup>(</sup>٣) أي : مشويّاً . من : حَنَدْ اللحم : شواه وأنضجه .

﴿ فَاوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةُ ﴾ فأضمر منهم خوفاً لتا رأى إعراضهم عن طعامه، وظنّ أنّهم يريدون به سواءً. وعن ابن عبّاس: وقع في نفسه أنّهم ملائكة أرسلوا للعذاب. ﴿ قَالُوا لاَ تَخَفّ ﴾ إنّا رسل الله. قيل: مسح جبرئيل العجل بجناحه، فقام يدرج حتّى لحق بأمّه، فعرفهم وأمن منهم ﴿ وَبَشْرُوهُ بِفَلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ يكمل علمه إذا بلغ. والمبشّر به هو إسحاق. وهو أكثر الأقاويل وأصمّها، لأنّه من سارة، والصفة صفتها في هذه القصّة، لا هاجر، وعن مجاهد: هو إسماعيل.

﴿ فَأَفْبَلَتِ امْرَاتُهُ ﴾ سارة إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم ﴿ فِي صَرَّةٍ ﴾ في صيحة. من: صرّ القلم والباب، ومنه: الصرير. وقيل: صرّتها قولها: أوَّه. وعن عكرمة: رتّتها (۱۰). والمعنى: أخذت تصيح وتولول، كما قال: ﴿ قَالَتَ يَا وَيُلْتَنَى (۱۲). ومحلّه النصب على الحال، أي: فجاءت صارّة، أو السفعول إن أوَّل «أقبلت» با أخذت. ﴿ فَصَحَتْ وَجَهَهَ ﴾ فلطمت بأطراف الأصابع بعد بسط يديها جبهتها، فعل المتعجّب، وأصل الصكّ ضرب الشيء بالشيء العريض، وقيل: وجدت حرارة دم الطمت فلطمت وجهها من العياء. ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ أي: أنا عجوز عاقر فكيف ألد؟

﴿قَالُواكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الذي بشّرنا به ﴿قَالَ رَبُكِ﴾ أي: إنّما نخبرك به عنه، والله قادر على ما تستبعدين ﴿إِنّهُ هُوَ الْمَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ فيكون قبوله حقاً، وفعله محكماً. وروي: أنّ جبرئيل قال لها في حال استبعادها: انظري إلى سقف بيتك. فنظرت فإذا جذوعه مورّقة مثمرة.

ولمّا علم إبراهيم على أنّهم ملائكة. وأنّهم لا ينزلون مجتمعين إلّا لأمر عظيم ﴿قَالَ فَمَا خَطْنُكُمْ﴾ .

<sup>(</sup>١) الرِّنَّةُ: الصوت عموماً، أو الصوت الحزين.

<sup>(</sup>۲) هو د : ۷۲.

﴿ قَالُوا إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْوِمِينَ﴾ عاصين لله ، كافرين لنعمه ، استحقّوا العذاب والهلاك . وأصل الجرم القطع . فالمجرم القاطع للواجب بالباطل . فهؤلاء أجرموا ، بأن قطعوا الإيمان بالكفر . يعنون قوم لوط .

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجْازَةُ مِن طِينِ﴾ يريد السجّيل، فإنّه طين طبخ كما يطبخ الآجرّ حتّى صار في صلابة الحجارة ﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ مرسلة. من: أسيمت الماشية إذا أرسلت للرعي. أو معلمة، من السومة. وهي العلامة، على كلَّ واحد منها اسم من يهلك به. وقيل: أعلمت بأنّها من حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تعدل على أنّها ليست من حجارة الدنيا. ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ المجاوزين الحدّ في الفجور. قيل: أرسلت الحجارة على الفائين، وقلبت القرية بالحاضرين.

﴿ فَالْحَرْجُنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قرى قوم لوط. وإضمارها، ولم يجر ذكرها، لكونها معلومة. ﴿ مِنَ النَّقُومِنِينَ ﴾ متن آمن بلوط. وذلك قوله: ﴿ فَاسْرِ بِالْهَلِكَ ﴾ (١) الآية. وذلك أنَّ الله تعالى أمر لوطاً بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم المذاب.

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ﴾ غير أهل بيت ﴿ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قيل: هم لوط وابنتاه. وقيل: أهل بيته اللذين نجوا ثلاثة عشر. واستدلّ به على اتحاد الاسلام والإيمان. وهو ضعيف، لأنّ ذلك لا يقتضي إلّا صدق المؤمن والمسلم على من اتّعه، وذلك لا يقتضي اتّعاد مفهوميهما، لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة.

﴿ وَتَرَخْنَا فِيهَا﴾ وأبقينا في قرى قوم لوط ﴿ آيَةً ﴾ علامة ﴿ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أي: علامة تدلّ على أنْ الله أهلكهم، فيخافون مثل عذابهم، فإنّهم المعتبرون بها دون القاسية قلوبهم. وهي تلك الأحجار، أو صخرة منضودة فيها، أو ماء أسود منتن.

<sup>(</sup>۱) هود: ۸۱.

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فَرْعَوْنَ بِسُلْطَانِ شَينِ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَى بِرُكُهِ
وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَتَبَدْنَاهُمْ فِي الْيَمْ وَهُوَ
مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَاد إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن
شَيْءٍ أَتَتُ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَّتُهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤١﴾ وَفِي ثَنُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّعُوا
حَتَّى حِينِ ﴿٣٤﴾ فَعَنَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ
﴿٤١﴾ فَمَا آسْتَطَاعُوا مِن قَيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبلُ

ثمّ بيّن ما نزل بالأمم الأخرى. فقال مبتداً بقصّة موسى وفرعون الّتي هـي أشهر القصص وأكثرها عبرة. فقال عطفاً على ﴿وَفِي الأرض﴾ (١):

﴿ وَفِي مُوسَىٰ﴾ أي: وفي موسى أيضاً آية. أُو عـلى «وتـركنا فـيها» أي: وجعلنا في موسى، كقوله: علفتها تبناً وماءً بارداً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِزْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُعِينٍ﴾ بحجّة ظاهرة. وهي: معجزاته، كاليد والعصا.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُخْفِهِ﴾ أي: فأعرض عن الايمان بما كان يتقوّى به من جنوده وملكه، فإنَّ الركن اسم لما يركن إليه الشيء ويتقوّى به. أو تولَّى عن الإيمان، كقوله: ﴿وَقَالَ سَاحِرَ ﴾ أي: هـ وساحر ﴿أو

<sup>(</sup>١) الذاريات: ٢٠.

<sup>(</sup>٢) الإسراء: ٨٣.

٤٧٨ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

مَجْنُونَ﴾ كأنّه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوباً إلى الجنّ. وتردّد فـي أنّـه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما.

﴿ فَاخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمْ ﴾ فأغرقناهم في البحر ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ آتٍ بما يلام عليه من الكفر والعناد. والجملة حال من الضمير في «فأخذناه».

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ أي: الريح الَّتي لا خير فيها. وعقمت عن أن تأتي بخير، من تنشئة سحاب، أو تلقيح شجر، أو تذرية طعام، أو نفع حيوان، فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة. أو هي ريح الهلاك. وسمّاها عقيماً إمّا لأنّها قطعت دابرهم، أو لأنّها لم تتضمّن منفعة.

وعن ابن عبّاس: هي الدبور. وعـن ابـن المسـيّب: هـي الجـنوب. وعـن أمير المؤمنينﷺ: هي النكباء<sup>(١)</sup>.

﴿ مَا تَذَوُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ ما تترك هذه الرّبِح شيئاً مرّت عليه ﴿ إِلّا جُعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ كالشيء الهالك البالي. وهو نبات الأرض إذا يبس وديس. من: رمّ إذا بلى وتفتّت.

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ تفسيره قوله: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ دَلَاثَةَ أَيُّامِ (٣).

﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿ فَاخَدَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ أي: العذاب بعد الثلاث. وقرأ الكسائي: الصعقة. وهي المرّة، من مصدر: صعقتهم العماعقة. والصاعقة: النازلة نفسها. ﴿ وَهُمْ يَمْظُرُونَ ﴾ إليها، فإنّها جاءتهم معاينة بالنهار. روي: أنّ العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرّتهم.

<sup>(</sup>١) ربح نَكْبَاءُ: انحرفت عن مهابّ الرياح ووقعت بين ربحين ، مثلاً بين الصبا والشمال . ...

<sup>(</sup>۲) هود: ٦٥.

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ كقوله: ﴿ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴾ (١). وقيل: هو من قولهم: ما يقوم به، إذا عجز عن دفعه. ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ ممتنمين من العذاب. وقيل:ماكانوا طالبين ناصراً يمنعهم من عذاب الله.

﴿ وَقَوْمَ مُوحٍ ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح، لأنّ ما قبله يدلّ عليه. أو اذكر. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالجرّ، عطفاً على محلّ «في عاد». والمعنى: وفي قوم نوح. ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿إنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان، فاستحقّوا لذلك الإهلاك.

وَالسَّمَآءُ بَنَیْنَاهَا فِأَید وَاِیَّا لَنُوسِعُونَ ﴿٤٠﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعُمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلَّ شَيْءٍ خَلَفْنَا رَوْجَیْنِ لَمَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفْرُوا إِلَى اللَّهِ اِنِّي لَكُم مَنْهُ نَذْيرٌ تَّمِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ إِنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

ولتا قال: «وفي الأرض آيات للموقنين» «وفي السماء رزقكم». بيّن بمعد ذلك أنّ السماء والأرض من مصنوعنا، فهما وما وقع بينهما الدلائل المسلجئة إلى الاعتراف بأنّ لهما صانعاً عالماً قادراً، فقال:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا مِائِدٍ ﴾ أي: بقوّة، فإنّ الأيد والآد القوّة. يقال: قد آد يئيد، وهو أيّد. ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ ﴾ لقادرون. من الوسع بمعنى الطاقة. وعن الحسن: الموسعون الرزق بالمطر. وقيل: معناه: جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

<sup>(</sup>١) الأعراف: ٧٨.

﴿ وَالْأَرْضُ فَرْشَنَاهَا﴾ مهدناها لتستقرّوا عليها ﴿ فَيَعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ أي: نحن. ﴿ وَمِن كُلُ شَيْءٍ ﴾ من الحيوان ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَنِنِ ﴾ ذكراً وانثى. أو ومس كُلُ شيء من الأجناس خلقنا نوعين. ويؤيده ما روي عن الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبرّ والبحر، والموت والحياة. فعدد أشياء أخر وقال: كلّ اثنين منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له. ﴿ لَعَلَكُمْ تَذَكُرُونَ ﴾ أي: فعلنا ذلك كلّه، من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج، إرادة أن تتذكّروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه، وتعلموا أنّ التعدّد من خواصّ الممكنات، وأنَّ الواجب بالذات لا يقبل التعدّد والانقسام.

﴿ فَقِرُوا إِلَى اللهِ ﴾ أي: قل يا محمد: ففرّوا من معصيته وعقابه إلى رحسته وثوابه، بوسيلة الإيمان والتوحيد وإخلاص الطاعة وملازمة العبادة. وقيل: فغرّوا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته، ويقطعكم عنا أمركم به. وعن الصادق ﷺ معناه: حجّوا. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ ﴾ من عذابه المعدّ لمن أشرك أو عصى ﴿ فَنِينَ مُهِنَى ﴾ أو مبين ما يجب أن يحذر عنه.

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِنْهَا آخَوَ ﴾ إفراد لأعظم ما يجب أن يفرّ به ﴿ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ فَذِينَ مُبِينٌ ﴾ تكرير للتأكيد. أو الأوّل مرتّب على ترك الإيمان والطاعة، والشاني على الإشراك.

كَذَلكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلهِم مِن رَّسُولِ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ ٥٠﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿ ٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿ ٤٠﴾ وَذَكِرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٥٠﴾ وَمَا خَلَفْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَغْبُدُونِ ﴿٥٩﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِن رَزْق وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطِعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ دُو الْقَوَّةِ الْمَتْينُ ﴿٥٥﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَاهِمْ فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوْلِلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ذلك.والإشارة إلى تكذيبهم الرسول، وتسميتهم إيّاه ساحراً أو مجنوناً. ثمّ فسّر ما أجمل بقوله: ﴿ مَا اتّى الّذِينَ مِنْ فَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلّا قَالُوا سَاحِراً أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ولا يصحّ أن تكون الكاف منصوبة ب«أتى» لأنّ «ما» النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. ولو عملت لكان المعنى: مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلّا قالوا ساحر أو مجنون.

﴿ أَتَوْاصُوْا بِهِ ﴾ أي: كأنّ الأوّلين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول، حتى قالوه جميعاً متفقين عليه. والهمزة للتوبيخ. ﴿ بَلْ هُمْ هَوْمُ طَاعُونَ ﴾ القول، حتى قالوه جميعاً متفقين عليه. والهمزة للتوبيخ. ﴿ زَمَان واحد، لتباعد أيّامهم \_ إضراب عن أنّ التواصي جامعهم \_ لأنّهم لم يتلاقوا في زمان واحد، لتباعد أيّامهم \_ إلى أنّ الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطفيان الحامل عليه. والمعنى: أنّهم لم يتواصوا به، بل جمعتهم الملّة الواحدة، وهي الطفيان.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن مجادلتهم بعد ماكرّرت عليهم الدعوة فـلم يجيبوا، وعرفت منهم العناد واللجاج ﴿فَقا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ على الإعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ، بل اللائمة والذمّ عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم إليه.

روي: أنّه لمّا نزلت «فتولٌ عنهم» حزن رسول الله ﷺ، واشتدٌ ذلك عـلـى أصحابه، ورأوا أنّ الوحـي قد انقطع، وأنّ العذاب قد حضر، فأنزل الله تعالى: ٤٨٢ ..... زيدة التفاسير ــج ٦

﴿ وَنَكُرُ ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿ فَانَّ الذَّكْوَىٰ تَـنَفَعُ الْـمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: تؤثّر في الذين عرف الله منهم أنّهم يدخلون في الإيمان. أو يزيد الداخــلين فــيه إيماناً.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ إلّا لأجل العبادة، أي: لم أرد من جميعهم إلّا إيّاها، مختارين لها لا مضطرّين إليها، لأنّه خلقهم ممكّنين، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم.

وخلاصة المعنى: أنّ الغرض في خلقهم تعريضهم للتواب، وذلك لا يعصل إلّا بأداء العبادات، فصاروا كأنّهم خلقهم الله للعبادة. فإن لم يعبده قوم لم يبطل الغرض، ويكون كمن هيّاً طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه، فحضروا ولم يأكله بعضهم، فإنّه لا ينسب إلى السفه، ويصحّ غرضه، فإنّ الأكل موقوف على اختيار الغير، فكذلك هاهنا، فإنّ الله إذا أزاح على المكلّفين، من القدرة والآلة وإعطاء الألطاف، وأمرهم بالعبادة، فمن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه.

وشأن الله تعالى مع عباده ليس كشأن السادة مع عبيدهم، فإنَّ ملَّك العبيد إنَّما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم، فإنَّ العبد إمَّا مجهّز في تجارة ليفي ربحاً، أو مرتّب في فلاحة ليغتلُّ (١) أرضاً، أو مسلّم في حرفة لينتفع

<sup>(</sup>١) اغْتَلَّ الأرض: أخذ غلَّتها.

بالأجرة، أو محتطب، أو محتش (١٠). أو مستقى، أو طابخ، أو خابز، وما اشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرّف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق. فأمّا مالك العبيد وقال لهم: اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم، ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم، وأنا غنيّ عنكم وعن مرافقكم، ومتفضّل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي، فما هو إلّا أنا وحدي، حيث قال عزّ السمه: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ وَزْقٍ وَمَا أُويدُ أَنْ يُطْعِمُونَ إِنَّ الله هُوَ المُؤْقِ الْمَقِينُ ﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق. وفيه إيماء باستغنائه عنه. ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَقِينُ ﴾ شديد القوَّة، أي: البلغ الاقتدار على كلّ شيء.

﴿ فَإِنَّ لِلْذِينَ طَلَقُوا ذَنُوبا ﴾ أِي: للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيباً من العذاب ﴿ مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِم ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الأمم السّالفة اللذين أهلكوا، مثل قوم نوح وعاد وثمود. وهو مأخوذ من مقاسمة السقّاء الماء بالدلاء، فإنّ الذنوب هو الدلو العظيم المملوء. ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ جواب لقولهم: ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعُدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٧).

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ عَقَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ من يوم القيامة ، أو يوم بدر . والويل كلمة يقولها المرب لكلِّ من وقع في الهلكة .

<sup>(</sup>١) احتشّ الحشيش: سعى في طلبه وجمعه.

<sup>(</sup>۲) يس: ٤٨.





## سورة الطور

مكّيّة. وهي تسع وأربعون آية.

أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ومن قرأ سورة الطور كان حقّاً على الله أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعّمه في جنّته».

وعن جبير بن مطعم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فسي المغرب». وروى محمد بن هشام، عن أبي جعفر ﷺ قال: «من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة».

## بِسُمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِنَابِ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقَّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّعْفُ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٤﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِكَ لَوَاقِعْ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِع ﴿٨﴾ يَوْمَ تُمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَسَبِيرُ الْجَبَالُ سَيْرًا ﴿٧﴾ فَوْيلٌ يُوْمَنَذُ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ الْجَبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ وَقُولُ إِلَى فَارٍ جَهَنَّمَ دَعًا ﴿١٣﴾ هَذهِ النَّارُ الَّتِي كَسَمَ

بِهَا تُكَذَّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَآ أَمُّ أَتُثُمُ لاَ تُبُصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَاصْبِرُوآ أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَآ ۖ عَلَيْكُمْ إِنَّا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْنَلُونَ ﴿١٦﴾

ولمًا ختم الله سبحانه سورة الذاريات بالوعيد، افتتح هذه الســورة بــوقوع الوعيد، فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْفَٰنِ الرَّحِيمِ وَالطُّورِ﴾ يريد طور سينين. وهو جبل بمدين، سمع فيه موسى اللهِ كلام الله تعالى. أو مطلق الجبل، أقسم به لما أودع الله فيه من أنواع نعمه. وهو لغة سريائية. أو مأخوذ من: طار من أوج الايجاد إلى حضيض المواذ، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ مكتوب. والسطر ترتيب الحروف المكتوبة. والمراد به القرآن. أو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، أو في ألواح موسى ﷺ، أو في قلوب أوليائه من المعارف والحكم. أو ما تكتبه الحفظة.

﴿ فِي رَقَّ مَنشُورِ﴾ الرقّ: الجلد الذي يكتب فيه حقيقة، أو مستعار لماكتب فيه الكتاب. والمنشور: المبسوط. والمعنى: مكتوب في ورق نشر لقراءة ما فيه. وتنكيرهما للتعظيم، والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس.

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُودِ ﴾ الضراح(١). وهو في السماء الرابعة بحيال الكعبة، لو سقط لسقط عليها. وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة.

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «ويدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك. ثمّ لا يعودون إليه أبدأ».

وعن الزهري، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال:

<sup>(</sup>١) الضُرَاح: بيت في السماء، وهو البيت المعمور.

«البيت المعمور في السماء الدنيا، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان، يدخله جرئيل كلّ يوم طلعت فيه الشمس، وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً، يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه، فيفعلون ثمّ لا يعودون إليه أبداً».

أو المراد الكعبة. وعمارتها بالعمّار والحجّاج والمجاورين. أو قلب المؤمن. وعمارته بالمعرفة والإخلاص.

﴿ وَالسَّقْفِ الْمَوْقُوعِ ﴾ يعني: السماء، فإنّها كالسقف للأرض رفعها الله ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُودِ ﴾ أي: المملوء، وهو المحيط، أو الموقد، من قوله: ﴿ وَإِذَا الْمِحَارُ شُجِّرَتُ ﴾ (١).

قيل: إنّه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً. ثمّ تفجّر بعضها في بعض. ثمّ تفجّر إلى النار. وبرواية أخرى: أنّ الله يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجّر بها نار جهنّم. أو المختلط، من السجير، وهو الخليط.

وروي عن علي ﷺ أنّه سأل يهوديّاً: أين موضع النار في كتابكم؟ قال: في البحر. فقال عليّ ﷺ: ما أراه إلاّ صادقاً، لقوله تعالى: «والبحر المسجور».

وجواب القسم ﴿ إِنَّ هَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ لنازل على المشركين لا محالة ﴿ مَالَهُ مِنْ دَافِع﴾ يدفعه.

قال جبير بن مطعم: أتيت رسول الله ﷺ أكلّمه في الأسارى، فألفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور، فلمّا بلغ «إنّ عذاب ربّك لواقع ما له من دافع» أسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب.

ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنّها أمور تدلّ على كمال قدرة الله وحكمته، وصدق أخباره، وضبطه أعمال العباد للمجازاة.

<sup>(</sup>١) التكوير: ٦.

ثمّ بين سبحانه أنّه متى يقع، فقال: ﴿ يَوْمَ تَعُورُ السَّمَاءُ مَوْراً ﴾ تنظرب. من المور بمعنى التردّد في المجيء والذهاب. وقيل: هو تحرّك في تحرّج. والمائر: الشيء الذي يتردّد في المرض، كالداغصة. وهي لحمة تكون فوق ركبة المعير. وقيل: العظم المدوّر يتحرّك على رأس الركبة. والمعنى: يتمرّج بالدوران، و«يوم» ظرف الاواقع». ﴿ وَتَسْبِيرُ الْجِبَالُ سَيْوا ﴾ أي: تسير عن وجه الأرض، فتصير هباءً حتى تستوى الأرض.

﴿ فَوَيْلُ يَوْمَنِذِ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ذكر الفاء لأنّ في الكلام معنى المجازاة، والتقدير: إذا وقع ذلك فويل لهم ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضِ ﴾ أي: الخوض في الباطل، فإنّه غلب استعماله في الاندفاع في الباطل والكذب. ومنه قوله: ﴿ وَكُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ (١) ﴿ يُلْعَبُونَ ﴾ يلهون بذكره. وهو إنكار البعث وتكذيب النبئ اللهِ اللهُ اللهِ الله

﴿ يَوْمَ يُدَعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَدَّمَ دَعًا ﴾ يدفعون إليها بعنف. وذلك أنَّ الخزنة يغلُون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، فيدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزخاً آلًا في أقفيتهم.

و «يوم» بدل من «يوم تمور»، أو ظرف لقول مقدّر مقوله: ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُم بِهَا تُكَذَّبُونَ ﴾ أي: حين يدفعون إلى النار قال لهم خزنتها هذا القول. وفي حديث أبي موسى: من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنّة، ومن يتبعه القرآن يزخّ في قفاه حتى يقذف به في نار جهنّم.

ثمّ وبخوهم لمّا عاينوا المذاب فقالوا لهم: ﴿ أَفْسِحْرُ هَذَا﴾ أي: كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، أفهذا المصداق أيضاً سحر؟ ودخول الفاء الإفادة هذا المعنى. وتقديم الخبر الأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ. ﴿ أَمْ أَنتُمْ لاَ تُنْصِرُونَ ﴾ هذا أيـضاً،

<sup>(</sup>١) المدّر: ٤٥.

<sup>(</sup>٢) زَخُّه: دفعه.

كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدلّ عليه؟ أم سدّت أبصاركم. كما سدّت فـي الدنيا على زعمكم حين قلتم: إنّما سكّرت أبصارنا؟

﴿اصْلَوْهَا فَاصْدِرُوا أَوْ لَا تَصْدِرُوا﴾ أي: ادخلوها على أيّ وجه شئتم من الصبر وعدمه، فإنّه لا محيص لكم عنها ﴿سَوَآءَ عَلَيْكُمْ﴾ مبتدأ محذوف خبره، أي: سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه.

ثمّ علّل استواء الأمرين بقوله: ﴿إنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لمّا كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيّين في عدم النفع. وتحقيق المعنى: أنّ الصبر إنّما يكون له مزيّة على الجزع لنفعه في العاقبة، بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأمّا الصبر على العذاب الذي هو الجزاء \_ولا عاقبة له ولا منفعة \_فلا مزيّة له على الجزع.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكَهِنَ بِيمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَالشُرُبُوا هَنيَّنَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُثَكِّينَ عَلَى سُرُر مَصْفُوفَة وَزَوَجْنَاهُم بِحُورَ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالذِينَ آمَنُوا وَتَبَعَثُهُمْ ذُرَّيَتُهُم وَمَآ ٱلنَّنَاهُمَ مِّنْ عَمَلِهِم مِن شَيْءٍ كُلُّ آئْرِي بِمَا كُسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَشْدَدُنَاهُم بِفَاكُهَة وَلَحْمٍ مَمَّا يَشْتُهُونَ ﴿٢٢﴾ آثرِيْ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَشْدَدُنَاهُم بِفَاكُهَة وَلَحْمٍ مَمَّا يَشْتُهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كُلُّ اللَّهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَثْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَالْوَلَ ﴿٢٢﴾ وَالْوَلَ عَلَيْهِمْ عَلَمَانٌ لَهُمْ

إِنَّا كُثَا قَبْلُ فِي َ أَهْلِنَا مُشْفَقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٧٧﴾ إِنَّا كُنًا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٧٨﴾

ولمّا أوعد سبحانه الكافرين وعد المؤمنين عقيبه، فقال: ﴿إِنَّ الْـ مُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ في أيّة جنّات وأيّ نعيم، بمعنى الكمال في الصفة. أو في جـنّات ونعيم مخصوصة.

﴿ فَاكِيِينَ ﴾ ناعمين متلذّذين ﴿ يِهَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ بما أعطاهم من أنواع النعيم ﴿ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَدِيمِ ﴾ عطف على «في جنّات» أو «آتاهم» إن جعل «ما» مصدريّة. والمعنى: فاكهين تإيتائهم ربّهم ووقايتهم عذاب الجحيم. أو حال بإضمار «قد» من المستكن في الظرف أو الحال ، أو من فاعل «آتى» أو مفعوله أو منهما.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَـنِيثا ﴾ أي: يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً، أو طعاماً وشراباً هنيئاً، وطعاماً وشراباً هنيئاً، وهو الذي لا تنفيص فيه ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بسببه أو بدله. وقيل: الباء زائدة، كما في ﴿ كَفّى بِللله ﴾ (١)، و«ما» فاعل «هنيئاً». والمعنى: هنيئاً لكم ما كنتم تعملون، أي: جزاؤه.

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُدٍ مَضَفُوفَةٍ ﴾ مصطفة. أي: موصول بعضها ببعض ﴿ وَزَوْجْنَاهُمْ بِحُودٍ عِينٍ ﴾ بنساء بيض نقيّات في حسن وكمال ، واسعات الأعين في صفاء وبهاء. والباء للسببيّة، إذ المعنى: صيّر ناهم أزواجاً بسببهنّ. أو لما في الترويج من معنى الوصلة والإلصاق والقرن. ولذلك عطف قوله: ﴿ وَالَّـذِينَ آمَـنُوا ﴾ على «حور» أي: قرناهم بأزواج حور وبالرفقاء والجلساء من المؤمنين، كقوله:

<sup>(</sup>١) النساء: ٦، وغيرها.

﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (١). فيتمتّعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بـمؤانسـة الإخوان من المؤمنين.

وعن زيد بن أرقم: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله فقال: يا أبــا القاسم إنَّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون؟ فقال: والّذي نفسي بيده إنّ الرجل مـنهم ليؤتى قوّة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع. قال: فإنّ الّذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة. فقال: عرق يفيض مثل ربح المسك، فإذا كان ذلك ضمر بطنه.

وقيل: الموصول مبتدأ خبره: «ألحقنا بهم».

ويعقوب: ذُرِّيَّا تُهُمْ بالجمع وضم التاء، للمبالغة في كثر تهم والتصريح، فإنّ الذريّة تقع على الواحد والكثير. وقرأ أبو عمرو: وَأَثْبَقْنَاهُمْ ذُرِّيَّا تِهِمْ، أي: جعلناهم تابعين تقع على الواحد والكثير. وقرأ أبو عمرو: وَأَثْبَقْنَاهُمْ ذُرِّيَّا تِهِمْ، أي: جعلناهم تابعين لهم في الايمان. وقبل: «بإيمان» حال من الضمير، أو من الذريّة، أو منهما. وتنكيره للتعظيم، أي: بسبب إيمان عظيم رفيع الشأن، وهو إيمان الآباء. ويجوز أن يراد إيمان الذريّة الداني المحلّ. كأنّه قال: بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء العقاهم، أو الاشعار بأنّه يكفي للإلحاق المتابعة في أصل الإيمان.

﴿ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيْتَهُمْ﴾ الصغار والكبار في دخول الجنّة أو الدرجة. أمّا الكبار فيتّبعون الآباء بإيمانٍ منهم. وأمّا الصغار فيتّبعونهم بإيمان من الآباء، فإنّ الولد يحكم له بالاسلام تبعاً لوالده، لما روي مرفوعاً أنّه ﷺ قال: «إنّ الله يرفع ذرّيّة المؤمن في درجته وإن كانوا دونه، لتقرّ بهم عينه، ثمّ تلا هذه الآية».

وعن الصادق ﷺ أنّه قال: «أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة». وروى زاذان عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنّة، ثمّ قرأ هذه الآية».

<sup>(</sup>١) الحجر: ٤٧.

٤٩٢ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعاداتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين. وبمؤانسة الإخوان السؤمنين، وباجتماع أولادهــم ونســلهم بــهم، وإن كــانوا لا يستأهلونها، تفضّلاً عليهم وعلى آبائهم، ليتمّ سرورهم ويكمل نعيمهم.

وقرأ نافع وابن عامر والبصريّان: ذرّيّاتهم.

﴿ وَمَا الْتَنَاهُمُ ﴾ ومانقصناهم ﴿ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَمْنِ ﴾ بهذا الإلحاق . أي : ما نقصنا من ثواب عملهم شيئاً نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم ، بل إنّما ألحقناهم بهم على سبيل التفضّل . وقرأ ابن كثير بكسر اللام ، من : ألِتَ يألَت . والمعنى واحد . ﴿ كُلُّ امْدِي عِنهَ كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ بعمله ، مرهون عند الله . كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الذي هو مطالب به ، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه ، فإن عمل صالحاً فكّها وخلّصها ، وإلا أوبقها .

﴿ وَأَمْنَدْنَاهُمْ ﴾ وزدناهم ﴿ بِفَاكِهَةٍ ﴾ بجنس الفاكهة، فإنّ الإمداد الإتيان بالشيء بعد الشيء ﴿ وَلَحْمٍ ﴾ وجنس اللحوم ﴿ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ من أنواع النعم الشهيّة اللذيذة.

﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا ﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم - من ذرّيّاتهم وإخوانهم - بتجاذب ﴿ كَاسَا﴾ لا يتكلّمون بلغو بتجاذب ﴿ كَاسَا﴾ لا يتكلّمون بلغو الحديث وما لا طائل تحته في أثناء شربها ﴿ وَلَا تَأْشِيمٌ ﴾ ولا يفعلون ما يؤثّم بمه فاعله، أي: ينسب إلى الاثم، كما هو عادة الشاربين في الدنيا ذلك، من الكذب والشتم والفواحش، مثل قوله تعالى: ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ ﴾ (١٠). وإنّما يتكلّمون بالحكم والكلام الحسن متلذّذين بذلك، لأنّ عقولهم ثابتة غير زائلة، وهم حكماء علماء. وقرأ أبن كثير والبصريّان بالفتح.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: بالكأس ﴿ غِلْمَانٌ لَهُمْ ﴾ مماليك مخصوصون بهم.

<sup>(</sup>١) الصافّات: ٤٧.

وقيل: هم أولادهم الذين سبقوهم. ﴿ كَانَهُمْ لُؤَلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ مصون في الصدف، من بياضهم وصفائهم، لأنّه لا يخزن إلا بياضهم وصفائهم، لأنّه رطباً أحسن وأصفى وأصبح. أو مخزون، لأنّه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة. وعنه ﷺ: «والّذي نفسي بيده إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

وعنه ﷺ: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة من ينادي الخادم من خدّامه. فيجيبه ألف ببابه: لبّيك لبّيك».

وقيل: إنّه ليس على الغلمان مشقّه في خدمة أهل الجنّه، بل لهم في ذلك اللذّة والسرور، إذ ليس تلك الدار دار محنة.

﴿ وَاقْبُلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يتحادثون، ويسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أرقاء القلوب من خشية الله، خائفين من عصيان الله، معتنين بطاعته. أو وجلين من العاقبة.

﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ بالرحمة والتوفيق ﴿ وَوَقَانَا عَدَابَ السَّمُومِ ﴾ عذاب النار النافذة في المسامّ نفوذ السموم، وهو الريح الحارّة الّتي تدخل المسامّ. فسمّيت بها نار جهتّم، لأنّها بهذه الصفة.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل ذلك في الدنيا ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ نعبده، أو نسأله الوقاية ﴿إِنَّهُ هُوَ البَرُّ ﴾ المحسن. وقرأ نافع والكسائي: أنَّـه بـالفتح. ﴿الرَّحِيمُ ﴾ الكشير الرحمة، الذي إذا عبد أثاب، وإذا سئل أجاب.

فَذَكْرُ فَمَا ۚ أَنتَ بِنِعْمَت رَبِكَ بِكَاهِنِ وَلاَ مَجْنُونِ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبُّصُ بِهِ رَبِبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحُلاَمُهُم بِهَذَا آَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَعُولُونَ تَعَوَّلُهُ بَلِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ خُلِقُوا بِحَديث مَثْله إِن كَانُوا صَادَقِينَ ﴿٣٣﴾ أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَات وَالأَرْضَ بَلَ لاَ يُوثِنُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَمًا مَن مُمْ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَمًا مَن مُمْ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَمًا مَن مُبَينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ الْمُعَنْمُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمَعُهُم بِسُلُطَانِ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ سَلَمُهُم أَجُرًا فَهُم مِن مَعْزَمٍ مُنْقَلُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ عَددَهُمُ الْنَعُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَمُ الْمَكِيدُونَ اللّهِ عَندَهُمُ الْمُعَيْمِ اللّهِ عَنّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ لَمُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ لَمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٤٤﴾

﴿ فَذَكُرُ﴾ فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم، ولا تكترث بقولهم ﴿ فَمَا الْنَهُ بِنِشْمَةٍ رَبِّكَ﴾ بحمد الله وإنمامه ﴿ بِكَاهِنِ وَلا مَجْنُونِ ﴾ كما يقولون: ولا تبال به، فإنه قول باطل متناقض، لأنّ الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقّة نظر، والمجنون مغطّى على عقله. وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوّة ورجاحة العقل أحد هذين.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبُّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ ما يقلق النفوس من حوادث الدهر. وقيل: المنون الموت. فعول من: منه إذا قطعه. يعني: فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء، كزهير والنابغة وغيرهما.

﴿قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُقَرِّبُمِينَ﴾ أتربّص هلاككم كما تـتربّصون هلاكي. والمراد بالأمر التهديد، نحو: ﴿اغْمَلُوا مَا شِيئْتُمْ ﴾ ١٠].

﴿ أَمْ تَأْمُوْهُمْ أَخْلَاهُهُهُ عَقولهم ﴿ بِهَذَا ﴾ التناقض في القول، فإنّ الكاهن يكون ذا فلام موزون يكون ذا فلام موزون يكون ذا فلام موزون متسق مخيّل، ولا يتأتّى ذلك من المجنون. وأمر الأحلام به مجاز عن أدائها إليه، كقوله تعالى: ﴿ اصَلَوَاتُكَ تَأْمُوكَ أَن نَقْرُكَ مَا يَعْتُهُ آبَاؤُنا ﴾ (٢٠). وفي ذكرها إزراء بعقولهم، حيث لم تثمر لهم معرفة الحقّ من الباطل، مع أنّهم معروفون بأهل الأحلام والنهى. ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَافُونَ ﴾ مجاوزون الحبّ في العناد مع ظهور الحقّ لهم.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلُهُ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بَلَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم، مع علمهم ببطلان قولهم وأنّه ليس بمتقوّل، لسجز العرب عنه.

﴿ فَلْيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ مثل القرآن وما يقاربه في نظمه وفصاحته، وحسن بيانه وبراعته ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في زعمهم أنّ محمّداً تقوّله، إذ فيهم كثير ممّن عدّوا فصحاء. فهذا ردّ للأقوال المذكورة بالتحدّي.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَم أُحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر، فلذلك لا يعبدونه. أو من أُجل لا شيء، من عبادة ومجازاة، وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ يؤيد الأوّل، فإنّ معناه: أم خلقوا أنفسهم. ولذلك عقبه بقوله: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ و«أَم» في هذه الآيات منقطعة. ومعنى الهمزة فيها الإنكار، ﴿بَلُ لا يُوقِئُونَ ﴾ إذا سئلوا من خلقكم؟ ومن خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، إذ لو أيقوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته.

<sup>(</sup>١) فصّلت: ٤٠.

<sup>(</sup>٢) هود: ۸۷.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ خزائن رزقه حتّى يسرزقوا النبوّة من شاؤا. أو خزائن علمه حتّى يختاروا النبوّة من اختارته حكمته. ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي: الأرباب المسلّطون الغالبون على الأشياء حتّى يدبّروا أمر الربوبيّة، ويبتّوا الأمور على إرادتهم كيف شاؤا. وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين. وحسزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاء. والباقون بالصاد الخالصة.

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَمْ﴾ مرقى ومصعد إلى السماء ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب، حتّى يعلموا ما هو كائن، من تقدّم هلاكه على هلاكهم، وظفرهم في العاقبة دونه، كما يزعمون ﴿ فَلْيَاتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَان مُبِينَ ﴾ بحجّة واضحة تصدّق استماعه.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ فيه تسفيه لأحلامهم، إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه. وهذا غاية في جهلهم، إذ جوّزوا عليه سبحانه الولد، ثمّ ادّعوا أنّه اختار الأدون على الأعلى. وإشعار بأنّ من هذا رأيه لا يعدّ من العقلاء، فضلاً أن بترقى بروحه إلى عالم الملكوت فيتطلّم على الفيوب.

﴿ أَمْ تَسْالُهُمْ أَجْراً ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ فَهُمْ مِنْ مَـفَرَمٍ ﴾ مـن التـزام غـرم ﴿ مُثْقَلُونَ ﴾ محمّلون الثقل، فزهّدهم ذلك في اتّباعك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْقَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ المثبتة فيه المغيّبات ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ حنّى يقولوا لا نبعث، وإن بعثنا لا نعذّب.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً﴾ مكراً بك، وتدبير سوء في بابك سرّاً، كما دبروه في دار الندوة برسول الله كالله و المنصوص. الندوة برسول الله كالله و الخصوص. فيكرن وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم، والدلالة على أنّه السوجب للحكم المذكور ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المجزيّون بكيدهم، فإنّ ضرر ذلك يحيق بهم ويعود عليهم. وهو قتلهم يوم بدر. أو المغلوبون في الكيد، من: كايدته فكدته.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلٰهُ غَيْرُ اللهِ ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سُنِحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم، أو شركة ما يشركون به.

وَإِن يَرَوْا كَسُفًا مَنَ السَّمَاءَ سَاقطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤١﴾ فَذَرُهُمْ حَتَى يُلاَقُوا يَوْمُهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤١﴾ يَوْمُ لاَ يُعْنِي عَنْهُمْ فَذَرُهُمْ حَتَى يُلاَقُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ كَدُهُمْ شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلْمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكَنَ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرُ لِحُكْمِ رَبِكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُننَا وَسَبِحُ وَيَحَمْدِ رَبِكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُننَا وَسَبِحُ وَيَحَمْدِ رَبِكَ حَيِنَ تَقُومُ ﴿٤١﴾ وَمِنَ اللَيْلِ فَسَبِحُهُ وَإِذْبَارَ النَّجُومِ ﴿٤١﴾

ثم ذكر سبحانه عنادهم وقسوة قلوبهم، فقال: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفَا ﴾ قطعة ﴿ مِنْ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سَحَابُ مَرْكُومٌ ﴾ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا، ولم يصدّقوا أنّه كسف ساقط للعذاب، وهو جواب قولهم: ﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّماءَ ﴾ (١).

﴿فَذَرْهُمْ ﴾ أتركهم يا محد ﴿ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُضْعَقُونَ ﴾ يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم. وهذا عند النفخة الأولى الَّتي تسمّى نفخة الصعق، يهلك جميع الناس عندها. وقرأ ابن عامر وعاصم: يُصْعَقُونَ على المبنيّ للمفعول، من: صعقه أو أصعقه.

﴿ يَوْمَ لَا يُقْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ ﴾ حيلتهم ﴿ شَيْئاً ﴾ أي: شيئاً من الإغناء في ردّ

<sup>(</sup>١) الشعراء: ١٨٧.

العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ لا يمنعون من عذاب الله.

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ طَلَقُوا﴾ يحتمل العموم والخصوص ﴿ عَذَاباً دُونَ ذَلِكُ ﴾ دون عذاب الآخرة. وهو عذاب القبر، أو المؤاخذة في الدنيا، كقتلهم ببدر، والقحط سبع سنين. ﴿ وَلَكِنُ أَكْفَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ما هو نازل بهم.

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ بإمهالهم وإبقائك في عنائهم وأذاهم حتى يرد أمر الله بتخليصك ﴿ فَإِنْكُ بِإِعْيُنِنَا ﴾ في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك، فلا يصلون إلى شيء ممّا أرادوا عليك. وجمع المين لجمع الضمير، والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ. ﴿ وَسَبِّحْ بِحَفْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ من أيّ مكان تقوم، أومن مكان قومك. أو حين تقوم إلى الصلاة، فقل: سبحانك اللّهم وبحمدك. أو من مجلسك فقل: سبحانك اللّهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، اغفر لي وتب عليّ. وهو المرويّ عن عطاء وسعيد بسن جبير. وقد روى مر فوعاً: أنّه كفّارة المجلس.

وعن عليّ ﷺ: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سُبُحِان رِبُك رِبُ العزّة﴾ (١) إلى آخر السورة»(٢).

﴿ وَمِنَ الَّذِلِ فَسَبِّحُهُ ﴾ فإنّ العبادة فيه أشقّ على النفس وأبـعد مـن الريـاء. ولذلك أفرده بالذكر، وقدّمه على الفعل.

وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله ولي في هذه الآية، قالا: «إنَّ رسول الله اللَّهِ الله الله الله الله ثلاث مرَّات، فينظر في آفاق السماء، ويقرأ الخمس من آل عمران الَّتي آخرها ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَانَ﴾ (٣٠، ثمّ يفتتم صلاة الليل».

<sup>(</sup>١) الصافّات: ١٨٠.

<sup>(</sup>٢) هذه الرواية في فضائل سورة الصافّات: ولعلّ المؤلّف نقلها لمناسبتها للمقام.

<sup>(</sup>٣) آل عمران: ١٩٤.

وقيل: معناه: قبل المغرب والعشاء الآخرة.

﴿ وَإِذْ بَارَ النَّجُومِ ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل، أي: تغيب بضوء الصبح. والمراد: الأمر بقول: سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات.

وقيل: المراد بالتسبيح: الصلاة إذا قام من نومه، ومن الليل: صلاة العشاءين. وادبار النجوم: صلاة الفجر المفروضة.

وهذا منقول عن ابن عبّاس وقتادة، ومرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله لليُّظ. وقيل: المراد بإدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر.

وقيل: المعنى: لا تففل عن ذكر ربّك صباحاً ومساءً، ونـزّهه فـي جـميع أحوالك ليلاً ونهاراً، فإنّه لا يففل عنك وعن حفظك.

وفي هذه الآية دلالة على أنّه سبحانه قد ضمن حفظه وكلاءته حتّى يسبّلغ رسالته.





## مكيّة. وهي اثنتان وستّون آية.

أبيّ بن كعب قال: «قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة النجم أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من صدّق بمحمّد ومن جحد به».

يزيد بن خليفة عن أبي عبدالله ﷺ قال: «من كان يدمن قراءة والنجم في كلّ يوم أوفي كلّ ليلة، عاش محموداً بين الناس، وكان مغفوراً له، وكان محبوباً بـين الناس».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحْيَمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْفُوَى﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْنَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَئِن أَوْ أَذْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَآ أَوْحَى ﴿١٠﴾

ولمَّا اختتم سورة الطور بذكر النبيُّ ﷺ، افتتح هذه السورة بذكره أيـضاً.

٥٠٧ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

حتّى اتّصلت بها اتّصال النظير بالنظير، وتوافقت الخاتمة بـالفاتحة بـذكر النـجم. فقال:

﴿ بِسَمِ اللهِ الرَّحْفنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ﴾ أقسم بجنس النجوم أو التريّا، فإنّه غلب فيها. أو النجم الذي يرجم به. ﴿ إِنَّا هَوَى ﴾ غرب. أو انتثر يوم القيامة. أو انقضّ. أو طلع، فإنّه يقال: هوى هَويًا بالفتح إذا سقط وغرب، وهُويّاً بالضمّ إذا علا وصعد. أو المراد بالنجم نجوم القرآن، إذ نزل منجّماً في ثلاثة وعشرين سنة. وستي القرآن نجماً تنفريقه في النزول. والعرب تسمّي التفريق تنجيماً، والمفرّق منجّماً، أو النبات، إذا سقط على الأرض، أو إذا نما وارتفع.

وروت العامّة عن جعفر الصادق الله أنّه قال: محمّد الله السماء السابعة ليلة المعراج، ولمّا نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن أبي لهب، وكانت تحته بنت رسول الله الله فقال: لآتين محمّداً فلأوذينّه. فأتاه فقال: يا محمد: هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالّذي دنا فتدلّى، ثمّ تفل في وجه رسول الله الله ، وردّ عليه ابنته وطلّقها. فقال رسول الله تلهي اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك. وكان أبو طالب حاضراً، فوجم (1) لها، وقال: ما كان أغناك يابن أخى عن هذه الدعوة.

فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره، ثمّ خرج مع نفر من قريش إلى الشام فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم: إنّ هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة، فإنّي أخاف على ابني دعوة محمد. فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتبة. فجاء الأسد يتشمّم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله. فقال حسّان شعراً:

من يسرجع العسام إلى أهله فسما أكبيل السبع بالراجع وجواب هذا القسم قوله: ﴿ مَا ضَلَّ صَسَاحِبُكُمُ مُ مَا عدل محمَّد اللَّهِ عن

<sup>(</sup>١) أي: اشتدّ حزنه.

الطريق المستقيم، وما فارق الهدى إلى الضلال. والخطاب لقريش. ﴿ وَمَا غَـوَى ﴾ وما اعتقد باطلاً، فإنّ الضلال نقيض الهوى، والغيّ نقيض الرشد. والمراد: نفي ما ينسبون إليه من الضلال والفيّ.

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَىٰ﴾ وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن، أو الذي ينطق به ﴿إِلَّا وَحَيْ يُوحَىٰ﴾ أي: يوحيه الله إليه. واحتج به من لم ير الاجتهاد للرسول ﷺ وأجيب عنه بأنّه إذا أوحي إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يسند إليه وعياً. قلنا: إنّ ذلك حينتُذ يكون بالوحي لا الوحي.

﴿ عَلْمَهُ شَدِيدُ الْقُونَ﴾ ملك شديد قواه. والإضافة غير حقيقيّة، لأنها إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها، وهو جيرئيل، فإنّه الواسطة في إبداء الخوارق. ومن قوّته أنّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، ورفعها إلى السماء ثمّ قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين. وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أسرع من رجعة الطرف. ورأى إبليس يكلّم عيسى ﷺ على بعض عقاب الأرض المقدّسة، فنفخه بجناحه نفخة فألقاه في أقصى جبل بالهند.

﴿ ذُو مِرْمٍ﴾ حصافة في عقله ورأيه، ومتانة في دينه ﴿ فَاسْتَوَىٰ ﴾ فاستقام على صورته التعقية التي خلقه الله عليها، دون الصورة التي كان يتمثّل بها كلّما هبط بالوحي. وكان ينزل في صورة دحية الكلبي. وذلك أنَّ رسول الله ﷺ أحبّ أن يراه في صورته التي جبل عليها، فاستوى له ﷺ في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس، فملاً الأفق.

وقبل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقيّة غير محمد ﷺ مُرّتين: مرّة في الأرض، ومرّة في السماء.

وأورد البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبدالله بن مسعود: «أنَّ رسول

٥٠٤ ...... زيدة التفاسير ـ ج ٦

الله ﷺ رأى جبرئيل وله ستّمائة جناح»(١).

وقيل: استوى بمعنى: استولى بقوّته على ماجعل له من الأمر.

﴿ وَهُوَ﴾ جبر ثيل ﴿ بِالْأَقْقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق السماء من جانب المشــرق، فــإنّه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض.

﴿ فَهُ دَنَا﴾ من النبي ﷺ ﴿ فَقَدَلُهُ ﴾ فتعلّق عليه في الهواء. وقيل: تدلّى من الأفق الأعلى، فدنا من الرسول من غير أن ينفصل من محلّه. وفيه تقرير لشدّة قواه، فإنّ التدلّي استرسال مع تعلّق، كتدلّي الثمرة. ويقال: دلى رجليه من السرير، وأدلى دلوه. والدوالى: الثمر المعلّق.

﴿ فَكَانَ﴾ جبر ثيل ﴿ قَابَ قَوْسَنِنِ﴾ مقدارهما، فإنّ القاب والقيب والقاد والقيد والقيس: المقدار. وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة، والشبر، والفتر، والإصبع. وفي الحديث: «لقاب قوس أحدكم من الجنّة وموضع قدّه خير من الدنيا وما فيها». والقدّ: السوط. وفي الكلام حذف، تقديره: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات. ﴿ أَوْ أَذْنَتَى ﴾ على تقديركم، كقوله: ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (٢). والمقصود تمثيل شدّة الاتّصال وتحقيق استماعه لما أوحى إليه بنفي البعد الملبس.

﴿ فَأَوْ حَنْ ﴾ جبرئيل ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ عبدالله . وإضماره قبل الذكر لكونه معلوماً لا لبس فيه ، كقوله : ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ ( (مَا أَوْ حَنْ ﴾ جبرئيل . وفيه تفخيم للموحى به . وقيل : ضمير «ما أوحى» لله تعالى . والمعنى : فأوحى جبرئيل إلى عبدالله محمد ما أوحى الله تعالى إليه .

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري ٦: ١٧٦، صحيح مسلم ١: ١٥٨ م ٢٨٠.

<sup>(</sup>٢) الصافّات: ١٤٧.

<sup>(</sup>٣) فاطر: 20.

وعن سعيد بن جبير: أوحى إليه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾ (١) إلى قـوله: ﴿ وَرَفَعْنَا نِكْرَكُ ﴾ (٢).

وقيل: أوحى إليه أنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى تدخلها أنت، وعــلـى الأمم حتّى تدخلها أمّنك.

وقيل: الضمائر كلّها لله تعالى. وهو المعنيّ ب«شديد القوى» كما فسي قـوله: ﴿هُوَ الزَّوْاقُ ذُو الْقَوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣). ودنوّه منه برفع مكانته، وتدلّيه جذبه بشراشـره إلى جناب القدس.

وقيل: أوحى إليه سرّاً بسرّ. وفي ذلك يقول القائل:

بين المحبّين سرّ ليس يغشيه قسول ولا قسلم للخلق يحكيه

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدُ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عند سدْرة الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عندَهَا جَنَّهُ الْمَأْوَىَ ﴿١٥﴾ إِذْ يَفْشَى السّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴿٧٧﴾ لَقَدُ رَأًى مَنْ آيَات رَبِّهُ الْكُثْبَرَى ﴿١٨﴾

ثمّ بين سبحانه ما رآه النبي المنه الإسراء، وحقّ ما رأى فيها بقوله: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُوَّادُ ﴾ فؤاد محمّد ﴿ مَا رَائ ﴾ ما يبصره من صورة جبرئيل. والمعنى: ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك. ولو قال ذلك لكان كاذباً. لأنّه عرفه بقلبه كما رآه

<sup>(</sup>١) الضحى: ٦.

<sup>(</sup>٢) الانشراح: ٤.

<sup>(</sup>٣) الذاريات: ٥٨.

٥٠٦ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

ببصره، ولم يشكّ في أنّ ما رآه حقّ.

وقيل: ما كذب ما رآه بقلبه. والمعنى: أنّه لم يكن تخيّلاً كاذباً. ويمدل عليه: «أنه الله عنه سنل: هل رأيت ربّك؟ فقال: رأيته بفؤادي». وعن ابن عبّاس أيضاً: أنّ محمداً 歌雲 رأى ربّه بفؤاده، وروي ذلك عن محمد بن الحنفيّة، عن أيه علي 幾. وهذا يكون بمعنى العلم، أي: علّمه علماً يقيناً بما رآه من الآيات الباهرات، كقول إبراهيم 幾: ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنْ قَلْبِي ﴾ (١). وإن كان عالماً قبل ذلك.

وقيل: إنَّ الَّذي رآه هو ما رأى من ملكوت الله تعالى وأجناس مقدوراته.

وعن أبي العالية قال: سئل رسول الله ﷺ: «هل رأيت ربّك ليلة المعراج؟ قال: رأيت نهراً، ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً، لم أر غير ذلك».

وذكر الشعبي عن عبدالله بن الحارث، عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ محمّداً رأى ربّه.

قال الشعبي: وأخبرني مسروق قال: سألت عائشة عن ذلك. فـقالت: إنّك لتقول قولاً إنّه ليقف شعري منه.

قلت: رويداً يا أمّ المؤمنين. وقرأت عليها «والنجم إذا هوى» حتّى انتهيت إلى قوله: «قاب قوسين أو أدنى».

فقالت: رويداً أنّى يذهب بك، إنّما رأى جبرئيل في صورته. من حدّثك أنّ محمداً ﷺ رأى ربّه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَالُ وَهُو يُدْرِكُ

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢٦٠.

سورة النجم، آية ١٦ ـ ١٨ ...........

النَّبْصَارَ﴾ (١٠). ومن حدَّنك أن محمداً اللَّهِ يعلم الحسّ من الغيب فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللهُ عِنْدُهُ عِنْمُ السَّاعَةِ﴾ (٢). ومن حدَّنك أن محمداً اللَّهِ كنم شيئاً من الوحي فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿ بَلْغُ مَا أَمْزِلَ إِلْيَكَ من ربِّكَ﴾ (٢). ولقد بيّن الله سبحانه ما رآه النبي المُحَيِّقِ بياناً شافياً، فقال: ﴿ لَقَدْ رَائى مِنْ آيَاتِ رَبُهِ الْحُنْزَى ﴾ (٤).

وقرأ هشام: مَا كَذَّب، أي: صدَّقه ولم يشكُّ أنَّه جبرئيل بصورته.

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ ﴾ أفتجادلونه ﴿ عَلَىٰ مَا يَـرَىٰ ﴾ مـن المـراء ، وهــو المـجادلة . واشتقاقه من: مرى<sup>(٥)</sup> الناقة ، فإنّ كلاً من المتجادلين يمري ما عند صاحبه .

وقرأ الكوفيّون غير عاصم ويعقوب: أفتمرونه. أي: أفتفلبونه فسي المسراء. من: ماريته فمريته. أو من: مراه حِقّه إذا جحده. و«على» لتنضمين الفسل مسعنى الغلبة. فإنّ المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةٌ أُخْرَى ﴾ مرّة أخرى. فعلة من النزول، أقيمت مقام السرّة، والكلام ونصبت نصبها، إشعاراً بأنّ الرؤية في هذه المرّة كانت أيضاً بنزول ودنوّ. والكلام في المرثيّ والدنوّ ما سبق. والمعنى: نزل جبر ثيل عليه نزلة أخرى في صورة نفسه، فرآه عليها ليلة المعراج. وقيل: تقديره: ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى، ونصبها على المصدر. والمراد به نفى الريبة عن المرّة الأخيرة.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَقِيٰ﴾ الّتي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم، ولا يعلم أحد من خلق الأوّلين والآخرين ما وراءها. أو ما ينزل من فـوقها، ويصعد مـن

<sup>(</sup>١) الأنعام: ١٠٣.

<sup>(</sup>٢) لقمان: ٣٤.

<sup>(</sup>٣) المائدة: ٦٧.

<sup>(</sup>٤) النجم: ١٨.

<sup>(</sup>٥) مَرَى الناقةَ: مسح ضرعها لتدرُّ.

تحتها. أو الّتي منتهى الجنّة وآخرها، ولم يجاوزها أحد. ولعلّها شبّهت بالسدرة. وهي شجرة النبق، الأنّهم يجتمعون في ظلّها. وروي مرفوعاً: أنّها شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة، انتهى إليها علم كلّ ملك. وقيل: هي شجرة طوبى.

﴿عِنْدَهَا جَنَةُ المَاوَىٰ﴾ الجنّة الّتي يأوي إليها المتقون، أو أرواح الشهداء ﴿إِذْ يَفْشَى السُّدْرَةَ مَا يَفْشَىٰ﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها، بحيث لا يكتنهها نعت، ولا يحصيها عدّ. وقيل: يغشاها الجمّ الغفير من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر. وعن رسول الله ﷺ: «رأيت على كلّ ورقة من أوراقها ملكاً قائماً يسبّح الله». وعنه ﷺ: «يغشاها رفرف من طير خضر». وعن ابن مسعود: يغشاها فراش من ذهب.

﴿ مَا زَاعُ البَصَرُ ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عمّا رآه، أو لم يمل يميناً ولا شمالاً ﴿ وَمَا طَغَفَى ﴾ وما تجاوزه، بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستيقناً، من غير أن يزيغ بصره أو يتجاوزه، أوما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها. أو ما جاوز الحدّ الذي حدّ له. وهذا وصف أدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانباً، ولم يمدّه أمامه إلى حيث ينتهي.

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آیَاتِ رَبِّهِ الْمُنْزَىٰ﴾ أي: والله لقد رأى الكبرى من آیاته وعجائبه الملكيّة والملكوتيّة ليلة المعراج. يعني: حين رقي به إلى السماء، فأري عجائب الملكوت، من صورة جبرئيل، ورؤيته وله ستّمائة جناح، قد سدّ الأفسى بأجنحته. قيل: إنّه رأى رفرفاً أخضر من رفارف الجنّة قد سدّ الأفق.

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّذَتَ وَالْمُنَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الْأَخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ الْأَنْثَى ﴿٢١﴾ يِّلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَا ۖ

سَنَيْنُعُوهَآ أَنْتُمْ وَآبَاۚوَكُمْ مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانِ إِن يَتَبِعُونَ اِلاَّ الظَّنَ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدُ جَآءَهُم مِن رَّبِهِمُ الْهَدَىٰ ﴿٣٣﴾

ولمّا قصّ الله سبحانه هذه الأقاصيص، عقّبها بمخاطبة المشركين، فقال: ﴿ افْرَائِتُمُ اللَّاتَ وَالْفُزَّى وَمَنَاةَ الدَّائِئَةَ الْأَخْرَى ﴾ هي أصنام كانت لهم. وهي مؤنّات. فاللات كانت لثقيف بالطائف، أو لقريش بنخلة تعبدها. وهي فعلة من: لوى، لأنّهم كانوا يلوون عليها ويمكفون للعبادة، أو يلتوون عليها، أي: يطوفون. وقرأ رويس عن يعقوب بتشديد التاء، على أنّها على صورة رجل كان يلتّ السويق بالسمن ويطعمه الحاجّ، وعن مجاهد: كانّ رجل يلتّ السويق بالطائف، وكانوا يمكفون على قيره، فجعلوه وثناً.

والعرّى: سمرة (٢) لفطفان كانوا يعبدونها. وأصلها تأنيث الأعرّ. فبعث إليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة نـاشرة شـعرها، داعـية ويلها، واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتّى قتلها، وهو يقول:

يــا عــرّ كـفرانك لا سـبحانك إنّـــي رأيت الله قــــد أهــانك ورجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال، تلك العرّى ولن تعبد أبداً.

ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة. وعن ابن عبّاس: لتقيف. وهي فعلة من: مناه إذا قطعه، فإنّهم كانوا يذبحون عندها القرابين. وكأنّها سئيت مناة لأنّ دماء النسائك كانت تمنى عندها، أي: تراق. ومنه: منى. وقرأ ابن كثير: مناءة بالمدّ والهمزة. وهي مفعلة من النوء، كأنّهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبرّكاً بها.

<sup>(</sup>١) لَتَّ السويقَ: بلَّه بشيء من الماء أو خلطه بالسمن.

<sup>(</sup>٢) السَمُرة: شجرة من العضاه، وليس في العضاه أجود خشباً منه.

وقوله: «الثالثة الأخرى» صفتان للتأكيد، كقوله: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَنِيهِ ﴿ (١). أَو «الأخرى» من التأخّر في الرتبة، أي: الوضيعة المقدار، كقوله: ﴿ قَالَتُ الْخَزَاهُمْ لأَوْلَاهُمْ ﴾ (٢) أي: وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم. ويجوز أن تكون الأوليّة والتقدّم عندهم للات والعرّى.

روي: أنّهم كانوا يقولون: إنّ الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونهم، ويزعمون أنّهم شفعاؤهم عند الله، مع وأدهم البنات. فقال الله سبحانه إنكاراً عليهم: إنّ اللات والعرّى ومناة إناث، وقد جعلتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث، وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أنداداً لله وتستونهن آلهة ؟!

﴿ اَلْكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ الْأَنْفَىٰ﴾ أي: كيف يكون ذلك كذلك وأنتم لو خيرتم الاختر تم الذكر على الأنشى؟! فكيف أضفتم إليه سبحانه ما لا ترضونه لأنفسكم؟!

﴿ تِلْكَ إِذَا قِسِمَةٌ ضِيرِزَى ﴾ جائرة، حيث جعلتم له ما تستنكفون منه. وهي فعلى بالكسر، من: ضاز يضيز ضيزاً، إذا ضامه (٣ وجاره. والأصل: ضوزى بالضمّ، ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء، فإنّ فعلى بالكسر لم تأت وصفاً. وقرأ ابن كثير بالهمزة، من: ضأزه إذا ظلمه، على أنّه مصدر نعت به.

﴿إِنْ هِيَ ﴾ ما الأصنام باعتبار الألوهيّة ﴿إِلّا أسمَاءً ﴾ تطلقونها عليها، لأنكم تقولون إنّها آلهة، وليس فيها شيء من معنى الألوهيّة. ويجوز أن يكون الضمير للصفة، أي: ما الصفة إلّا الأسماء خالية عن معنى الصفة المذكورة. أو للأسماء، وهي قولهم: اللات والعرّى ومناة، فإنّهم يقصدون بها أنّه الإله. والحاصل: أنّهم كانوا

<sup>(</sup>١) الأنعام: ٣٨.

<sup>(</sup>٢) الأعراف: ٣٨.

<sup>(</sup>٣) ضامَهُ: ظلمه. من: ضام يضيم ضيماً.

سورة النجم، آية ٢٤\_٢٨ ......١١٥

يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها، والعرّى لعرَّتها، ومناة لاعتقادهم أنّها تستحقّ أن يتقرّب إليها بالقرابين.

فقال سبحانه: ما هذه الأسماء إلّا أسماء ﴿سَفَيْتُمُوهَا انْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بهواكم وشهواتكم خالية عن معنى الألوهيّة ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانِ﴾ برهان، أي: ليس لكم من الله على صحّة تسميتها دليل باهر تتعلّقون به. ومعنى «ستيتموها»: سمّيتم بها. يقال: سمّيته زيداً، وسمّيته بزيد.

ثمّ رجع إلى الإخبار عنهم بعد المخاطبة، فقال: ﴿إِنْ يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ إِلّا توهّم أنّ ما هم عليه حتى تقليداً وتوهّماً باطلاً ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ وما تشتهيه أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ النَّهْدَىٰ﴾ أي: الرشاد والبيان، من الرسول والكتاب فتركوه.

أَمْ الإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٤٤﴾ فَلَله الآخِرُةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَكُمْ مِن مَلك فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيْسَمُونَ الْمَلآئِكَةَ تَسْمَيةَ الأَنشَى ﴿٧٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عَلْمٍ إِن يَشْبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٧٤﴾

ثمَّ أنكر عليهم تمنيهم شفاعة الأوثان، فقال لهم: ﴿ أَهْ لِلْإِنسَانِ مَا تَـمَنَّىٰ ﴾ «أم» منقطعة. ومعنى الهمزة فيها الإنكار، والمعنى: ليس له كلَّ ما يتمنَّاه، والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة. وقيل: قولهم: ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِسِي عِـنْدُهُ

لْلَحُسْنَىٰ﴾ (١٠). وقيل: هو تمنّي بعضهم أن يكون هو النبيّ. وقيل: هو قوله: ﴿لَوْلَا نُزُّلُ هَذَا القُزْآنُ عَلَىٰ رَجُلِ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٢). وغيرهما. وقيل: هو قول الوليد بن المغيرة: ﴿ لَاُوتَيْنَ مَالاً وَوَلَداً﴾ (٣).

﴿ فَلِلَّهِ النَّجْرَةُ وَالْأُولَـنَ﴾ أي: هو سالكهما، ينعطي سنهما منا يشناء لمن يشاء على وفق الحكمة وطبق المصلحة، وليس الأحد أن يتحكّم عليه في شيء منهما.

﴿ وَكُمْ مِنْ مَلَكِ ﴾ وكثير من المالائكة ﴿ فِي السَّمْوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُم ﴾ لا تنفع. يعني: أنّ أمر الشفاعة ضيق، وذلك أنّ المالائكة مع قربهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السماوات بجموعهم، لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تنفن شفاعتهم عنه شيئاً قطّ، ولم تنفع. ﴿ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَاذَنَ الله ﴾ إلّا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة ﴿ لِمَنْ يَشَاءً ﴾ من الملائكة أن يشفع، أو من الناس أن يشفع له ﴿ وَيَرْضَعَىٰ ﴾ ويرضاه، ويراه أهلاً لذلك. فكيف تشفع الأصنام فبدتهم ؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مِالْآخِرَةِ لَـيُسَمُّونَ الْـمَلَاقِكَةَ﴾ أي: كـلَّ واحـد مـنهم ﴿تَسْمِيَةِ الْأَنْظَىٰ﴾ بأن سمّوه بنتاً.

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ ﴾ أي: بما يقولون ﴿ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: ما يستيقنون أنّهم إناث، وليسوا عالمين بذلك ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّ الطُنَّ وَإِنَّ الطُنَّ لَا يُعْفِي مِنْ المَثَقَّ شَيْنا ﴾ أي: الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلّا بالعلم والتيقن، والظنّ لا اعتبار له في العمارف الحقيقيّة، وإنّما العبرة به في العمليّات وما يكون وصلة إليها.

<sup>(</sup>۱) فصّلت: ۵۰.

<sup>(</sup>٢) الزخرف: ٣١.

<sup>(</sup>٣) مريم: ٧٧.

سورة النجم، آية ٢٩ ــ ٣٠ .......١٣٥

فَأَعْرِضْ عَن مَن تَوَلَّى عَن ذَكْرِّنَا وَلَمْ يُرِدُ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٦﴾ 
ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
آهُنْدَى ﴿٣٠﴾

ثمّ خاطب نبيّه، فقال: ﴿فَاعْرِضْ عَن مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ دِخْرِفَا﴾ عن دعـوة مـن رأيته معرضاً عن ذكرنا، ولم يقرّ بتوحيدنا ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ولم يتأمّل في الآخرة أصلاً، لانهماكه في متاع الدنيا وزينتها، فإنّ من غفل عن الله، وأعرض عن ذكره، وانهمك في الدنيا، بحيث كانت منتهى همّته ومبلغ علمه، لا تزيده الدعوة إلا عناداً وإصراراً على الباطل.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: أمر الدنيا، أو كونها شهيّة ﴿ مَنِلَقُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ لا يستجاوزه علمهم، وهذا مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل، لأنّه من طباع ألبهائم أن يأكل في الحال ولا ينتظر العواقب، وفي الدعاء: اللّهمّ لا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، والجملة اعتراض مقرّر لقصور هممهم بالدنيا، وقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ المُقتَدَى ﴾ تعليل للأمر بالإعراض، أي: إنّما يعلم الله من يجيب ممّن لا يجيب، وأنت لا تعلم، فلا تتعب نفسك في دعوتهم، إذ ما عليك إلا البلاغ وقد بلّفت، وهو أعلم بالضال والمهتدي، وهو مجازيهما ما يستحقّان من الجزاء.

وَلِّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَآءُوا بِمَا عَـلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كَبَاتِوَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ اِلاَّ اللَّمَمَ اِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمُغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ اِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاِذْ أَشُمُ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَا تِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوَآ أَنفُسَكُمُ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾

ثمّ قال: ﴿ وَشِهُ مَا فِي السَّفَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً ﴿ لِيَجْزِيُ الَّذِينَ أَسَامُوا بِمَا عَبِلُوا ﴾ بعقاب ماعملوا من السوء، أو بمثله، أو بسبب ماعملوا من السوء. وهو علّة لما دلّ عليه ما قبله، أي: خلق العالم وسوّاه ليجزي الذين أساؤا السّوأى، وهي النار. ﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسْدَىٰ ﴾ بالمثوبة الحسنى، وهي الجنّة. أو بأحسن من أعمالهم، أو بسبب الأعمال الحسنى.

ثمّ وصف الذين أحسنوا بقوله: ﴿ النَّفِينَ يَجْتَفِئُونَ كَيْبَاقِرَ الْإِشْمِ ﴾ محلّه إسّا النصب على الصفة أو المدح، أو الرفع على أنّه خبر محذوف. وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب. وهو ما ربّب عليه الوعيد، ولا يسقط عقابه إلّا بالتوبة. وقرأ حمزة والكسائي: كبير الإثم، على إرادة الجنس أو الشرك. ﴿ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ ما فحش من الكبائر خصوصاً، كأنّه قال: خصوصاً والفواحش منها ﴿ إِلَّاللَّمَ هَ﴾ إلّا ما قل وصغر، فإنّه مففور من مجتنبي الكبائر.

قال الحسن والسدّي: اللمم هو أن يلمّ بالذنب مرّة ثمّ يتوب منه ولا يعود. وهو اختيار الزجّاج، لآنَه قال: اللمم: هو أن يكون الإنسان قد ألمّ بالمعصية ولم يقم على ذلك. ومنه: ألمّ بالمكان إذا قلّ فيه لبثه. وألمّ بالطعام قلّ منه أكله.

وعن أبي سعيد الخدري: اللمم هي: النظرة، والغمزة، والقبلة. وعن الكلبي: كلّ ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً ولا عذاباً. والاستثناء منقطع، أو صفة كقوله: ﴿لَوْ سورة النجم، آية ٣١ ـ ٣٢ .......٥١٥

كَانَ فِيهِمَا آلِهَةً إِلَّا اللهُ ﴿ (١). كَأَنَّه قال: كبائر الإثم غير اللمم.

﴿إِنَّ رَبِّكَ وَاسِعُ الْمَفْقِرَةِ﴾ حيث يكفّر الصغائر باجتناب الكبائر، والكبائر بالتوبة. أوله أن يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها. ولعلّه عقّب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين، لئلًا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته، ولا يتوهّم وجوب المقاب على الله.

﴿ هُوَ اعْنَهُ بِكُهُ ۗ أَعلم بأحوالكم منكم ﴿إِذَ انْشَاكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ خلقكم منها عند تناول الأغذية المخصوصة التي خلقها من الأرض، فكأنّه سبحانه أنشأهم منها ﴿ وَإِذَ أَنتُمْ أَجِنَةٌ فِي يُطُونِ أَمّهَاتِكُمْ ﴾ أي: علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم، وحينما صوّركم في الأرجام.

﴿ فَاَلِتُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات. أو إلى الزكاء والطهارة من المعاصي والرذائل، ولا تثنوا عليها بزكاها ﴿ هُوَ أَهْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ فإنّه يعلم التقيّ وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن تخرجوا من بطون أمّهاتكم.

قيل: كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجّنا، فنزلت هذه الآية. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء. وأمّا من اعتقد أنّ ماعمله من العمل الصالح بتوفيق الله وتأييده، ولم يقصد به التمدّح، لم يكن من المركّين أنفسهم، لأنّ المسرّة بالطاعة طاعة وذكرها شكر.

أَفْرَأَيتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِندُهُ عِلْمُ الْفَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ٢٢.

الَّذي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلاَّ تَزرُ وَازرَةٌ وزْرَ أُخْرَى ﴿٢٨﴾ وَأَن لَّيْسَ للإنسَان إلاَّ مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَآءَ الأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَى رَّبِكَ الْمُنتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأَشَى ﴿٤٥﴾ من نَّطُفَة إِذَا تُشْنَى ﴿٢٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُحْرَى ﴿٧٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنْهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنْهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَنْمُودَ فَمَا ٓ أَبْقَى﴿ ١٠ ﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظْلُمَ وَأَطْغَى ﴿ ٢٠ ﴾ وَالْمُؤْتَفَكَةَ أَهْوَى ﴿٣٥﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴿٤٥﴾

روي عن ابن عبّاس والسدّي والكلبي وجماعة من المفسّرين: أنّ عثمان بن عفّان كان يتصدّق وينفق ماله، فقال له أخوه من الرضاعة عبدالله بن سعد بن أبي سرح: ماهذا الّذي تصنع ؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء. فقال له عثمان: إنّ لي ذنوباً، وإنّي أطلب بما أصنع رضا الله، وأرجو عنفوه. فقال له عبدالله: أعطني ناقتك برحلها، وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها. فأعطاه، وأشهد عليه، وأمسك عن الصدقة. فنزلت:

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴾ عن اتّباع الحقّ والثبات عليه ﴿ وَاعْطَىٰ قَلِيلاً وَاكْذَىٰ ﴾ وقطع العطاء وأمسك. من قولهم: أكدى الحافر إذا بلغ الكدية، وهي الصخرة

الصلبة، فترك الحفر.

﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْفَقِيِ ﴾ علم ما غاب عنه من أمر العذاب ﴿ فَهُوَ يَزَىٰ ﴾ يعلم أنّ صاحبه يتحمّل عنه العذاب. أو يعلم أنّ ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حتّى.

وعن مجاهد: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتّبع رسول الله ﷺ على دينه، فعيّره بعض المشركين، وقال له: تركت دين الأشياخ وضألتهم، وزعمت أنّهم في النار. قال: إنّي خشيت عذاب الله. فضمن له الّذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمّل عنه عذاب الله. فارتدّ وأعطى بعض المشروط، ثمّ بخل بالباقي.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبُّأُ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ ألم يخبر بسا في أسفار التوراة ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ وفي صحف إبراهيم ﴿الَّذِي وَقَىٰ﴾ وفر وأتم ما التزم به أو أمر به. أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله. وإطلاقه ليتناول كلّ وفاء وتوفية، وتخصيصه بدلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره. ومن ذلك: تبليغه الرسالة، واستقلاله بأعباء النبوّة، والصبر على ذبح ولده، وعلى نار نمرود، وقيامه بأضيافه، وخدمته إيّاهم بنفسه، وأنّه كان يخرج كلّ يوم فيمشي فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه، وإلّا نوى الصوم.

وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلَّا وفي به.

وعن الهذيل بن شرحبيل: كان بين نوح وبين إبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره، ويقتل بأبيه وابنه وعمّه وخاله، والزوج بامرأته، والعبد بسيّده، فأوّل سن خالفهم إبراهيم.

وعن عطاء بن السائب: عهد إبراهيم أن لا يسأل مخلوقاً، فلمّا قذف في النار قال له جبرئيل وميكائيل: ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليكما فلا.

وروي عن الرسولﷺ: «ألا أخبركم لم سمّى الله خليله ﴿الَّذِي وَفَى﴾؟

۱۸ م..... زیدة التفاسیر ـج ۲

كان يقول إذا أصبح وأمسى: فسبحان الله حين تمسون وحين تظهرون».

وقيل: وقي سهام الاسلام.وهي ثلاثون: عشرة في التوبة: ﴿الثَّائِبُونَ...﴾ (١٠). وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ...﴾ (١٦). وعشرة في المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِثُونَ...﴾ (١٦).

وقد موسى لأن صحفه وهي: التوراة -كانت أشهر وأكبر عندهم. ﴿ الا تَوْرُ وَازِرَةُ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ «أن» هي المخفّفة من التقيلة. والضمير للشأن. وهي بما بعدها في محل الجرّ بدلاً من «ما في صحف موسى».والتقدير: أم لم ينتاً بأنّه لا تزر، أي: لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى. أو الرفع على: هو أن لا تزر.

بانه لا تزر، أي: لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى. أو الرفع على: هو أن لا تزر. كأنّه قيل: ما في صحفهما؟ فأجاب: أن لا تزر. والمعنى: أنّه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره. ولا يخالف ذلك قوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِفَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمًا قَتَلَ النَّاسَ جَعِيعاً﴾ (على وقوله 歌歌: «من سنّ سنّة سنّة، فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». فإنّ ذلك للدلالة والتسبّب

﴿ وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَـفَى ﴾ إلّا سعيه، أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله. والوجه فيما صحّ من الأخبار من أنّ الصدقة عن الميّت والحجّ عنه ينفعان الميّت: أنّ سعي غيره لا ينفعه إذا عمل لنفسه، ولكن إذا نواه فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه. وأنّ سعي غيره لمّا لم ينفعه إلّا مبنيّاً على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمناً صالحاً \_كان سعى غيره كأنّه سعى نفسه، لكونه

الّذي هو وزره.

<sup>(</sup>١) التوبة: ١١٢.

<sup>(</sup>٢) الأحزاب: ٣٥.

<sup>(</sup>٣) المؤمنون: ١ ـ ١٠.

<sup>(</sup>٤) المائدة: ٣٢.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿ ثُمُّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ أي: يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفى، فنصب بنزع الخافض، يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، بحدف الجاز وإيصال الفعل، ويجوز أن يكون مصدراً، أو تكون الهاء للجزاء المدلول عليه ب«يجزى»، و«الجزاء» بدله، كقوله: ﴿ وَاسْرُوا الشَّجْوَىٰ اللَّهِينَ اللَّهِينَ ... فَظَلُمُوا﴾ (١٠).

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ مصدر بمعنى الانتهاء، أي: انتهاء الخلائق ورجوعهم إلى ثواب ربّك وعقابه، كقوله: ﴿ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ ﴾ (٢).

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَنِكَىٰ ﴾. خلق قرّتي الضحك والبكاء. أو فعل سبب الضحك والبكاء، من السرور والحزن، كما يقال: أضحكني فلان وأبكاني.

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره، فإنَّ القاتل ينقض البنية، والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة.

﴿ وَانَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَنِينِ الذَّعَرَ وَالْأَنفَيٰ﴾ من كلّ حيوان ﴿ مِنْ نُطَقَةٍ إِذَا تُـمْنَيٰ﴾ تدفّق في الرحم. يقال: منى وأمنى. وعن الأخفش: تخلّق من مني الساني، أي: قدر المقدّر.

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْاةَ الْأَخْرَىٰ﴾ الإحياء بعد الموت وفاءً بوعده، ولاَنَها واجبة عليه في الحكمة ، ليجازي على الإحسان والإساءة. ولفظة «على» دالَّة عليه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: النشاءة بالمدِّ. وهو أيضاً مصدر: نشأ.

﴿ وَانَّهُ هُوَ اغْذَىٰ وَاقْذَىٰ ﴾ وأعطى القنية. وهي المال الَّذي تأثَّلته (٣) وعزمت

<sup>(</sup>١) الأنبياء: ٣.

<sup>(</sup>٢) آل عمران: ٢٨.

<sup>(</sup>٣) تأثّل المالَ: اكتسبه وثمّره، وزكّاه، وأنماه.

٥٢٠ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

أن لا تخرجه من يدك. بل تدّخره بعد الكفاية. وإفرادها لأنّها أشفّ<sup>(١)</sup> الأموال. أو أرضى. وتحقيقه: جعل الرضا له قنية.

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْزَى ﴾ خالقها ومخترعها. وهي العبور، كوكب أشد ضباء من الغميصاء، تطلع وراء الجوزاء، وتستى كلب الجبار، لأنّه يتبع الجوزاء كما يتبع الكلب الصائد والصيد. والجبار اسم الجوزاء، وكانت خزاعة تعبدها، سنّ لهم أبو كبشة رجل من أشرافهم. وقيل: إنّه أحد أجداد الرسول ﷺ من قبل أشه. وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ؛ أبو كبشة، تشبيهاً له به، لمخالفته إيّاهم في دينهم، ولعلّ تخصيصها للإشعار بأنّه ﷺ وإن وافق أبا كبشة في مخالفتهم، خالفه أيضاً في عبادتها، فيريد الله أنّه ربّ معبودهم هذا، فلا تتخذوا المربوب السملوك أيضاً في عبادتها، فيريد الله أنّه ربّ معبودهم هذا، فلا تتخذوا المربوب السملوك

﴿ وَائَهُ الْهَلَكَ عَلَاا الْآولَىٰ ﴾ القدماء، لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح ﷺ. وقيل: عاد الأولى قوم هود، وعاد الأخرى إرم. وقرأ نافع وأبو عمرو: عاداً لولى. بإدغام التنوين في اللام، وطرح همزة «أولى»، ونقل ضمتتها إلى لام التعريف. وقالون بعد ضمّة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو.

﴿ وَلَهُوداَ﴾ عطف على «عاداً» لأنّ ما بعده لا يعمل فيه، لأنّه منفيّ ب«ما». فلا يقال: زيداً ما ضربت، لأنّ لها صدر الكلام. وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين، ويقفان بغير الألف. والباقون بالتنوين، ويقفون بالألف. ﴿ فَمَا أَبْقَعَ ﴾ الفريقين.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ أيضاً معطوف عليه ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ عاد وثمود ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ الْخَلَامُ وَاللَّهُمُ كَانُوا هُمْ الْخَلَامُ وَالْمُفْوَى عَلَى اللَّهُم كانوا يؤذونه وينفّرون عنه، حتى كانوا يحذّرون صبيانهم أن يسمعوا منه، ويضربونه حتى لا يكون به حراك، وما أثّر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة.

<sup>(</sup>١) أي: أفضلها وأربحها.

سورة النجم، آية ٥٥ ـ ٦٢ ......٢٠٠٠

﴿ وَالْمُؤْمَّقِكَةَ ﴾ والقرى الّتي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت. وهي قرى قوم لوط. يقال: أفكه فائتفك. ﴿ أهْوَى ﴾ بعد أن رفعها إلى السماء على جناح جبرئيل، ثمّ أهواها مقلّبة إلى الأرض، أي: أسقطها.

﴿فَقَشَّاهَا مَا غَشَّىنَ﴾ فيه تهويل وتعميم لما أصابهم من العذاب الشديد. إذ أمطر عليها الصخر المنضود.

فَبَأَيِّ آلَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذيرٌ مِّنَ النَّذُرِ الأُولَى ﴿٥٦﴾ أَفَمِنُ هَذَا أَزْفَتِ الْآرَفَةُ ﴿٨٥﴾ أَفَمِنُ هَذَا الْحَدَيِثِ تَعْجُبُونَ ﴿٨٠﴾ وَأَشَمُ سَامِدُونَ اللّهِ كَاشَهُ ﴿٦٠﴾ وَأَشُمُ سَامِدُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَشُمُ سَامِدُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَشُمُ سَامِدُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَشَمُ سَامِدُونَ

ولمّا وعد الله سبحانه ما يدلّ على وحدانيّته وكمال قدرته الذاتيّة، قال: ﴿فَهِائِي آلاءِ رَبِّكَ تَمْقَارَى ﴾ تتشكّك. والخطاب للرسول ﷺ، أو لكلّ أحد. والمعدودات وإن كانت نعماً ونقماً، لكن سمّاها كلّها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين، والانتقام للأنبياء والمؤمنين.

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذُرِ الأُولَىٰ ﴾ اي: هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدّمة. أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين. وقال: الأولى، على تأويل الجماعة.

﴿ إَزِفَتِ الْآرِفَةُ ﴾ قربت الساعة الموصوفة بالقرب في نحو قوله: ﴿ اللَّهُ تَرَبُتِ السَّاعَةُ ﴾ (١) فإنَّ كلَّ ما هو آتٍ لا محالة قريب.

<sup>(</sup>١) القمر: ١.

٧٢٥ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ نَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها، مبيّنة متى تقوم ؟ أوليس لها من دون الله كشف، على أنّها مصدر كالعافية.

﴿ اَفَينَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني: القرآن، أو ما قدّم من الأخبار، وهو المرويّ عن الصادق على ﴿ وَتَعْجَبُونَ ﴾ إنكاراً ﴿ وَتَصْحَكُونَ ﴾ استهزاءً ﴿ وَلاَ تَبْكُونَ ﴾ تحزّناً على ما فرطتم.

﴿ وَانتُمْ سَامِدُونَ ﴾ لاهون لاعبون. أو مستكبرون، من: سمد البعير في سيره إذا رفع رأسه. أو مغتّون لتشغلوا الناس عن استماعه. من السمود، وهو الغناء.

﴿ فَاسْجُدُوا بِشِوا عَبْدُوا ﴾ ولا تعبدوا الآلهة. وفي الآية دلالة على أنّ السجود هنا واجب على ما ذهب إليه أصحابنا، لأنّ الظاهر أنّ الأمر يقتضي الوجوب، وللروايات المتواترة عن الأثمّة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.



## سورة القمر

مكِّيَّة. وهي خمس وخمسون آية.

أُبِيِّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ: «من قرأ سورة اقتربت الساعة في كـلِّ غبّ. بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر. ومن قرأهـا كـلِّ ليـلة كـان أفضل، وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق».

وروى يزيد بن خليفة عن أبي عبدالله ﷺ قال: «مـن قــرأ ســورة اقــتربت السّاعة، أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنّة».

## بِسُمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَآنشَقَ الْقَمَرُ ﴿ ﴿ ﴾ وَإِن يَرُوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌ ﴿ ﴿ ﴾ وَلَقَدُ سِحْرٌ مُسْتَمَرٌ ﴿ ﴿ ﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَبَعُوآ أَهْوَآ مُعُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَمَرٌ ﴿ ﴿ ﴾ وَلَقَدُ جَاءَهُم مِنَ الْأَبْبَآءَ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿ ٤ ﴾ حَكْمَةٌ بَالنَةٌ فَمَا تُعْنِ النَّذُرُ ﴿ ٥ ﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُو ﴿ ٢ ﴾ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاتُ كَأَهُمْ جَرَادٌ مُنتشرٌ ﴿ ٧ ﴾ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَعُولُ الْكَافِرُونَ مَن الأَجْدَاتُ كَأَهُمْ جَرَادٌ مُنتشرٌ ﴿ ٧ ﴾ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَعُولُ الْكَافِرُونَ مَن الْأَجْدَاتُ كَأَهُمْ جَرَادٌ مُنتشرٌ ﴿ ٧ ﴾ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَعُولُ الْكَافِرُونَ مَن الْأَجْدَاتُ كَأَنْهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿ ٧ ﴾ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَعُولُ الْكَافِرُونَ مَنْ الْمُعْمَا فَرَاعُ مُنْ عَسْرٌ ﴿ ٨ ﴾

٥٧٤ ...... زيدة التفاسير ـ ج ٦

ولمًا ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أزوف الآزفة، افتتح هـذه الســورة بمثله، فقال:

﴿ بِسُمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قربت الساعة التي يموت فيها جميع الخلائق، يعني: يوم القيامة، فاستعدّوا لها قبل وقوعها ﴿ وَانشَـقُ الْـقَمَرُ ﴾ انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيّرة، ومن علامات دنو القيامة.

روي عن ابن عبّاس: «اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فلقتين. فقال لهم رسول الله ﷺ؛ إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة بدر، فسأل ﷺ ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فلقتين ورسول الله ينادى: يا فلان يا فلان اشهدوا».

وقال ابن مسعود: انشقَ القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فلقة ذهبت، وفلقة بقيت، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا اشهدوا.

وروي أيضاً عن ابن مسعود أنّه قال: والّذي نفسي بيده لقد رأيت حراء بين فلقتى القمر .

وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتّى صار فلقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقال الناس: سحر محمد. فقال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلّهم.

وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، منهم: عبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وابن عبّاس، وجبير بن مطعم. وعليه جماعة المفسّرين، إلّا ما روي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: معناه: وسينشقّ القمر، وروي ذلك عن الحسن. وأنكره أيضاً البلخي، وهذا لا يصحّ، لأنّ المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتدّ بخلاف من خالف فيه. ولأنّ اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه.

وإنّما ذكر سبحانه اقتراب الساعة مع انشقاق القمر، لأنّ انشقاقه من علامة نبوّة نبيّنا محمّدﷺ، ونبوّته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة.

وعن حذيفة: أنّه خطب بالمدائن ثمّ قال: الا إنّ الساعة قــد اقــتربت، وإنّ القمر قد انشقٌ على عهد نبيّكم.

﴿ وَكَذَّبُوا﴾ بالآية الّتي شاهدوها ﴿ وَانْتَبْعُوا الْهُوَآمَهُمْ ﴾ وهو ما زيّن لهم الشيطان من ردّ الحقّ بعد ظهوره. وذكرهما بلفظ الساضي للإشمار بأنّهما من عادتهم القديمة. ﴿ وَكُلُّ الْمُوْ﴾ من أمرهم وأمر محمد الله ﴿ ﴿ فَسَنَقِرُ ﴾ منتهِ إلى غاية، من خذلان أونصر في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة، فإنّ الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقرّ.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ ﴾ جاء هؤلاء الكمّار في القرآن ﴿ مِنَ الْأَنْبَآءِ ﴾ أنباء القرون الخالية وإهلاكنا إيّاهم. أو أثباء الآخرة وما وصف من عذاب الكمّار. ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرُ ﴾ ازدجار، من تعذيب أو وعيد. أو موضع ازدجار، والمعنى: هو في نفسه موضع للازدجار ومظنّة له، كقوله: ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) أي: هو أسوة، وتاء الافتعال تقلب دالاً مع الدال والذال والذال التناسب.

﴿حِكْمَةُ بَالِغَةُ﴾ غايتها، أي: بلغت الغاية والنهاية في الوضوح، لا خلل فيها أصلاً. وهي بدل من «ما»، أو خبر لمحذوف. ﴿ فَمَا تَغُون النَّذُرُ ﴾ نفي أو استفهام

<sup>(</sup>١) الأحزاب: ٢١.

٢٦٥ ..... زيدة التفاسير ــ ج ٦

إنكار منصوب المحلّ، أي: فأيّ غناء تغني النذر؟ وهو جمع نذير ، بمعنى المنذر أو المنذر منه . أومصدر بمعنى الإنذار .

﴿ فَتَوَلَ عَنْهُمْ ﴾ أي: أعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم، لعلمك بأنّ الإنذار لا يغني فيهم. وها هنا وقف تسام . ﴿ يَهُوْمَ يَدُعُ الدَّاعِ ﴾ إسسرافيل أو جبرئيل، كقوله ﴿ يَوْمَ يُفَادِ المُثَنَادِ ﴾ (١١) وإسقاط الياء اكتفاءً بالكسرة للتخفيف. وانتصاب «يوم» به يخرجون» أو بإضمار: اذكر. ﴿ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُو ﴾ فظيع تنكره النفوس، لانّها لم تعهد مثله، وهو هول يوم القيامة. وقرأ أبن كثير: نُكُو

﴿ خُشُعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ من قبورهم خاشماً ذليلاً أبصارهم من الهول. وخشوع الأبصار كناية عن الذلة والانخزال (٢٠)، لأنّ ذلة الذليل وعرزة العزيز تظهران في عيونهما. وإفراده وتذكيره لأنّ فاعله ظاهر غير حقيقيّ التأنيث. وقرأ أبن كثير وابن عامر ونافع وعاصم: خشّماً. وإنّما حسن ذلك، ولا يحسن: مررت برجال قائمين غلمانهم، لأنّه ليس على صيغة تشبه الفمل. ﴿ كَانَّهُمْ جَرَادُ مُنْتَشِرٌ ﴾ في الكثرة والتموّج والانتشار في الأمكنة. يقال في الجيش الكثير المائح بعضه في بعض: جاؤا كالجراد وكالدبي (٣٠).

وفيه دلالة على أنّ البعث إنّما يكون لهذه البنية. لأنّها الكاتنة في الأجداث. خلافاً لمن زعم أنّ البعث يكون للأرواح.

﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ﴾ مسرعين ماذي أعناقهم إليه. أو ناظرين قبل الداعي. وهو حال من قوله: ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمُ عَسِرٌ ﴾ صعب شديد.

<sup>(</sup>١) ق: ١٤.

<sup>(</sup>٢) أي: الانقطاع والانكسار.

<sup>(</sup>٣) الدبكى: أصغر الجراد. والواحدة: دباة.

كَذَّبَتْ قَبَلُهُمْ قَدُمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَأَزْدُجِرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِي مَغْلُوبٌ فَانتَصُرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبَوَابَ السَّمَاءَ بِمَاءً مُنْهُمرٍ ﴿١٠﴾ وَفَتَحْنَا أَبُوابَ السَّمَاءَ بِمَاءً مُنْهُمرٍ ﴿١٠﴾ وَفَجُرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْر قَدْ قُدرَ ﴿١٧﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُننَا جَزَآءٌ لَهَن كَانَ كَانَ كَانَ عَذَابِي كَمْر ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُدُر ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

ثم هدّد المعاندين المكذّبين بذكر قصص الأنبياء ﷺ واستئصالهم، لفرط عنادهم وتكذيبهم، فقال:

﴿ كَذَّبَتَ فَبْلَهُمْ ﴾ قبل قومك ﴿ قَوْمُ نُوحٍ فَكَنَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ نوحاً. وهو تفصيل بعد إجمال. وقيل: معناه: كذّبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلّما مضى منهم قرن مكذّب تبعه قرن مكذّب. أو كذّبوه بعد ما كذّبوا الرسل. ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ ﴾ همو مجنون ﴿ وَازْدُجِنَ ﴾ زجر عن التبليغ بأنواع الأذيّة. وقيل: إنّه من جملة قيلهم، أي: هو مجنون وقد ازدجرته الجنّ، أي: ذهبت بلبّه وتخبّطته وطارت بقلبه.

﴿فَذَعَا رَبُهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي، فلم يسمعوا منّي، واستحكم البأس من إجابتهم لي ﴿فَانَتْصِرَ﴾ فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم. وذلك بعد يأسم منهم. وقد روي: أنَّ الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتّى يخرِّ مغشيّاً عليه، فيفيق وهو يقول: اللّهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون.

ثمّ بيّن سبحانه إجابته لدعاء نوح الله ، فقال: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ﴾ هاهنا

حذف معناه: فاستجبنا لنوح دعاءه، ففتحنا أبواب السماء ﴿ بِمَآعِ مُنْهَبِرٍ ﴾ أي: أجرينا من السماء ماءً منصباً في فرط كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوماً، كجريانه بدفع شديد إذا فتح عنه باب كان مانعاً له. وقرأ ابين عامر ويعقوب: ففتحنا بالتشديد، لكثرة الأبواب.

﴿ وَفَجُرْنَا الْأَرْضَ عُيُونا﴾ وجعلنا الأرض كلّها كأنّها عيون متفجّرة. وأصله: وفجّرنا عيون الأرض، فغيّر للمبالغة. ﴿ فَالنّفَقَ الْمَاءَ﴾ ماء السماء وماء الأرض ﴿ عَلَىٰ أَمْوٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدّرها الله في الأزل من غير تفاوت. أو على حال قدّرت وسرّيت، وهو أن قدّر ما أنزل من السماء على قدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. أو على أمر قد قدّر في اللوح أنّه يكون، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿ وَ مَمَلَنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَاحِ ﴾ ذات أخشاب عريضة ﴿ وَدُسُو ﴾ ومسامير. جمع دسار، وهو فعال من: دسره إذا دفعه، فإنّه يدسر به منفذه. ومصدره الدسر، وهو الدفع الشديد. وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها، من حيث إنّها كالشرح لها تؤدّى مؤدّاها.

﴿ تَجْدِي بِاعْمَيْنِنَا﴾ بمرأى منّا، أي: محفوظة بحفظنا. ومنه قولهم: عين الله عليه. وقيل: معناه: عليه الله عليه وقيل: معناه: عليه الله الملائكة. وقيل: معناه: تجري بأعين الماء التي انبعناها. ﴿ جَزَاءً لِمَن كَانَ كَفُونَ ﴾ أي: فعلنا ذلك جزاءً لنوح. وحعله مكفوراً لأنّه نعمة كفروها، فإنّ كلّ نبيّ نعمة من الله ورحمة عملى أمّته. ويجوز أن يكون على حذف الجارّ وإيصال الفعل إلى الضمير، تقديره: لمن كان كفر

﴿ وَلَقَدْ مَرْكُنَاهَا﴾ أي: السفينة. أو الفعلة ﴿ آيَلَةٌ ﴾ يعتبر بها، إذ شاع خبرها واشنهر . وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة \_ وقيل: على الجوديّ \_ دهراً طويلاً حتّى نظر إليها أوائل هذه الأمّة. ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِي﴾ معتبر . ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَامِي وَنُذُرِ﴾ استفهام تعظيم ووعيد. والنذر يحتمل المـصدر. وجمع نذير, وهو الإنذار.

وَلَقَدُ يَسَنُونَا الْقُوْآنَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِن شُدَّكُرِ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَلْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُدُرِ ﴿١٨﴾ أَنِّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مِّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَلْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾

﴿ وَلَقَدْ يَسُوْنَا الْقُرْآنَ لِلدُّعْدِ ﴾ سهلناه للاذكار والاتّعاظ ، بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر ، بأن وشحناه بالمواعظ الشافية والإنذارات الوافية . أو للحفظ . وقيل : معناه : ولقد هيّأناه للذكر . من : يسّر ناقته للسفر إذا رحّلها ، ويسّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه . ﴿ فَهُلْ مِنْ مُنْكِي ﴾ متّعظ .

﴿ كَذَّبَتْ عَادُ ﴾ بالرسول الذي بعث إليهم، وهنو هنود، فناستحقّوا الهلاك. ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَاهِي وَنُذُرِ ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أو لمن بعدهم في تعذيبه.

ثمّ بين كيفيّة إهلاكهم، فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْفَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَواً﴾ بارداً. من الصرّ، وهو البرد. أو شديد الصوت، من الصرّ، ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَعَرِّ﴾ استمرّ شؤمه. أو استمرّ عليهم بنحوسته سبع ليالٍ وثمانية أيّام حتّى أهلكهم. أو على جميعهم، كبيرهم وصغيرهم، فلم يبق منهم أحداً. أو اشتد مرارته. وكان يوم الأربعاء في آخر الشهر.

﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم. روي: أنَّهم دخلوا في الشعاب والحفر. وأخذ بعضهم بأيدي بعض ملاصقين. فنزعتهم الربح منها. وأكبّتهم ودفّت رقابهم

٥٣٠ ..... زيدة التفاسير ــج ٦

وصرعتهم، فصاروا أمواتاً على الأرض جثثاً طوالاً عظاماً. ﴿ كَالنَّهُمْ اَعْجَازُ نَــْخَلِ مُنقَعِرِ ﴾ أصول نخل بلا فروع، منقلع عن مغارسه، ساقط عــلى الأرض. وقــل: شبّهوا بالأعجاز، لأنّ الريح طيّرت رؤوسهم وطـرحت أجســادهم بــلا رؤوس. وتذكير منقعر للحمل على اللفظ. والتأنيث في قـوله: ﴿ أَعْجَازُ نَــْخَلٍ خَــَاوِيَةٍ ﴾ (١) للمعنى.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَدُرِ﴾ كرّره للتهويل. وقيل: الأوّل لما حاق بـهم فـي الدنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة، كما قال أيضاً في قصّتهم: ﴿لِنَذْيِقَهُمْ عَذَابَ الخِزْي فِي الْحَيْاةِ اللّٰذِيّا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ الْخَزْيَ ﴾ (٣).

وَلَقَدُ يَسَّوْنَا الْقُوْآنَ لِلذَّكُرِ فَهَلْ مِن مُّدُكِر ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتُ ثُمُودُ بِالْنَدُرِ ﴿٢٢﴾ فَقَالُوا أَبْسَرًا مَنَا وَاحدًا تَتَبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّنِي ضَلَالِ وَسُعُرٍ ﴿٢٢﴾ أَقُولُمِنَ عَدًا مَنِ الْمُؤْتُمِ عَلَيْهِ مِن بَيْنَا بَلْ هُو كَذَّابٌ أَشَرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْشُرُ ﴿٢٧﴾ سَيَعْلَمُونَ عَدًا مَن الْكَذَّابُ الْأَشُرُ ﴿٢٧﴾ الْكَذَّابُ الْأَشُرُ ﴿٢٧﴾ وَاللَّمَ عَدًا مَن وَبَشُهُمْ أَنَّ الْمُأَانَ عَدَا مَن مَصْحَدُر ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ وَتَعْمَمُ وَاصْطَبَرُ ﴿٢٧﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ وَتَعْمَلُ ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَرْسَلُنَا عَلَيْهِمْ صَنْحَةً وَاحدَةً فَكَانُوا كَهْشِيم الْمُخْتَظِرِ ﴿٣١﴾

<sup>(</sup>١) الحاقّة: ٧.

<sup>(</sup>٢) فصّلت: ١٦.

﴿ وَلَقَدْ يَسَوْنَا الْقُوْآنَ لِلذَّيْ فَهَلْ مِنْ مُدَّيِ \* كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذُو ﴾ بالإنذارات والمواعظ التي جاءهم بها صالح. أو بالرسل المنذرين بسبب تكذيبهم صالحاً، لأنَّ تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع، لأنَّهم متَّفقون في الدعاء إلى التوحيد وإن اختلفوا في الشرائع.

﴿ فَقَالُوا البَشَرا مِنّا ﴾ من جنسنا، أو من جملتنا، لافضل له علينا. وانتصابه بفعل يفسره ما بعده. ﴿ وَاجِدا ﴾ منفرداً لاتبع له. أو من آحادهم دون أشرافهم. ﴿ نَتَبِعُهُ إِنّا إِذا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُنٍ ﴾ جمع سعير. كأنّهم عكسوا عليه، فرتّبوا على اتّباعهم إيّاه ما رتّبه على ترك اتّباعهم له. وقيل: السعر الجنون. ومنه: ناقة مسعورة. ﴿ أَعُلْقِيَ الذَّكُر ﴾ الكتاب، أو الوحي ﴿ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ هذا استفهام إنكار وجود، أي: كيف ألقى الوحى عليه وخصّ بالنبوة وفينا من هو أحق منه

وجعود، أي: كيف ألقي الوحي عليه وخصّ بالنبوّة وفينا من هـ و أحـق منه بالاختيار للنبوّة؟! ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّاتُ الثيرُ ﴾ بطر متكبّر ، حمله بطره على الترفّع والتعظّم علينا بادّعاء ذلك.

ثمّ قال سبحانه وعيداً لهم: ﴿ سَيَظَمُونَ غَدا﴾ أي: عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة. وإنّما قال: «غداً» على وجه التقريب، على عادة الناس في ذكرهم الغد وإرادتهم العاقبة، فقالوا: إنّ مع اليوم غداً. ﴿ مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشْبُ ﴾ الذي حمله أشره على الاستكبار عن الحقّ وطلب الباطل، أصالح ﷺ أم من كذّبه ؟!

وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس: سَتَعْلَمُونَ، على الالتفات، أو حكـاية مـا أجابهم به صالح.

﴿إِنَّا مُزْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها وباعثوها معجزة لصالح. وهاهنا حـذف. وهو أنهم تعتبوا على صالح ﷺ، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حـمراء عُشَراء (١٠)، تضع ثم ترد ماءهم فتشربه ثمّ تعود عليهم بمثله لبناً. فقال سبحانه: إنّا

<sup>(</sup>١) العُشَرَاء: الناقة الَّتي مضى لحملها عشرة أشهر، وهي كالنفساء من النساء.

٥٣٧ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

مرسلوا الناقة كما سألوها ﴿فِتْنَةُ لَهُمْ﴾ امتحاناً لهم ﴿فَارْتَقِيْهُمْ﴾ فـانتظر أمر الله فيهم، وتبصّر ماهم صانعون ﴿وَاصْطَبِزَ﴾ على أذاهم حتّى يأتيك أمري.

﴿ وَنَبْثُهُمْ ﴾ وأخبرهم ﴿ أَنَّ الْمُآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ مقسوم لها شرب يوم، ولهم شرب يوم، ولهم شرب يوم، وإنه شرب يوم، وإنّما قال: «بينهم» لتغليب العقلاء. ﴿ كُنُّ شِيرْبِ ﴾ نصيب من الساء ﴿ مُحْتَضَرُ ﴾ محضور لهم، أو للناقة. ففي يوم الناقة تحضره الناقة، وفي يومهم يحضرونه. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم، واللبن في نوبتها.

﴿ فَنَادَوْا صَساجِبَهُمْ ﴾ أي: دبروا في أمر الناقة بالقتل، فدعوا واحداً من أشرارهم، وهو: قدار بن سالف أحيمر تمود ﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾ فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له ﴿ فَعَقَرَ ﴾ فأحدث العقر بالناقة فقتلها. وقيل: فتعاطى السيف فقتلها. والتعاطى تناول الشيء بتكلف.

قَكَنفَ كَانَ عَدَابِي وَنذُرِ ﴾ أي: فانظر كيف كان عذابي لهم وإنذاري إيّاهم.

 ﴿ فَكَنفَ كَانَ عَدَيْهِمْ صَيْحَةً وَاجِدَةً ﴾ يعني: صيحة جبرئيل ﴿ فَكَانُوا كَهَشْبِيمٍ

 الْمُختَظِرِ ﴾ كالحشيش أو الشجر اليابس المتهشّم المتكسّر، الّذي يجمعه صاحب

 الحظيرة لماشيته في الشتاء. والحظيرة: هي الّتي يتّخذها المحتظر \_ أي: صاحبها \_

 لفنمه تمنعها من برد الريح. والمعنى: أنّهم بادوا وهلكوا، فصاروا كيبيس الشجر

 المتغتّن إذا تحطّم.

وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرُانَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرِ ﴿٣٢﴾ كَنَّبَتْ قَوْمُ لُوطَ بِالنَّذَرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسُلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ اَلَ لُوطٌ نَجَيْنَاهُم سِيَحَرٍ ﴿٣٢﴾ يَعْمَةً مَنْ عندنَا كَذَلكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوُا بِالنَّذَرُ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيَنَهُمْ فَذُوقُوا

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحُهُم بُكُرَةً عَذَابٌ مَّسْتَقَرٌ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَّكِرٍ ﴿٤٠﴾

﴿ وَلَقَدْ يَسُونَا القُوْآنَ لِلذَّعْرِ فَهَلْ مِنْ مُنْعِي كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذُرِ ﴾ بالإنذار ، أو بالرسل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبِهِ ﴾ ربحاً تحصبهم بالحجارة ، أي : ترميهم ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ في سحر ، وهو آخر الليل . أو مسحرين . ﴿فِعْنَةُ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ إنعاماً منّا . وهو علّة ل«نجّينا» . ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة .

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ ﴾ لوط ﴿ بَطَشَتَنَا ﴾ أَخَـدْتنا بالعذاب ﴿ فَتَمَارُوا بِالنَّذُرِ ﴾ فكنّبوا بالندر متشاكّين. من المرية. أو فتدافعوا بالإنذار على وجه الجدال بالباطل.

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ﴾ طلبوا منه أن يسلّم إليهم أضيافه ليقصدوا الفجور بهم ﴿ فَطَعَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ فسحناها وسويناها بسائر الوجه، لا يرى لها أثر عين. روي: أنّهم لمّا عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة: خلّهم يدخلوا إنّا رسل ربّك، لن يصلوا إليك. فصفقهم فأعماهم، فتركهم يتردّدون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط. ﴿ فَذُوقُوا عَدَائِي وَنُدُرٍ ﴾ فقلنا لهم: ذوقوا، على ألسنة الملائكة.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ ﴾ أتاهم في الصباح ﴿ بُكْرَةٌ ﴾ أوّل النهار وباكـره، كـقوله: مشرقين ومصبحين ﴿ عَذَابٌ مُسْتَقِرٌ ﴾ ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

 للأذهان، مذكورة من غير نسيان في كلّ أوان. وهكذا تكرير قـوله: ﴿فَــبِائِ آلاَمِ رَبُكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ عند كلّ نعمة عدّها في سورة الرحمن. و﴿وَيْلُ يَوْمَثِذٍ لِلْمُكَدِّبِينَ﴾ عند كلّ آية أوردها في سورة المرسلات، ونحو ذلك.

وَلَقَدُ جَآءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذُرُ ﴿ ١٤﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذَّنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزِ مُّقَنَّدِرِ ﴿ ٤٢﴾

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ آلُ فِرْعَوْنَ النَّذُرُ﴾ الإنذارات، أو المنذرون. وهم: موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. واكتفى بذكر آل فرعون عن ذكره، للعلم بأنَّه أولى بذلك منهم.

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلُهُا﴾ يعني: الآيات التسع ﴿ فَاخَذْنَاهُمْ الْخَذَعَزِيزِ ﴾ لا يغالب ﴿ مُقْتَدِرٍ ﴾ لا يعالب ﴿ مُقْتَدِرٍ ﴾ لا يعالب

أَكُمَّارُكُمْ حَيْرٌ مِّنِ أُوْلِكُمُ أَمْ لَكُمْ بَرَآءٌ فِي الزُّبِرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهُزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبَرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمُ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُ ﴿٤٦﴾

ثمّ خوّف سبحانه كفّار مكّة، فقال: ﴿ أَكَفَّارُكُمْ ﴾ يا معشر الصرب ﴿ خَيْرٌ ﴾ أَشَدٌ وأقوى في أسباب الدنيا ﴿ مِنْ أَوْلَئِكُمْ ﴾ الكفّار، المعدودين من قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون، أي: أهم خير قوّة وعدّة، أومكانة في الدنيا، أو أقلّ كفراً وعناداً؟ والاستفهام للإنكار. والمعنى: لستم مثل أولئك، لا في القوّة، ولا في الثروة، ولا في الثروة، ولا في يؤرّة العدد والعدّة. فإذا هلك أولئك الكفّار فما الذي يؤمنكم أن ينزل

بكم ما نزل بهم؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَوَآءَةً فِي الزُّبُوِ﴾ أم أنزلت عليكم يا أهل مكّة براءة في الكتب السماويّة، أنّ من كفر منكم وكذّب الرسل فهو في أمان من العذاب، فأمنتم بتلك البراءة؟

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَعِيعَ﴾ جماعة، أمرنا مجتمع ﴿مُنْتَصِرَ﴾ معتنع، لانرام ولا نضام. أو منتصر من الأعداء لا نغلب. أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً. والتوحيد على لفظ الجميع. وروي: أنّ أبا جهل ضرب فرسه يوم بدر، فتقدّم في الصفّ وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه.

﴿ سَيُهُوْمُ الْجَمْعُ ﴾ أي: جميع كفّار مكّة ﴿ وَيُحوَلُونَ الدُّبُرَ ﴾ أي: الأدبار. وإفراده لإرادة الجنس، أو لأنّ كلّ واحد يولّي دبره. وقد وقع ذلك يوم بدر، وهو من دلائل النبوة.

وعن عكرمة: لمّا نزلت هذه الآية قال عمر: لم أعلم ما هو، فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: «سيهزم الجمع» فعلمته.

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ موعد عذابهم الأصليّ ، وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائمه ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَنَ ﴾ آشدٌ وأفظح . والداهــية أسر فــظيع لا يــهتدى لدوائــه . ﴿ وَامَرُ ﴾ مذاقاً من الهزيمة والقتل والأسر ، وغير ذلك من عذاب الدنيا .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي صَلَالِ وَسُمُو ﴿ ٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿ ٤٩﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ حَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿ ٤٩﴾ وَمَآ أَمُونَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿ ٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَّا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُدْكِرٍ أَمُونَا إِلَّهُ مِن مُدْكِرٍ ﴿ ٥٠﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿ ٥٠﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ

٥٣٦ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهَرٍ ﴿١٥﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدرٍ ﴿٥٥﴾

ثمّ بيّن سبحانه حال التيامة، فقال: ﴿إِنَّ الْمُجْوِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحقّ في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيران في الآخرة.

﴿ يَوْمَ يُسْمَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِ ﴾ يجرّون عليها، يقال لهم: ﴿ ذُوقُوا مَسُّ سَقَرَ﴾ حرّ النار وألمها، فإنّ مسها سبب التألّم بها، كقولك: وجد مسّ الحمى، وذاق طعم الضرب، إذا تأذّى وتألّم منهما. وشقر: علم لجهنّم. وعدم صرفها للعلميّة والتأنيث. وأصل السقر: التلويح، من: سقرته النار وصقرته إذا لوّحته.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَنَرٍ ﴾ خلقنا كلّ شيء مقدّراً بـمقدار عـلى مـقتضى الحكمة. أو مقدّراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه.

وعن الحسن: على قدر معلوم. فخلقنا اللسان للكلام، واليـد للـبطش، والرجل للمشي، والعين للنظر، والأذن للسماع، والمعدة للطعام. ولو زاد أو نقص عمّا قدّرناه لما تمّ الغرض.

وقيل: معناه: جعلنا لكلّ شيء شكلاً يوافقه ويصلح له، كالمرأة للـرجــل، والأتان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء.

و«كلّ شيء» منصوب بفعل يفسّره ما بعده. واخستيار النـصب هـاهنا مـع الإضمار، لما فيه من النصوصيّة على المقصود.

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةً ﴾ إلّا كلمة واحدة سريعة التكوين. وهو قوله: «كن» عند إرادة إيجاد شيء بلا تأخير. ﴿ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ في اليسر والسرعة. والمعنى: إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه إلّا فعلة واحدةً. وهـ والإيـجاد بـلا مـعالجة

سورة القسر، آية ٤٧ ــ ٥٥..............

ومعاناة. وقيل: معناه معنى قوله: ﴿ وَمَا أَمْنُ السَّاعَةِ إِلَّا كُلَمْحِ الْبُصَرِ ﴾ (١٠).

﴿ وَلَقَدُ الْهَلَكُنَا الشَّيَاعَكُمُ ﴾ أشباهكم في الكفر مئن قبلكم. وسمّاهم أشياعهم لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الأنبياء. ﴿ فَهَلْ مِنْ مُذِّكِرٍ ﴾ متّمظ.

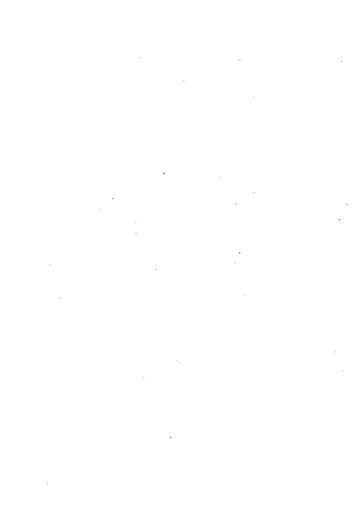
﴿ وَكُلُّ شَيٍّ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ مكتوب في كتب الحفظة ودواوينهم.

﴿ وَكُلُّ صَفِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الأعمال والأرزاق والآجمال والموت والحمياة وغيرها منا هو كائن ﴿ مُسْتَطَنَّ ﴾ مسطور في اللوح.

﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهُو﴾ أنهار الجنّة، من الماء والخمر واللبن والعسل. واكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء، من النهار.

﴿ فِي مَقْفَدِ صِدْقٍ ﴾ في مكان مرضيّ. وسمّي صدقاً، لأنّ الله صدق وعد أوليائه فيه. ﴿ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِ ﴾ مقرّبين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار، فلا شيء إلّا وهو تحت ملكه وقدرته. فأيّ منزلة أكرم من تلك المنزلة، وأجمع للفبطة كلّها والسعادة بأسرها؟ وليس المراد قرب المكان، لتعاليه سبحانه عن ذلك، بل المراد أنّهم في كنفه وجوار رحمته وكفايته، حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله.

<sup>(</sup>١) النحل: ٧٧.





## سورة الرّحمن

مكّيّة. وهي ثمان وسبعون آية.

أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: من قـرأ ســورة الرحــمن رحــم الله ضعفه، وأدّى شكر ما أنعم الله عليه».

وروي عن موسى بن جعفر ، عن آبائه ﷺ ، عن النبيَّ ﷺ قال: «لكلّ شيء عروس ، وعروس القرآن سورة الرحمن جلّ ذكره».

أبو بصير عن أبي عبدالله على قال: «لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها، فإنها لا تقرّ في قلوب المنافقين. وتأتي ربها يوم القيامة في صورة آدميّ في أحسن صورة وأطيب ريح، حتى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها. فيقول لها: من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك؟ فتقول: يا رب فلان وفلان. فتبيض وجوههم، فيقول لهم: اشفعوا فيمن أحببتم. فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له. فيقول لهم: ادخلوا الجنّة واسكنوا فيها حيث شتم».

حمّاد بن عثمان قال: «قال الصادق الله عنه أن يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة، فكلّما قرأ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَنِّبَانِ» قال: لا بشيء من آلائك يا ربّ أكذّب».

وعنه على قال: «ومن قرأ سورة الرحمن ليلاً، يقول عند كلِّ «فَبأَيُّ آلَاءٍ

0٤٠ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ»: لا بشيء من آلائك يا ربّ أكذّب، وكّل الله به ملكاً إن قرأها في أوّل الليل يحفظه حتّى يصبح، وإن قرأها حين يصبح وكّل الله به ملكاً يحفظه حتّى يمسي».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنُ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ بِحُسْبَانِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿١﴾ وَالسَّمَآءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ الاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْمِيزَانَ ﴿١﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلاَنَامِ ﴿١٠﴾ وَالْمَرْضَ وَضَعَهَا لِلاَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهًا فَأَكُمَةٌ وَالنَّحْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُ ذُو الْعَصْفُ وَالرَّيحَانُ ﴿٢١﴾ فَالْحَبُ ذُو الْعَصْفُ وَالرَّيحَانُ ﴿٢١﴾

ولمّا ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه، افتتح هذه السورة أيضاً بــاسمه. فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمُنِ الرَّحِيمِ \* الرُحْمَنُ \* عَلَمُ الْقُرْآنَ \* لَمَا كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيويّة والأخرويّة، صدّرها بالرحمن. ثمّ أراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى رواتبها، وهو إنعامه بالقرآن وتزيله وتعليمه، لأنّه أعظم وحني الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين

أثراً. وأعرّ الكتب السماويّة حكماً. إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ومصداق لها.

ثمّ أتبعه قوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَمْهُ الْبَيَانَ ﴾ إيماءً بأنّ الغرض من خلق البشر، وما يميّز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير، هو معرفة الله سبحانه، والعلم بالشرعيّات، والعمل بمقتضاها، وإفهام الغير بها، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذلّ، كثرّك بعد قلّة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟

وعن ابن عبّاس: المراد بالانسان آدم. وتعليم البيان تعليم أسماء كلّ شيء واللغات كلّها.

وعن ابن كيسان: الانسان محمّد ﷺ، علَّمه القرآن والبيان.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما ومنازلهما، وتتسق بذلك أمور الكائنات السفليّة، وتختلف الفصول والأوقات، ويعلم السنون والحساب، وغير ذلك من المنافع العظيمة للناس، من الضياء والنور، ومعرفة الليل والنهار، ونضج الثمار، ونظائرها. ولكثرة منافعهما خصّهما بالذكر.

﴿ وَالنَّجْمُ ﴾ والنبات الذي ينجم، أي: يطلع من الأرض ولا ساق له، كالبقول ﴿ وَالشَّجْرُ ﴾ والذي له ساق ﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ ينقادان لله فيما خلقا له طبعاً، انقياد الساجد من المكلّفين طوعاً.

وكان حق النظم في الجملتين أن يقال: وأجرى الشمس والقمر، وأسجد النجم والشجر ، أو الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له، ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن، لكنّهما جرّدتا عمّا يدلّ على الاتّصال إشعاراً بأنّ وضوحه يغنيه عن البيان.

وإدخال العاطف بينهما للتناسب بينهما، وهو أنَّ الشمس والقمر سماويَّان،

٥٤٧ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

والنجم والشجر أرضيّان، فبين القبيلين تناسب من حيث التـقابل. وأنّ السـماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين. وأنّ جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر، لاشتراكهما في الدلالة على أنّ ما يحسّ به من تغيّرات أحوال الأجرام العلويّة والسفليّة بتقديره وتدبيره.

وعن مجاهد: أراد: أنَّ نجم السماء \_ وهو موحَّد، والمراد به جميع النجوم \_ والشجر يسجدان لله بكرة وأصيلاً، كما قال: ﴿ وَالشَّبِرُ وَالدُّوابُ ﴾ (١).

وقيل: سبجودهما سبجود ظلالهما، كقوله: ﴿ يَمْتَقَيُّوا ظِلَالُهُ عَنِ الَّيهِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّداً شِهُ﴾ (٣). والمعنى: أنَّ كلَّ جسم له ظلَّ فهو يقتضي الخضوع، بما فيه من دليل الحدوث وإثبات المحدثِ المدبّر.

﴿ وَالسَّمَاءَ وَقَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة، حيث جعلها منشأ أقضيته، ومنزل أحكامه، ومحل ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه. ونبّه بذلك على كبرياء شأنه، وتعالى ملكه، وعظمة سلطانه.

﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ المدل، وهو الانصاف والانتصاف، بأن وقر على كلّ مستعد مستحدة، ووفّى كلّ ذي حقّ حقّه، حتّى انتظم أمر العالم واستقام، كما قال ﷺ: «بالعدل قامت السماوات والأرض». أو ما يعرف به مقادير الأشياء، من ميزان ومكيال ومقياس ونحوها. فعلّق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبّدهم به، من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم. كأنّه لمّا وصف السماء بالرفعة من حيث إنّها مصدر القضايا والأقدار، أراد وصف الأرض بما فيها، ممّا ينظهر به التفاوت، ويعرف به المقدار، ويستوى به الحقوق والمواجب.

﴿ أَلَّا تَطْغُوا فِي الْمِيزَانِ ﴾ لئلًا تـطغوا فيه، أي: لا تـعتدوا، ولا تـجاوزوا

<sup>(</sup>١) الحجّ : ١٨ .

<sup>(</sup>٢) النحل: ٤٨.

﴿ وَاقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ》 وقَوَموا وزنكم بالعدل ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْسِيزَانَ》 ولا تنقصوه، فإنّ من حقّه أن يسوّى، لأنّه المقصود من وضعه. وتكريره مبالغة في التوصية به، وزيادة حتّ على استعماله.

ثمّ قابل قوله: «والسماء رفعها» بقوله: ﴿ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوّة على الماء ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ للخلق. وهو كلّ ما على ظهر الأرض من دابّة. وعن الحسن: الجنّ والإنس. وقيل: الأنام كلّ ذي روح. فهي كالمهاد لهم يتصرّفون فوقها.

﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ ضروب ممّا يتفكّه به ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ أوعية التسر. جمع كِمّ بكسر الكاف. أو كلّ ما يكمّ - أي: يغطّى - من ليف وسعف وكفرّى (١١، أوّل ما يبدأ من التمر، فإنّه ينتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجمّاره (٢) وجذوعه.

﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذّى به. والعصف ورق النبات اليابس، كالتبن. ﴿ وَالرَّيْحَانُ ﴾ يعني: المسموم. أو الرزق، من قولهم: خرجت أطلب ريحان الله، أي: رزق الله. أراد: أن فيها ما يتلذّذ به من الفواكمه، والجامع بين التلذّذ والتغذّي وهو ثمر النخل، وما يتغذّى به وهو الحبّ.

وقرأ ابن عامر: والحبّ ذا العصف والريحان، أي: وخلق الحبّ وخلق الريحان، أو وأخصّ الحبّ والريحان. ويجوز أن يراد: وذا الريحان، فحذف المضاف.

وقرأ حمزة والكسائي: وَالرَّيْحَانِ بالخفض، وما عدا ذلك بالرفع. وهو فيعلان من الروح، فقلبت الواو وأدغم ثمّ حذف. وقيل: روحان، فقلبت واوه ياءٌ للتخفيف. ﴿ فَبِلَى آلَاءِ رَبُّكُما تُكَنَّبُانِ﴾ لأنّها كلّها منعم عليكم بها. والخطاب للثقلين

<sup>(</sup>١) الكَفَرَّى: وعاء طلع النخل.

<sup>(</sup>٢) الجُمّار: شحم النخلة.

لا يمكن جحد شيء من هذه النعم. ووجه تكرار هذه الآية قد مرّ فسي ســورة<sup>(۲)</sup> القمر.

حَلَقَ الإِسَانَ مِن صَلْصَالَ كَالْفَخَارِ ﴿١٤﴾ وَحَلَقَ الْجَآنَ مِن مَارِحٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبَأَيِ اللَّهِ رَبِّكُمَّا تُكَذِّبانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِئِيْنِ ﴿١٧﴾ فَبَأَيِ آلآءِ رَبِكُمَّا تُكذِّبانِ ﴿١٨﴾

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ يعني: آدم، أو جميع البشر، لأنّ أصلهم آدم ﷺ ﴿ مِنْ صَلْصَالِ ﴾ من طين يابس له صلصلة، أي: صوت إذا ضربت يدك عليه ﴿ كَالْفَخَّالِ ﴾ كالخزف والآجرّ. وقد خلق الله آدم من تراب، بأن جعله طيناً، ثمّ حماً مسنوناً، ثمّ صلصالاً. فلا يخالف قوله: ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (\*) ﴿ حَمَا مِسْ نُونٍ ﴾ (\*) ﴿ مِنْ طِينٍ كَرَابٍ ﴾ (\*) . لارب ﴿ (٥).

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَ ﴾ أبا الجنّ. وقيل: هو إبليس، أو جنس الجنّ. ﴿ مِنْ مَارِجٍ ﴾ من لهب صافٍ من الدخان. وقيل: مختلط أحمر وأسود وأبيض. ﴿ مِنْ نَارٍ ﴾ بيان لامارج» فإنّه في الأصل للمضطرب، من: مرج إذا اضطرب. كأنّه قيل: من صافٍ من نار.

<sup>(</sup>١) الرحيان: ٣١.

<sup>(</sup>٢) راجع ص ٥٣٣، ذيل الآية ٣٢.

<sup>(</sup>٣) آل عمران: ٥٩.

<sup>(</sup>٤) الحجر: ٢٦.

<sup>(</sup>٥) الصافّات: ١١.

﴿فَهِائِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ممّا أفاض عليكما في أطوار خلقتكما، حـتّى صيّركما أفضل المركّبات وخلاصة الكائنات.

﴿ رَبُّ الْمَشْوِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْوِبَيْنِ﴾ مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما. وقيل: مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما.

﴿ فَبِائِي ٓ الآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ممّا في ذلك من الفوائد الَّتي لا تحصى، كاعتدال الهواء، واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كلّ فصل فيه، إلى غير ذلك.

مَرَجَ الْبَحْرُيْنِ يُلْقَيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخْ لاَ يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبَأَيِ الآءِ رَبِكُمَا تُكَذَبِانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبَأَيِ الآءَ رَبِكُمَا تُكَذَبِانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ ﴿٢٢﴾ فَبَأَيِ الآءَ رَبِكُمَا تُكذِّبانِ ﴿٢٠﴾

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ أرسلهما. من: مرجت الدابّة إذا أرسلتها. والمعنى: أرسل البحر الملح والبحر العذب. ﴿ يَلْتَقْيَانِ ﴾ متلاقيين، لا فصل بين الماءين في مرأى العين.

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَعُ﴾ حاجز من قدرة الله ﴿ لَا يَـبْغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما عـلى الآخر بالممازجة وإبطال الخاصّيّة. أو لا يتجاوزان حدّيهما بإغراق ما بينهما. قيل: إنّهما بحر فارس وبحر الروم.

﴿ فَبِائِي آلَاءِ رَبُّكُمُا تُكَذُّبَانِ ﴾ حيثِ خلق البحرين العذب والمالح يملتقيان بحيث لا يختلطان.

﴿ بَخْرُجُ ﴾ وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب: يُخْرَجُ ﴿ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾

٥٤٦ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

كبار الدرّ وصفاره. وقيل: العرجان الخرز الأحمر، وهو البشد(١٠). وإن صعّ أنّ الدرّ يخرج من العلم، فإنّما قال: «منهما» لأنّه لمّا التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال: يخرجان منهما، كما يقال: يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر، ولكن من بعضه، وتقول: خرجت من البلد، وإنّما خرجت من محلّة من محالّه، بل

وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب. فيكون العذب كاللقاح للملح، ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه الملح والعذب، وذلك معروف عند الفؤاصين.

ومثله قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ (٢) وإنّما هو في واحدة منهنّ. وقوله: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ الْهَ يَاتِكُمُ رُسُلٌ مِنْكُمَ﴾ (٣). والرسل من الإنس دون الجنّ.

وعن ابن عبّاس: يخرج من ماء السماء وماء البحر. فإنّ القطر إذاجاء مسن السماء تفتّحت الأصداف، فكان من ذلك القطر اللؤلؤ.

وروي عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان التوري:أنّ «البحرين» عليّ وفاطمة. «بينهمابرزخ» محمّد ﷺ . «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين ﷺ .

ولا غرو أن يكونا ﴿ بِهِ بِعرِين ، لسعة فضلهما، وكثرة خيرهما، فإنّ البحر إنّما يستى بحراً لسعته، وقد قال النبيّ ﷺ لفرس ركبه وأجبراه فأحمده: «وجدته بحراً» أي: كثير المعاني الحميدة .

﴿ فَبِايٌ آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾ ممّا أعطاكم من ألبسة الجواهر الحسنة

<sup>(</sup>١) البُسَّذُ كسُكَّر: المرجان. معرّب. الصحاح ١: ٣٥١.

<sup>(</sup>۲) نوح: ۱٦.

<sup>(</sup>٣) الأنعام: ١٣٠.

﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ ﴾ السفن الجارية في الماء بأمر الله ﴿ الْمُنْشَفَاتُ ﴾ المرفوعات الشرع، أو المصنوعات. وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين، أي: الرافعات الشرع، أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ، أو ينشئن السير. ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالْآغَلَامِ ﴾ كالجبال. جمع علم، وهو الجبل الطويل.

﴿فَبِائِ آلَاءِ رَبُّكُمُا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق موادّ السفن، والإرشـــاد إلى أخـــذهـا. وكيفيّة تركيبها وإجرائها في البحر. بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيُبْقَى وَجُهُ رَبِكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴿٧٧﴾ فَبِأَيِّ الْآء رَبِكُمَا تُكَذَّبِانِ ﴿٨٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ الْآء رَبِكُمَا تُكَذَّبِانِ ﴿٣٠﴾

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ على الأرض من الحيوانات أو المركبّات. و«من» للتغليب. ولم يذكر مرجع الضمير لكونه معلوماً، كقولهم: ما بين لابتيها، أي: لابتي المدينة. ﴿ فَانِ﴾ يفنون ويخرجون من الوجود. والتوحيد باعتبار لفظة «كلّ».

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ذاته. والوجه يعبر به عن الجملة والذات، باعتبار أنّ ذات الشيء يعرف بوجهه. ومساكين مكّة يقولون: أين وجه عربيّ كريم ينقذني من الهوان؟ ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ ذو العظمة والكبرياء بحيث لا يحيط بكنهه ما سواه. أو ذو الاستغناء المطلق. أو الذي يجلّه الموحدون عن التشبيه بخلقه، وعن أفعالهم. أو الذي يقال له: ما أجّلك. ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ذوالفضل العامّ. أو الذي يقال له: ما أكرمك. وقيل: معنى جلاله وإكرامه: من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من أنبيائه وأوليائه بألطافه وإفضاله، مع كمال جلاله وعظمته. وهذه الصفة من أعظم صفات الله. ولقد قال رسول الله ﷺ: «ألظّوا \_ يعني: الزموا \_ بديا ذا الجلال والإكرام». وعنه ﷺ «أنّه مرّ برجلٍ وهو يصلّي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام. فـقال: قـد استجيب لك».

﴿ فَبِائِي آلَاءِ رَبُكُمَا تُكَذَّبُانِ﴾ أي: من بقاء الربّ، وإبقاء ما لا يحصى ممّا هو على صدد الفناء رحمة وفضلاً. أو ممّا يترتّب على فناء الكلّ، من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم.

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنّهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمّهم ويعنّ لهم. فيسأله أهل السماوات ما يتعلّق بدينهم، وأهل الأرض ما يتعلّق بدينهم ودنياهم. والعراد بالسؤال ما يدلّ على الحاجة إلى تحصيل الشيء، نطقاً كان أو غيره. ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ ﴾ كلّ وقت وحين يحدث أشخاصاً ويجدّد أحوالاً، على ما سبق به قضاؤه، كما روي عن أبي الدرداء: «أنّ رسول الله ﷺ تلاها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرّج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين».

وعن ابن عبّاس قال: إنّ ممّا خلق الله تعالى لوحاً من درّة بـيضاء، دواتــه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر الله فيه كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة، يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعرّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله: «كلّ يومٍ هو في شأن».

وقيل: شأنه جلّ ذكره أن يخرج في كلّ يوم وليلة ثلاثة عساكر: عسكراً من أصلاب الآباء إلى الأرحام، وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكراً من الدنيا إلى القبر، ثمّ يرتحلون جميعاً إلى الله.

وقيل: شأنه إيصال المنافع إليك، ودفع المضارّ عنك، فلا تغفل عن طاعة من

لا يغفل عن برّك.

وعن ابن عيينة: الدهر عند الله يومان، أحدهما: اليوم الذي هو مـدّة عــمر الدنيا، فشأنه فيه الأمر والنهي، والإماتة والإحياء، والإعطاء والمنع. والآخر: يوم القيامة، فشأنه فيه الجزاء والحساب.

وعن مقاتل: نزل في ردّ اليهود حين قالوا: إنّ الله لا يقضي يوم السبت شيئاً. وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية، فاستمهله إلى الغد، وذهب كئيباً يفكّر فيها. فقال غلام له أسود: يا مولاي أخبرني ما أصابك، لعلّ الله يسلمل لك على يدى. فأخبره، فقال له: أنا أفسّرها للملك فأعلمه.

فقال: أيّها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار. ويولج النهار في الليل. ويخرج الحيّ من الميّت. ويخرج الميّت من الحيّ، ويشفي سقيماً. ويسقم سليماً. ويبتلي معافئ. ويعافي مبتلئ. ويعرّ ذليلاً، ويذلّ عزيزاً. ويفقر غنيّاً. ويغني فقيراً.

فقال الأمير: أحسنت، وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة. فقال: يا مو لاى هذا من شأن الله.

وعن عبدالله بن طاهر: أنّه دعا الحسين بن الفضل فقال له: أشكلت علي ثلاث آيات، دعوتك لتكشفها لي. قوله تعالى: ﴿فَاصْبَحَ مِنَ النَّابِمِينَ﴾ (۱). وقد صحّ أنّ الندم توبة. وقوله: ﴿فُلْ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ﴾ (۱). وصحّ أنّ القلم جفّ بما هو كانن إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿وَأَن لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلّا مَا سَعَىٰ﴾ (۱). فما بال الأضعاف؟

فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمّة. ويكون توبة في

<sup>(</sup>١) المائدة: ٣١.

<sup>(</sup>٢) الرحمن: ٢٩.

<sup>(</sup>٣) النجم: ٣٩.

هذه الأمّة، لأنّ الله تعالى خصّ هذه الأمّة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم. أو ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل، ولكن على حمله. وأمّا قوله: «وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى» فمعناه: ليس له إلّا ما سعى عدلاً، ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً. وأمّا قوله: «كلّ يوم هو في شأن» فإنّها شؤون يبديها، لا شؤون يبتدئها.

فقام عبدالله وقبّل رأسه، وسوّع خراجه.

﴿ فَبِائِي آلَاءِ رَبِّكُمُا تُكَذِّبَانِ﴾ ممّا يسعف به سؤلكما، ومايخرج لكما من مكمن العدم حيناً فحيناً.

سَنَفُرُغُ لَكُمْ أَنَّهَا النَّقَاكِنِ ﴿ ٣١﴾ فَبَأَيِّ آلَا وَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿ ٣٧﴾ يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ وَالإِنسِ إِن آسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُدُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَعْشَرَ الْجَنِّ وَالإِنسِ إِن آسْتُطَان ﴿ ٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَآء رَبِكُمَا تُكَذَّبَانَ ﴿ ٣٤﴾ فَانفُذُوا لاَ تَنفُدُوا لاَ تَنفُدُونَ إلاَ سِسُلُطَان ﴿ ٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلآء رَبكُمَا يُوسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴿ ٣٥﴾ فَبِأَيِ آلآء رَبكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ ٣٣﴾

ولمّا ذكر سبحانه الفناء والإعادة، عقّب ذلك بذكر الوعيد والتهديد، فقال: ﴿سَنَفْرُعُ لَكُمْ النَّقَلَانِ﴾ سنتجرّد لحسابكم وجزائكم. وذلك يوم القيامة، فإنّها تعالى لا يفعل فيه غيره.

وتنقيح المعنى: ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق الّتي أرادها بقوله: «كلّ يوم هو في شأن»، فلا يبقى إلّا شأن واحد، وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل. وقيل: تهديد مستعار من قولك لمن تهدّده: سأفسرغ لك. تسريد: سأتجرّد للإيقاع بك من كلّ ما يشغلني عنك حتّى لا يكون لي شغل سواه. والمراد: التوفّر على النكاية فيه والانتقام منه، فإنّ المتجرّد للشيء كان أقوى عليه وأجدّ فيه.

وقرأ حمزة والكسائي بالياء. والثقلان: الإنس والجنّ. ستيا بذلك لشقلهما على الأرض، أو لرزانة رأيهما وقدرهما، أو لأنّهما مثقلان بالتكليف.

﴿فَهِلِيُّ آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ من جملتها إعلامكم الحساب والجزاء، لتـتهيّؤا في أعمال الخير، وتجتنبوا عن أفعال الشرّ.

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ كالترجمة لقوله: «أيّها الثقلان» ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ 
تَنْقُدُوا مِنْ الْعَطُو السَّعْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السماوات 
والأرض هاربين من الموت، أو فارّين من قضائه وقدره. يقال: نفذ الشيء من 
الشيء إذا خلص منه، كالسهم ينفذ من الرمية. ﴿ فَانْقُدُوا ﴾ فاخرجوا. ثمّ قال: ﴿ لاَ 
تَنْقُدُونَ ﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿ إِلَّا بِسُلْطَانِ ﴾ إلّا بقوّة وقهر وغلبة، وأنّى لكم 
ذلك؟ فإنّكم حيث توجّهتم فئمّ ملكي وسلطاني.

بيّن سبحانه بذلك أنّهم في حبسه، وأنّه مقتدر عليهم لا يفوتونه. وجعل ذلك دلالة على توحيده وقدرته، وزجراً لهم عن معصيته ومخالفته. ونحوه: ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءَ﴾ (١).

روي: أنّ الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجـنّ والإنس هربوا، فلا يأتون وجهاً إلّا وجدوا الملائكة أحاطت به.

وقيل: المعنى: إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السماوات والأرض فانفذوا لتعلموا، لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببيّنة نصبها الله، فتعرجون عليها بأفكاركم. ﴿ فَهِلَى اللهِ وَبُكْمًا تُكَذِّبُانِ﴾ أي: من التنبيه والتحذير، والمساهلة والعفو مع

<sup>(</sup>١) العنكبوت: ٢٢.

كمال القدرة، لترغبوا بالطاعة، وتجتنبوا عن المعصية. أو ممّا نصب من المصاعد العقليّة والمعارج النقليّة، فتنفذون بها إلى فوق السماوات العلى.

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمُا شُوَاظُ﴾ لهب أخضر منقطع ﴿ مِنْ فَارٍ وَنُحَاسُ ﴾ ودخان. أو صفر مذاب يصبّ على رؤوسهم. وعن ابن عبّاس: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر.

وقرأ ابن كثير: شِوَاظً بكسر الشين. وهو لغة. ونُحَاسٍ بالجرّ، عـطفاً عــلى «نَارٍ». ووافقه أبو عمرو ويعقوب في رواية.

﴿ فَلَا تَنتَصِوَانِ ﴾ فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما. وجاء في الحديث: «يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار، ثمّ ينادون: «يا معشر الجنّ والإنس» إلى قوله: «شواظ من نار ونحاس»».

وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال: «كنّا عند أبي عبدالله على فأنشأ يحدثنا، فقال: إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد، وذلك أنه يوحي إلى السماء الدنيا أن اهبطي بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجنّ والإنس والملائكة، فلا يزالون كذلك حتّى يهبط أهبل سبع سماوات، فيصير الجنّ والإنس في سبع سرادقات من سبعة أطواق من الملائكة، فيظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة، ثمّ ينادي منادٍ: «يا معشر الجنّ والإنس» إلى قوله: «فلا تنتصران».

﴿ فَهِائِي آلاءِ رَبُّكُمَا تُتَذَّبَانِ﴾ فإنَّ التهديد لطف. والتمييز بين المطبع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفّار في عداد الآلاء.

فَإِذَا ٱنشَقَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ الآّء رَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَنِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ الآءِ

رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمُ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبَأَيِ الْآءِ رَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٤٠﴾ هَذهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجُرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَنِيْهَا وَبَيْنَ حَسِمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبَأَي الْآءِ رَبِكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٤٥﴾

﴿ فَإِذَا انشَقْتِ السَّمَآءُ ﴾ يعني: يوم القيامة تصدَّعت السماء، وانفكَ بعضها من بعض ﴿ فَكَانَثُ وَزَدَهُ ﴾ فصارت وردة في الاحمرار، وهي جمع الورد، ﴿ كَالدَّهَانِ ﴾ أي: مذابة كالدهن، وهو اسم لما يدهن به، كالحزام، أو جمع دهن، وقبيل: هو الأديم (١) الأحمر.

وقال الفرّاء: شبّه تلوّن السماء بتلوّن الوردة<sup>٢٧)</sup> من الخيل. وشبّه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه.

وقيل: هو دهن الزيت، كما قال: ﴿كَالْمُهُلِ﴾ (٣). وهو: درديٍّ (٤) الزيت.

﴿فَبِائِ آلَاءِ رَبُكُمَا تُكَذَّبُانِ﴾ وجه النعمة في انشقاق السماء واحمرارها وذوبانها، فإنّ في الإخبار به زجراً وتخويفاً في دار الدنيا يوجب الانقياد لأوامر الله، فيكون فيه لطف.

﴿ فَيَوْمَذِذٍ ﴾ أي: فيوم تنشق السماء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسُ ﴾ بعض من

<sup>(</sup>١) أي : الجلد .

<sup>(</sup>٢) الورد من الخيل: ما كان أحمر اللون إلى صفرة. والوردة: لون الورد.

<sup>(</sup>٣) المعارج: ٨.

<sup>(</sup>٤) الدُرْدِيِّ من الزيت: الكدر الراسب في أسفله.

الإنس ﴿ وَلاَ جَانَ ﴾ أريد به: ولا جنّ. أي: ولا بعض من الجنّ. فوضع الجانّ الّذي هو أبو الجنّ موضم الجنّ. كما يقال: هاشم ويراد به ولده.

والمعنى: لا يسأل عصاة الإنس والجنّ، لأنّهم يعرفون بسيماهم، وذلك حينما يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً \ على اختلاف مراتبهم.

وأمًا قوله: ﴿فَقَرَبُكَ لَنَسْالَتُهُمْ﴾ (٢) ﴿وَقِقَوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ (٣) فحين يحاسبون في المجمع. قال قتادة: قد كانت مسألة ثم ختم عملى أفواه القوم، وتكلّمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

وقيل: معناه: لا يسأل عن ذيبه ليعلم من جهته، ولكن يسأل سؤال توبيخ.

وروي عن الرضا ﷺ أنَّه قال: «فيومئذٍ لا يسأل منكم عــن ذنــبه إنس ولا جانَّ».

والمعنى: أنّ من اعتقد الحقّ ثمّ أذنب ولم يتب في الدنيا عدَّب عـليه فـي البرزخ، ثمّ يخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه.

والضمير للإنس باعتبار اللفظ. فإنّه وإن تأخّر لفظاً تـقدّم رتـبـة. وتــوحيد ضمير الإنس لكونه في معنى البعض.

﴿ فَبِائِ آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: منّا أنعم الله على عباده المؤمنين في هـذا اليوم.

﴿ يُفْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلامتهم من سواد الوجه وزرقة العيون، ومن الكآبة والحزن ﴿ فَيُؤْخَذُ إِللَّهُ وَالعِنِي وَالْقُدَامِ ﴾ مجموعاً بينهما، أي: فتأخذهم

<sup>(</sup>١) ذَادَهُ ذَوْداً: دفعه وطرده.

<sup>(</sup>٢) الحجر: ٩٢.

<sup>(</sup>٣) الصافّات: ٢٤.

الزبانية فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالفلّ، ثمّ يسحبون ويقذفون في النار. وعن الضحّاك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره. وقيل: تسحبهم الملائكة، تارة تأخذ بالنواصي، وتارة بالأقدام.

﴿ فَبِائي آلَاهِ رَبُّكُمُا تُكَذِّبُانِ﴾ ممّا أعلمكم من تعذيب العاصين، لتجتنبوا المعصية وترغبوا في الطاعة.

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ ﴾ أي: يقال لهم: هذه جمهنّم ﴿ النَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ الكافرون ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا ﴾ بين النار يحرقون بها ﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ ﴾ ماء حار ﴿ عَانٍ ﴾ بلغ النهاية في الحرارة. يصبّ عليهم، أو يسقون منه.

وقيل: إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم.

وقيل: إنّ وادياً من أودية جهنّم يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم في الأغلال، فيفسون فيه حتّى تنخلع أوصالهم، ثمّ يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً، وذلك قوله: ﴿ كُلُمّا نَصْبِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ (١١). الآية.

﴿ فَبِائِي آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ولا شبهة أنّ التذكير بفعل العقاب والإنذار به من أكبر النعم، لما فيه من الزجر عمّا يستحقّ به العقاب، والبعث والحتّ على فعل ما يستحقّ به الثواب، وهذا نهاية اللطف.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِهِ جَنَّنَانِ ﴿ ١٤﴾ فَبِأَيِّ الآُ وَبِكُمَّا تُكَذَّبُانِ ﴿ ١٤﴾ فَبِلَا تُكذَّبُانِ ﴿ ١٤﴾ فَبِهِمَا عَيْنَانِ ﴿ ١٤﴾ فَبِهِمَا عَيْنَانِ ﴿ ١٤﴾ فَبِهِمَا عَيْنَانِ ﴿ ١٥﴾ فَبِهِمَا مِن كُلِّ فَأَكِهَةً تَجْرَانِ ﴿ ٥٠﴾ فَبِهِمَا مِن كُلِّ فَأَكِهَةً

<sup>(</sup>١) النساء: ٥٦.

رَوْجَانِ ﴿٢٥﴾ فَبَأَي آلآء رَبِكُمَا تُكَذَبّانِ ﴿٣٥﴾ مُتَكَيْنَ عَلَى فُرُش بَطَائَتُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق وَجَنَى الْجَنَّيْنِ دَانِ ﴿٤٥﴾ فَبَأَي آلآء رَبِكُمَا تُكَذَبّانِ ﴿٥٥﴾ فيهِنَ قاصراتُ الطَّرُف لَمْ يَطْمِثْهِنَّ إِنِسْ قَبْلُهُمْ وَلَّا جَآنٌ ﴿٥٥﴾ فَبَأَي آلآء رَبِكُمَا تُكَذَبّانِ ﴿٥٥﴾ كَأَنْهَنَ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٨٥﴾ فَبَأَي آلآء رَبكُمَا تُكَذّبانِ ﴿١٥﴾ فَبَأَي آلآء رَبكُمَا تُكَذّبانِ ﴿١٥﴾ هَلُ جَزَآء الإِحْسَانِ إِلاَ الإِحْسَانُ ﴿٢٠﴾ فَبَأَي آلآء رَبكُمَا تُكَذّبانِ ﴿١٥﴾

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب. أو مقام الخائف عند ربّه للحساب، كقوله: ﴿ يَقُومُ لِتَقُومُ النَّاسُ لِرَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠. أو قيامه على أحواله، من: قام عليه إذا راقبه. وعلى التقادير؛ أضاف المقام إلى الربّ تفخيماً وتهويلاً. أو المراد: خاف ربّه، و«مقام» مقحم. ﴿ جَنَتَانِ ﴾ جنّة للخائف الإنسي، وجنّة للخائف الإنسي، وجنّة للخائف الجنّي، فإنّ الخطاب للفريقين.

والمعنى: لكلّ خائفين منكما أو لكلّ واحد جنّة لعقيدته، وأخرى لعمله، أو جنّة لفعل الطاعات، وأخرى لعمله، أو جنّة لفعل الطاعات، وأخرى لترك المعاصي، لأنّ التكليف دائر عليهما، أو جنّة يثاب بها، وأخرى يتفضّل بها عليه، كقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَخْسَنُوا الْخُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (٣). أو جنّة داخل القصر، والأخرى خارج القصر، كما يشتهى الانسان في الدنيا، وقيل:

<sup>(</sup>١) المطفّفين: ٦.

<sup>(</sup>۲) يونس: ۲٦.

إحدى الجنّتين منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدمه. وقيل: جنّة من ذهب، وجنّة من فضّة. أو روحانيّة وجسمانيّة. وكذا ما جاء مثنى بعد.

﴿ فَبِأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمُا تُكذُّبُانِ ﴾ ممّا أعطاكم من نعم الجنّة.

ثمّ وصف الجنّين بقوله: ﴿ نَوَاتَا أَفْمَانِ﴾ أنواع من الأشجار والثمار، جمع فنّ. أو أغصان، جمع فنن، وهي الغصنة الّتي تتشعّب من فروع الشجر. وتخصيصها بالذكر لأنّها الّتي تورق وتثمر، ومنها يمتدّ الظلّ. ﴿ فَبِاكِيّ آلَاءٍ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاؤا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال، إحداهما: التسنيم، والأخرى: السلسبيل. وقيل: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذّة للشاربين. ﴿ فَهِائِي آلاءِ رَبِّكُمُ الْتُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلُّ فَاكِيَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان: غريب ومعروف، أو رطب ويابس. ﴿ فَبَايُ آلَاءِ رَبُكُمًا تُكَذِّبَانِ﴾ .

﴿ مُتَّكِنِينَ﴾ نصبه على المدح للخائفين، أو حال منهم، لأنّ «من خاف» في معنى الجمع، أي: قاعدين اتّكاءً كالملوك ﴿ عَلَىٰ فُرْشٍ بَطَآتِفُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ من ديباج ثخين. وإذا كانت البطائن كذلك فما ظنّك بالظهائر؟! وقيل: ظهائرها من سندس، وقيل: من نور. وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من استبرق فما الظواهر؟ قال: هذا منا قال الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفِى لَهُمْ مِنْ قُرُةٍ أَعْفَنُ﴾ (١٠).

﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَذِنِ دَانٍ ﴾ قريب يناله القائم والقاعد، والمضطجع والمستلقي. و«جنى» اسم بمعنى: مجنيّ. ﴿ فَيَأَيُّ آلَاءِ رَبُّكُمُا تُكَذِّبَانٍ ﴾ .

﴿ فِيهِنَ ﴾ في الجنان، فإنّ الجنّين تـدلّ عـلى الجنان. وهـي للـخانفين. أو في الأماكن والقصور. أو في هـذه الآلاء المعدودة، مـن الجـنتين والعينين

<sup>(</sup>١) السجدة: ١٧.

والفاكهة والفرش. ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ نساء حور عين قصرن أبصارهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم. وقال أبو ذرّ: إنّها تقول لزوجها: وعزّة ربّي ما أرى في الجنّة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله اللّذي جعلني زوجتك، وجعلك زوجي. ﴿ لَمْ يَعْفِدُ فَي الْمَنْ مَنْكُمْ وَالاقتضاض النكاح بالتدمية. ﴿ إِنسُ قَبْلُهُمْ وَلا جَنْ اللّهُ عَبْلُهُمْ أَي: لم يمسّ الإنسيّات إنس، ولا الجنيّات جين، فهن خلقن أبكاراً في الجنّة.

وقيل: هنّ من نساء الدنيا لم يمسسهنّ منذ أنشئن خلق. أي: لم يجامعهنّ في هذا الخلق الّذي أنشئن فيه إنس ولا جانّ.

وفيه دليل على أنّ الجنّ يطمئون كما يطمث الإنس. وقرأ الكســائي بــضمّ الميم. ﴿فَهِائِيّ آئِهِ رَبُّكُمُا تُكَذَّبَانِ﴾.

﴿ كَانَّهُنَّ الْنَيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما. والمرجان: صغار الدرّ، وهو أنصع بياضاً. وفي الحديث: «إنّ الحوراء تلبس سبعين حلّة، فيرى مخ ساقها من وراثها، كما يرى الشراب الأحمر في الرجاجة البيضاء». وعن ابن مسعود: كما يرى السلك من وراء الياقوت. ﴿ فَبِايُ الرّجَاجَة الْبَيْضَاءُ».

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ في الممل ﴿ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ في الثواب، أي: ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلّا أن يحسن إليه في الآخرة.

وعن ابن عبّاس: هل جزاء من قال: لا إلَّـه إلَّا الله، وعـمل بـما جـاء بــه محمّد ﷺ، إلّا الجنّة؟

وقيل: معناه: هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلّا أن تحسنوا في شكره وعبادته؟

﴿ فَبِأَيُّ آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذُّبَانِ﴾ .

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّانِ ﴿١٢﴾ فَبَأْيِ الآء رَبِكُمَا تُكَذَبَانِ ﴿١٣﴾ فَيهَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ مُدُهَامَّتَانِ ﴿١٣﴾ فَيهَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ مُدُهَامَّتَانِ ﴿١٣﴾ فَيهَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿١٣﴾ فَبَأْيِ الآء رَبِكُمَا تُكَذَبَانِ ﴿١٣﴾ فَيهَا فَاكُهَ ۗ وَيَحْلُ وَرُمَّانٌ ﴿١٨﴾ فَبَأْيِ الآء وَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿١٣﴾ فيهنَ خَيْرات حسانٌ ﴿٧٠﴾ فَبَأْيِ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿١٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَات فِي الْحَيَامِ ﴿٧٧﴾ فَبَأْيُ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٧٧﴾ فَبَأْيُ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٥٧﴾ فَبَأْيُ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٥٧﴾ فَبَأْيَ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٥٧﴾ فَبَأْيَ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٥٧﴾ فَبَأْيَ الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٨٧﴾ فَبَانٍ ﴿٢٧﴾ فَبَأْيَ الآء رَبِكُمَا الآء رَبِكُمَا تُكذَبَانِ ﴿٧٧﴾ فَبَانٍ ﴿١٤ خَنْ وَعَنْقَرِيْ حِسَانٍ ﴿١٧﴾ فَبَانٍ ﴿١٧﴾ فَبَارُكَ آسُمُ رَبِكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكُومَ ﴿٨٧﴾

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ ومن دون تينك الجنتين السوعودتين للخائفين السقرّبين ﴿ جَنْتَان﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿ قَبِلُيُّ آلَاءِ رَبُّكُمُا تُكَثّبُانَ﴾ .

﴿ مُذَهَامَّتُانِ﴾ خضراوان تضربان إلى السواد من شدَّة الخضرة. وفيه إشـعار بأنَّ الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة عـلى وجـه الأرض. وعلى الأوليين الأشجار والفواكه، دلالة على ما بينهما من التفاوت.

وعن أبي عبدالله على: «لا تقولنّ: الجنّة واحدة، إنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمِن دونهما جنّتان﴾ ولا تقولنّ: درجة واحدة، إنّ الله يقول: ﴿ وَرَفَحْنَا بَحْضَهُمْ فَوْقَ ٥٦٠ ..... زيدة التفاسير -ج ٦

بَغضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (١). إنّما تفاضل القوم بالأعمال».

﴿ فَبِأَيُّ آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذُّبَانٍ ﴾ .

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضًاخَتَانِ﴾ فؤارتان بالماء، ثمّ تجريان. قال ابن عبّاس: تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور. وقيل: تنضخان بأنواع الخيرات. والنضخ أكثر من النضح غير المعجمة، لأنّ النضح غير المعجمة مثل الرشّ. وهو أيضاً أقلّ منا وصف به الأوليين. وكذا ما بعده. ﴿ فَبِائَ آلَاءٍ زَبُّكُمَا تُكَذَّبُانِ﴾.

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ﴾ ألوان الفاكهة ﴿وَنَخْلُ وَرُمَّانٌ﴾ عطفهما على الفاكهة بساناً لفضلهما. كأنهما لما لهما من المزيّة جنسان آخران، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُواً لِشِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ (٢).

وقيل: لأنّ ثمرة النخل فاكهة وغذاء، وثمرة الرمّان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكّه.

قال الأزهري: «ماعلمت أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها إنّها ليست من الفاكهة. وإنّما قال ذلك من قال لقلّة علمه بكلام العرب. والعرب تذكر الأشياء جملة، ثمّ تخصّ منها شيئاً بالتسمية، تنبيهاً على فضل فيد» (٣٠).

﴿ فَبِأَيُّ آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ .

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتُ﴾ أي: خَيِّرات، فخففت، لأنَّ خيراً الذي بمعنى الأخير لا يجمع، فلا يقال فيه: خيرون ولا خيرات. والمعنى: فاضلات الأخلاق ﴿ حِسَانُ ﴾ حسان الخلق. ﴿ فَبِكُمَّ اتُكَثِّبُانَ ﴾ .

﴿ هُورٌ ﴾ بيض حسان البياض. يقال: العين الحوراء إذا كانت شديدة بياض

<sup>(</sup>١) الزخرف: ٣٢.

<sup>(</sup>٢) البقرة: ٩٨.

<sup>(</sup>٣) تهذيب اللغة ٦: ٢٥.

البياض، شديدة سواد السواد، وبذلك يتمّ حسن العين. ﴿ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قصرن في خدورهنّ. يقال: امرأة قصيرة وقصورة وصقصورة، أي: مخدّرة. أو مقصورات الطرف على أزواجهنّ. قيل: إنّ كلّ خيمة من خيامهنّ درّة مجرّفة.

وعن ابن عبّاس قال: الخيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ، فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

وعن أنس، عن النبي ﷺ قال: «مررت ليلة أسري بي بنهر حافّتاه قباب المرجان، فنوديت منه: السلام عليك يا رسول الله. فقلت: يا جبر ثيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جوارٍ من الحور العين، استأذن ربّهن ﷺ أن يسلّمن عليك، فأذن لهنّ. فقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نيأس، أزواج رجال كرام. ثمّ قرأ: «حُورٌ مَقْصوراتُ في الخيام».

وروي عنه ﷺ: «الخيمة درّة واحدة طولها في السماء ستّون ميلاً. في كلّ زاوية منها أهل للمؤمن لا يراه الآخرون».

وروي: أنّ نساء أهل الجنّة يأخذ بعضهنّ بأيدي بعضهنّ، ويتغنّين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها: نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نسظعن، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام. وإذا قلن هذه المقالة أجابتهنّ المؤمنات من نساء الدنيا: نحن المصلّيات وما صلّيتنّ، ونحن الصائمات وما صعتنّ، ونحن المتوضّئات وما توضّأتنّ، ونحن المتصدّقات وما تصدّقتنّ. فغلبتهنّ والله.

﴿ فَبِأْيُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذُّبَانِ﴾ .

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ﴾ كحور الأوليين. وهم أصحاب الجنّتين، فإنّهما يدلّان عليهم. ﴿ فَهِائِي آلَاهِ رَبُكُمُنا تُكَفِّبَانِ﴾ .

﴿ مُتَّكِئِينَ ﴾ نصب على الاختصاص ﴿ عَلَىٰ رَفَّوْفٍ ﴾ فرش مرتفعة، أو

وسائد، أو نمارق. جمع رفرفة. وقيل: الرفرف ضرب من البسط، أو ذيل الخيمة. وقد يقال لكلّ ثوب عريض. ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيًّ حِسَانٍ﴾ العبقريَّ منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنّه اسم بلد للجنّ، فينسبون إليه كلّ شيء عجيب. وقيل: هو شوب الديباج. وقيل: كلّ ثوب موشى(١). والمراد به الجنس، ولذلك جمع حسان حملاً على المعنى. ﴿فَهَائَ آلَاءٍ رَبُّكُنَا تُكَنِّبُانٍ﴾.

﴿ تَبَارَكَ السُمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته، فما ظنّك بذاته ؟ وقيل: الاسم بمعنى الصفة، أو مقحم، ﴿ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم.

<sup>(</sup>١) وَشَى الثوبَ ووشَّاه : حسَّنه بالألوان ونمنمه ونقشه .



## سورة الواقعة

مكّيّة. وهي ستّ وتسعون آية.

أُبِيِّ بن كعب، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة كتب: ليس من الفافلد.».

وعن مسروق قال: من أراد أن يعلم نبأ الأوّلين والآخرين، ونبأ أهل الجنّه. ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا، ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

وروي: أنّ عثمان بن عفّان دخل على عبدالله بن مسعود يعوده فسيمرضه الّذيمات فيه. فقال له: ماتشتكى؟

قال: ذنوبي.

قال: ما تشتهي؟

قال: رحمة ربّي.

قال: أفلا ندعو الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضني.

قال: أفلا نأمر بعطائك؟

قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لبناتك.

قال: لا حاجة لهن قيه، فقد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلّ يوم وليلة لم تصبه فاقة أبداً».

٦٢٥ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

وروى الميّاشي بالاسناد عن زيد الشحّام، عن أبي جعفر ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر».

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله على قال: «من قرأ في كلّ ليلة جمعة الواقعة أحبّه الله، وحبّبه إلى الناس أجمعين، ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً، ولا فقراً ولا آفة من آفات الدنيا، وكان من رفقاء أمير المؤمنين».

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذَبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجَبَالُ بَسَّا ﴿٥﴾ فَكَانَتُ هَبَآءٌ مُنبَنَّا ﴿٢﴾

واعلم أنّه سبحانه لمّا ختم سورة الرحمن بصفة الجنّة، اكتتح سورة الواقعة أيضاً بصفة القيامة والجنّة، فاتصلت إحداهما بالأخرى اتّصال النظير بالنظير، فقال: 
﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أي: إذا حدثت القيامة، 
كقولك: إذا حدثت الحادثة، وكانت الكائنة. وستاها واقعة لتحقّق وقوعها، فكأنّه 
قيل: إذا وقعت الساعة الّتي لابدّ من وقوعها. وفيه حثّ على الاستعداد لها.

وانتصاب «إذا» بمحذوف، مثل: اذكر، أو كان كيت وكيت. أو بقوله: ﴿ لَيْسَ لِوَقْفَتِهَا كَانِبَةً﴾ أي: لا تكون حين وقوع الواقعة نفس تكذب على الله، أو تكذب في نفيها كما تكذب الآن، لأنَّ كلِّ نفس حينئذٍ مؤمنة صادقة مصدَّقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذَّبات، كقولك: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا قَالُوا آمَنًا بِاللهِ وَحَدَهُ ﴾ (١٠). وقوله:

﴿لَا يَوْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَدَابَ الْأَلِيمَ﴾ (١٠. وقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَقُرُوا فِيمِزيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ (٣٠. واللام مثلها في قوله: ﴿ قَدْمُتُ لِحَيَاتِي ﴾ (٣٠ أي: ليس لأجل وقعتها نفس تكذّبها، فإنّ من أخبر عنها صدق.

أوليس لها حينئذ نفس تحدّث صاحبها بإطاقة شدّتها واحتمالها، وتغريه عليها. من قولهم: كذّبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم، إذا شجّعته على مباشر ته وقالت له: إنّك تطيقه وما فوقه، فتعرّض له ولا تبال به. على معنى: أنّها وقعة لا تطاق شدّة وفظاعة، وأن لا نفس حينئذٍ تحدّث صاحبها بما تحدّثه به عند عظائم الأمور، وتزيّن له احتمالها وإطاقتها، لأنّهم يومئذٍ أضعف من ذلك وأذلّ. ألا ترى إلى قوله: ﴿ كَالْقُواشِ الْمَنْدُوثِ ﴾ (الهراس مثل في الضعف.

وقيل: كاذبة مصدر -كالعاقبة - بمعنى التكذيب.

﴿ خَافِضَةُ رَافِعَةٌ ﴾ أي: هي تخفض قوماً، وترفع قوماً آخرين. وهو تقرير لمظمتها، ووصف لها بالشدّة، فإنّ الوقائع العظام يرتفع فيها ناس ويتّضع ناس. أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله إلى الدركات، ورفع أوليائه إلى الدرجات. والمعنى: أنّها تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وتجعلهم أذلّة بإدخالهم النار، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا أذلّة، وتجعلهم أعرّة بإدخالهم الجنّة. أو إزالة الأجرام عن مقارها، بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجوّ.

﴿إِذَا رُجِّتِ الْأَرْضُ رَجَا﴾ حرّكت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل. والظرف متعلّق بدخافضة» أي: تخفض وتبرفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال، لأنّ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ، أو

<sup>(</sup>١) الشعراء: ٢٠١.

<sup>(</sup>٢) الحجّ: ٥٥.

<sup>(</sup>٣) الفجر : ٢٤.

<sup>(</sup>٤) القارعة: ٤.

۲۹۵ ...... زیدة التفاسیر ـج ۲ بدل من «إذا و قعت».

﴿ وَبُسِّتِ الْجِهَالُ بَسَا﴾ وفتّت (١) حتّى صارت كالسويق الملتوت. من: بسّ السويق إذا لتّه. أو سيقت وسيّرت. من: بسّ الغنم إذا ساقها، كـقوله: ﴿ وسُـيّرَتِ الْجِبَالُ﴾ (٢). ﴿ فَكَانَتْ مَبَاءً﴾ غباراً ﴿ مُنْبَثًا﴾ منتشراً.

وَكُنُّهُ أَزْوَاجًا ثَلاَنَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَة مَاۤ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَة ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَة مَآ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَة ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَكُ الْمُقَرِّمُونَ ﴿١١﴾ في جَنَّات النَّعيم ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مَّنَ الأُولَينَ ﴿١٣﴾ وَقَلَيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُر مَّوْضُونَة ﴿١٥﴾ مُتَّكَينَ عَلَيْهَا مُتَنَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُونُ عَلَيْهِمْ وَلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابِ وَأَبَارِينَ وَكَأْسِ مِّن مَّعينِ ﴿١٨﴾ لاَ يُصِدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكُهَة مَّمَّا يَخْيَرُونَ﴿٢٠﴾ وَلَحْم طَيْر مَمَّا يَشْتُهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللَّؤُلُو الْمَكْتُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لاَ يَسْمَعُونَ فيهَا لَفُوًّا وَلاَ تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إلاَّ قيلاً سَلامًا سَلامًا ﴿٢٦﴾

<sup>(</sup>١) فَتَّ الشيءَ: كسره بالأصابع كِسَراً صغيرة.

<sup>(</sup>٢) النبأ: ٢٠.

ثمّ وصف سبحانه أحوال الناس، بأن قال: ﴿وَكَنْتُمْ ازْوَاجِـا﴾ أصنافاً ﴿ فَكَنْتُمْ ازْوَاجِـا﴾ أصنافاً ﴿ فَلَاقَةٌ ﴾ فإنّه يقال الأصناف الّتي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض: أزواج. ثمّ فسّرها بقوله: ﴿قَاصَحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ فأصحاب المنزلة السنيّة. من قولك: فلان منّي باليمين، إذا وصفته بالرفعة عندك، لتيمّنهم بالميامن، وتفألهم بالسانح (١٠) ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن. أو الذين يعطون صحائفهم بأيمانهم. أو الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة. أو اصحاب اليمن والبركة، فإنّ السعداء سيامين على أنفسهم بطاعتهم. ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أي: أيّ شيء هم. وفي إقامة الظاهر مقام الضمير تفخيم لشأنهم العظيم، وتعجيب لرسولهم من حالهم الفخيمة في الجنّة، كما يقال: هم ما هم.

﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ وأصحاب المنزلة الدنيّة. من قولهم: فلان منّي بالشمال، إذا وصفوه بالضعة عندهم، لتشاؤمهم بالشمائل، وتطيّرهم بالبارح(٢٠) ولذلك سمّوا الشمائل: لشؤمى. أو الّذين يعطون صحائفهم بشمائلهم. أو الّذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. أو أصحاب الشؤم، لأنّ الأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أيّ شيء هم. تفخيم لخطبهم في العقوبات الشديدة، وتعجيب لرسوله من حالهم الوضيعة.

﴿ وَالسَّابِقُونَ﴾ والذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه من الإيمان والطاعة بعد ظهور الحقّ، وشقّوا الفبار في طلب مرضاته من غير تلعثم وتوانٍ. أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات. أو الأنبياء، فإنهم مقدّموا أهل الأديان. ﴿ السَّابِقُونَ﴾ هم الذين عرفت حالهم ومآلهم، كقول أبي النجم: أنا أبو النجم وشعري شعري. كأنّه قال: وشعري ما انتهى إليك، وسمعت بفصاحته وبراعته.

<sup>(</sup>١) السانح: الذي يأتي من جانب اليمين، أو ما مرّ من يسارك إلى يمينك من ظبي أو طائر. (٢) البارح: الّذي يأتي من جانب اليسار.

﴿ أَوْلَئِكَ الْمُقَرِّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّـعِيمِ ﴾ أي: السابقون إلى أنواع الطاعات هم الّذين يقربون إلى رحمة الله في أعلى مراتب الجنّة، وإلى جزيل ثواب الله في أعظم الكرامة.

وعن أبي جعفر 變 قال: «السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، وسابق في أمّة موسى، وهو مؤمن آل فرعون، وسابق في أمّة عيسى، وهو حبيب النجّار، والسابق في أمّة محمد ﷺ عليّ بن أبي طالب ﷺ».

﴿ لَمُتَّةً مِنَ الْأَوْلِمِينَ﴾ أي: هم كثير من الأولين. يعني: الأمم السابقة من لدن آدم إلى سيّدنا محمد عليه . ولا آدم إلى سيّدنا محمد عليه . ولا يخالف ذلك قوله عليه . ولا يكثرون سائر الأمم . لجواز أن يكون سابقوا سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة، وتابعوا هذه أكثر من تابعيهم. ولا يردّه قوله في أصحاب اليمين: ﴿ لِمُلَّةٌ مِنَ الأَوْلِينَ ولِمُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ ﴾ (١)، لأنّ كثرة الفريقين لا تنافى أكثريّة أحدهما.

وقيل: إنَّ الأُوّلين من متقدّمي هذه الأمّة، والآخرين من متأخّريها، لما روي مرفوعاً عن النبي ﷺ؛ «النلّتان جميعاً من أمّتي».

واشتقاقها من الثلّ. وهو القطع والكسر، كما أنّ الأمّة من الأمّ. وهو الشجّ. كأنّها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم. فكلّ واحد من الفريقين المذكورين في الآية يقطع من الآخر.

﴿ عَلَىٰ سُورٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ خبر آخر للضمير المحذوف. والموضونة: المنسوجة بالذهب مشبّكة بالدرّ والياقوت، قد دوخل بعضها في بعض، كما توضن حلق الدرع. من الوضن، وهو نسج الدرع. قال المفسّرون: منسوجة بقضبان الذهب، مشبّكة بالدرّ والجواهر. وقيل: متواصلة أدنى بعضها من بعض.

<sup>(</sup>١) الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠.

﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ حالان من الضمير في «على سرر». وهو العامل فيها، أي: استقروا عليها متكئين على السرر متقابلين، لا ينظر بعضهم فسي أقىفاء بعض. وصفوا بحسن العشرة، وتهذيب الأخلاق والآداب.

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿ وِلْدَانُ مُخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبدأً على شكل الولدان وطراوتهم، لا يتحوّلون عنه. قبل: هم أولاد أهل الدنيا، لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها. ولا سيّتات فيعاقبوا عليها. وري ذلك عن علي ﷺ. وفي الحديث: «أولاد الكفّار خدّام أهل الجنّد».

﴿ بِالْخُوَابِ وَأَبَادِيقَ﴾ حال الشرب وغيره. والكوب: إناء لا عروة ولا خرطوم له. والإبريق: إناء له ذلك. وعن قتادة: هي القداح الواسعة الرؤوس لا خراطيم لها. ﴿ وَكَاسِ مِنْ مَعِينِ﴾ من خمر ظاهر للعيون جارٍ.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ بالخمار<sup>(٢)</sup>. وحقيقته: لا يصدر صداعهم عـنها. ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ ولا تنزف عقولهم ـ أي: لا تذهب ـ بالسكر. أو لا ينفد شرابهم. وقــرأ الكوفيّون بكسر الزّاء.

﴿ وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ يأخذون خيره وأفضله ﴿ وَلَحْمِ طَيْرِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يتمنّون، فإنّ أهل الجنّة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله تعالى لهم لحم الطير نضيجاً. حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وإيلامه. وقال ابن عبّاس: يخطر على قلبه الطير، فيصير ممثّلاً بين يديه على ما اشتهى.

﴿ وَهُورٌ عِينٌ ﴾ عطف على «ولدان». أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : وفيها ، أو ولهم حور . وقرأ حمزة والكسائي بالجرّ عطفاً على «جنّات» ، أي : هم في جنّات وفاكهة ولحم وحور .أو على «أكواب» لأنّ معنى «يطوف عليهم ولدان مخلّدون

<sup>(</sup>١) القُرْط: ما يعلُّق في شحمة الأذن من درّة ونحوها.

<sup>(</sup>٢) الخُمار: صُداع الخمر.

٥٧٠ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

بأكواب»: ينعمون بأكواب. ﴿ كَأَمْثَالِ اللَّوْلَةِ الْمَكْنُونِ ﴾ المصون عمّا يضرّ به في الصفاء والنقاء.

﴿جَزَاءَ﴾ يجزون جزاءً ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَـغُوا﴾ كلاماً باطلاً ﴿ وَلا تَاثِيماً ﴾ ولا نسبة إلى الاثم، فلا يقال لهم ﴿ إِلاَ قِيلاً ﴾ قـولاً ﴿ سَلَاماً ﴾ بدل من «قيلاً»، كقوله: ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا إِلاَّ سَلَاماً﴾ (١٠). أو صفته، أو مفعوله، بمعنى: إلا أن يقولوا سلاماً. أومصدر. والتكرير للدلالة على فشو السلام 
بينهم،

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سَدُرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمَآءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٢٧﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٣٢﴾ وَفَرُشَ مَرُفُوعَةً ﴿٣٢﴾ وَفَرُشُ مَرُفُوعَةً ﴿٣٢﴾ وَفَرُشُ مَرُفُوعَةً ﴿٣٢﴾ إِنَّا أَشَانًا اللَّهُ إِنْ الْمَعْدَ اللَّهُ مِنْ الْأَوْلِينَ ﴿٣١﴾ وَتُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٤﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَةٌ مِنَ الْأَوْلِينَ ﴿٣١﴾ وَتُلَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَهِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَهِينِ \* فِي سِنْدٍ ﴾ شجر نبق ﴿ مَخْضُودٍ ﴾ منزوع الشوكة، أي: لا شوك له. من: خضد الشوك إذا قطعه، فكأنّه خضد شوكه. أو مثنيّ أغصانه من كثرة حمله. من: خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب.

قال الضحّاك: نظر المسلمون إلى وج، وهو وادٍ مخصب بالطائف، فأعجبهم

<sup>(</sup>۱) مريم: ٦٢.

سدره، وقالوا: ليت لنا مثل هذا. فنزلت الآية.

﴿ وَطَلْحٍ ﴾ وشجر موز، أو أمّ غيلان، وله أنوار كثيرة طيّبة الرائحة. وعن السدّي: شجر يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل. ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ نضد حمله من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساق بارزة.

﴿ وَفِلْ مَعْدُودٍ ﴾ دائم منبسط لا يتقلّص، كظلّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. وقد ورد في الخبر: «أنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها ماثة سنة لا يقطعها». وروي أيضاً: «أنّ أوقات الجنّة كغدوات الصيف، لا يكون فيه حرّ ولا برد».

﴿ وَمَآم مَسْعُوبِ﴾ يسكب لهم أين شاؤوا، وكيف شاؤوا بلا تعب. أو مصبوب سائل، دائم الجرية، لا ينقطع، وقيل: مصبوب يسجري على الأرض في غير أخدود (١٠). كأنّه لمّا شبّه حال السابقين في التنقم بأكمل ما يتصوّر لأهل المدن، شبّه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمنّاه أهل البوادي، إشعاراً بالتفاوت بين الحالين.

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ كثيرة الأجناس. والوجه في تكرير ذكر الفاكهة بيان اختلاف صفاتها. فذكرت أوّلاً بأنّها متخيّرة. وذكرت هاهنا بأنّها كثيرة.

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ دائمة لا تنقطع في وقت ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه، كما يحظر على بساتين الدنيا.

﴿ وَقُرْشِ مَزْقُوعَةٍ ﴾ رفيعة القدر. أو منضّدة مرتفعة، أي: نصّدت حتى ارتفعت. وقيل: الفرش النساء، لأنّ العرأة يكنّى عنها بالفراش، ومنه قوله ﷺ «الولد للفراش، وللعاهر الحجر». وارتفاعها أنّها على الأرائك. قال الله تعالى: ﴿ هُمْ وَإِزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ﴾ (٧). أو مرتفعات القدر في عقولهنّ

<sup>(</sup>١) الأُخدُود: الحفرة المستطيلة.

<sup>(</sup>۲) پىتى: ٥٦.

٥٧٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وحسنهن وكمالهنّ. ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنَّا أَنشَانَاهُنَّ إِنشَامَهُ أَي: ابتدأنا خلقهنّ ابتداءً جديداً من غير ولادة، إبداءً أو إعادة.

وقالت عجوزة لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يدخلني الجنّة. فقال: «إنّ الجنّة لا تدخلها العجائز. فولّت وهي تـبكي. فـقال ﷺ: أخـبروها أنّـها ليست يــومئذٍ بعجوز».

﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ﴾ عـذارى ﴿ عُرُبا ﴾ مـتحبّبات إلى أزواجهن . جـمع عروب. وقيل: العروب اللعوب مع زوجها. وسكّن راءه حمزة وأبو بكر. ﴿ المُوابا ﴾ مستويات في السنّ، فإنّ كلّهنّ بنات ثلاث وثلاثين. وكذا أزواجهن . وعن رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنّة الجنّة جرداً، مرداً، بيضاً، جعاداً، مكحّلين، أبناء ثلاث وثلاثين».

﴿ لِأَضْطَابِ الْيَهِينِ﴾ متعلَق بر أنشأنا» أو «جعلنا». أو صفة لد أبكاراً». أو خبر لمحذوف، مثل: هنّ ، أو لقوله: ﴿ ثُلُّةٌ مِنَ الْوَلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآفِلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآفِلِينَ ﴾ . وهي على الوجوه الأول خبر محذوف. وإنّما نكّر سبحانه الثلّة ليدلّ على أنّمه ليس لجميع الأولين والآخرين، وإنّما هو لجماعة منهم، كما يقال: رجل من جملة الرجال.

 <sup>(</sup>١) الشَّمَط جمع الشَّمَطاء، وهي: النِّي خالط بياض رأسها سواد. والرَّمْص جمع الرَّمْصَاء،
 وهي: الني سال منها الرَّمَص. والرَّمَص: وسخ أبيض في مجرى الدمع من العينين.
 (٢) لعلَّ المراد: أَنَهِنَّ في استواء الخلقة كأنَهنَّ ولدن على ميلاد واحد.

روى نقلة الأخبار بالإسناد عن ابن مسعود قال: كنّا نتحدّث عند رسول الله عَلَيْتُ حتّى أكثر نا الحديث، ثمّ رجعنا إلى أهلنا، فلمّا أصبحنا غدونا إلى رسول الله عَلَيْتُ . فقال: «عرضت عليّ الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها، فكان النبيّ تجيء معه الثلّة من أمّته، والنبيّ معه الثقر من أمّته، والنبيّ معه الرجل من أمّته، والنبيّ ما معه من أمّته أحد. حتّى إذا أتى أخي موسى في كبكبة من بني إسرائيل، فلمّا رأيتهم أعجبوني، فقلت: أي ربّ من هؤلاء؟

قال: هذا أخوك موسى بن عمران، ومن معه من بني إسرائيل.

فقلت: ربّ فأين أمّتى؟

قال: انظر عن يمينك.فإذا ظراب(١) مكّة قد سدّت بوجوه الرجال.

فقلت: من هؤلاء؟

فقيل: هؤلاء أمّتك، أرضيت؟

قلت: ربّ رضيت.

قيل: انظر عن يسارك. فإذا الأفق قد انسدّ بوجوه الرجال.

فقلت: ربّ من هؤلاء؟

قيل: هؤلاء أمّتك، أرضيت؟

قلت: ربٌ رضيت.

فقيل: إنَّ مع هؤلاء سبعين ألفاً من أمَّتك يدخلون الجنَّة لا حساب عليهم.

قال: فأنشأ عكائنة بن محصن من بني أسد من خزيمة، فقال: يا نبيّ الله ادع ربّك أن يجعلني منهم.

فقال: اللَّهمّ اجعله منهم.

ثمَّ أنشأ رجل آخر فقال: يا نبيِّ الله ادع ربِّك أن يجعلني منهم.

<sup>(</sup>١) الظِرَابُ: الروابي الصغار، أي: ما ارتفع من الأرض، وهي التلَّة. وواحدها: الظَّرِبُ.

٧٤ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

فقال: سبقك بها عكاشة.

فقال نبيّ الله: فداكم أبي وأمّي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا. وإن عجزتم وقصّر تم فكونوامن أهل الظراب. فإن عجزتم وقصّر تم فكونوا من أهل الأفق. وإنّي قد رأيت ثمّ ناساً كثيراً يتهاوشون(۱۱) كثيراً. فقلت: هؤلاء السبعون ألفاً. فاتّفق رأينا على أنّهم ناس ولدوا في الإسلام، فلم يزالوا يعملون به حـتّى ماتوا عليه.

فانتهی حدیثهم إلی رسول الله ﷺ فقال: لیس کـذلك، ولکـنّهم الّـذین لا یسرفون، ولا یتکبّرون، ولا یتطیّرون، وعلی ربّهم یتوکّلون.

> ثمّ قال النبيّ ﷺ: إنّي لأرجو أن يكون من تبعني ربع أهل الجنّة. قال: فكمّ نا.

> > ثمّ قال: إنّي لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنّة. فكبّرنا.

ثمّ قال: إنّي لأرجـو أن يكونوا شطر أهل الجنّة. ثمّ تـــلا رســول اللهﷺ: ﴿ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين﴾».

وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ في سَمُومٍ وَحَميمٍ ﴿٤٦﴾ وَظُلِّ مِن يَخْمُومٍ ﴿٣٤﴾ لاَّ بَارِد وَلاَ كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَبَلَ ذَلكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْمَظْيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنْذَا مِثْنَا وَكُمَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٢﴾ أَوَ آبَأَوْنَا الْأَوْلُونَ

<sup>(</sup>١) تهاوش القوم: اختلطوا واضطربوا ، ووقعت بينهم الفتنة .

﴿ ٤٨ ﴾ قُلُ إِنَّ الأُوَّلِينَ وَالآخرِينَ ﴿ ٤٩ ﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّغُلُومٍ ﴿ ٤٨ ﴾ ثُمُّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالَونَ اللَّكَذَبُونَ ﴿ ٥١ ﴾ لَآكُلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقْومٍ ﴿ ٥٠ ﴾ فَمَالِئُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ ٤٥ ﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ ٤٥ ﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ ٤٥ ﴾ فَشَارِبُونَ شَرُبُ الْهِيمِ ﴿ ٥٥ ﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدّينِ ﴿ ٥٠ ﴾

﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ ﴾ في حرّ نار ينفذ في المسامع ﴿ وَحَهِيمٍ ﴾ وماء حارّ متناهٍ في الحرارة ﴿ وَفِلْ مِنْ يَحْمُوم ﴾ من دخان أسود. يفعول من الحممة. ﴿ لاَ بَارِدٍ ﴾ كسائر الظلّ ﴿ وَلاَ تَوْيِمٍ ﴾ ولا نافع. نفى بذلك ما أوهم الظلّ من الاسترواح.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ منهمكين في الشهوات، مشتغلين بها عـن الاعتبار، تاركين الواجبات، طلباً لراحة أبدانهم.

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْجِنْدِ الْعَظِيمِ ﴾ الذنب العظيم. يعني: الشرك. ومنه: بلغ الغلام الحنث، أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب. ومنه: حنث في يمينه، خلاف: بر فيها. ويقال: تعنّث إذا تأثّم.

﴿ وَكَانُوا يَـ قُولُونَ ﴾ إنكاراً للبعث ﴿ أَئِذَا مِثْنَا وَكُنّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَعِنًا لَمَبُعُودُونَ ﴾ كرّرت الهمرة للدلالة على إنكار البعث مطلقاً، وخصوصاً في هذا الوقت. كما دخلت العاطف في قوله: ﴿ أَوْ اَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴾ للدلالة على أنّ ذلك أشد إنكاراً في حقّهم، لتقادم زمانهم، أي: أو يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا، إنّ هذا لبعد جدًاً. وللفصل بالهمزة حسن العطف على المستكن في «لمبعوثون» من غير

تأكيد بننعن ، كما حسن في قوله: ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا﴾ (١) للفصل بدلا» المؤكّدة للنفي . وقرأ نافع وابن عامر : «أو» بالسكون . وقد سبق مثله (٣) . والعامل في الظرف ما دلّ عليه «مبعوثون» ، لاهو ، للفصل بدإنّ» والهمزة .

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتٍ يَوْم مَعْلُومٍ ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا \_ أي: حدّت \_ من يوم معيّن عند الله معلوم له. وهـ و يـوم القيامة. ومنه: مواقيت الإحرام. وهي الحدود الّتي لا يتجاوزها من يريد دخول مكّة إلّا محرماً. والإضافة بمعنى «من» كخاتم فضّة.

﴿ ذُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهُا الضَّالُونَ﴾ عن طريق الحق ﴿ الْمُكَذَّبُونَ﴾ بتوحيد الله ونسوّة نبيّه وبالبعث. والخطاب لأهل مكّة وأضرابهم. ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَدٍ مِنْ زَقُومٍ﴾ «من» الأولى للابتداء، والثانية للبيان ﴿ فَعَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ من شدّة الجوع.

﴿ فَشَاوِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ لغاية العطش. وتأنيث الضمير في «منها» وتذكيره في «عليه على معنى الشجر ولفظه. ﴿ فَشَاوِبُونَ شُوْبَ الْهِيمِ ﴾ الإبل الّتي بها الهيام. وهو داء يشبه الاستسقاء، فلا تزال تشرب الماء حتّى تموت. والمعنى: كشرب الإبل الّتي لا تروى بالماء. جمع أهيم وهيماء.

وقيل: الرمال، على أنّه جمع هيام بالفتح. وهو الرمل الّذي لا يتماسك. جمع على هُيُم، كسَحاب وسُحُب، ثمّ خفّف وفعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: أنّه يسلّط عليهم من الجوع مايضطرّهم إلى أكل الزقوم الّذي هو كالمهل، فإذا ملؤا منهم البطون يسلّط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الّذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم.

والمعطوف أخصّ من الآخر ، من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو

<sup>(</sup>١) الأنعام: ١٤٨.

<sup>(</sup>٢) راجع ج ٥ ص ٥٤٥، ذيل الآية ١٧ من سورةالصافّات.

عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضاً، فكانتا صفتين مختلفتين، فلا اتّـحاد بـين المـعطوف والمعطوف عليه ليلزم عطف الشيء على نفسه.

وقرأ نافع وعاصم وحمزة: شَرْبَ، بضمّ الشين.

﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء، فما ظنّك بما يكون لهم بعد ما استقرّوا في الجحيم؟ وفيه تهكّم، كما في قوله: ﴿ فَيَشُّرُهُمْ بِعَذَابٍ اليمِ ﴾ (١١، لأنّ النزل ما يعدّ للنازل تكرمة له.

نَحْنُ حَلَقْنَاكُمْ فَلُولًا تُصَدَّقُونَ ﴿٥٥﴾ أَقْرَأَتُهُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٨٥﴾ أَأْتُهُ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالقُونَ ﴿٩٥﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢٠﴾ عَلَى أَن تَبدَلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُشَئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَشْأَةَ الْأُولَى فَلُولًا تَذَكُّونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَتُهُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٣٢﴾ أَأْتُمْ تَوْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِمُونَ ﴿٢٤﴾ لَوْ نَشَآءٌ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَّلْتُمْ نَفَكُمُّونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٧٢﴾

ثمّ احتجّ سبحانه عليهم في البعث، فقال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿ تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق. إمّا بالخلق، الأنّهم وإن كانوا مصدّقين به. إلّا أنّهم لمّا كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكانّهم مكذّبون

<sup>(</sup>١) التوبة: ٣٤.

٧٧٥ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

به. وإمّا بالبعث، لأنّ من خلق أوّلاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً.

ثمّ نبّههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحّة ما ذكره، فقال: ﴿ أَفَوَالَيْتُمْ هَا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تقذفونه وتصبّونه في الأرحام من النطف.

﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ تقدّرونه وتصوّرونه بشراً سويّاً ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ فإذا لم تقدروا أنتم وأمنالكم على ذلك فاعلموا أنّ الله سبحانه هو الخالق لذلك، وإذا ثبت أنّه قادر على خلق الولد من النطفة، وجب أن يكون قادراً على إعادته بعد موته، لأنّه ليس بأبعد منه.

ثمّ بين سبحانه أنّه كما هو قادر على إبداء الخلق قادر على إماتتهم، فقال: ﴿ نَحْنُ قَدْرَا اَبِنِكُمُ الْمَوْتَ ﴾ قسّمناه عليكم، وأقتنا موت كلّ بوقت معيّن كما تقتضيه مشيئتنا. وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِ مَسْبُوقِينَ ﴾ لا يسبقنا أحد، فيهرب من الموت أو يغيّر وقته. أو لا يغلبنا أحد، من: سبقته على كذا إذا غلبته عليه ولم تمكّنه منه.

وقوله: ﴿ عَلَىٰ أَن نُبَدِّلَ أَمْثَانَكُمْ ﴾ على الأوّل حال، أو علّة الاقدرنا»، و«على» بمعنى اللام، و«ما نحن بمسبوقين» اعتراض. وعلى الثاني صلة. والمعنى: لا يغلبني أحد على أن يخلق بدلكم أشباهكم. ويجوز أن يكون الأمثال جمع مثل. والمعنى: على أن نغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم.

﴿وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَـعْلَمُونَ﴾ في خلق أو صفات لا تعلمونها. يعني: أنّـا نقدر على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم. فكيف نعجز عن إعادتكم؟!

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشَاَةَ الْأَوْلَىٰ ﴾ حين خلقتم من نطفة وعلقة ومضغة ﴿ فَلَوْلاً تَذَكُّرُونَ ﴾ فهلا تعتبرون وتستدلون بأنَّ من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى، فإنها أقل صنعاً، لحصول المواد، وتخصيص الأجزاء، وسبق المثال. وهذا قياس منصوص العلّة لا مطلقاً. ﴿أَفَرَائِتُمْ مَا تَحْرُهُونَ﴾ تبذرون حبّه، وتعملون في أرضه ﴿ أَنْتُمْ تَزْرُعُونَهُ ﴾ تنبتونه، بأن تردّوه نباتاً ينمى إلى أن يبلغ الغاية ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ المنبتون، وقد اعترفتم بأنّا نحن الزارعون، فمن قدر على إنبات الزرع من الحبّة الصغيرة ويجملها حبوباً كثيرة، قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه. وعن رسول الله عَلَيْنِينَ : «لا يقولنّ أحدكم: زرعت، وليقل: حرثت».

﴿ لَوْ نَشَاءً لَجَعَلْنَاهُ ﴾ جعلنا ذلك الزرع ﴿ خُطَاماً ﴾ هشيماً لا ينتفع به. من: حطم إذا تفتّت، كالفتات والجذاذ من: فتّ وجذّ. ﴿ فَقَلْلَمْ تَفَكُونَ ﴾ تعجبون. وعن الحسن: تندمون على تعبكم واجتهادكم فيه، وإنفاقكم عليه. أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها، فتتحدّثون فيه. والتنفكّه: التنقّل بصنوف الفاكهة. وقد استعير للتنقّل بالحديث.

﴿إِنَّا لَـمُفَزَمُونَ﴾ أي: يقولون: إنّا لملزمون غرامة ما أنفقنا. أو مـهلكون، لهلاك رزقنا. من الفرام، وهو الهلاك. وقرأ أبو بكـر: ءانَّـا عـلى الاسـتفهام. ثـمّ يستدركون فيقولون: ﴿بَلْ نَضُ مَحْرُومُونَ﴾ حرمنا رزقنا. أو محدودون لاحظً لنا ولا بخت، لا مجدودون، ولو كنّا مجدودين لما جرى عليناهذا.

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرُبُونَ ﴿ ١٨ ﴾ أَأَنتُمُ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿ ٦٦ ﴾ لَوْ نَشَاءً جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلُولاً تَشْكُرُونَ ﴿ ٧٠ ﴾

ثمّ نبّه سبحانه على دلالة أُعرى على إمكان البعث ووقوعه، فقال: ﴿ افْرَأَنِيْتُمُ الْمَآةَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أي: العذب الصالح للشرب.

﴿ ءَأَنْتُمْ الزَّنْتُمُوهُ مِنَ السُمُزْنِ﴾ من السحاب. واحده مزنة. وقيل: المزن السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماءً. ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ بقدرتنا، نعمة منّا عليكم. والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمتعلّقة بالاستفهام. ﴿ نَوْ نَثَنَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجِاً﴾ ملحاً شديد الملوحة لا يقدر أحد على شربه. من الأجيج، فإنّه يحرق الفم. أو مرّاً شديد المرارة. وحذفت اللام في جواب «لو» لعلم السامع بمكانها.

وتحقيقه: أنّ «لو» لمّا كانت داخلة على جملتين، معلّقة ثانيتهما بالأولى تعلّق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط ك: إن، ولا عاملة مثلها، وإنّما سرى في «لو» معنى الشرط اتفاقاً من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أنّ الثاني امتنع لامتناع الأوّل، افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على هذا التعلّق، فزيدت هذه اللام لتكون علماً على ذلك، فإذا حذفت بعد ما صارت علماً مشهوراً مكانه، فلأنّ الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفاً ومأنوساً به، لم يبال بإسقاطه عن الألفاظ استغناءً بمعرفة السامع، ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنّه كان يقول: خير، لمن قال له: كيف أصبحت؟ فيحذف الجارّ لمل كلّ أحد بمكانه.

ويجوز أن يقال: إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة ، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أنّ أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأنّ الوعيد بفقده أشدّ وأصعب، من قبل أنّ المشروب إنّما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم. ألا ترى أنّك إنّما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب.

﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ أمثال هذه النعم الضروريّة الَّتي لا يقدر عليها غير الله.

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ ﴿٧٢﴾ الْمُنشِؤُونَ ﴿٧٢﴾

ثمّ نبّه سبحانه على دلالة أخرى، فقال: ﴿ أَفَــرَأَيْتُمُ النَّـارَ الَّـتِي تُــورُونَ﴾ تقدحونها وتستخرجونها من الزناد، والعرب تقدح بعودين، تحكّ أحــدهما عــلى الآخر، ويسمّون الأعلى الزند، والأسفل الزندة، شبّهوهما بالفحل والطروقة.

﴿ءَأَنْتُمُ أَنْشَاتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ يعني: الشجرة الَّتي منها الزناد ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُنَ﴾.

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ جعلنا نار الزناد ﴿ تَذْكِرَةُ ﴾ يتذكّر بها ويتفكّر فيها، ليعلم أنّ من قدر عليها وعلى إخراجها من النسجر الأخضر قدر على النشأة الآخرة، كما مرّ في سورة يس (١٠). أو تبصرة في أمر السعاش، حيث علقنا بها أسباب المعايش كلّها، وعمّمنا بالحاجة إليها البلوى. أو في الظلام. أو تذكيراً وأنموذجاً لنار جهنّم، فينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به، لما روي عن رسول الله المنازع هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءًا من حرّ جهنّم».

﴿ وَمَتَاعاً ﴾ ومنفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ ﴾ للّذين ينزلون القواء، وهي القفر. أو للّذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام. من: أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها.

وقيل: للمستمتعين بها من الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين. والمعنى: أنّهم يستضيئون بها في الظلمة، ويصطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز. وعلى هذا؛ يكون المقوي من الأضداد. فيكون المقوي هو اللّذي صار ذا قوّة من المال والنعمة، والمقوي أيضاً الذاهب ماله، النازل بالقواء من الأرض. فالمعنى: ومتاعاً للأغنياء والفقراء.

<sup>(</sup>١) راجع ج ٥ ص ٥٣٥، ذيل الآية (٨٠) من سورة يس.

فَسَبَحْ بِآسُم رَبِكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٧﴾ فَلَآ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النَّجُومِ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٧﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِنَاب مَكْنُونٍ ﴿٧٧﴾ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

ولمّا عدّد بدائع صنعه الدالّة على وحدانيّته وكمال قدرته وإنعامه على عباده. عقّبه بالتسبيح، فقال:

﴿ فَسَبُحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْفَظِيمِ ﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسمه. أو بذكره عمّا لا يليق بعظمة شأنه، فإن إطلاق اسم الشيء ذكره. والعظيم صفة للاسم أو الربّ. وتنقيح المعنى: قل: سبحان الله، إمّا تنزيهاً له عمّا يقول الظالمون الذين يجحدون وحدائيته ويكفرون نعمته. وإمّا تعجّباً من أمرهم في غمط (١١) آلائه وأياديه الظاهرة. وإمّا شكراً لله على النعم الّتي عدّها ونبّه عليها. وقد صحّ عن النبيّ الشيّة لله نزلت قال: «اجعلوها في ركوعكم». يعنى: قولوا فيه: سبحان ربّى العظيم.

﴿ فَآلا أَفْسِهُ ﴾ إذ المقسم عليه أوضح من أن يحتاج إلى قسم. أو فأقسم، و«لا» مزيدة للتأكيد، كما في قوله: ﴿ لِنَلّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ (٢). أو فلأنا أقسم، واللام لام الابتداء الّتي دخلت على المبتدأ والخبر، كقولك: لزيد منطلق، فحذف المبتدأ، وأشبع فتحة لام الابتداء. أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه، وهو قول الكفار؛ إنّ القرآن سحر وشعر وكهانة.

﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ بمساقطها ومغاربها. وتخصيص المغارب لما في غروبها

<sup>(</sup>١) غَمَط النعمة: لم يشكرها.

<sup>(</sup>٢) الحديد: ٢٩.

من زوال أثرها، والدلالة على وجود مؤثّر لا يزول تأثيره. أو بمنازلها ومجاريها. ولعلّ لله سبحانه في آخر الليل إذا انحطّت النجوم إلى المغرب أفسعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لآنه وقت قيام المتهجّدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين، ونزول الرحمة والرضوان عليهم.

وروي عن أبي عبدالله ﷺ: «أنّ مواقع النجوم رجومها للشياطين».

وقيل: النجوم نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها.

وقرأ حمزة والكسائي: بِمَوْقِعِ النُّجُومِ.

ثم استعظم ذلك القسم بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقِسَمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى. وهو اعتراض في اعتراض، فإنّه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه، أعني: قوله: «إنّه لقرآن كريم». و«لو تعلمون» اعتراض بين الموصوف والصفة.

﴿إِنْهُ ﴾ إِنَّ الَّذِي تلوناه عليك ﴿ لَقُوْلَ الْ كَرِيمُ ﴾ كثير النفع، لاشتماله على أصول العلوم المهمّة في إصلاح المعاد والمعاش. أو حسن مرضيّ في جنسه من الكتب. أو كريم على الله. ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ أثبت في كتاب مصون محفوظ، وهو اللوح.

﴿ لاَ يَمْسُهُ إِلاَ الْمُعَلَّمُونَ﴾ أي: لا يطلع على اللوح إلا المطهّرون من الكدورات الجسمانية، وهم الملائكة. هذا إن جعلت الجملة صفة لد«كتاب مكنون». وإن جعلت صفة للقرآن، فالمعنى: لا ينبغي أن يمسّ القرآن \_ أي: مكتوبه إلا المطهّرون من الأحداث الكبرى والصغرى. وهذا مرويّ عن أبي جعفر ﷺ، وعطاء، وطاووس، وسالم. وهو مذهب مالك والشافعي أيضاً. فيكون النفي بمعنى النهي. أو لا يطلبه إلّا المطهّرون من الكفر.

﴿ تَنْذِيلُ مِنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ صفة ثالثة أو رابعة للقرآن. وهو مصدر نعت به. لائه نزل نجوماً من بين سائر كتب الله تعالى، فكانّه في نفسه تنزيل.ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه، فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل. أو هو تنزيل. على حذف المبتدأ.

أَفَبِهَذَا الْحَدَيِثِ أَنتُم مُّدُهُنُونَ ﴿ ٨٨﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْفَكُمْ أَنَكُمْ تُكَذَّبُونَ ﴿ ٨٨﴾ فَلُوْلَآ إِذَا بَلَغَتَ الْحُلْقُومَ ﴿ ٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَـٰذِ تَنظُرُونَ ﴿ ٨٨﴾ وَيَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِنَ لاَ تُبْصِرُونِ ﴿ ٨٥﴾ فَلُوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَديبِينَ ﴿ ٨٨﴾ تَرْجِعُونَهَا آ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٨٧﴾

ثمّ خاطب سبحانه أهل مكّة فقال: ﴿ أَفَهِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الّذي حدّثناكم بــه. وأخبرناكم فيه عن حوادث الأمور. وهو القرآن. ﴿ اَنتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ مـتهاونون بــه كمن يدهن في الأمر، أي: يليّن جانبه ولا يتصلّب فيه تهاوناً به.

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمُ ﴾ على حذف المضاف. والرزق: المطر الذي هو سببه، تسمية للمسبّب باسم السبب. والمعنى: وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الفيث ﴿ أَنْكُمْ تُكَذَّبُونَ ﴾ بكونه من الله حيث تنسبونه إلى الأنواء. فوضعتم التكذيب موضع الشكر.

عن ابن عبّاس: أصاب الناس عطش في بعض أسفاره، فدعا عَلَيْهِ فسقوا. فسمع رجلاً يقول: مطرنا بنوء كذا، فنزلت هذه الآية.

وقيل: معناه: أتجعلون حظِّكم من القرآن الّذي رزقكم الله التكذيب به. ﴿فَلُوۡلَا﴾ فهلًا ﴿إِذَا بِلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ بـلغت النـفس الحـلقوم عـند المــوت

﴿ وَانْتُمْ حِينَذِذِ تَنظُرُونَ ﴾ ترون تلك الحال. والخطاب لمن حول المحتضر. والواو للحال. ﴿ وَنَخَنُ اَقْرَبُ ﴾ ونحن أعلم ﴿ النّهِ ﴾ إلى المحتضر ﴿ مِنْكُمْ ﴾ عبر عن العلم بالقرب الّذي هو أقوى سبب الاطّلاع ﴿ وَلَكِن لَا تُنْصِرُونَ ﴾ لا تـدركون كـنه مـا يجرى عليه.

وقيل: معناه: ورسلنا الّذين يقبضون روحــه أقــرب إليــه مــنكم، ولكــن لا تبصرون رسلنا القابضين روحـه.

﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مجزيّن يـوم القيامة. أو مـملوكين مقهورين. من: دانه إذا أذلّه واستعبده. وأصل التركيب للذلّ والانقياد.

﴿ مَرْجِعُونَهَا﴾ ترجعون النفس إلى مقرّها. وهو عامل الظرف. والمحضَّض عليه برالولا» الأولى، والتانية تكرير للتوكيد. وهي بما في حيرّها دليل جواب الشرط. والمعنى: إن كنتم غير مملوكين مجزيّن، كما دلٌ عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَالِقِينَ ﴾ في أباطيلكم، فلولا ترجعون الأرواح إلى الأبدان بعد بلوغها الحلقوم.

وتوضيح المعنى: إنّكم في جحودكم أفعال الله وآياته في كلّ شيء، إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم: ساحر كذّاب، عليكم كتاباً معجزاً قلتم: ساحر كذّاب، وإن رزقكم مطراً يحييكم به قلتم: صدق نوء كذا، على مذهب يؤدّي إلى الإهمال والتعطيل. فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم، إن لم يكن ثمّ قابض، وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدىء المعيد؟! وإذا لم تقدروا على ذلك، فاعلموا أنّه من تقدير مقدّر حكيم، وتدبير مدبّر عليم.

فَأَمَّا ٓ إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرِّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَّيْحَانٌ وَجَنَّهُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا ٓ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ ١١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذَّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿ ١٢﴾ فَتُزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿ ١٣﴾ وَتَشْرِ مِنْ حَمِيمٍ ﴿ ١٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿ ١٤﴾ وَتَصْلِيمُ خَمَّةً الْيَقِينِ ﴿ ١٥﴾ فَسَنِحُ بِآسُمِ رَبِكَ الْمُظْمِمِ ﴿ ١٩﴾

ثم ذكر سبحانه حال المخلوقات عند الصوت، فقال: ﴿قَامًا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرِّبِينَ﴾ أي: إن كان المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من السابقين، من الأزواج الثلاثة المذكورة في أزّل السورة ﴿قَرْوَحُ﴾ فله استراحة ولذّة ﴿وَرَيْحَانُ﴾ ورزق طيّب. وقيل: هو الريحان المشموم من رياحين الجنّة. وقيل: الروح النجاة من النار، والريحان دخول دار القرار. وقيل: روح في القبر، وريحان في القيامة والجنّة. ﴿وَبَحْنَةُ نَعِيمِ﴾ ذات تنعم.

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَهِينِ فَسَلَامٌ لَكَ ﴾ يا صاحب اليمين ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَهِينِ ﴾ النّهينِ ﴾ النّهينِ ﴾ النّهينِ ﴾ النّهينِ ﴾ النّهينِ ﴾ النّهينِ الله قبلاً سَلّمون عليك، كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا قبلاً سَلَاماً ﴾ (١٠). سَلَاماً ﴾ (١٠).

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالبعث والرسل ﴿ الصَّالَينَ ﴾ عن الهدى. يعني: أصحاب الشمال. وإنّما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها، وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعدهم به. ﴿ فَنُزُلُ ﴾ فنزلهم الذي أعدّ لهم، من الطعام والشراب ﴿ مِنْ صَمِيمٍ \* وَتَصْلِيَةُ جَمِيمٍ ﴾ وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ إِنَّ هذا الَّذي ذكر في هذه السورة. أو في شأن الأصناف الثلاثة ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: الحقّ الثابت من اليقبن الَّذي لا شبهة معه.

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فنزَّه اسمه تعالى عمَّا لا يليق بعظمة شأنه.

<sup>(</sup>١) الواقعة: ٢٦.



## سورة المديد

مدنيّة. وهي تسع وعشرون آية.

أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ. قال: «من قرأ سورة الحديد كتب من الّـذين آمنوا بالله ورسوله».

وروى العرباض بن سارية. قال: «إنَّ النبيِّ ﷺ كان يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد. ويقول: إنَّ فيهنَّ آية أفضل من ألف آية».

وروى عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي،عن أبي جعفرﷺ قال: «من قـرأ المستبحات كلّها قبل أن ينام لم يمت حتّى يدرك القائم ﷺ، وإن مات كان في جوار رسول الله ﷺ».

الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله عليه قال: «من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة الفريضة وأدمنها، لم يعذّبه الله أبدأ حتّى يموت، ولايرى في نفسه ولا في أهله سوءًا أبداً، ولا خصاصة في بدنه».

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الّذي خَلَقَ السَّنَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَنَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِخُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمُ أَيْنَ مَا اللَّرْضِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمُ أَيْنَ مَا كَتُتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَ ٤ ﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجُعُ الْأَمُورُ ﴿ هَ ﴾ يُولِجُ اللَّيلَ فِي النّهَارِ وُيُولِجُ النّهَارَ فِي اللَّيلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ ٩ ﴾ يُولِجُ اللَّيلَ فِي النّهَارِ وُيُولِجُ النّهَارَ فِي اللَّيلِ وَهُو عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ ٩ ﴾

ولمًا ختم الله سبحانه سورة الواقعة بـالتسبيح. افـتتح هـذه الســورة أيـضاً بالتسبيح. وعقّبه بالدلائل العوجبة للتسبيح. فقال:

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْفَنِ الرَّحِيمِ سَبِّعَ ثِهِ مَا فِي السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جاء التسبيح هاهنا وفي الحمدة والتغابن بـلفظ المضارع، إشعاراً بأنَّ من شأن ما أسند إليه التسبيح ـ من السماوات والأرض ـ أن يسبّحه في جميع أوقاته، لأنه دلالة جبليّة لا تختلف باختلاف الحالات. ومجيء المصدر مطلقاً في بني إسرائيل أبلغ، من حيث إنّه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كلّ شيء وفي كلّ حال، مز، الملائكة والثقلين.

وإنّما عدّي هاهنا باللام، اشعاراً بأنّ إيقاع الفعل لأجل الله وخالصاً لوَجهه. ومثله: نصحت له، في: نصحته. فالمعنى: أحدث التسبيح والتنزيه من كـلّ ســوء خالصاً لله. وأصل التسبيح التعدّي بنفسه، كما فــي قــوله: ﴿وَتُسَـّبُحُوهُ﴾ (١٠). لأنّ

<sup>(</sup>١) الفتح: ٩.

معنى: سبّحته: بعّدته عن السوء. منقول من: سبّح إذا ذهب وبعد.

«ما في السعوات والأرض» ما يتأتى منه التسبيح ويصعّ . أو يسبّح له ذو الروح وغيره . أمّا العقلاء فيسبّحونه قولاً واعتقاداً ولفظاً ومعنى . وأمّا غير العقلاء من سائر العيوانات والجمادات فتسبيحه ما فيه من الأدلّة الدالّة على وحدانيّته ، وعلى الصفات الّتي باين بها جميع خلقه ، وما فيه من الحجج على أنّه لا يشبه خلقه ، وأنّ خلقه لا يشبهه ، فعبر سبحانه عن ذلك بالتسبيح .

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح. والمعنى: وهـو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء من الأشياء، المحكم لأفعاله، العليم بوجوه الصواب في التدبير.

﴿ لَهُ مُلَكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإنّه الموجد لهما، والمتصرّف فيهما، وليس لأحد منعه منه ﴿ يُحْفِي وَيُمِيثُ ﴾ استئناف، أو خبر لمحذوف، أو حال من المجرور في «له»، والجازّ عامل فيها. ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة، ويميت الأحياء. ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلُّ شَيءٍ ﴾ من الإحياء والإماتة وغيرهما ﴿ قَدِيرٌ ﴾ تامّ القدرة.

﴿ هُوَ الْأَوْلُ﴾ القديم السابق على سائر الموجودات، من حيث إنّه موجدها ومحدثها ﴿ وَالْآخِرُ﴾ الباقي بعد فنائها، ولو بالنظر إلى ذاتها مع قبطع النظر عن غيرها. أو هو الأوّل الذي تبتدأ منه الأسباب، وتنتهي إليه المسبّبات. أو الأوّل خارجاً، والآخر ذهناً.

﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ وجوده بالأدلّة الدالّة عليه. أو الغالب على كلّ شيء. من: ظهر عليه إذا علاه وغلبه. ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ حقيقة ذاته، فلا تكتنهها العقول، ولا تدرك بالحواس. وفي هذا حجّة على من جوّز إدراكه في الآخرة بالحاسّة. أو العالم بباطن كلّ شيء.

وقيل: الأوّل بالأزليّة، والآخر بالأبديّة، والظاهر بالأحديّة، والباطن بالصمديّة.

والواو الأولى للدلالة على أنّه الجامع بسين الصفتين: الأوليّسة والآخـريّة. والثالثة على أنّه الجامع بين الظهور والخفاء. وأمّا الوسطى، فعلى أنّه الجامع بسين مجموع الصفتين الأوليين. ومجموع الصفتين الأخريين.

﴿ وَهُوَ بِكُلُّ شَنِّءٍ عَلِيمٌ ﴾ يستوي عنده الظاهر والخفيّ.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهته. ولما في الإخبار به من المصلحة للمكلّفين. ﴿ ثُمُّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ استولى عليه استيلاء الملك على الملك، والمالك على الملك،

﴿ يَغْنَمُ مَا يَلِيجٌ ﴾ ما يدخل ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ كالبذور ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ كالأبخرة كالزروع ﴿ وَمَا يَغْزِجُ فِيهَا ﴾ كالأبخرة وأعمال العباد والملائكة ﴿ وَهُوَ مَعَكُمُ أَيْنَ مَا كُنْتُمُ ﴾ لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال ﴿ وَاللّهُ بِمَا تَغْمَلُونَ ﴾ من خير وشرّ ﴿ بَصِيرٌ ﴾ عالم، فيجازيكم عليه. ولعلّ تقديم الخلق على العلم لأنّه دليل عليه.

﴿ لَهُ مَلْكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرّف فيهما كيف يشاء. ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإعادة كما ذكره مع الإبداء، لأنّه كالمقدّمة لهما. ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأَمُورُ﴾ يوم القيامة. يعني: أنّ جميع من ملّكه شيئاً في الدنيا يزول ملكه عنه.

﴿ يُولِجُ اللَّذِلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّذِلِ ﴾ يدخل ما نقص من الليل في النهار، وما نقص من الليل ألله النهار، وما نقص من النهار في الليل، حسب ما دبّره فيه من مصالح عباده ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ بمكنونها، من أسرار خلقه، وما يخفونه من الضمائر والاعتقادات والإرادات والكراهات، لا يخفى عليه شيء منها. وفيه تحذير من المعاصى.

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مَمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخَلَفينَ فيه فَالَّذينَ آمَنُوا منكُمْ وَأَفْقُوا لَهُمْ أَجْرْكَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمُ لتُؤْمِنُوا بِرِّبَكُمُ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمُ إِن كُنتُم تُؤْمِنينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنزَلُ عَلَى عَبْده آيَات بَيْنَات ليُخْرِجَكُم مّنَ الظُّلُمَات إِلَى النُّور وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمُ أَلاَّ تُنفقُوا في سَبيل اللَّه وَللَّه ميرَاثُ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ لاَ يَسْتَوِي منكُم مَّنْ أَنْفَقَ من فَبْل الْفَتْح وَقَاتَلَ أُؤْلَكَ أَعْظُمُ دَرَجَةً مَّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا من بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذي يُقْرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿ ١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِنَات يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيديهِمْ وَيَأْيَمَانِهم ُبِشُرَاكُمُ الْيُوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي من تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا ذَلَكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ ﴿ ١٢ ﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافقُونَ وَالْمُنَافقَاتُ للَّذينَ آمَنُوا آنظُرُونَا نَقْبَسُ من . فَوكُمْ قيلَ ٱرْجعُوا وَرَاءَكُمُ فَالْتَمسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطْنَهُ فيه الرَّحْمَةَ وَظَاهِرُهُ من قَبَله العَذَابُ ﴿١٣﴾ نِنَادُوبَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكَتَكُمُ فَنَنتُمُ أَفْسَكُمُ وَتَرْبَصْنُمُ وَآرُنْبَتُمْ وَغَرَنْكُمُ الأَمَانِيُ حَتَى جَآءَ أَمْرُ ۹۹۲ ...... زيدة التفاسير ـج ٦

اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمُ وَبِشْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ثمّ خاطب المكلّفين، فقال: ﴿ آمِنُوا بِاشِ ﴾ بوحدانيّته وإخلاص العبادة له ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ وصدّقوا بنبوّته ﴿ وَأَنفِقُوا ﴾ في طاعة الله والوجوه الّتي أمركم بالإنفاق فيها ﴿ مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرّف فيها. فهي في الحقيقة له لا لكم، بسبب خلقه وإنشائه لها. وإنّماموّلكم إيّاها، وخراكم الاستمتاع بها، وما أنتم فيها إلّا بمنزلة الوكلاء والنوّاب.

أوالمعنى: جعلكم مستخلفين ممّن كان قبلكم فيما فعي أيمديكم، بـتوريثه إيّاكم. فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينتقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به، وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم.

وفيه حتّ على الإنفاق، وتهوين له على النفس، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه.

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنقَقُوا﴾ منها في حقوق الله ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعد فيه مبالغات: جعل الجملة اسميّة، وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق، وبناء الحكم عملى الضمير، وتنكير الأجر، ووصفه بالكبر، أي: لهم ثواب عظيم لا يكتنهه العقل.

ثمّ وبّخهم بترك الإيمان، وبعده بترك الإنفاق، فقال: ﴿ وَمَا لَكُم لا تُـوْمِنُونَ إِنشِ ﴾ الجملة الفعليّة حال من معنى الفعل في «لكم»، كما تـقول: مالك قـائماً؟ بمعنى: ما تصنع قائماً؟ أي: وما تصنعون غير مؤمنين به؟ وأيّ شيء يمنعكم من الإيمان به؟ ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُوْمِنُوا بِرَبّكُمْ ﴾ حال من ضمير «لا تـوْمنون». فهما حالان متداخلان.

والمعنى: أيّ عذر لكم في ترك الإيمان، والرسول يدعوكم إليه، ويـنبّهكم

عليه، ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالحجج والآيات؟

وقوله: ﴿ وَقَدْ أَخَذَ صِيثَاقَكُمُ ﴾ حال من مفعول «يدعوكم» أي: الرسول يدعوكم بالإيمان وقرأ أبو عمرو: أخِذَ يدعوكم بالإيمان وقرأ أبو عمرو: أخِذَ على البناء للمفعول، أي: وقد أخذ الميثاق منكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلّة والتمكين من النظر.

﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ لموجب ما، فإنّ هذا موجب لا مزيد عليه، أي: إذا لم يبق لكم علّة بعد ارتفاع الشبه، ولزوم الحجج العقليّة والنقليّة عليكم، فما لكم لا تؤمنون؟

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزُّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ يعني: محمّداً ﷺ ﴿ آيَاتِ بُيْنَاتٍ ﴾ حججاً منيرة وبراهين واضحة ﴿لِيُغْوِجَكُمْ ﴾ أي: الله سبحانه، أو عبد المجاهد ﴿ لِيُغْوِجَكُمْ ﴾ أي: الله سبحانه، أو عبد التوفيق والألطاف العظلفات ﴾ من ظلمات الكفر ﴿ إِلَى النَّورِ ﴾ إلى نور الايمان بالتوفيق والألطاف الهادية ﴿ وَإِنَّ اللَّهِ عِنْ الرَّفَة وَالرَّحمة للتَّاكِيد. وقيل: ما نصب لكم من الحجج العقليّة، وإنّما جمع بين الرَّفة والرحمة للتَّاكيد. وقيل: الرَّفة النعمة على المحتاج.

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر . فإنّه سبحانه بيّن أنّ الغرض في إنزال القرآن الإيمان به.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَنْفِقُوا ﴾ وأيّ شيء لكم في أن لا تنفقوا ﴿ فِي سَبِيلِ اشِ ﴾ فيما يكون قربة إليه ﴿ وَشِ مِيزَاتُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يرث كلّ شيء فيهما، فلا يبقى لأحد مال. وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضاً يبقى \_ وهو التواب \_ كان أولى. وهذا من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله.

ثمّ بيّن التفاوت بين المنفقين منهم، فقال: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفُقَ مِنْ قَبْلِ الْفَشْحِ﴾ قبل فتح مكّة، إذ بالانفاق وقع عزّ الاسلام وقوّة أهله، ودخول الناس في دين الله أفواجاً ﴿ وَقَائِلَ ﴾ مع الكفّار. وذكر القتال في بيان التفاوت بين السنفقين للاستطراد. وقسيم «من أنفق» محذوف، تقديره: ومن أنفق من بعد الفتح، فحذف لوضوحه، ودلالة ما بعده عليه، أعني: قوله: ﴿ أَوْلَئِكَ اعْظُمُ نَرَجَهُ ﴾ فإنّه بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم، من السبق وقوة اليقين وتحرّي الحاجات ﴿ مِنَ النّبِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتُلُوا ﴾ أي: من بعد فتح مكّة، فإنّ الإنفاق والقتال قبل فتح مكّة كان أشدً، والحاجة إلى النفقة والجهاد كان أكثر.

﴿ وَكَذَا اللهُ وَكُلُ واحد من الفريقين السنفقين ﴿ وَعَدَ اللهُ السُّصُفَى ﴾ السنوبة الحسنى \_ وهي: الجنّة \_ وإن تفاوتوا في مراتب الدرجات. وقرأ ابن عامر: وَكُلُّ. بالرفع على الابتداء، أي: وكلَ وعيده الله، ليطابق ما عطف عليه، وهو قوله: ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ عالم بظاهره وباطنه، فمجازيكم على حسبه.

ثمّ بين كيفيّة الإنفاق ومزيّة المثوبة، فقال: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُـ قُرِضُ الله ﴾ أي: ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوّضه، فإنّه كمن يقرض الله ﴿ قَرْضاً حَسَمنا ﴾ أي: إنفاق أكرم المال وأطيبه في أفضل الجهات مقروناً بالإخلاص. فشبّه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، ووجه الشبه هو التعويض.

وقال بعض المحقِّقين: القرض الحسن أن يجمع عشرة أوصاف:

أن يكون من الحلال. لأنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله تعالى طيّب، لا يقبل إلّا الطيّب».

وأن يكون من أكرم ما يملكه، دون أن يقصد الرديء بالإنفاق، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيْمُمُوا الْخَبِينَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (١).

وأن يتصدّق وهو يحبّ المال ويرجو الحياة، لقوله ﷺ لمّا سئل عـن الصدقة: «أفضل الصدقة أن تعطيه وأنت صحيح شحيح. تأمل العـيش، وتـخشى

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢٦٧.

الفقر، ولا تمهل حتَّى إذا بلغت النفس التراقي قلت: لفلان كذا ولفلان كذا».

وأن يضعه في الأخلّ الأحوج الأولى بأخذه. ولذلك خصّ الله أقواماً بأخذ الصدقات. وهم أهل البلوى.

وأن يكتمه ما أمكن، لقوله: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَبُؤْتُوهَا النَّقْقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١٠. وأن لا يتبعه المنّ والأذى، لقوله: ﴿ لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنُّ وَالْأَذَى ﴾ (٣. وأن يقصد به وجه الله، ولا يرائى بذلك، لأنّ الرياء مذموم.

ران حدة باسط بانکه لأنتاه الانامال

وأن يستحقر ما يعطي وإن كثر ، لأنَّ متاع الدنيا قليل.

وأن يكون من أحبّ ماله إليه، لقوله: ﴿ لَـنْ تَــَنَالُوا الْسِرِّ حَــتَّىٰ تُــنَّفِقُوا مِـمًا تُحِبُّونَ﴾ (٣).

وأن يحتاج إليه، لقـوله تـعالى: ﴿وَيُـؤْثِرُونَ عَـلَى انـفُسِهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِـهِمْ خَصَاصَةُ﴾ (<sup>٤)</sup>.

فهذه الأوصاف العشرة إذا استكملتها الصدقة كان ذلك قرضاً حسناً.

﴿ فَيُضَاعِقَهُ لَهُ ﴾ أي: يعطي أجره أضعافاً، من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة ﴿ وَلَهُ أَجْرٌ كَوِيمٌ ﴾ وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه، ينبغى أن يتوخّى وإن لم يضاعف، فكيف وقد يضاعف أضعافاً !

وقرأ عاصم: فَيَضَاعِفَهُ بالنصب، على جـواب الاسـتفهام بـاعتبار المـعنى، فكأنّه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ وقرأ ابن كثير؛ فَيُضعفُهُ مرفوعاً، عـطفاً على «يُقْرضُ الله». أو على تقدير: فهو يضاعفه. وابن عـامر ويـعقوب: فَـيُضعفَهُ

<sup>(</sup>١) البقرة: ٢٧١.

<sup>(</sup>٢) القرة: ٢٦٤.

<sup>(</sup>٣) آل عمران: ٩٢.

<sup>(</sup>٤) الحشر: ٩.

﴿ يَوْمَ تَـرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ظرف لقوله: «وله أجر كريم» أو «فيضاعفه». أو مقدّر به اذكر، تعظيماً لذلك اليوم، ﴿ يَسْعَىٰ نُـوْرُهُمْ﴾ ما يموجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنّة وهم يمرّون فيه.

قال قتادة: إنّ المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك. حتّى إنّ من المؤمن من لا يضيء له نوره إلّا موضع قدميه.

وقال عبدالله بن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من نــوره مثل الجبل،وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه، يطفأ مرّة ويقد أخرى.

ويخصّص ذلك النور بقوله: ﴿بَنِنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ لأنّ السعداء يـوتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أنّ الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم. فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وعلامة، لأنّهم هم اللّذين بحسناتهم سعدوا، وبصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنّة ومرّوا على الصراط يسعون، وسعى بسعيهم ذلك النور جنيباً لهم ومتقدّماً.

ويقول لهم الذين يتلقّونهم من الملائكة: ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: المبسّر به في هذا اليوم ﴿ جَنَّاتُ ﴾ أو بشراكم دخول جنّات ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْآنْهَالُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَيْكُ إِنْسَانَ مَا النور والبشرى بالجنّات المخلّدة ﴿ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

ثمّ ذكر حال السنافقين في ذلك اليوم، فقال: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ ﴾ بدل من «يوم ترى» ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا ﴾ انتظرونا، فإنّهم يسسرع بهم إلى الجنّة كالبرق الخاطف على ركاب تزفّ بهم، وهؤلاء مشاة. أو انظروا إلينا، لأنّهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، فيستضيئون بنور بين أيديهم. وقرأ حمزة: أنظِرُونًا، من النظرة، وهي الإمهال. جعل اتّئادهم(١) في المضيّ إلى أن

<sup>(</sup>١) أي: تمهّلهم وتأنّيهم.

﴿ نَقْتَمِسْ مِن نُورِكُمُ ﴾ نصب منه. وذلك بأن يلحقوا بهم فيستنيروا به. وقيل: إِنَّهم إذا خرجوا من قبورهم اختلطوا، فيسعى المنافقون في نور المؤمنين، فإذا ميّزوا بقوا في الظلمة، فيستغيثون ويقولون هذا القول.

﴿قِيلَ﴾ فيقال للمنافقين ﴿ازْچِعُوا وَرَآءَكُمُ﴾ إلى الدنيا ﴿فَالْقَمِسُوا نُـوراً﴾ بتحصيل المعارف الإلهيّة والأخلاق الفاضلة، فإنّه يتولّد منها، أو إلى الموقف، فإنّه من ثمّ أعطينا هذا النور، فالتمسوه هنالك. أو ارجعوا خائبين وتنحّوا عنّا، فاطلبوا نوراً بتحصيل سببه، وهو الإيمان، فإنّه لا سبيل لكم إلى هذا النور. وهو تهكّم بهم، وتخييب من المؤمنين أو الملائكة.

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿ بِسُورٍ ﴾ بحائط يكون بين الجنّة والنار ﴿ لَهُ بَابُ ﴾ يدخل منه المؤمنون ﴿ بَاطِنُهُ ﴾ بـاطن السور، أو الباب ﴿ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ لأنّه يلي الجنّة ﴿ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ من جهته، لأنّه يلي النار.

﴿ يُنَادُونَهُمْ ﴾ ينادي المنافقون المؤمنين ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعْكُمْ ﴾ يريدون موافقتهم ظاهراً في الصلاة والصوم وغيرهما ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ بلى كنتم معنا ﴿ وَلَكِنْكُمْ ﴾ كنتم ﴿ فَتَنْتُمُ انْفُسَكُمْ ﴾ محنتموها بالنفاق، وأهلكتموها به ﴿ وَتَربَّضِتُمْ ﴾ بالمؤمنين دوائر السوء ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ وشككتم في الدين ﴿ وَغَرْتُكُمُ الْأَمَائِيُ ﴾ كامتداد العمر وطول الأمل ﴿ مَثَىٰ جَآءَ أَمْرُ اللهِ ﴾ وهو الموت ﴿ وَغَرْكُمْ بِاللهِ الْغُرُورُ ﴾ الشيطان، بأنّ الله غفور كريم لا يعذّبكم، أو الدنيا .

﴿ فَالْنَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةً ﴾ فداء تنقذوا أنفسكم به من العذاب. وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء. ﴿ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفُرُوا ﴾ ظاهراً وباطناً ﴿ مَاؤَاكُمُ النَّارُ هِـىَ

۸۹۸ ..... زیدة التفاسیر ـج ۲

مَوْلَاكُمْ﴾ هي أولى بكم. وحقيقته: محراكم (١٠)، أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم. أو مكانكم عثا قريب، من الولي، وهو القرب. أو ناصركم، على طريقة قولهم: تحيّة بينهم ضرب وجيع، والمعنى: لا ناصر لكم غيرها على البتّ. ونحوه قولهم: أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع. ومنه قوله تعالى: ﴿ يُفَالُوا بِمَاعٍ كَالْمُهْلِ﴾ (١٣). أو تتولّاكم النار كما توليتم موجباتها في الدنيا من أعمال أهل النار. ﴿ وَبِنْسُ المُصِيدُ﴾ النار.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوآ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذَكْرِ اللَّهِ وَمَا نَوْلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكَتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَتُ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِعُونَ ﴿١٦﴾ آغَلُمُوٓ أَنَّ اللَّه يُخْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا قَدْ بَيْنَا لَكُمُ مَنْهُمْ فَاسِعُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُصَدَّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا لَكُمُ مَنْقُلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدَّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجُرٌ كُومِمْ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولِيكَ حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجُرُهُمْ وَقُورُهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَذَبُوا وَكَذَبُوا مِكَذَبُوا وَكَذَبُوا

ثمّ دعاهم سبحانه إلى الطاعة. فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ألم يأت وقت أن ترقّ وتلين قلوبهم. من: أنى الأمر يأني أنياً وإنسى إذا

<sup>(</sup>١) يقال: هو حريّ أن يفعل كذا، أي: جدير بذلك وحقيق به. واسم المكان منه: محرى.

<sup>(</sup>٢) الكهف: ٢٩.

جاء أناه، أي: وقته. ﴿لِنِخُواللهِ ﴾ لما يذكّرهم الله به من مواعظه. روي: أنّ المؤمنين كانوا مجدبين بمكّة، فلمّا هاجروا أصابوا الرزق والنعمة، ففتروا عمّا كانوا عليه من أفعال الخير، فنزلت. وعن ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بمهذه الآية إلاّ أربع سنين.

﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: القرآن. وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر. ويجوز أن يراد بالذكر أن يدذكر الله. وقرأ نافع وحفص ويعقوب: نزل بالتخفيف.

﴿ وَلاَ يَكُونُوا كَانَّدِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ عطف على «تَخْشَع». وقرأ رويس بالتاء. والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ فطال عليهم الزمان لطول أعمارهم وآمالهم. أو ما بينهم وبين أنبيائهم. وقيل: طالت أعمارهم، وطارت أعمالهم.

﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ غلظت وزال خشوعها، ومرنوا على المعاصي واعتادوها. ومن كلام عيسى ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله». ﴿ وَكَثِيرُ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن دينهم، رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة. فلا تكونوا مثلهم، فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم.

ثمّ مثّل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهُ يُحْيِي الكافر الذّرَضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد اليبس والجدوبة، أي: فكذلك الله يعيي الكافر بالإيمان بعد موته بالضلال والكفر، بأن يلطف له ما يؤمن به، من إرسال الرسل وإنزال الكتب وغيره. أو انّ الله يلين قلوب عبيده بعد قسوتها بالألطاف والتوفيقات التي من جملتها الذكر والتلاوة، وقيل: هذا تمثيل لإحياء الأموات، ترغيباً في الخشوع، وزجراً عن القساوة.

﴿ فَذ بَيْنًا لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾ الحجج الواضحات، والدلائل الساهرات ﴿ لَعَلَّكُمُ

٦٠٠ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

تَفْقِلُونَ﴾ كي يكمل عقولكم بها، فترجعوا إلى طاعتنا، وتعملوا بما أمرناكم به.

﴿إِنَّ الْمُصَّدُقِينَ وَالْمُصَّدُقَاتِ﴾ أي: المتصدّقين والمتصدّقات. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد، أي: الذين صدقوا الله ورسوله. ﴿ وَاَقْرَضُوا اللهُ قَرْضاً حَسَنا﴾ عطف على معنى الفعل في المحلّى باللام، لأنّ معناه: اللّذين أصدقوا أو صدّقوا. وهو على الأوّل للدلالة على أنّ المعتبر هو التصدّق المقرون بالإخلاص. ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرُ كَرِيمٌ ﴾ تفسير هذا الكلام وبيان وجوه القراءة في «يضاعف» قد مرّ آنفاً، غير أنّه لم ينجزم، لأنّه خبر «إنّ». وهو مسند إلى «لهم»، أو الى ضمير مصدر «يضاعف».

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ﴾ صدّقوا بتوحيد الله ، وأقرّوا بنبوّة رسله ﴿ أولئِكَ هُمُ الصَّدِيقِينَ والشهداء . هُمُ الصَّدِيقَونَ وَالشَّهَاءَ عَنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أولئك عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء . أو هم المبالغون في الصدق ، فبإنهم آمنوا وصدّقوا جميع أخبار الله ورسله . والقائمون بالشهادة لله ولهم . أو على الأمم يوم القيامة .

وقيل: «والشهداء عند ربّهم» مبتدأ وخبر. والمراد بهم الأنبياء، من قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِنْنَا مِن كُلُ أَمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (١٠). وهو مرويّ عن ابس عبّاس، ومسروق، ومقاتل بن حيّان. واختاره الفرّاء والزجّاج.

وقيل: الَّذين استشهدوا في سبيل الله.

وروى العيّاشي بالإسناد عن منهال القصّاب قال: «قلت لأبي عبدالله ﷺ: أدع الله أن يرزقني الشهادة. فقال: إنّ المؤمن شهيد، وقرأ هذه الآية».

وعن الحارث بن المغيرة قال: «كنّا عند أبي جعفر ﷺ فقال: العارف منكم هذا الأمر المنتظر له، المحتسب فيه الخير، كمن جاهد والله مع قائم آل محمدﷺ بسيفه. ثمّ قال: بل والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه. ثمّ قال الثالثة: بلى

<sup>(</sup>١) النساء: ١٤.

والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ في فسطاطه. وفيكم آية من كتاب الله. قلت: وأيّ آية جعلت فداك. قال: قول الله ﷺ ﴿والّذين آمنوا بـالله ورســـله أولئك هــم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم﴾. ثمّ قال: صرتم والله صادقين شهداء عند ربّكم».

﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَتُورُهُمْ ﴾ لهم مثل أجر الصدّيقين والشهداء وسئل نــورهم. ولكنّه من غير تضعيف، ليحصل التفاوت. أو الأجر والنور الموعودان لهم.

﴿ وَالَّذِينَ كَفُرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَوْلَئِكُ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فيه دليل على أنَّ الخلود في النار مخصوص بالكفّار، من حيث إنَّ التركيب يشعر بالاختصاص، والصحبة تدلَّ على الملازمة عرفاً.

آعُلَمُوا أَنْمَا الْحَيَاءُ الدُّنُيَا لَعِبٌ وَلَهُوْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُوْ بَئِنكُمُ وَتَكَاثُوْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَد كَمَثُلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّار ثَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكِيجُ وَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ وَمَغْفَرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنُيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿ ٢٠ ﴾ سَابِقُوآ إِلَى مُغْفِرةً مِن رَبِّكُمْ وَجَنَة عَرْضُهَا الدُّنِيَ اللّهَ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللّه يُؤْتِيهِ كَمُونُ اللّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءً وَاللّهَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ ٢٠ ﴾

ولمًا ذكر حال الفريقين في الآخرة حقّر أمور الدنيا، تزهيداً للمؤمنين فـي أمور الدنيا وركونهم إلى لذّاتها. فقال:

﴿ اغْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبُ ﴾ أي: الحياة في هذه الدار الدنيَّة والأمور

المتعلّقة بها أمور خياليّة قليلة النفع سريعة الزوال، لأنّها لعب يستعب الناس فيه أنفسهم جدّاً، إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ﴿وَلَهُوَ﴾ يلهون به أنفسهم عنا يهتهم من الأمور الأخرويّة ﴿وَزِيئَةٌ﴾ يستزيّنون بها، كالملابس الحسنة، والمراكب البهيّة، والمنازل الرفيعة ﴿وَتَقَاشُرُ بَيْنَكُمْ﴾ بالأنساب والعَدد والعُدد ﴿وَتَعَاشُرُ بَيْنَكُمْ ﴾ بالأنساب والعَدد والعُدد

ثمّ مثل لها في سرعة تقضّيها وقلة جدواها بقوله: ﴿ كَمَثَلُ غَيْنُ أَعْجَبُ الْكُفَّانَ نَبَاتُهُ ﴾ أي: نبات أنبته المطر فاستوى بحيث أعجب الحرّاث. أو الكافرون بالله، لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا. ولأنّ المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطّى فكره عمّا أحسّ به، فيستفرق فيه إعجاباً ﴿ ثُمْ يَهِيجٌ ﴾ يبس بعاهة وآفة ﴿ فَتَزَاهُ مُصْفَرًا ثُمْ يَكُونُ خُطَاماً ﴾ يتحطّم ويتكسّر بعد يبسه. وشرح هذا المثل قد تقدّم في سورة يونس (١٠).

﴿ وَفِي الْآَجْرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ لأعداء الله، تنفيراً عن الانهماك في الدنيا، وحثاً على ما يوجب كرامة العقبى. ثمّ أكّد ذلك بقوله: ﴿ وَمَفْقِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانُ ﴾ لأولياء الله ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَثَاعُ الْفُرُورِ ﴾ أي: لمن أقبل عليها، ولم يطلب بها الآخرة.

ثمّ رغّب سبحانه في المسابقة لطلب الجنّة، فقال: ﴿سَابِقُوا﴾ وسارعوا مسارعة السابقين في المضمار ﴿إِلَىٰ مَفْقِرَةٍ مِنْ رَبُحُهُ﴾ إلى موجباتها من الأعمال الصالحة ﴿وَجَنَّةٍ﴾ وسابقوا إلى استحقاق ثواب جنّة هذه صفتها ﴿عَرْضُهُا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ وإذا كان العرض كذلك فما ظنّك بالطول؟!

وقيل: طولها لا يعلمه إلَّا الله.

وقيل: المراد به البسطة، كقوله: ﴿ فَذُو دُعَامَ عُريضٍ ﴾ (٧).

<sup>(</sup>١) راجع ج ٣ ص ٢٠٢، ذيل الآية ٢٤٤ من سورة يونس.

<sup>(</sup>٢) فصّلت: ٥١.

وقيل: إنَّ الله قال: «عرضها كعرض السماء والأرض»، والجنَّة المخلوقة في السماء السابعة، فلا تنافي بينهما.

﴿أُعِدُتْ﴾ ادّخرت وهيّئت ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ فيه دليل على أنّ الجنّة مخلوقة، وأنّ الإيمان وحده كافٍ في استحقاقها، لأنّه ذكر أنّ الجنّة معدّة للمؤمنين، ولم يذكر معه شيئاً آخر، وهذا أعظم رجاء لأهل الإيمان.

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءَ﴾ ذلك الموعود يتفضّل به على من يشاء، فإنّه يجزي الدائم الباقي على القليل الفاني. ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحقّ بالأعمال، كان عدلاً منه، لكنّه تفضّل بالزيادة.

وقيل: معناه: إنّ أحداً منا لا ينال خيراً في الدنيا والآخرة إلّا بفضل الله. فإنّه سبحانه لو لم يدعنا إلى الطاعة، ولم يبين لنا الطريق، ولم يوفّقنا للعمل الصالح، لما اهتدينا إليه، فذلك كلّه من فضل الله. وأيضاً فإنّه سبحانه تفضّل بالأسباب الّتي يفعل بها الطاعة، من التمكين والألطاف وكمال العقل، وعرض المكلّف للثواب، فالتكلف أضاً تفضّل.

﴿ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فلا يبعد منه التفضّل بذلك وإن عظم قدره.

مَآ أَصَابَ مِن مُصِيبَة فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمُ اِلاَّ فِي كَاب مِن قَبْلِ أَن ثَبْرَأَهَآ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لَكُيْلاَ تَأْسُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمُ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّكُلَّ مُخْاَلٍ فَخُورٍ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يُبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٢﴾

ولمّا بيّن النواب على الطاعة ، عقّبه ببيان الأعواض على مقاساة المصائب، فقال: ﴿مَا اَصَابَ مِنْ مُصِيبةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ كالجدب والعـاهة ﴿وَلَا فِي أَنـهُسِكُمْ﴾ كالمرض، والآفة، وموت الأولاد، وسائر الأقارب والأحباب ﴿إِلَّا فِي كِتَابِ﴾ إلّا مكتوبة في الله حمكتوبة في الله حمكتوبة في اللوح، مثبتة في علم الله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْلَهُ اللهُ عَلَى أَنْبَهَا في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الأنفس والأرض، ليستدلُ ملائكته به على أنّه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أن يثبته في الكتاب على كثرته ﴿عَلَى اللهِ يَسِيدُ﴾ لاستغنائه عن العدّة والمدّة.

﴿لِكِنْلِا تَأْسَوْا﴾ أي: أثبت وكتب ذلك لئلا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمُ﴾ من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَقْرُحُوا بِمَا آتَاكُمُ﴾ بما أعطاكم الله منها، فإنّ من علم أنّ الكلّ مقدّر هان عليه الأمر. وأيضاً إذا علم الإنسان أنّ ما فات منها ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة، فلا ينبغي أن يحزن لذلك. وإذا علم أنّ ما ناله منها كلّف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه، فلا ينبغي أن يفرح به. وإذا علم أنّ شيئاً منها لا يبقى، فلا ينبغي أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبيد.

وقرأ أبو عمرو: «بِمَا أَتَاكُمْ» من الإنيان، ليعادل «ما فاتكم». وعلى الأوّل فيه إشعار بأنّ فواتها يلحقها إذا خلّيت وطباعها، وأمّا حصولها وبقاؤها فلا بدّ لهما من سبب يوجدها ويبقيها.

والمراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله ، والفرح الموجب للبطر والاختيال . ولذلك عقبه بقوله: ﴿ وَاللهُ لا يُجِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ إذ قلَّ من يشبت نفسه في حالى الضرّاء والسرّاء .

وقيل لبزرجمهر الحكيم: مالك أيّها الحكيم لا تأسف على ما فات، ولا تفرح بما هو آتٍ؟

فقال: لأنَّ الفائت لا يتلافى بالعبرة. والآتي لا يستدام بالخبرة.

واعلم أنَّ في هذه الآية إشارة إلى أربعة أشياء:

الأوّل: حسن الخلق، لأنّ من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها، لا يحسد، ولا يعادي، ولا يشاخ، فإنّ هذه من أسباب سوء الخلق، وهي من

نتائج حبّ الدنيا.

وثانيها: استحقار الدنيا وأهلها. إذا لم يفرح بوجودها، ولم يحزن لعدمها. وثالثها: تعظيم الآخرة، لما ينال من الثواب الدائم الخالص من الشوائب. ورابعها: الافتخار بالله دون أسباب الدنيا.

ويروى أنَّ عليٌ بن الحسين ﷺ جاءه رجل فقال له: ما الزهد؟ فقال: «الزهد عشرة أجزاء. فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع. وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين. وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا. وإنَّ الزهد كلّه في آية من كتاب الله: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحبّ كـلً مختال فخور﴾».

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيِامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من «كلِّ مختال» فإنَّ المختال بالمال يضنَّ به غالباً. أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ اللهُ عَنيَّ عنه وعن هُو الْغَنِيُّ الْمَمِيدُ ﴾ لأنَّ معناه: ومن يعرض عن الإنفاق، فإنَّ الله غنيَّ عنه وعن إنفاقه، محمود في ذاته، لا يضرَّه الإعراض عن شكره، ولا ينتفع بالتقرّب إليه بشيء من نعمه، وفيه تهديد وإشعار بأنَّ الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق، وقرأ نافع وابن عامر: «فإنَّ اللهُ الْغَنِيُّ».

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلْنَا بِالْبَيْنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكَتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقَسُطُ وَأَنْزُلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيْعُلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌ عَزِيزٌ ﴿ ٢٥ ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَّتِهِمَا النَّبُوةَ وَالْكَتَابَ فَمِنْهُم مُّهَدَ وَكَذِيرٌ مَنْهُمْ فَاستُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى آبِن مَرْبَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ آتَبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَاشَةً آبَدَعُوهَا مَا كَثْبَنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ الْبَخَاءَ رِضُوانِ اللَّهِ فَمَا رَعُوهَا حَقَّ رِعَائِيَهًا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثْيرٌ مِنْهُمْ فَاسَقُونَ ﴿٧٧﴾ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انَّقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كُلُمْ فَاسِقُونَ ﴿ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ كُلُلَيْنِ مِن رَحْمَتُهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ٤٨﴾ لِللَّهِ وَأَنْ فَلْ اللَّهِ وَأَنْ اللَّهِ وَأَنْ اللَّهُ وَأَلَّهُ وَلَا اللَّهِ وَأَنْ الْعَظِيمِ ﴿ ٤٨﴾ اللَّهِ وَأَلَّهُ ذُو الْفَضْلِ اللَّهِ وَأَنْ الْعَظِيمِ ﴿ ٤٨﴾

ثمّ بيّن سبحانه بعث الأنبياء على عباده إرشاداً لهم إلى الطاعات البدنيّة. المشرة للخضوع والخشوع. الزاجرين عن البطر والاختيال. وإلى العبادات الماليّة المنتجة للإحسان على المحتاجين. المانعة عن البخل المذموم عند ربّ العالمين. فقال:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾ أي: الصلائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم ﴿ بِالْنَبِيْنَاتِ ﴾ بالحجم والمعجزات ﴿ وَانْزَلْنَا مَعْهُمُ الْكِتَابَ ﴾ المكتوب الذي يتضمن الأحكام، وما يحتاج إليه الخلق من الحلال والحرام، كالتوراة والإنجيل والقرآن، ليبين الحقّ، ويميّز صواب العمل ﴿ وَالْعِيزَانَ ﴾ ذا الكفّتين الذي يوزن به لتسوى به الحقوق، ويقام به العدل، كما قال: ﴿ لِيَقُومُ النَّاسُ ﴾ في معاملاتهم ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ . وإنزاله إنزاله أسبابه، والأمر بإعداده.

وروي: أنَّ جبرئيل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مر قومك يزنوا به.

قيل: نزل آدم من الجنّة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان، والكلبتان، والميقعة(١)، والمطرقة(٣)، والإبرة. وروي: ومعه المرّ<sup>(٣)</sup> والمسحاة.

وعن النبيّ ﷺ: «أنّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد. والنار. والماء. والعلم».

وعن الحسن: «وأنزلنا الحديد»: خلقناه، كقوله تـعالى: ﴿وَٱلسَّزَلَ لَكُم مِنَ الْاَنْعَام﴾ <sup>(٤)</sup>. وذلك أنَّ أوامره تنزل من السماء.

﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، إذ ما من صنعة إلَّا والحديد آلتها، أو ما يعمل بالحديد.

﴿ وَلِيَطْلَمُ اللهُ مَن يَعْصُرُهُ وَرُسُلَهُ ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفّار. والعطف على محذوف دلّ عليه ما قبله، فإنّه حال يتضمّن تعليلاً. كأنّه قال: «وأنزلنا الحديد» ليكون أسلحة للحرب ومنافع للعباد، وليعلم الله نصرة من ينصره ورسله نصرة موجودة، وجهاد من جاهد مع رسوله موجوداً. أو اللام صلة لمحذوف، أي: أنزله ليعلم الله من ينصره ورسله. ﴿ بِالْقَنْبِ ﴾ حال من المستكن في «ينصره». كما قال ابن عبّاس معناه: ينصرونه ولا يبصرونه. يعني: ينصرونه بالعلم الواقع

<sup>(</sup>١) المِيتَعَة: خشبة القصّار \_أى: محوّر الثياب ومبيّضها \_ يدقّ عليها.

<sup>(</sup>٢) المِطْرَقَة: آلة من حديد ونحوه يضرب بها الحديد ونحوه.

<sup>(</sup>٣) المر: المشحاة.

<sup>(</sup>٤) الزمر: ٦.

٦٠٨ ..... زيدة التفاسير = ج٦

بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر.

﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقر إلى نصرة أحد. وإنّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به، ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه.

﴿ وَفَقَدُ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ خصهما بالذكر لفضلهما ، ولاتهما أبوا الأنبياء ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيْتِهِمَا اللَّبُوْقَةَ وَالْجَتَابِ ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب. وعن ابن عبّاس: المراد بالكتاب الخطّ بالقلم. يقال: كتب كتاباً وكتابة. ﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ فمن الذريّة. أو من المرسل إليهم، وقد دلَّ عليهم «أرسلنا». ﴿ مُهَنّدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِعُونَ ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم. والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذمّ، والدلالة على أنّ الغلبة للضلال.

﴿ مُمَّ قَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ ثمّ أتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل آخرين إلى قوم آخرين ﴿ وَقَقْيْنَا بِعِيسى ابْنِ مَزْيَمَ ﴾ أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتّى انتهى إلى عيسى ﷺ. والضعير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم، أو من عاصرهما من الرسل، لا للذرّيّة، فإنّ الرسل المقفّى بهم من الذرّيّة.

﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبْعُوهُ ﴾ في دينه، يعني: الحواريّين وأتباعهم، اتبعوا عيسى ﴿ وَأَفَةٌ ﴾ هي أشدّ الرقّة والرحمة ﴿ وَرَحْمَةُ ﴾ وإنّما أضافهما إلى نفسه، لأنّه سبحانه جعلهما في قلوبهم بالأمر بهما، والترغيب فيهما، ووعد الثواب عليهما.

﴿ وَرَهْبَائِيَّةُ ﴾ انتصابها بفعل مضمر يفسره ما بعده، تقديره: وابتدعوا رهبانيّة ﴿ ابْتَدَعُوهَا ﴾ وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس، واتّحاذ الصوامع لها في البراري والجبال. منسوبة إلى الرهبان، وهو المبالغ في الخوف، من: رهب، كالخشيان من: خشي. والمعنى: ترهّبهم في الجبال فارّين من الجبابرة أن يفتنوهم في دينهم مخلصين أنفسهم للغبادة، كما سيجىء تفصيله.

﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ما فرضناها عليهم ﴿ إِلَّا ابْتِفَاءَ رِضْوَانِ اللهِ ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، وألزموها على أنفسهم، كما أنّ الإنسان إذاجعل على نفسه صوماً لم يفرض عليه لزمه أن يتمه.

وقيل: متصل، و«رهبانيّة» معطوفة على ما قبلها، و«ابتدعوها» صفة لها في محلّ النصب، أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانيّة مبتدعة من عندهم. بمعنى: وققناهم للتراحم بينهم، ولابتداع الرهبانيّة واستحداثها، والإتيان بها أولاً. لا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم. ما كتبناها عليهم إلّا ليبتغوا رضوان الله، ويستحقّوا بها الثواب. على أنّه كتبها عليهم وألزمها إيّاهم ليتخلّصوا من الفتن، ويبتغوا بذلك رضا الله تعالى وثوابه.

﴿ فَمَا رَعَوْهَا ﴾ فما رعوا جميعاً ﴿ حَقَّ رِعَائِقِهَا ﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره، لآنه عهد مع الله لا يحلّ نكته. وذلك بضمّ التثليث، والقول بالاتّحاد، وقصد السمعة، والكفر بمحمد ﷺ ونحوها، إلى الابتداع.

﴿ فَاتَنِنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أتوا بالإيمان الصحيح. وهم أهـل الرحـمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى، وحافظوا حقوقه، ومن ذلك الإيمان بمحمد الله ﴿ مِنْهُمْ فَ مَنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجـون عـن الاتباع، غير حافظين على نذرهم.

وعن ابن مسعود قال: «دخلت على رسول الله 歌樂، فقال: يابن مسعود الختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها اثنتان، وهلك سائرهنّ. فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى 樂 فقتلوهم. وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازاة الملوك، ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله تعالى ودين عيسى 樂 فساحوا في البلاد وترهّبوا. وهم الّذين قال الله فيهم: ﴿ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾. ثمّ قال النبيّ ﷺ: «من آمن بي وصدّقني واتّبعني فقد رعاها حقّ

٠١٠ ..... زيدة التفاسير -ج ٦

رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون».

وأيضاً عن ابن مسعود قال: «كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار، فقال: يابن أمّ عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيّة ؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى 樂، يعملون بسمعاصي الله ، ف غضب أهل الإيمان فقاتلوهم ، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرّات ، فلم يبق منهم إلّا القليل . فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ، ولم يبق للدين أحد يدعو إليه . فتعالوا نتفرّق في الأرض إلى أن يبعث الله النبيّ الذي وعدنا عيسى 樂 ، يعنون محمداً ﷺ . فتفرقوا في غيران (۱) الجبال ، وأحدثوا رهبائية ، فمنهم من تمسّك بدينه ، ومنهم من كفر . ثمّ تلا هذه الآية : ﴿ ورهبائية ابتدعوها ﴾ الى آخرها .

ثمّ قال: يابن أمّ عبد أتدري ما رهبانيّة أمّتي؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: الهجرة، والجهاد، والصلاة، والصوم، والحجّ، والعمرة».

﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا﴾ بتوحيد الله ، وصدَّقوا موسى وعيسى وسائر الرسل المتقدّمة ﴿ اتَّقُوا الله ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾ محمد ﷺ ﴿ فَيُوتَكُمْ كِفُلْنِن ﴾ نصيبين ﴿ مِنْ رَحْمَتِه ﴾ لإيمانكم بمحمد ﷺ وبمن قبله من الأنبياء . ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق \_ وإن كان منسوخاً \_ ببركة الاسلام ﴿ وَيَجْفَلُ لَكُمْ نُورُهُمْ ﴾ أن أنه للهدى إلدي يسلك به إلى جناب القدس . ﴿ وَيَقْفِز نَكُمْ ﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي ﴿ وَاللهُ عَقُورُ رَجِيمٌ ﴾ .

<sup>(</sup>١) جمع: غار.

<sup>(</sup>٢) الحديد: ١٢.

سورة الحديد، آية ٢٥ ــ ٢٩ ......٠٠٠

روي عن سعيد بن جبير: أنّ رسول الله كلي بعث جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه ودعاه، فاستجاب له وآمن به. فلما كان عند انصرافه قال ناس ممّن آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلاً: اثذن لنا في الوفادة على رسول الله ، فأذن لهم، فقدموا مع جعفر وقد تهياً لوقعة أحد، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ، وقالوا: يا نبي الله إنّ لنا أموالاً، ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصر فنا فجئنا بأموالنا، فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصر فوا فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين. فأنزل الله فيهم: ﴿الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْجَتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمّا رَزَهْنَاهُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمّا رَزَهْنَاهُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمّا رَزَهْنَاهُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّابُ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمّا رَزَهْنَاهُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّابُ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الى قوله: ﴿وَمِمّا رَزَهْنَاهُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّاكُ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الى قوله: ﴿وَمِمّا رَزَهْنَاهُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّاكُمُ الْجَنّاكُ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المنام الله المسلمين المنام الله المسلمين المنام الله المسلمين المنام المنام الله الله المسلمين المنام الله المسلمين المنام المنام المنام المنام الله المنام المنام المنام المنام المنام المنام الله المسلمين المنام الله المنام الم

فلمّا سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله: ﴿ يُوْتَوْنَ اَجْرَهُمْ مَرْتَيْنِ﴾ (٣) فخروا على المسلمين وقالوا: أمّا من آمن منّا بكتابكم وبكتابنا فله أجره مرّتين. وأمّا من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم، فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله» الآية. فجعل لهم أجرين، وزادهم النور والمغفرة.

ثمّ قال: ﴿ لِنَّلَا يَعْلَمُ ﴾ «لا» مزيدة. وعن الفرّاء: إنّما تدخل «لا» صلة في كلّ كلام دخل في أواخره أو أوائله جعد، وإن لم يكن مصرّحاً به، نحو قوله: ﴿ مَا مَنْعَكَ الاَّ تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ ("). ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَآءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ ("). ﴿ وَحَرَامُ عَلَىٰ قَرْبَة أَمْلُكُنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ (6).

<sup>(</sup>١ و ٢) القصص: ٥٢ ـ ٥٤ .

<sup>(</sup>٣) الأعراف: ١٢.

<sup>(</sup>٤) الأنعام: ١٠٩.

<sup>(</sup>٥) الأنبياء: ٩٥.

والمعنى: ليعلم ﴿ اهْلُ الْجِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد الله ﴿ الله يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضَلِ الله ﴾ . «أن» هي المخفّفة . والمعنى: أنّ الشأن لا ينالون شيئاً متا ذكر من فضله ، من الكفلين والنور والمغفرة ، ولا يتمكّنون من نيله ، لاَنهم لم يؤمنوا برسوله ، وهو مشروط بالإيمان به . أو لا يقدرون على شيء من فضله ، فضلاً عن أن يتصرّفوا في أعظمه ، وهو النبرة ، فيخصّوها بمن أرادوا . ويـؤيّده قـوله : ﴿ وَإِنْ الفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ يتفضّل الفَظِيمِ ﴾ يتفضّل على من يشاء من عباده المؤمنين .

وقال الكلبي: كان الوافدون إلى رسول الله عليه البعن أربعة وعسرين رجلاً، وهو عليه الم بمكة، لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وكانوا على دين الأنبياء، فأسلموا. فقال لهم أبو جهل: بئس القوم أنتم، والوفد لقومكم، فردّوا عليه: ﴿ وَمَا لَنَا لاَ فَوْمِنُ عِاشٍ ﴾ (١) الآية. فجعل الله لهم ولمؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه \_أجرين اثنين. فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ويقولون: نحن أقضل منكم، لنا أجران، ولكم أجر واحد، فنزلت: «يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله» إلى قوله: «لئلا يعلم» إلى آخرها.

وقيل: «لا» غير مزيدة. والمعنى: لئلًا يعتقد أهل الكتاب أنّهم لا يقدرون أن يؤمنوا، لأنّ من لا يعلم أنّه لا يقدر يعلم أنّه يقدر.

وقيل: معناه: لئلاً يعلم اليهود والنصارى أنَّ النبيَّ ﷺ والمؤمنين لا يقدرون على ذلك، بل علموا أنَّهم يقدرون عليه، أي: إن آمنتم كما أمركم الله آتاكم الله من فضله، فعلم أهل الكتاب ذلك، ولم يسعلموا خلافه. وعسلى هذا فالضمير فسي «يقدرون» ليس لأهل الكتاب.

وقال أبو سعيد السيرافي: معناه: إنّ الله يفعل بكم هذه الأشياء لئلا يـعلم ــ أي: ليتبيّن ــ جهل أهل الكتاب، وأنّهم لا يعلمون أنّ ما يؤتيكم الله من فـضله لا يقدرون على تغييره وإزالته عنكم.

<sup>(</sup>١) المائدة: ٨٤.

## سورة المجادلة

أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ قال: «ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة».

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحيم قَدُ سَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادلُكَ في زَوْجِهَا وَتَشْتَكَيَّ إَلَى اللَّه وَاللَّهُ يَسْمُعُ تَحَاوُرُكُمَا ٓ إِنَّ اللَّهَ سَميعٌ بَصِيرٌ ﴿ ١﴾ الَّذينَ يُظَاهرُونَ منكُم مَّن نَسَآهُم مَّا هُنَّ أَمَّهَاتِهُمْ إِنْ أَتَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّآتِي وَلَدْنَهُمْ وَإَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَوًّا مَنَ الْفَوْل وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُو ۗ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ من نَسَاتَهُمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَفَبَة مّن قَبْل أَن يَتَمَاسَنَا ذَلَكُمْ تُوعَظُونَ بِه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَمْ يَجِدُ فَصِيَامُ شَهُرِّين مُتَابِعَيْن من قَبْل أَن يَتَمَاسًا فَمَن لَّمْ يَسْنَطِعُ فَإِطْعَامُ سَـنِّينَ مسْكَيْنًا ذَلكَ لتُؤْمنُوا بِاللَّه وَرَسُوله وَتَلْكَ حُدُودُ اللَّه وَللْكَافرينَ عَذَابٌ أَليمٌ ﴿ ٤ ﴾ ولتا ختم الله سبحانه سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده، افتتح هذه السورة بذكر بيان فضله في إجابة دعاء خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة، رآها زوجها ساجدة في صلاتها، وكانت حسنة الجسم عظيمة الأليتين، فلمّا سلّمت راودها فأبت، فغضب، وكان به خفّة ولمم(١١)، فظاهر منها. وهذا أوّل ظهار في الاسلام، وكان طلاق أهل الجاهليّة. فأتت رسول الله عليه وعائشة تغسل شقّ رأسه، فقالت: إنّ أوساً تزوّجني وأنا شابّة، غانية(١٢)، ذات جمال ومال وأهل، حتّى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وتفرّق أهلي، وخلا سنّي، ونفرت بلغي - أي: كثر ولدى - جعلني عليه كأمّه.

وروي أنّها قالت له: إنّ لي صبية صغاراً، إن ضمعتهم إليه ضاعوا، وإن ضمعتهم إلىّ جاعوا.

فقال: ما عندي في أمرك شيء.

وروى أنَّه ﷺ قال لها: حرمت عليه.

فقالت: يا رسول الله، ما ذكر طلاقاً، وإنّما هو أبو ولدي، وأحبّ الناس إليّ. فقال: حرمت عليه.

فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووجدي. كلّما قال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، هتفت وشكت إلى الله فقالت: اللّهمّ فأنزل على لسان نبيّك.

فقامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر. فقالت: انظر في أمري جـعلني الله فداك يا نبئ الله.

فقالت عائشة: اقصري حديثك ومجادلتك. أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟ وكانﷺ إذا نزل عليه شيء أخذه مثل السبات.

<sup>(</sup>١) اللَّهَم: جنون خفيف، أو طرف من الجنون يلمَّ بالانسان.

<sup>(</sup>٢) الغانية : المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الزينة .

فلمًّا قضي الوحي قال: ادعي زوجك. فقرأُ ﷺ:

﴿ بِسَمِ اللهِ الرَّحْفِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِي تُجَادِلُكُ فِي زَوْجِهَا﴾ تراجعك في شأنه سؤالاً وجواباً ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ﴾ وتظهر شكواها وما بها من المكروه، فتقول: اللّهمّ إنّك تعلم حالي فارحمني، فإنّ لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، ومعنى «قـد» التوقّع، لأنّ رسول الله الله الله والمجادلة كانا يتوقّعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها، وينزل في ذلك ما يفرّج عنها كربها. وأدغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين.

﴿ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا﴾ تراجعكما الكلام. وهو على تغليب الخطاب. ﴿ إِنَّ اللهُ سَمِيعُ بَصِيرٌ ﴾ للأقوال والأحوال.

ولمّا كان الظهار من عادة الجاهليّة. ومن أيمانهم خاصّة دون سائر الأمــم. ويّخهم الله تعالى وهجّنهم في ذلك. فقال:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مَنكُمْ مِنْ نِسَاتِهِهَ﴾ أي: يقولون لهنّ: أنتنّ كظهور أتهاتنا. مشتقّ من الظهر. وأصل «يظهّرون»: يتظهّرون. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: يَظَّاهَرُونَ، من: اظّاهر. وعاصم: يُظاهِرُونَ، من: ظاهر. ﴿مَا هُـنَّ﴾ ما الزوجات اللاتي يظاهرونهنّ ﴿المَهاتِهِمَ﴾ على الحقيقة، فإنّ إلحاق الزوجة بـالأمّ، وجـعلهًا مثلها بقول: أنتِ عليَّ كظهر أمّي، تشبيه باطل، لتباين الحالين.

﴿إِنْ أَمُهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِنِي وَلَذَهُمْ﴾ فلا تشبّه بهنّ في الحرمة إلّا من ألحقها الله بهنّ كالمرضعات، لأنَهن لمّا أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأشهات شرعاً. لقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». وكذلك أزواج الرسول، لأنّ الله تعالى حرّم نكاحهن على الأمّة، فدخلن بذلك في حكم الأمّهات، بخلاف الزوجات، فإنّهنّ أبعد شيء من الأمومة، لأنّهنّ لسن بأمّهات حقيقة، ولا بداخلات

في حكم الأنهات. فكان قول المظاهر منكراً. كما قال عزّ اسمه: ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي: المظاهرين ﴿ لَيَقُولُونَ مُنكراً مِنَ الْقَوْلِ ﴾ إذ الشرع أنكر، ﴿ وَزُوراً ﴾ وكذباً سنحرفاً عن الحق. وعن عاصم: أمَّها تُهُمْ بالرفع، على اللغة الحجازيّة والتميميّة. ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَعَقَوْرُ ﴾ لما سلف منه مطلقاً ، أو إذا تيب عنه.

وهل يقع الظهار لو شبّهها بغير الظهر، كالبطن والفخذ وغير ذلك من الأعضاء؟ الأقوى عندنا عدم الوقوع. وكذا لو شبّه عضواً من زوجته بظهر أمّه. الأقرب عدم الوقوع أيضاً. اقتصاراً على منطوق النصّ، وجموداً في التحريم على ما أبلغ عليه. قال الفقهاء: إذا شبّهها بجزء يحرم النظر إليه كالبطن والفخذ \_ وقع.

والآية تدلّ على أنّ الظهار حرام. لوصفه بالمنكر . نعم. لا عقاب فيه. لتعقيبه بذكر المغفرة والرحمة. وهو ملحق بالصغائر الّتي تقع مكفّرة.

ثمّ بين حكم الظهار، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يُفَاهِرُونَ مِنْ نِسَآئِهِمْ ثَمُّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾ يتداركون ما قالوا، لأنّ المتدارك للأمر عائد إليه. وقال الفرّاء: يعودون لما قالوا، وإلى ما قالوا، وفيما قالوا، معناه: يرجعون عمّا قالوا. يقال: عاد لما فعل، أي: نقض ما فعل. ومنه المثل: عاد الغيث على ما أفسد، أي: تداركه بالإصلاح. وذلك عندنا وعند مالك بإرادة الوطء، وإضمار الإرادة في العود كإضمارها في قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ (١٠). وعند الشافعي بإمساك المظاهر عنها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه. وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة.

﴿ فَتَحْوِيرُ رَقَتِهِ ﴾ أي: فعليهم، أو فالواجب إعتاق رقبة. والفاء للسببيّة. ومن فوائدها الدلالة على تكرّر وجوب التحرير بتكرّر الظهار. والرقبة مقيدة بـالأيمان عندنا وعند الشافعي.

<sup>(</sup>١) النحل: ٩٨.

﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَـتَمَاسًا﴾ أن يجامعها، لشهرة المسيس بمعنى الجـماع فـي الكتاب والسنّة. وعند الشافعي: من قبل أن يستمتع كلّ من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر، لعموم اللفظ. وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير.

﴿ ذَلِكُمْ﴾ أي: ذلكم الحكم بالكفّارة ﴿ تُوغَظُونَ بِهِ ﴾ لأنّه يدلّ على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة الرادعة عنها، فيجب أن تتّعظوا بهذا الحكم لتنزجروا عـن أن تعودوا إلى الظهار ﴿ وَاللّٰهِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ لا تخفى عليه خافية.

﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدُ ﴾ أي: الرقبة ﴿ فَصِينَامُ شَهْزِيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا ﴾ فإن أفطر لغير عدر ازمه الاستئناف. وإن أفطر لعدر بنى. وعند أصحابنا أنه إذا صام شهراً، ومن الثاني شيئاً ولو يوماً واحداً، ثم أفطر لغير عدر صح ، ولا يلزمه الاستئناف. وإن أفطر قبل ذلك استأنف. ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك، ثم وجد الرقبة، لا يلزمه الرجوع إليها. وإن رجع كان أفضل. وعند جماعة يلزمه الرجوع إلى العتق.

﴿ فَمَنْ لَمَ يَسْتَعْلِغِ﴾ أي: الصوم، لهرم أو لعلَّة ﴿ فَإَطْفَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ لكلُّ مسكين نصف صاع عند أصحابنا، فإن لم يقدر فمدّ. وإنّما لم يذكر التماسّ مع الطعام اكتفاءً بذكره مع الآخرين.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: ذلك البيان، أو التعليم للأحكام. ومحلّه النصب بـفعل مـعلّل بقوله: ﴿ لِثُوْمِنُوا بِاللهِ ورسوله في قبول شرائعه، ورفض ما كنتم عليه في جاهليّتكم.

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ لا يجوز تعدّيها ﴿ وَلِلْكَافِوِينَ ﴾ الّذين لا يقبلونها ﴿ عَذَابُ البِيمُ ﴾ وهو نظير قوله: ﴿ وَمَن تَظُرَ قَانُ اللّٰهُ عَنِينً عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠).

روي: أَنْهَﷺ بعد نزول آيات الظهار خيّر الأوس بين الطلاق والإمساك.

<sup>(</sup>١) آل عمران: ٩٧.

۱۱۸ ...... زیدة التفاسیر ـج ۲

فاختار الإمساك. فقال ﷺ له: كفّر بعتق رقبة.

فقال: مالي غيرها. وأشار إلى رقبته.

فقال: صم شهرين متنابعين.

فقال: لا طاقة لي بذلك.

فقال: أطعم ستين مسكيناً.

فقال: والله ما بين لابتيها أشد مسكنة منّي. فأمر له النبيّ ﷺ بشيء من مال الصدقة، وأمره أن يطعمه عن كفّارته. فشكا خصاصة حاله، وأنّه أشد فاقة وضرورة منن أمر بدفعه إليهم. فضحك النبي ﷺ وأمره بالاستفغار، وأباح له العود إليها.

وفيها دلالة على أنّه مع العجز عن الكفّارة يستغفر الله ويعود. ويؤيّده رواية إسحاق بن عمّار موتّقاً عن الصادق ﷺ : «أنّ الظهار إذا عجز صاحبه عن الكفّارة فيستغفر ربّه».

وبواقي أحكام الظهار والشرائط المعتبرة فيه مذكورة في كتب الأصحاب. فليطالع ثمّة.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَآذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبُتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدُّ أَنْزَلْنَاۤ آیَات بَیْنَات وَلِلْکَافِرِینَ عَذَابٌ مُّهِینٌ ﴿٥﴾ یَوْمَ یُبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِیعًا ۖ فَیُنَبِّتُهُم بِمَا عَمِلُوٓآ أَخْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ﴾ يعادونهما، فإنْ كَلَّ من المتعاديين في حدّ غير حدّ الآخر. أو يضعون، أو يختارون حدوداً غير حدودهما. ﴿عُبِتُوا﴾ أخزوا وأهلكوا. وأصل الكبت الكبّ. ﴿يَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفّار الأمم سورة المجادلة. آية ٧ .....٧ ....٠٠٠ سورة المجادلة.

الماضية. قيل: أريد كبتهم يوم الخندق. ﴿ وَقَدْ اَنزَلْنَا آيَاتٍ بَلِيَاتٍ ﴾ تدلَّ على صدق الرسول وصحّة ما جاء به ﴿ وَلِلْكَافِوِينَ عَذَابُ مُهِينٌ ﴾ يذهب عزَّهم وتكبّرهم.

﴿ يَوْمَ يَنِعَتُهُمُ اللهُ منصوب برههين». أو بإضمار: اذكر، تعظيماً لليوم. ﴿ جَمِيعاً ﴾ كلّهم لا يدع أحداً غير مبعوث، أو مجتمعين في حال واحدة. ﴿ فَيَنَتَنَكُهُ ﴾ الله، أي: يخبرهم ﴿ بِمَا عَمِلُوا ﴾ على رؤوس الأشهاد، تشهيراً لحالهم، وتقريراً لعذابهم، وتوبيخاً لهم ﴿ أخصًا هُ اللهُ ﴾ أحاط به عدداً، لم يغب منه شيء ﴿ وَنَسُوهُ ﴾ لكثرته، أو تهاونهم به ﴿ وَاللهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ لا يغيب عنه شيء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلاَتَة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ حَسْسَة إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَّ أَذْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعْهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْبِّهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

ثمّ بين سبحانه أنّه يعلم ما يكون في الصالم فقال: ﴿ أَلَمْ تَدَ﴾ الخطاب للنبيّ ﷺ، والمراد جميع المكلفين ﴿ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمْوَاتِ وَمَا فِي الرَّرْضِ﴾ كلاً وجزءًا ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ من «كان» التامة. وتذكير الفعل على أنّ النجوى تأنيثها غير حقيقيّ، و«من» فاصلة. أو على أنّ الععنى: ما يقع شيء من النجوى. والنجوى: التناجي . فلا تُخلو: إمّا أن تكون مضافة إلى ثلاثة، أي: من نجوى ثلاثة نفر، أو موصوفة بها على حذف المضاف، أي: من أهل نجوى ثلاثة، أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة، كقوله تعالى: ﴿ خَلَصُوا فَحِيّا﴾ (١). واشتقاقها من أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة، كقوله تعالى: ﴿ خَلَصُوا فَحِيّا﴾ (١).

<sup>(</sup>۱) يوسف: ۸۰.

النجوة، وهي ما ارتفع من الأرض، فإنّ السرّ أمر مرفوع إلى الذهن، لا يتيسّر لكلّ أحد أن يطّلم عليه.

﴿إِلَّا هُوَرَابِعُهُمْ﴾ إِلَّا الله يجعلهم أربعة، من حيث إنّه يشاركهم في الاطّلاع. والاستثناء من أعمّ الأحوال. ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾.

وتخصيص هذين العددين إمّا لخصوص الواقعة، فإنّ الآية نزلت في تناجي قوم من المنافقين مفايظة للمؤمنين على هذين العددين: ثلاثة وخمسة. وروي عن ابن عبّاس: أنّها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أميّة، كانوا يـوماً يتحدّثون، فقال أحدهم: أترى أنّ الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضاً، ولا يعلم بعضاً. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضاً فهو يعلم كلّه.

أو لأنّ الله وتر يحبّ الوتر. والثلاثة أوّل الأوتار. أو لأنّ التشاور لابدّ له من اثنين يكونان كـالمتنازعين. وثـالث يـتوسّط بـينهما. إلى خـمسة إلى سـتّة. ولا يتجاوزون عن الستّة غالباً عرفاً عندهم.

﴿ وَلَا أَذَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ ﴾ ولا أقل منّا ذكر ، كالواحد والاثنين ﴿ وَلَا أَكْثَرُ إِلّا هُـوَ مَعْهُمْ ﴾ ومعنى كونه معهم: أنّه يعلم ما يجري بينهم من التناجي ، ولا يخفى عليه ما هم فيه ، فكأنّه مشاهدهم ومحاضرهم ، وقد تعالى عن المكان . وقرأ يمقوب: وَلا أَكْثَرُ بالرفع ، عطفاً على محلّ «من نجوى» ، أو محلّ «ولا أدنى» ، بأن جعلت «لا» لنفي الجنس . ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ فإنّ علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة .

﴿ ذُمُّ يُنَبِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ تفضيحاً لهم، وتقريراً لما يستحقّونه من الجزاء ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلُ شَمْيَ عَلِيمٌ ﴾ لأنّ نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكلّ على سواء.

أَلَمْ تَرَ اِلِي الَّذِينَ ثَهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا ثَهُوا عَنْهُ وَيَتَناجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدُوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوُكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّه وَيَقُولُونَ فِيَ أَنفُسِهِمْ لَوُلاَ يُعَذَّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهَا فَبْسَ الْمُصِيرُ ﴿ ٨ ﴾ يَا أَنْهُمَا اللَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَناجَيْتُمْ فَلاَ تَنَاجُوا بِالإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصَيَتِ الرَّسُولِ وَتَناجَوُا بِالْبِرِ وَالنَّقُوى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إَلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ ٩ ﴾ إِنْمَا النَّجُويَ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيسَ بِضَارَهِمْ شَيْئًا إِلاَّ إِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَوَكُلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٩ ﴾ فِي إِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَوَكُلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٩ ٠ ﴾

وعن ابن عبّاس: إنّ اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما هذا التناجي إلّا بأنّه بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الّذين خرجوا في السرايــا قــتل أو مـصيبة أو هزيمة، فيقة ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلمّا طال ذلك شكوا إلى رسول الله الله الله الله عنها مرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فنزلت:

﴿ أَلَمْ تَوَ إِلَى الَّذِينَ نَهُوا عَنِ النَّجُوئ﴾ عن إسرار الكلام بينهم بما يغمّ المسلمين ويحزنهم ﴿ فَمُ يَعُودُونَ لِمَا نَهُوا عَنْهُ﴾ أي: يرجعون إلى التناجي بعد النهي ﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِنْمِ وَالْعُدُوانِ﴾ بما هو إثم وعدوان للمؤمنين ﴿ وَمَعصِيلَةِ الرَّسُولِ ﴾ وتواصي بمعصية الرسول ومخالفته. وقرأ رويس عن يعقوب: وَيَنْتَجونَ. وهو يفتعلون من النجوي.

﴿ وَإِذَا جَآءُونَ حَثَوْقَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله ﴾ وذلك أنّ اليهود كانوا يأتون النبيّ ﷺ فيقولون: السام عليك يا محمد، أو أنعم صباحاً. والله سبحانه يـقول:

٦٢٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ (١). و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ (٢). و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّدِيُّ ﴾ (٣).

﴿ وَيَقُولُونَ فِي النَّسِهِمْ ﴾ فيما بينهم ﴿ لَوْلَا ﴾ هَلَا ﴿ يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَـقُولُ ﴾ كانوا يقولون: ماله إن كان نبيّاً لا يدعو علينا حتّى يعذّبنا الله بما نقول.

فقال سبحانه: ﴿ مَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً، لما فيها من أنواع العذاب والنكال ﴿ يَصْلُونَهَا﴾ يدخلونها ﴿ فَبِنْسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنّم.

ثمّ نهى المؤمنين عن مثل ذلك، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجُوا بِالإَثْمِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصِينَةِ الرَّسُولِ ﴾ فلا تتناجوا بالشرّ كما يفعله المنافقون. وعن يعقوب: فلا تنتجوا. ﴿ وَتَنَاجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقُونَ ﴾ بما يتضمّن خير المسلمين، والاتقاء عن معصية الرسول. وعن النبي اللَّيِّةِ : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما، فإنّ ذلك يحزنه». وروي: «دون السالت». ﴿ وَاشْقُوا اللهُ الَّذِي إلَيْهِ لَيَالِيهِ النّهِ اللهُ عَلَيْهِ.

ولمّا كان المؤمنون يتوهّمون في نـجوى المـنافقين واليـهود وتـغامزهم أنّ غزاتهم غُلبوا، وأنّ أقاربهم قتلوا، فقال سبحانه:

﴿إِنَّمَا الشَّبْوَى ﴾ إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ لأنه الدرين لها والحامل عليها، فكانها منه ﴿لِيُضُزُنَ الْذِينَ آمَنُوا ﴾ بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم ﴿وَلَئِينَ مِضَارٌهِمْ ﴾ وليس الشيطان أو التناجي أو الحزن بضارٌ المؤمنين بذلك الموهم ﴿شَيْنَا إِلا مِإِذْنِ الشِّهِ إِلٰي بمشيئته، بأن يقضي الموت على أقاربهم أو الطبهاد على غزاتهم. وقيل: إلا بعلمه أو بأمر الله ، لأنّ سببه بأمره، وهمو الجهاد

<sup>(</sup>١) النمل: ٥٩.

<sup>(</sup>٢) المائدة: ٤١، وغيرها.

<sup>(</sup>٣) الأنفال: ٦٤، وغيرها.

وخروجهم إليه. وقيل: بأمر الله ، لأنَّمه يسلحقهم الآلام والأمراض عـقيب ذلك. ﴿وَعَلَى اللهِ فَلَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في جميع أمورهم دون غيره، ولا يبالوا بنجواهم.

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوآ إِذَا قِيلَ لَكُمُّ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يُفْسَحِ اللَّهُ لَكُمُّ وَإِذَا قِيلَ آنشُزُوا فَآنشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمُّ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعَلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

وروى المقاتلان: كان رسول الله الله الله وي الصقة وفي المكان ضيق، وذلك يوم الجمعة، وكان الله يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار. فجاء أناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس، وقد سبقوا في المجلس، فقاموا حيال النبي الله في فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فرد عليهم النبي، ثمّ سلّموا على القوم بعد ذلك. فردوا عليهم. فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّع لهم. فلم يفسحوا لهم، تنافساً على القرب منه، وحرصاً على استماع كلامه. فشق ذلك على النبي اللهي فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر. فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف الكراهية في وجوههم. وقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أنّ صاحبكم يعدل بين الناس؟ فوالله ما عدل على هؤلاء، إنَّ قوماً أخذوا مجالسهم، وأحبّوا القرب من نبيّهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم. فنزلت:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ تـوسّعوا فيه، بأن يفسح بعضكم عن بعض، ولا تتضاموا. من قولهم: افسح عنّى، أي: تنحّ. والمراد ٦٧٤ ..... زيدة التفاسير ـج ٦

مجلس رسول الله، أو الجيش، فيشمل مجلس القتال. وهي مراكز الغزاة، كـقوله: ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (١) وغيرها. ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع. ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التفسّح فيه، من المكان والرزق والصدر والقبر والجنّة وغيرها.

﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا﴾ ارتفعوا وانهضوا للتوسعة على المقبلين. وقيل: لما أمر تم به، كصلاة أو جهاد. وقيل: وردت في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ﷺ: فيكون كلّ واحد منهم يحبّ أن يكون آخر خارج، فنزلت فيهم: «وإذا قيل انشزوا». ﴿ فَانشُرُوا﴾. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضمّ الشين فيهما.

﴿ يُرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمُ ﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا، وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ويرفع العلماء خاصّة ﴿ دَرَجَاتٍ ﴾ عالية ومراتب غالية في الدارين بما جمعوا من العلم والعمل، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة، ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله، ولا يقتدى بغيره، وقيل: درجات في مجلس النبي ﷺ فأمره الله سبحانه أن يقرّب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم، ليبيّن فضل العلماء على غيرهم.

وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم. وقد ورد في الحديث أنّه قال ﷺ: «فضل العالم على العابد درجة، وفضل الشهيد على العابد درجة، وفضل النبيّ على العالم درجة، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وفضل العالم على سائر الناس كفضلى على أدناهم».

وعنه ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر عملي مسائر الكواكب».

وعنه بين العالم والعابد مائة درجة، بين كلّ درجتين حضر (٢) الجواد المضمر سبعين سنة».

<sup>(</sup>١) آل عمران: ١٢١.

<sup>(</sup>٢) الحُصْر : الاسم من : أحضر الفرسُ : عدا شديداً ، أي : ركض .

وعنه: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشهداء». فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوّة والشهادة عند رسول الله.

وعن ابن عبّاس: خيّر سليمان 機 بين العلم والمال والملك، فاختار العلم. فأعطي المال والملك معه.

وقال ﷺ : «أوحى الله تعالى إلى إبراهيم: ياإسراهميم إنَّـي عــليم أحبّ كــلّ عليم».

وعن عبدالله بن مسعود: أنَّه كان إذا قرأها قال: يا أيَّها الناس افهموا هـذه الآية، ولترغَّبكم في العلم.

وعن بعض الحكماء: ليت شعري أيّ شيء أدرك من فاته العلم، وأيّ شيء فات من أدرك العلم.

وعن الأحنف: كاد العلماء يكونون أرباباً. وكلّ عزّ لم يوطّد(١) بعلم فإلى ذلّ مّا صير.

وعن الزبيري: العلم ذكر ، فلا يحبُّه إلَّا ذكور الرجال.

﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديد لمن لم يتمثّل الأمر أو استكرهه.

يَّا آَئِّهَا الَّذِينَ آمَنُوآ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدَمُوا بَشِنَ يَدَيُ نَجُواكُمُ صَدَقَةً ذَلَكَ خَيْرٌ لَكُمُ وَأَطْهَرُ فَإِنَ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ خَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيُ نَجُواَكُمُ صَدَقات فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتُوا الزُّكَاةَ وَأَطْيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

<sup>(</sup>١) وطَّد الشيء : قوَّاه وأثبته .

روي: أنّ الناس أكثروا مناجاة رسول الله ﷺ بما يريدون حتّى أمـلّوه(١) وأبرموه، فأراد الله سبحانه أن يكفّوا عن ذلك، فأمرهم بأنّ من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة، فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيَ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ فتصدّقوا قدّامها. مستعار متن له يدان. وفي هذا الأمر تعظيم لرسول الله اللَّيْكِ وإنفاع الفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق، ومحبّ الدنيا. والأمر للوجوب، وخاتمة الآية دالة عليه. ثمّ نسخ بقوله: «أأشفقتم». وهو وإن اتصل به تلاوة، لم يتصل به نزولاً.

وعن عليّ الله ألّه قال: «لمّا نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: كم؟ قلت: حبّة أو شعيرة. قال: إنّك لزهيد». فلمّا رأوا ذلك اشتدّ عليهم فارتدعوا وكفّوا. أمّا الفقير فلعسرته، وأمّا الفنيّ فلشحّه.

وقال عليّ ﷺ: «إنّ في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي. ولا يعمل بها أحد بعدي. كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم. فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم». وقال الكلبي: تصدّق به في عشر كلمات سألهنّ رسول الله ﷺ.

وروي عنه ﷺ أيضاً أنَّه قال: «بي خقّف الله عن هذه الأمَّة. لم ينزل في أحد قبلي، ولم ينزل في أحد من بعدي».

وعن ابن عمر : كان لعليّ ﷺ ثلاث، لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوي.

وعن مجاهد وقتادة: لمّا نهوا عن مناجاته حتّى يتصدّقوا، لم يناجه إلّا عليّ بن أبي طالب ﷺ، قدّم ديناراً فتصدّق به، ثمّ نسخ الله سبحانه ذلك الحكم بعد عشرة أيّام.

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: ذلك التصدّق ﴿ خَيْرُ لَكُمْ ﴾ لأنفسكم من الريبة وحبّ السال،

<sup>(</sup>١) أي: أضجروه وأوقعوه في العلال.

لأنّ فيه أداء واجب وتحصيل ثواب ﴿ وَأَطْهُرُ ﴾ وأدعى إلى نزاهة الساطن ونظافة الظاهر، الداعية إلى مجانبة المعاصي، كتقدّم الطهارة على الصلاة ﴿ فَإِن لَمْ تَجِدُوا فَإِنْ اللهِ اللهُ عَفُولُ وَجِيمُ اللهُ اللهُ تَصدّق.

﴿ اَاشْفَقْتُم اَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أخفتم الفقر يا أهل الميسرة من تقديم الصدقة ؟ أو أخفتم تقديم الصدقات لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر، حيث قال: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَامُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ﴾ (١٠)؟ والهمزة للتوبيخ لهم على ترك الصدقة إشفاقاً من العيلة. وجمع «صدقات» لجمع المخاطبين، أو لكثرة التناجى.

﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ ما أمرتم به وشق عليكم ﴿ وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن رخّص لكم أن لا تفعلوه. وفيه إشعار بأنّ إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه، لما رأى منهم ممّا قام مقام توبتهم. و ﴿إِذْ بمعنى الظرف، أو بمعنى «إن». ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُدوا الرَّحَاةَ ﴾ فلا تفرّطوا في أدائهما ﴿ وَأَطِيعُوا اللهُ وَرَسُولَهُ ﴾ في سائر الأوامر، فإنّ التيام بها كالجابر للتفريط في ذلك ﴿ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ظاهراً وباطناً، من نيّاتكم وأعمالكم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى اللَّهَ لَهُمْ عَذَاً اللَّهُ لَهُمْ عَذَاً اللَّهُ لَهُمْ عَذَاً اللَّهِ اللَّهِ عَنَالًا اللَّهِ اللَّهِ عَنَالًا اللَّهِ عَنَالًا اللَّهِ عَنَالًا اللَّهِ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٩﴾ التَّخَذُولَ أَيْمَالُهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٩﴾

<sup>(</sup>١) القرة: ٨٢٨.

روي: أَنه ﷺ كان في حجرة من حجراته، فـقال: «يـدخل عـليكم الآن رجل قلبه قلب جبّار،وينظر بعين شيطان». فدخل عبدالله بن نبتل المنافق، وكان أزرق. فقال ﷺ له: عَلاَمَ تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل. فقال ﷺ: فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبّوه. فنزلت:

﴿أَلَمْ تَرْ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ والوا ﴿قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ من منافقي اليهود ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ أيّها المؤمنون ﴿وَلاَ مِنْهُمْ﴾ من اليهود، لأنّهم لنفاقهم مذبذبون بين ذلك ﴿وَيَخلِفُونَ عَلَى﴾ الله ﴿وَيَخلِفُونَ عَلَى﴾ الله ﴿وَيَخلِفُونَ عَلَى الله الله الله الله الله على أنّ المحلوف عليه كذب، كمن يحلف بالغموس (١١). وفي هذا التقييد دليل على أنّ الكذب يعمّ ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم.

﴿ أَعَدُ اللهُ لَهُمْ عَذَابِاً شَبِيداً﴾ نوعاً من العذاب متفاقماً ﴿ إِنَّهُمْ سَــآءَ مَـا كَـانُوا يَغْمَلُونَ﴾ فتمرّنوا على سوء العمل وأصرّوا عليه.

﴿اتَّفَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي: الَّتي حلفوا بها ﴿جُنَّةُ﴾ سترة يتسترون بها من المؤمنين، يدفعون بها عن أنفسهم التهمة، ووقاية دون دمائهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ فصدوا الناس في خلال أمنهم وسلامتهم عن دين الله، بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام، وتضعيف أمر المسلمين عندهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم. وقيل: الأوّل عذاب القبر، وهذا عذاب الآخرة.

لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أُولَادُهُم مِنَ اللَّهِ شَيْنًا أُولِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمُ

<sup>(</sup>١) اليمين الغَمُوس أي: الكاذبة الَّتي يتعمَّدها صاحبها.

وَيَحْسَبُونَ أَهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إَنَّهُمْ هُمُ الْكَادْبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَدُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَسْاهُمُ ذُكْرَ اللَّهُ أُولَئكَ حزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسَرُونَ ﴿ ١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَاذُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوَّلَكَ فِي الْأَذَّلِينَ ﴿ ٢٠ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلُمِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ ٢١﴾ لاَ تَجدُ قَوْمًا يُؤمنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُواۤ ٱبَّاءَهُمُ أَوْ أَنَاآءَهُمُ أَوْ إِخْوَاهُمْ أَوْ عَشيرَتُهُمْ أُوْلَكَ كُنَّبَ فِي قُلُوهِمُ الإِيمَانَ وَأَيْدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وُيدْخَلُهُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْنِهَا الأَنْهَارُ خَالِدينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَكَ حَزْبُ اللَّهَ أَلَّا إِنَّ حَزْبَ اللَّهَ هُمُ الْمُفْلَحُونَ ﴿ ٢٢ ﴾

روي: أنّ رجلاً منهم قال: لننصرنّ يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا. فقال سبحانه ردّاً عليهم:

﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلاَدُهُمْ مِنَ الشِ شَيْنا﴾ قليلاً من الإغناء ﴿ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ قِيهًا خَالِدُونَ﴾ قد سبق مثله.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَخْلِفُونَ لَهُ ﴾ أي: لله تعالى عـلى أنهم مسلمون قائلون بالبعث ﴿ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ في الدنيا أنهم لمنكم ﴿ وَيَحْسَبُونَ النَّهُمْ عَلَى شَعْيَهِ ﴾ من النفع، لأنَّ تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيّل إليهم في الآخرة أنَّ الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على الله، كما تروّجه عليكم في الدنيا ﴿ الْإِنْهُمْ هُمُ

النَكاذِبُونَ﴾ البالغون الغاية في الكذب، حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة. ويحلفون عليه.

وملخّص معنى الآية: أنّه ليس العجب من حلفهم لكم، فإنّكم بشر تخفى عليكم السرائر، وأنّ لهم نفعاً في ذلك دفعاً عن دمائهم، واستجرار فوائد دنيويّة. ولكنّ العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة، مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل. والمراد: وصفهم بالتوغّل في نفاقهم ومرونهم(١) عليه، وأنّ ذلك بعد موتهم وبعثهم باقٍ فيهم لا يضمحلّ، كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُوا لَـعَادُوا لِـمَا نَـهُوا

﴿اسْتَحْوَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى عليهم. من: حُدْتُ الإبل وأحدْتها إذا استوليت عليها وجمعتها. وهو ممّا جاء على الأصل، نحو: استصوب واستنوق. والمعنى: ملكهم الشيطان، لطاعتهم له في كلّ ما يريده منهم، حتّى جعلهم رعيته وحزبه، كما قال: ﴿فَانسَاهُمْ ذِخْرَ اللهِ﴾ أن يذكروا الله أصلاً، لا بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أَوْلَئِكَ جِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخُاسِرُونَ﴾ لأنهم فرّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد، وعرضوها للعذاب المخلّد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ ﴾ يخالفونهما في الحدود ويشاقونهما. وهم المنافقون. ﴿ أَوْلَئِكَ فِي الْأَذَلُينَ ﴾ في جملة من هو أذل خلق الله.

﴿كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوحِ ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجّة والسيف، أو بأحدهما. وقرأ نافع وابن عامر: وَرُسُلِيَ بفتح الياء. ﴿إِنَّ اللَّهُ قَوِيًّ﴾ على نصر أنبيائه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلب عليه في مراده.

يروى أنَّ المسلمين قالوا لمَّا رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى: ليفتحنَّ الله

<sup>(</sup>١) مَرَن على الشيء: اعتاده وداومه.

<sup>(</sup>٢) الأنعام: ٢٨.

علينا الروم وفارس. فقال المنافقون: أتظنُّون أنّ فارس والروم كبعض القرى الَّتي غلبتم عليها؟ فأنزل الله هذه الآية.

ثمّ قال سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِوِ يُوَآدُونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴿ هَذَا مِن باب التخييل، خيّل أنّ من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين، أي: لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقّه أن يمتنع ولا يوجد بحال. مبالغة في النهي عنه، والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلّب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم، والاحتراز من مخالطتهم ومعاشرتهم، فلا ينبغي أن يوادّوهم.

ثمّ زاد ذلك تأكيداً وتشديداً بقوله: ﴿وَلَقَ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ اَبْنَاءَهُمْ أَوْ اِجْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ولو كان المحادّون أِقرب الناس إليهم. ولا يكون شيء أدخل فسي الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه. بل هو الإخلاص بعينه.

﴿ اَوْتَنِكَ﴾ أي: اللّذين لم يوادّوهم ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أثبته فيها بما فعل بهم من الألطاف، فصار كالمكتوب فيها. وهو دليل على خروج السمل من مفهوم الإيمان، فإنّ جزء الثابت في القلب لا يكون إلّا ثابتاً فيه، وأعمال الجوارح لا تثبت فيه.

وعن أبي علي الفارسي: كتب في قلوبهم علامة الإيمان. ومعنى ذلك: أنّها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على أنّهم مؤمنون، كما أنّ قولهم في الكفّار: 

﴿ وَطَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) معناه: علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنّه مطبوع على قلبه.

﴿وَٱلْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ وقرّاهم بلطف من عنده حييت به قلوبهم. ويجوز أن يكون الضمير للإيمان. أي: بروح من الإيمان. فإنّها سبب لحياة القلوب.

وقيل: قوَّاهم بنور الحجج والبراهين حتَّى اهتدوا للحقُّ وعملوا به.

<sup>(</sup>١) التوبة: ٩٣.

١٣٢ ..... زيدة التفاسير ـ ج ٦

وقيل: قوّاهم بالقرآن الّذي هو حياة القلوب من الجهل. -

وقيل: أيَّدهم بجبرئيل في كثير من المواطن، ينصرهم ويدفع عنهم.

﴿ وَيُذْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَعْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ بخلوص طاعتهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بما وعدهم من البواب ﴿ أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ ﴾ جنده وأنصار دينه، ودعاة خلقه ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبُ اللهِ هُمُ المُقْلِحُونَ ﴾ الفائزون بخير الدارين. وقيل: إِنَّ الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهـل مكّة

وقيل: إنّ الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كـتب إلى أهـل مكّـة ينذرهم بمجيء رسول الله إليهم، وكان ﷺ أخفى ذلك، فلمّا عـوتب عـلى ذلك قال: أهلى بمكّة أحببت أن أحفظهم بيد تكون لى عندهم.

وقال السدّي: نزلت في عبدالله بن أبيّ وابنه عبيد الله بن عبدالله، وكان هذا الابن عند النبيّ عَلَيْتِ ، فشرب النبيّ عَلَيْت ، فقال: أبق فضلة من شرابك اسقها أبي، لعلّ الله يطهّر قلبه. فأعطاه، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ فقال: بقيّة شراب رسول الله عَلَيْت ببول أمّك؟ فقال: هلّا جستني ببول أمّك؟ فرجع إلى النبيّ عَلَيْت الله الذي في قتله. فقال: بل ترفّق به.

## فهرس الموضوعات

## سورة صَ (۳۸)

الصفجة	الموضوع
o	الآية: ١ ـ ه
۸	٨_٦: كِيَّة: ٦ ـ ٨
1	الآية: ٩ ـ ١٥
17	
<b>W</b>	الآية: ۲۱_۲۱
37	
Υ٤	الآية: ٤١ ـ ٤٤
<b>TY</b>	
£•	
εγ	الآية: ٦٥ ــ ٨٥ ــــــــــــــــــــــــــــــ
01	
سورة الزمر (٣٩)	
سورة الزمر (۳۹)	الآية: ١ ـ ٥
( / • • •	
•٢	الآية: ٦
o7	الآية: ٦ا الآية: ٧
oT	الآية: ٦ا الآية: ٧ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
oT	الآية: ٦ا الآية: ٧ ــ ٩ا الآية: ١٠ ــ ١٦
oT	الآية: ٢
oT. o7. o8. T. TY. V.	الآية: ٢
oT	الآية: ٢. الآية: ٧. الآية: ١٧. ـــــ الآية: ٢٠ ـــــــ الآية: ٢٢ ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
07. 07. 08. 17. 17. 17. 19. 19. 19. 19. 19. 19. 19. 19. 19. 19	
oT. o7. o7. T. TY. V. VY. Vo.	14:2: -4.

زيدة التفاسير ـج ١	
٠,٠	الآية: ٢٨ ـ ٤٢ ـ
٠	٤٤_٤٣ ع٤
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	الآية: ٤٥ ـ ٢٤
<b>\Y</b>	الآية: ٤٧ ـــ٨٤
19	الآية: ٤٩ ـ ٥٢ ـ
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	الآية: ٥٣ ـ ٥٩ ـ
<i>r</i> .	الآية: ٦٠
١٧	الآية: ٢١
Μ	الآية: ٢٢_٦٢
19	الآية: ٢٤_٢٢
·1	الآيَّة: ١٧
··T	الآيَّة: ١٨- ٧٠
•••	ِّلَا يَجَ: ٧٠_٧٠
ة المؤمن (٤٠) 	**
118	
١٢٠	-
YT	•
177	•
179	-
IT1	•
١٣٥	•
١٣٨	•
181	-
1	-
167	•
١٤٨	-
101	
107	
١٠٥	V. 7.9.7

تت	فهرس الموضوعا
	.a. •
\oV	•
	•
104	-
111	الائع: ۸۲ - ۷۰
سنورة فصّلت (٤١)	
170	الآلة: ١ ـ ٧
\W	الآلة: ٨ ـ ١٠
\V\	الآنة: ١١ ـ ١٤
\Y£	الآية: ١٥ ـ ١٨
M	الآية: ١٩ ـ ٢٤
\VX	الآية: ٢٥_٢٩
١٨٠	الآية: ۳۰ ـ۳۰
\^\\	الآية: ۲۷ ـ۳۷
W1	الآية: ٤٣
\AY	الآية: ٤٤
\M	الآية: ٤٥ ــ ٤٦
\^1	الآية: ٤٧ ـ ٨٤
111	الآية: ٤٩ ـ ٢٥
197	الآية: ٥٣ ـ ١٥
سبورة الشبوري (٤٢)	
144	الآنة: ١ ـ ٦
Y-Y	الآبة: ∨ ـ ٩ ـ
Y-£	الآلة: ١٠ ـ ١٧
Y.V	الآلة: ١٣ ـ ١٥
۲۱۰	الآلة: ١٦ ـ ٢٠
Y\T	-
Y19	الآية: ٢٤ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
777	-
770	الآية: ٣٠ ـ ٣٠
YYY	ยร-รา :ั้ม

زیدة التفاسیر ـج ٦	
YT1	الآية: ٤٤ ــــــــــــــــــــــــــــــــــ
YTY	الآية: ٤٩ ـ ٠ ه
YYE	الآية: ٥١ ـ ٥٣
سورة الزخرف (٤٣)	
YTV	الآية: ١ ـ ه
Y£	الآية: ٦ ـ ١٤
YET	الآية: ١٥ ـ ٢٥
Υελ	الآية: ٢٦ ـ ٣٥ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
YoY	الآية: ٣٦_٣٦
Y0T	الآية: ٤٠ ـ ه ٤
YoV	الآية: ٢٦ ـ ٦٠
	الآية: ٥٧ ـ ٢٢
Y7.0	الآية: ٢٢ ـ ٢٦
777	الآية: ١٧ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
774	الآية: ٧٤ ـ ٨٠
YY1	الآية: ٨١_٨٩
سورة الدخان (٤٤)	•
ΥΥΑ	الآية: ١٦-١١
YAE	الآية: ١٧ ـ ٢٤ ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
7A7	الآية: ٢٥ ـ ٢٩
YAA	الآية: ٣٠_٢٢
Y91	الآية: ٢٢ ـ ٥٠
Y17	الآية: ١٥ ـ ٩٥
سورة الجاثية (٤٥)	_
Y4V	'لآية: ١ ـ ٥
711	
٣٠٢	لَاِّية: ١٢ ـ ١٢
T-T	١٥ ـ ١٤ عَلَى اللهِ
7-1	۲۰ <u>-</u> ۱٦ : دَيَّ
T·7.	لآلہ: ۲۱ ـ ۲۲

r·A	لَاَية: ٢٤ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
r\\	لآية: ۲۷ ـ ۲۷
قاف (٤٦)	سورة الأحا
r\1	لآية: ١ ـ ٨
r\4	يرِّيَة: ٩
ry•	١٠ :ఓస్
ryy	١٢ ـ ١٢ ـ ١٢
ry	١٣ : ١٣ ـ ١٤ ـ ١٣
ryo	۲۰ ـ ۱۰ عَرِيَّة
FTY	رِيَّة: ٢١ ـ ٨٨
rr	ڏية: ٢٩ ـ ٢٢
Γε\	
(٤٧) 凝	سورة محمد
TE7	
TEA	ية: ٤ ـ ٩ ـ ٤
۲۰۱	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
ToY	١٥ ـ ١٥ ـ ١٠
To7	ئية: ١٦ ـ ١٩ ـ ١٠٠
٣٠٨	۲٤-۲۰ ; ۲۶
771	ئي: ۲۰ ـ ۲۰
T77	ته: ۲۸_۲٦ : ۲۸
ر (٤٨) تع (٤٨)	سورة الفت
٣٧٠	٧_١: وَيَ
771	يَّة: ٨ - ١٠ - ٨
TVA	ية: ١١ ـ ١٤ ـ ـ
TA1	يَّة: ١٥_/١
TAE	ية: ١٨ - ٢١ - ٢١
<b>T9V</b>	ئے: ۲۲_۲۲
799	ئے: ۲۰

زیدة التفاسیر ـج٦	٦٣٨
£-Y7	الآية: ۲۷ ـ ۹
سورة الحجرات (٤٩)	
£.Y	الآية: ١
£·1	الآية: ٢ ـ ه .
£\Y	الآية: ٦ ـ ٨
£773	الآية: ٩ ـ ١٠
٤٢٥١	الآية: ١١ ـ ٢
¥773	الآية: ١٣
٤٣٥	الآية: ١٤ ـ ٨
سىورة قَ (٥٠)	
££Y	الآية: ١ ـ ١١.
££0	الآية: ١٢ ـ ٤
/33	الآية: ١٥ ـ ٨
189	الآية: ١٩
٤٥٠	الآية: ۲۰۲۰
107	الآية: ٢٣ ـ ٠٠
7	الآية: ٣١ ـ ٥٠
٤٥٩	الآية: ٣٦ - ٥٠
سورة الذاريات (٥١)	
7/3	الآية: ١ ـ ١٤.
£W	الآية: ١٥ ـ ٣٢
EVT	الآية: ۲۵-۲۷
£W	الآية: ۲۸ ـ ۲3
£V4	الآية: ٤٧ ـ ١ ه
EAN	الآية: ٥٢ - ١٠
سورة الطور (٥٢)	
£A7	الآية: ١ ـ ١٦
84	الآية: ١٧ - ٢٨

TY4	فهرس الموضوعات
٤٩٤	الآية: ٢٩_٣٤
٤٩٧	الآية: ٤٤ ـ ٤٩
سورة النجم (٥٣)	
0.1	الآية: ١ ـ ١٠
0.0	الآية: ١١ ـ ١٨
0.9	الآية: ١٩ ـ ٢٢
•\\	الآية: ٢٤
٥١٣	الآية: ۲۹ ـ ۲۰
٥١٤	الآية: ۲۱-۲۲
	الآية: ٢٣ ـ ١٥
•٢١	الآية: ٥٥ ـ ٢٢
سورة القمر (٥٤)	
۰۲۲	-
• ۲۷	•
٥٢٠	•
077	•
٠٢٤	•
070	الآية: ٤٧ ـ ٥٥
سورة الرّحمن (٥٥)	
οξ	الآية: ١ ـ ١٢
off	الآية: ١٤ ـ ١٨
010	الآية: ١٩ ـ ٢٥
0 E V	الآية: ٢٦ ـ ٣٠ ـــــــــــــــــــــــــــــــــ
001	
007	•
700	•
004	الآية: ۲۲ ــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(PO)	سِنورة الواقد
37637	الاَية: ١ ـ ٦ ـ
	الآية: ٧٦-٢٦
۰۷۰	الآية: ۲۷ ـ ۲۰
oYo	الآية: ٤١ ـ ٦٥
• <b>W</b>	الآية: ٥٠ ـ ٦٧
٠٧٩	الآية: ٧٠ ـ ٧٠
۰۸۰	الآية: ۲۱ ـ ۲۲
•AY	الآية: ٧٤ ـ ٨٠
	الآية: ٨١-٨٧
٠٨٦	الآية: ٨٨_٩٦
(a)()	11.2
(84)	سورة الحديد
۰۸۸	الآية: ١ ـ ٦
•47	الآية: ٧ ـ ه ١
• <b>1</b>	الآية: ١٦ ـ ١٩
7-1	الآية: ۲۰ ۲۰
٦٠٣	الآية: ٢٧ ـ ٤٢
7.7	الآية: ٢٥ ـ ٢٩
(oA)	سورة المجادلة
717	لآبَة: ١-٤
7VA	٦- ه : ١ يُلِّلُ
<i>m</i>	لآية: ٧
171	لآية: ٨ - ١٠
777	ڏيـه: ١١
770	لآية: ١٢ - ١٢
7 <b>YY</b>	ڏية: ١٤ ـ ١٦.
779	